

أقوى أسباب الصبر»^(١).

٦- قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يسن للإنسان إذا أصيب بمصيبة أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، يعني نحن ملك لله، يفعل بنا ما يشاء، كذلك ما نجبه إذا أخذه من بين أيدينا فهو له رَحِمَهُ اللهُ حتى الذي يعطيك، أنت لا تملكه، هو لله؛ ولهذا لا يمكن أن تتصرف فيما أعطاك الله إلا على الوجه الذي أذن لك فيه، وهذا دليل على أن ملكنا لما يعطينا الله ملك قاصر، ما نتصرف فيه تصرفاً مطلقاً.

لو أراد الإنسان أن يتصرف في ماله تصرفاً مطلقاً على وجه لم يأذن به الشرع، قلنا: له أمسك لا يمكن؛ لأن المال مال الله كما قال سبحانه: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾^(٢)، فلا تتصرف فيه إلا على الوجه الذي أذن لك فيه»^(٣).

٧- المؤمن الصادق يرضى بقضاء الله وقدره، ولا يعترض عليه؛ لأن هذا ما وقع إلا بتقدير الرحيم الحكيم، فمن صبر فله الرضا، ومن فعل غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه.

٨- قائل هذا الاسترجاع حري به أن يفهم معناه، وقد قال الله مادحاً أهل الصبر على المصائب: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٤)، قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللهُ: لم يكن الاسترجاع إلا لهذه الأمة، ألا ترى أن يعقوب السكيت قال: ﴿يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ﴾^(٥)، فلو كان لهم الاسترجاع لقال ذلك^(٦).

٩- من أيقن أنه إلى الله راجع، علم أنه موقوف بين يديه، ومن علم أنه موقوف، علم

(١) تفسير السعدي، ص: ٧٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٣.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٢٩.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٧.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

(٦) العلم الهيب، ص ٣٧٧.

أنه مسؤول، فعلى العاقل أن يعد للسؤال جواباً، وللجواب صواباً.

١٠- الناس عند وقوع المصائب على درجات^(١):

الدرجة الأولى: الشاكر: وذلك بالنظر إلى من أصيب بأكثر من مصيبته، وعلمه أنها مكفرة للسيئات؛ لأن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل.
الدرجة الثانية: الراضي: وهو الذي لا يكون في قلبه حسرة، أو ندم على وقوعها؛ لعلمه أن كل من عند الله.

الدرجة الثالثة: الصابر: وهو الذي يتحمل المصيبة، ويحبس نفسه عن فعل المحرم.
الدرجة الرابعة: الجازع: وهو الذي يفعل المحرم عند وقوع المصيبة: من لطم خد، أو شق ثوب، أو دعا بدعوة جاهلية، وهذا قد نهى عنه الرسول ﷺ^(٢).

١١- في الحديث دليل على قوة إيمان أم سلمة رضي الله عنها، وأنها قالت هذا الدعاء موقنة بصدق قائله، فأكرمها الله بأن صارت زوجة لقائله، ورفع الله ذكرها في العالمين، وصارت أمًّا للمؤمنين.

١٢- قوله: «في نفسها من خير من أبي سلمة»: فهي مؤمنة بأن الله سيخلف لها خيراً منه؛ لكن تقول من خير من أبي سلمة؟ فما أن انتهت عدتها من وفاة زوجها حتى خطبها النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ خيراً لها من أبي سلمة بلا شك، ثم إن الله استجاب دعوة الرسول ﷺ؛ لما قال في أبي سلمة: «اخلفه في عقبه»^(٣) خلفه الله في عقبه، وجعل خليفة أبيهم رسول الله ﷺ، وهو نعم الخليفة خلف أبا سلمة في أهله، وفي أولاده، وكان منهم عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه^(٤).

(١) أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٣٦٧.

(٢) البخاري، برقم ١٢٩٢.

(٣) مسلم، برقم ٩٢٠، ويأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ١٥٥.

(٤) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ص: ٨٢٤.

٥٤ - الدُّعَاءُ عِنْدَ إِغْمَاضِ الْمَيِّتِ

١٥٥- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِفُلَانٍ (بِاسْمِهِ) وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُقْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٣٢- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ^(٢) قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ بَصْرُهُ فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُقْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»^(٣).

٥٣٣- وفي لفظ آخر لمسلم: «وَاخْلُقْهُ فِي تَرْكِه»، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَوْسِعْ لَهُ فِي قَبْرِهِ»، وَلَمْ يَقُلْ: «افْسَحْ لَهُ»، وَزَادَ: قَالَ خَالِدُ الْحَذَّاءُ: وَدَعْوَةٌ أُخْرَى سَابِعَةٌ نَسِيْتُهَا^(٤).

٥٣٤- ولفظ أحمد: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ بَصْرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ

(١) مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر، برقم ٩٢٠.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٦٨ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٩٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٨- (٩٢٠)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُقْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ افْسَحْ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «لا خلاف أن لفظة: «اللهم» معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني»^(٢).

٢- قوله: «اغفر لفلان باسمه»: قال ابن منظور: «الْعَفُورُ الْعَفَّارُ... وَمَعْنَاهُمَا: السَّائِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا»^(٣)، وقوله: «لفلان»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «فُلَانٌ وَفُلَانَةٌ: كِنَايَةٌ عَنْ أَسْمَاءِ الْأَدَمِيِّينَ»^(٤).

٣- قوله: «وارفع درجته»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «المراد واجعل له درجة عليّة عندك»^(٥).

٤- قوله: «المهديين»: أي: الذين هداهم الله للإيمان به، وتوحيده، واتباع رسله، وأصل الهدى أن تقود إلى النجاة والفلاح، قال في النهاية: المهدي الذي قد هداه الله إلى الحق، وقد استعمل في الأسماء، حتى صار كالأسماء الغالبة، وبه سمي المهدي الذي بشر به رسول الله ﷺ أنه يجيء في آخر

(١) مسند أحمد، ٤٤ / ١٦٥، برقم ٢٦٥٤٣، وابن حبان، ١٥ / ٥١٥، برقم ٧٠٤١، وصححه محققو المسند، ٤٤ / ١٦٥، والألباني في التعليقات الحسان، برقم ٧٠٠١.

(٢) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٣) لسان العرب، ٥ / ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢ من حديث المتن رقم ٢.

(٤) لسان العرب، ١٣ / ٣٢٤، مادة (فلن).

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٢١٦.

الزمان، ويريد بالخلفاء المهديين: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً ﷺ، وإن كان عاماً في كل من سار سيرتهم^(١).

٥- قوله: «واخلفه في عقبه» أي: أجزل لأهله، وذريته العطاء، والعوض، والخلف أن يعقب المتأخر المتقدم، قال في النهاية: «الخلف بالتحريك، والسكون: كل من يجيء بعد من مضى»^(٢)، وقال أيضاً: «يقال خَلَفَ الله لك خلفاً بخير، وأخلف عليك خيراً: أي: أبْدَلَكَ بما ذَهَبَ منك، وَعَوَّضَكَ عنه، وقيل: إذا ذَهَبَ للرجل ما يَخْلُفه، مثل: المال، والولد، قيل: أخلف الله لك، وعَلَيْكَ، وإذا ذَهَبَ له ما لا يَخْلُفه غالباً، كالأب، والأُم قيل: خَلَفَ الله عليك، وقد يقال: خَلَفَ الله عليك، إذا مات لك مَيِّت: أي: كان الله خَلِيفَةَ عليك، وأخلف الله عَلَيْكَ: أي: أبْدَلَكَ»^(٣). وقال القرطبي: «أي: كن الخليفة على من يتركه من عقبه، ويبقى بعده»^(٤).

٦- قوله: «الغابرين» أي: الباقيين، قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾^(٥)، والغابر تأتي بمعنى الباقي، أو بمعنى الماضي الذي ذهب، قال في النهاية: «يحتمل الغابر هاهنا الوجهين: يعني الماضي، والباقي؛ فإنه من الأضداد، قال: والمعروف الكثير أن الغابر الباقي، وقال غير واحد من الأئمة: إنه يكون بمعنى الماضي»^(٦).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ٢٥٣، مادة (هدي).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٦٤، مادة (خلف).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٦٤، مادة (خلف).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨ / ٥٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٨٣.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٣٣٦، مادة (غبر).

٧- قوله: «واغفر لنا وله»: قال ابن علان رحمته الله: «هذا من باب الخضوع لمقام الربوبية»^(١)، وقال القاري رحمته الله: «واغفر لنا يصح أنها لتعظيم نفسه الشريفة، وله ولغيره من الصحابة أو الأمة، وله أي: أبي سلمة خصوصاً، وكرر ذكره تأكيداً»^(٢).

٨- قوله: «يا رب العالمين»: قال ابن علان رحمته الله: «مناسبة ختم الدعاء به واضحة؛ إذ من كان موجداً للعالم، مالكاً أمورهم، مصلحاً شؤونهم، هو الذي يطلب منه ذلك، والعالمين - بفتح اللام - اسم جميع عالم، لاجمعه ... والجمع لا يكون أخص من مفردة، وقيل جمعه مراداً به العموم للعقلاء، وغيرهم، وغلب العقلاء لشرفهم»^(٣).

٩- قوله: «افسح له في قبره» أي: وسعه ونعمه فيه، قال ابن عثيمين رحمته الله: «وافسح له في قبره، أي: وسع له في قبره»^(٤).

١٠- قوله: «ونور له فيه»: قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «ونور له فيه؛ لأن القبر ظلمة، إلا من نوره الله عليه، نور الله قبورنا»^(٥).

١١- قوله: «شق بصره»: أي: رفعه، قال الإمام النووي: «قولها: «شق بصره»، هو بفتح الشين، وبصره برفع الراء فاعل شق، هكذا الرواية فيه باتفاق الحفاظ وأهل الضبط، قال صاحب الأفعال: يُقال شق بصر الميت»^(٦)، وقال أيضاً: شق الميت بصره: إذا شخص أي: شخص بصره،

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢١٦/٦.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٣٤/٥.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢١٦/٦.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٧٤١.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٧٤١.

(٦) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ١٩٥.

يقال: شق بصر الميت، ولا يقال: شق الميت بصره، والمعنى: أنه ينظر إلى الشيء، لا يرتد إليه طرفه»^(١)، وذلك بعد معاينة ملك الموت.

يعني أن الإنسان إذا حضره الموت؛ فإن الميت في الغالب يشخص بصره، يفتح باتساع يشاهد الروح إذا خرجت من البدن؛ لأن الروح إذا خرجت من البدن لها جسم، لكنه جسم لا يراه الناس، لا يراه إلا الميت والملائكة فقط، وتأخذها... وقد شق بصره يعني اتسع وانفتح، فعرف النبي ﷺ أنه مات^(٢).

١٢- قوله: «فأغمضه»: دليل على استحباب إغماض الميت، وأجمع المسلمون على ذلك، والحكمة فيه أن لا يقبح بمنظره لو ترك إغماضه^(٣).

قال القرطبي: «وإغماض الميت: شدّ أجفانه بعد موته، وهو سنة عمل بها المسلمون كافة، ومقصوده: تحسين وجه الميت، وستر تغيير بصره»^(٤).

١٣- قوله: «فضج» أي: ارتفعت أصواتهم حزناً على وفاة أبي سلمة، قال في النهاية: «الضجيج: الصياح عند المكروه، والمشقة، والجزع»^(٥).

١٤- قوله: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، وفي حديث أبي هريرة ؓ قال: «فذلك حين يتبع بصره نفسه»، يدلّ على أن الروح والنفس عبارتان عن معنى واحد، وهو الذي يقبض بالموت، والله أعلم، وفيهما ما يدلّ على أن الموت ليس عدماً، ولا إعداماً، وإنما هو انقطاع تعلّق الروح بالبدن، ومفارقته، وحيلولة بينهما، ثم إنّ البدن ييلي، ويفنى، إلا عجب الذنب الذي منه بُدئ خلق الإنسان، ومنه يركب الخلق يوم

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٦٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩١٩.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٦٢.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٥٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٧٤، مادة (ضجج).

القيامة»^(١). وقال الصنعاني: «البصر يتبع الروح أي ينظر أين يذهب»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وافسح له في قبره، ونور له فيه، واخلفه في عقبه في الغابرين، دعوات خمس تزن الدنيا وما عليها: اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وافسح له في قبره، ونور له فيه، واخلفه في عقبه. إحدى هذه الدعوات عرفناها، والباقي إن شاء الله مجاب، الذي عرفناه أن النبي ﷺ خلف أبا سلمة في عقبه، فكان زوج امرأته، وكان مربّي أولاده، يعني عاشوا في حجر الرسول ﷺ، والمهم أن على المرء أن يصبر عند المصائب أين كانت، ويسترجع، ويقول: اللهم أجرني في مصيبي، واخلفني خيراً منها، ولا بأس أن يبكي البكاء الطبيعي الذي ليس فيه نوح؛ فإن هذا حصل من خير البشر محمد ﷺ والله الموفق»^(٣).

٢- استحباب تغميض الميت بعد التحقق من الموت، وليس قبل ذلك، ويلحق بهذا توجيه وجهه للقبلة عند الاحتضار؛ لقوله ﷺ: «البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتاً»^(٤)، ويستحب أيضاً ربط لحية مخافة دخول الهوام في بطنه قبل الدفن، وبعده، وكذلك تليين مفاصله برفق حتى يسهل تغسيله»^(٥).

٣- الروح إذا خرجت؛ فإن البصر يتبعها إلى أين تذهب، وهي عبارة عن أجسام

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨ / ٥٠.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ١ / ٢٣٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٦٥٨.

(٤) أبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، برقم ٢٨٧٥، والحاكم،

٥٩ / ١، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٤٩٩.

(٥) أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٢٧٤، ٢٧٥، وقال رحمه الله: «أما ربط لحية، وتليين مفاصله، فلم

يرد فيهما دليل أثري، إنما دليل نظري».

لطيفة متخللة في البدن، وتذهب الحياة من الجسد بذهابها^(١).

٤- النهي عن الضجيج والنياحة حال الموت، وبعده، ووجوب التسليم، والرضا بقدر الله، تقول أم سلمة رضي الله عنها: لما مات أبو سلمة رضي الله عنه قلت: غريب، وفي أرض غربة، لأبكيته بكاءً يتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء عليه، إذ أقبلت امرأة من الصعيد - أي: عوالي المدينة - تريد أن تساعدني في البكاء، فاستقبلها رسول الله ﷺ فقال: «أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتاً أخرجته الله منه» مرتين؟ تقول أم سلمة: فكففت عن البكاء فلم أبك^(٢).

٥- من دعا بهذا الدعاء موقناً بما أخبر به النبي ﷺ يعوضه الله عن مصيئته، ويفتح له أبواباً أفضل مما فقد، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «قالت اللهم آجرني في مصيئتي واخلفني خيراً منها وتقول في نفسها: من خير من أبي سلمة؟ أبو سلمة زوجها، يحبها وتحبه، من يكون خيراً من أبي سلمة؟ هي ما شكّت في الخبر، هي توقن أنه صدق؛ لكن تقول: من يكون هذا؟ فما إن انتهت عدتها، حتى خطبها النبي ﷺ، فكان خيراً من أبي سلمة، فأخلف الله لها خيراً من مصيئتها، وصار النبي ﷺ هو الذي يربي أولادها: أولادها صاروا تحت الرسول ﷺ»^(٣).

٦- استحباب الدعاء للميت بما ينفعه في القبر، ويوم القيامة، والدعاء لأهله بأن يخلف الله عليهم، وأن الملائكة تؤمن على ذلك، فلا يقول أهله إلا خيراً، ويفهم من الحديث كذلك إثبات نعيم القبر وعذابه^(٤).

٧- الروح: تخرج من بدن الإنسان، ويبقى لها إدراك، قال العلامة ابن

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٣.

(٢) مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم ٩٢٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٦٥٨.

(٤) سبق بحثه في الحديث رقم ٥٥ من أحاديث المتن، وما بعده.

عثيمين رحمته الله: والذي ترشد إليه الآثار الدينية أنها تخرج من بدن الإنسان، فيكون الموت، وأنها تبقى ذات إدراك: تسمع السلام عليها، وتعرف من يزور قبر صاحبها، وتدرك لذة النعيم، وألم الجحيم، وأن مقرها يختلف بعد مفارقة البدن بتفاوت درجاتها عند الله، ولا مانع للبحث عن حقيقتها، أما من استدل بقول الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١)، فقد رجع بعض العلماء أن المراد منها هو القرآن نفسه، وقد سماه الله روحاً ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾^(٢)، وسابق الآية ولاحقها يرشد إلى صحة هذا الرأي، أما تحضير الأرواح، وتسخيرها فهو خداع، وإلهاء^(٣).

٨- كلمة «الروح» لها عدة معانٍ في الكتاب العزيز:

المعنى الأول: القرآن: لقوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾^(٤).

المعنى الثاني: مادة الحياة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٥).

المعنى الثالث: جبريل عليه السلام: لقوله ﷻ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٦).

المعنى الرابع: الرحمة والنصر: لقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾^(٧).

المعنى الخامس: الوحي: لقوله ﷻ: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ

عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^{(٨)(٩)}.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٣) انظر: أحكام الجنائز، لابن عثيمين، ص ١٢، ١٣.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٨) سورة النحل، الآية: ٢.

(٩) انظر هذه المعاني في شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين رحمته الله، شرح الحديث رقم ٣٩٦،

٩- السخط لا يغير مما قضى الله شيئاً، ف«المؤمن: مؤمن القلب بالله، مؤمن بقضاء الله، يعلم أنه لا يمكن أن تتغير الحال عما كان، وأن هذا أمر قضى وانتهى، كتب قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، جفت الأقلام، وطويت الصحف، لا يمكن أن تتغير الحال عما كان، مهما كان، إذاً ما الفائدة من الجزع؟ ما الفائدة من السخط؟ ما هو إلا أمر، أو وحي من الشيطان ليحرمك الأجر من جهة؛ وليعذب به الميت من جهة أخرى، فعليك يا أخي أن تتقي الله ﷻ، وأن تصبر، وتحسب، وأن تقول كما أثنى الله على من يقوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١) من هم؟ ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢)، هكذا يجب على الإنسان أن يصبر، ويحسب الأجر، ويعلم أن الحزن، والبكاء، بالنياحة لا يغني شيئاً، انتهى كل شيء، لو أن أحداً سافر، وأصيب بحادث، هل يقول: لو أنني ما سافرت كنت سلمت، هل يسلم من الحادث؟ لا، لا يمكن، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾^(٣)، قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤)، لا فرار من الموت إذاً عليك أن تصبر وتحسب وأن تقول: إنا لله، وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنني في مصيبتني، وأخلفني خيراً منها، يؤجرك الله في مصيبتك، ويخلف عليك خيراً منها»^(٥).

ومجموع الفتاوى له، ٤/ ١٠٥ وما بعدها.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٨.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث ١٦٥٨.

١٠- ينبغي على من يقوم بالغسل، والتكفين أن يحسن ذلك الأمر؛ لقوله ﷺ: «إِذَا وَلِيَ أَحَدَكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْثُونَ فِي أَكْفَانِهِمْ، وَيَتَزَاوَرُونَ فِي أَكْفَانِهِمْ»^(١).

١١- الواجب على الإنسان أن يتصبر ويحتسب الأجر عند الله ويعلم أن عظم الثواب من عظم المصاب وأنه كلما عظمت المصيبة كثر الثواب^(٢).

(١) أخرجه الخطيب، ٨٠/٩، والعقيلي، ٥٥/٢، ترجمة رقم ٤٩٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٤٥، وفي لفظ آخر: «إِذَا وَلِيَ الرَّجُلُ كَفَنَ أَخِيهِ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ، فَإِنَّهُمْ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا» أخرجه محمد بن المسيب الأرغاني كما في التدوين للرافعي، ٦٩/٣، والبيهقي في شعب الإيمان، ١٠/٧، برقم ٩٢٦٨. قال العيني في عمدة القاري، ٨/٢٢٠: «مسلم، برقم ٩٤٣ عنه جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَفَنَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ» ورواه الترمذي أيضاً، ولفظه: «إِذَا وَلِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ» برقم ٩٩٥، وفي رواية الحارث بن أسامة وأحمد بن منيع: «إِذَا وَلِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ؛ فَإِنَّهُمْ يَعْثُونَ فِي أَكْفَانِهِمْ، وَيَتَزَاوَرُونَ فِي أَكْفَانِهِمْ» ورواية الترمذي في ابن ماجه، برقم ١٤٧٤، وصحيح بن حبان، ٣٠٦/٧، برقم ٣٠٣٤، وقوى إسناده محقق ابن حبان، والنسائي، برقم ١٨٩٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٨٤٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٦٥٨.

٥٥ - الدعاء للميت في الصلاة عليه

١٥٦- (١) «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزْلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٣٥- عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه (٢)، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزْلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»، قَالَ: حَتَّى تَمْتَنِيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ (٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ»: المغفرة هي محو الذنوب، وسترها، وبها تحصل النجاة من المرهوب، وهو دخول النار، وأصل الغفر هو التغطية والستر، وهو هنا

(١) مسلم، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة، برقم ٩٦٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٤٢ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، ٩٦٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

تغطية ذنوبه، وسترها، قال في النهاية: «في أسماء الله تعالى: «الغفار، والغفور»، وهما من أبنية المبالغة ومعناها: الساتر لذنوب عباده، وغيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم، وذنوبهم، وأصل الغفر: التغطية، يقال: غفر الله لك غفراً، وغفراناً، ومغفرةً، والمغفرة: لباس الله تعالى العفو للمؤمنين»^(١).

٢- قوله: «وارحمه»: الرحمة أعلى من المغفرة؛ لأن بها يحصل المطلوب، وهو الجنة، وهذا دعاء للميت بأن يسبغ الله عليه شأيب الرحمة، التي هي صفة من صفاته ﷺ، قال في النهاية: «رحم: في أسماء الله تعالى: «الرحمن، الرحيم»، وهما اسمان مشتقان من الرحمة، مثل: نذمان، ونديم، وهما من أبنية المبالغة، ورَحْمَانُ أبلغ من رَحِيم، والرحمان خاص لله، لا يُسمَّى به غيره، ولا يُوصف، والرحيم يُوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجلٌ رحيمٌ، ولا يقال رَحْمَان... الرَّحْمُ بالضم: الرحمة، يقال: رَحِمَ رُحْمًا... ومكة: هي أُمُّ رُحْم، أي: أصلُ الرحمة»^(٢).

٣- قوله: «وعافه» أي: مما قد يقع له من شدة سؤال الملكين، ومن عذاب القبر، فسؤال العبد لربه أن يعافيه، أي: أن يبعد عنه كل مكروه، وأن يسقط عنه ذنوبه وخطاياها، «العافية: دفاع الله تعالى عن العبد، تقول عافاه الله تعالى من مكروهه، وهو يعافيه معافاةً، وأعفاه الله بمعنى عافاه»^(٣).

٤- قوله: «واعف عنه» أي: بالتجاوز عما وقع منه من تقصير في جنبك. وأصل العفو التجاوز، والتسامح، والمسح، والطمس، ففي النهاية: «عفا: في أسماء الله تعالى: «العفو»، هو فَعُول من العفو، وهو التَّجَاوُزُ عن الذَّنْب، وتركُ الْعِقَابِ عليه، وأصله المَحْوُ، والطمسُ، وهو من أبنية المبالغة، يقال: عفا، يَغْفُو عَفْوًا،

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٣٧٣، مادة (غفر).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٢٠٩، مادة (رحم).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٤ / ٥٧، مادة (عفو).

فهو عافٍ، وعَفُوٌّ، ... ومنه قولهم: عَفَتِ الرِّيحُ الأثر: إِذَا طَمَسَتْه وَمَحَتْهُ»^(١).

٥- قوله: «وأكرم نزله»: النزَل هو ما يقدم للضيف وإنما سماه نزلاً؛ لأن الراحل عن الدنيا قادم على دار جديدة، فالنزَل هو تجهيز المكان، والإكرام للضيف، قال ابن الأثير: «نزله: النزَل: ما يعد للضيف من طعام وشراب ونحوه»^(٢).

٦- قوله: «ووسع مدخله» أي: أفسح له في قبره مد البصر، وافتح له باباً إلى الجنة قال القرطبي: وَوَسَّعَ مُدْخَلَهُ: أي: قبره، ومنزله في الجنة»^(٣).

٧- قوله: «واغسله» أي: من آثار الذنوب، والمعاصي، والتفريط الذي وقع منه حال حياته، والغسل التنقية والتطهير من الأدران، والأوساخ، والأقذار المادية والمعنوية، «غسل: الغين، والسين، واللام: أصلٌ صحيح يدلُّ على تطهير الشيء، وتنقيته، يقال: غَسَلْتُ الشَّيْءَ غَسْلاً، والغُسل الاسم، والغُسُول: ما يُغْسَلُ به الرَّأس من خِطْمِيٍّ أو غيره»^(٤).

٨- قوله: «بالماء، والثلج، والبرد»: «تخصيص الثلج والبرد تأكيداً للتطهير، ومبالغة فيه؛ لأن الثلج والبرد ماءٌ إن مَفْطُورَانِ على خلقتهما، لم يستعملَا، ولم تنلهما الأيدي، ولم تخضهما الأرجل، كسائر المياه التي قد خالطت تربة الأرض، وجرت في الأنهار، واستقرت في الحياض، ونحوها، فكانا أحقَّ بكمال الطهارة، وكذلك هذا المعنى في قوله»^(٥).

٩- قوله: «ونقه من الخطايا»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «نقا: التَّقَاؤُ: أَفْضَلُ مَا انْتَقَيْتَ مِنَ الشَّيْءِ، ... فَهُوَ نَقِيٌّ أَيُّ نَظِيفٌ ... وَأَنَا أَنْقَيْتُهُ إِنْقَاءً، وَالْإِنْقَاءُ تَجَوُّدُهُ،

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٢٦٤، مادة (عفا).

(٢) جامع الأصول، ٦ / ٢٢١.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨ / ٩١.

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس، ٤ / ٤٢٤، مادة (غسل).

(٥) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤ / ٣٤٥.

وَانْتَقَيْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَخَذْتُ خِيَارَهُ، وَالتَّقَاةُ: مَا يُلْقَى مِنَ الطَّعَامِ إِذَا نُقِيَ، وَرُمِيَ بِهِ؛... وَالتَّقَاةُ وَالتَّقَايَةُ الرَّدْيُ»^(١)، «وَالْخَطَايَا»: جَمْعُ خَطِيئَةٍ، وَهِيَ: مَا خَالَفَ فِيهَا الصَّوَابَ سِوَاءَ كَانَ فِعْلاً لِّلْمَحْظُورِ أَوْ تَرْكاً لِّلْمَأْمُورِ، وَهِيَ شَامِلَةٌ لِّلصِّغَاتِ وَالْكِبَائِرِ^(٢)، وَ«الْخَطَا»: الْعُدُولُ عَنِ الْجِهَةِ، وَذَلِكَ أَضْرَبُ^(٣):

أَحَدُهَا: أَنْ تَرِيدَ غَيْرَ مَا تَحْسُنُ إِرَادَتَهُ فَتَفْعَلَهُ، وَهَذَا هُوَ الْخَطَأُ التَّامُّ الْمَأْخُذُ بِهِ الْإِنْسَانُ، يُقَالُ خَطِئَ يَخْطِئُ، خَطْأً، وَخَطُأً، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾^(٤)، قَالَ ﷺ عَنْ قَوْلِ إِخْوَةِ يُوسُفَ: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾^(٥).

وَالثَّانِي: أَنْ يَرِيدَ مَا يَحْسُنُ فِعْلَهُ، وَلَكِنْ يَقَعُ مِنْهُ خِلَافٌ مَا يَرِيدُ، فَيُقَالُ: أَخْطَأَ إِخْطَاءً، فَهُوَ مَخْطِئٌ، وَهَذَا قَدْ أَصَابَ فِي الْإِرَادَةِ وَأَخْطَأَ فِي الْفِعْلِ^(٦).

١٠- قَوْلُهُ: «كَمَا (نَقَيْتَ) تَنْقِي الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ»: «إِشْبَاعٌ فِي بَيَانِ التَّطْهِيرِ، وَتَأْكِيدٌ لَهُ»^(٧)؛ لِأَنَّ التَّنْقِيَةَ هِيَ تَنْظِيفُ الْإِنْسَانِ مِنْ ذُنُوبِهِ وَخَطَايَاهُ، كَمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ بِالثَّوْبِ الَّذِي دَنَسَتْهُ الْأَدْنَسُ، وَالْأَقْدَارُ، وَإِذَا كَانَ الثَّوْبُ بِلَوْنٍ أَبْيَضَ فَتَظْهَرُ فِيهِ الْأَقْدَارُ أَوْضَحَ مَا يَكُونُ، خِلَافَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَلْوَانِ، فَ«التَّنْقِيَةُ»: وَهُوَ إِفْرَادُ الْجَيِّدِ مِنَ الرَّدِيِّ^(٨).

١١- قَوْلُهُ: «مِنَ الدَّنَسِ»: هُوَ الْوَسْخُ، وَالْمَقْصُودُ تَمَامُ الْمَغْفَرَةِ، وَخَصَّ

(١) لِسَانُ الْعَرَبِ، ١٥ / ٣٣٨، مَادَّةُ (نَقَى).

(٢) أَحْكَامُ الْجَنَائِزِ لِابْنِ عَثِيمٍ ص ٣٢٣.

(٣) أَضْرَبُ: أَي: أَنْوَاعٌ..

(٤) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ، آيَةُ: ٣١.

(٥) سُورَةُ يُوسُفَ، آيَةُ: ٩١.

(٦) مَفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، لِلرَّائِغِ الْأَصْفَهَانِيِّ، ١ / ٣٠٤.

(٧) جَامِعُ الْأَصُولِ، ٤ / ٣٤٥.

(٨) النِّهَايَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، ٥ / ١١٠، مَادَّةُ (نَقَى)، وَتَقْدَمُ فِي شَرْحِ الْمَفْرَدَةِ رَقْمُ ٨ مِنْ

مَفْرَدَاتِ حَدِيثِ الْمَتْنِ رَقْمُ ٢٧.

الأبيض بالذكر؛ لأن الوسخ يظهر فيه بسرعة خلافاً لغيره من الألوان، ف«الدَّنْسُ فِي الثِّيَابِ: لَطُخُ الْوَسَخِ وَنَحْوِهِ، حَتَّى فِي الْأَخْلَاقِ، وَالْجَمْعُ أَذْنَانٌ، وَقَدْ دَنَسَ يَدْنُسُ دَنَسًا، فَهُوَ دَنَسٌ: تَوَسَّخَ، وَتَدَنَّسَ: اتَّسَخَ، وَدَنَسَهُ غَيْرُهُ تَدْنِيسًا... الدَّنْسُ: الْوَسَخُ؛ وَرَجُلٌ دَنَسُ الْمَرْوَةِ، وَالْإِسْمُ الدَّنْسُ، وَدَنَسَ الرَّجُلُ عِرْضَهُ إِذَا فَعَلَ مَا يَشِئُهُ»^(١).

١٢- قوله: «وأبدله داراً خيراً من داره» أي: أدخله الجنة، التي هي دار السلام، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أبدله داراً خيراً من داره؛ لأنه انتقل من دار الدنيا إلى دار البرزخ، ودار الدنيا كما نعلم دار محن، وأذى، وكدر، فيقول: أبدله داراً خيراً من داره؛ ليكون منعماً في قبره»^(٢).

١٣- قوله: «وأهلاً خيراً من أهله» أي: بصحبة أهل الجنان؛ حيث لا غلّ، ولا حسد، ويدخل في الأهل: الزوجة، والخدم، والأهل هنا المصاحبون له في حياته، كما يصاحب الرجل زوجه، أي: يلازمون، قال القرطبي: «الأهل هنا: عبارة عن الخدم، والخول، ولا تدخل هنا الزوجة فيهم؛ لأنه قد خصّها بالذكر بعد ذلك؛ حيث قال: «وزوجاً خيراً من زوجه»^(٣). وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وأهلاً خيراً من أهله: أهله ذووه، كأمه، وخالته، وبناته، وأبيه، وابنه، وما أشبه ذلك»^(٤).

١٤- قوله: «وزوجاً خيراً من زوجه» أي: بالهور العين، وإنما خصّ الزوجة رغم أنها داخلة في معنى الأهل؛ لما جبل الرجل من محبة غريزية لها، وهذا التبديل شامل للأعيان والأوصاف، كيف تكون زوجة الجنة خيراً من زوجة

(١) لسان العرب، ٦ / ٨٨، مادة (دنس).

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨ / ٩١.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥.

الدنيا؟ قال ابن عثيمين: «وزوجاً خيراً من زوجه: يعني زوجة خيراً من زوجته، وذلك بالحدود العينية، وكذلك بزوجه في الدنيا؛ لأن الإنسان إذا تزوج امرأة في الدنيا، وماتت على الإيمان؛ فإنها تكون زوجته في الآخرة؛ فإن قال قائل: كيف تكون خيراً من زوجتي، وهي واحدة في الدنيا، نقول خيراً منها في الصفات والجمال وغير ذلك»^(١)، و«أن نساء الجنة أفضل من نساء الآدميات، وإن دخلن الجنة، وقد اختلف في هذا المعنى»^(٢).

١٥- قوله: «وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، وعذاب النار»: قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «كل هذا دعاء يدعو به الإنسان للميت، وينبغي أن يخلص الإنسان للميت في هذا الدعاء»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- حرص الصحابة رضي الله عنهم على نقل العلم، فهذا عوف بن مالك راوي الحديث رضي الله عنه يقول فيه: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء.

٢- الاهتمام بأمر الدعاء والذي محله بعد التكبيرة الثالثة في الصلاة على الميت؛ لأنه في أشد الحاجة إليه بعدما انقطع عمله، وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء أموراً عظيمة، حتى قال الراوي: تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت، ويذكر الدعاء للرجل، ويؤنث للمرأة.

٣- صلاة الجنازة يستحب فيها كثرة عدد المصلين خاصة أهل الصلاح لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨ / ٩١.

(٣) شرح رياض الصالحين، الحديث رقم ٩٣٥.

يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه»^(١) وقوله ﷺ: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شفّعوا فيه»^(٢)، وقول النبي ﷺ: «يلغون مائة» الجمع بينه وبين قوله ﷺ: «فيقوم على جنازته أربعون رجلاً»: أن الله أخبر النبي ﷺ أولاً بشفاعاة المائة، ثم تفضّل على عباده، فأحسن إليهم بقبول شفاعاة الأربعين، فضلاً منه، وإحساناً، وكرماً، وجوداً، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي المجموع: «تجوز صلاة الجنازة فرادى بلا خلاف، والسنة أن يصلي جماعات للحديث المذكور في الكتاب مع الأحاديث المشهورة في الصحيح في ذلك، مع إجماع المسلمين، وكلما كثر الجمع كان أفضل؛ لحديث مالك بن هبيرة المذكور في الكتاب، وحديث عائشة، وأنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ، أنه قال: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفّعوا فيه» رواه مسلم، وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه» رواه مسلم، ويستحب أن تكون صفوفهم ثلاثة فصاعداً، لحديث مالك بن هبيرة»^(٣).

٤- قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: قال البعض: إن غسل الميت بالماء الساخن أنقى، فلماذا قال ﷺ: «بالماء والثلج والبرد؟» والجواب: أن المراد هو غسله من آثار

(١) مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفّعوا فيه، برقم ٩٤٨.

(٢) مسلم، كتاب الجنائز، باب من صلى عليه مائة شفّعوا فيه، برقم ٩٤٧.

(٣) المجموع، ١٦٩ / ٥. وحديث مالك بن هبيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لفظه: قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يموت فيصلي عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أُوْجِبَ». قال: فكان مالك إذا استقل أهل الجنازة جزأهم ثلاثة صفوف، للحديث. سنن أبي داود، برقم ٣١٦٦، والترمذي، برقم ١٠٢٨، وابن ماجه، برقم ١٤٩٠، وأحمد، ٢٧ / ٢٨١، برقم ١٦٧٢٤، وحسنه النووي في المجموع، ٢١٢ / ٥، وقال الأرئوط في تحقيق سنن أبي داود، ٧٨ / ٥: «إسناده حسن» وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم ١٩٨٤.

الذنوب، وهي محرقة، فيكون المضاد لها الماء والبرودة، أما الفرق بين الثلج والبرد فهو أن الثلج هو ما يتساقط من غير سحب فيتساقط من الجو مثل الرذاذ، ويتجمد وأما البرد فيتساقط من السحاب ويسميه بعض أهل اللغة حب الغمام لأنه ينزل مثل الحب^(١)، وقال ﷺ أيضاً: «واغسله: يعني طهره من الذنوب بالماء، والثلج، والبرد، ذكر الثلج والبرد؛ لأنه بارد، وذكر الماء؛ لأن به النظافة، والذنوب - أجارنا الله وإياكم منها - عقوبتها حارة، فناسب أن يقرن مع الماء الثلج، فيحصل بالماء التنظيف، ويحصل بالثلج والبرد التبريد^(٢)».

٦- وقال العلامة ابن عثيمين ﷺ أيضاً: «وأعذه من عذاب القبر، وعذاب النار» كل هذا دعاء يدعو به الإنسان للميت، وينبغي أن يخلص الإنسان للميت في هذا الدعاء؛ فإن كانت امرأة، فإنه يقول: اللهم اغفر لها، وارحمها، وعافها، واعف عنها، يعني بضمير المؤنث، فإن كان لا يدري هل هي ذكر أم أنثى فإنه مخير إن شاء قال: اللهم اغفر له، يعني لهذا الشخص، والمرأة تسمى شخصاً، أو إن شاء قال: اللهم اغفر لها أي لهذه الجنازة، والجنازة تطلق على الرجل، وعلى المرأة، وإن كان يعلم أنه ذكر ذكره، وإن كان يعلم أنها أنثى أنثها، وإن كان لا يدري جاز أن يذكره، وجاز أن يؤنثه؛ فإن ذكره فالمعنى اغفر له، أي لهذا الشخص الذي بين أيدينا، وإن قال: اغفر لها أي لهذه الجنازة، والجنازة تطلق على الرجل والمرأة والله الموفق^(٣).

١٥٧- (٢) «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنا وَمَيِّتِنا، وَشَاهِدِنا وَغَائِبِنا،

(١) أحكام الجنائز، ص ٣٢٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥.

وَصَغِيرَنَا وَكَبِيرَنَا، وَذَكَرْنَا وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَخِيهِ عَلَى
الإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيْمَانِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا
أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٣٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ
يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا، وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا، وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرْنَا،
وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَخِيهِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى
الإِيْمَانِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ»: أصل الغفر هو التغطية والستر، والله هو «السَّاتِرُ
لذُنُوبِ عِبَادِهِ، وَغُيُوبِهِمْ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ، وَذُنُوبِهِمْ، وَأَصْلُ الْغَفْرِ:
التَّغْطِيَةُ...، وَالْمَغْفِرَةُ: الْبَاسُ اللَّهُ تَعَالَى الْعَفْوَ لِلْمُذْنِبِينَ»^(٤).

٢- قوله: «لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا» أي: من فوق الأرض ومن تحتها من المسلمين،

(١) أبو داود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت، برقم ٣٢٠١، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول
في الصلاة على الميت، برقم ١٠٢٤، والنسائي، كتاب الجنائز، الدعاء، برقم ١٩٨٥، وابن ماجه،
كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة على الجنائز، برقم ١٤٩٨، وأحمد، ٤٠٦ / ١٤،
برقم ٨٨٠٩، والحاكم، ٣٥٨ / ١، وصححه محققو المسند، والعلامة الألباني في صحيح أبي
داود، برقم ٢٧٤١، وفي صحيح ابن ماجه، ٢٥١ / ١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٢٠١، والترمذي، برقم ١٠٢٤، والنسائي، برقم ١٩٨٥، وابن ماجه، برقم ١٤٩٨، وأحمد،
٤٠٦ / ١٤، برقم ٨٨٠٩، والحاكم، ٣٥٨ / ١، وصححه محققو المسند، والعلامة الألباني في صحيح أبي
داود، برقم ٢٧٤١، وفي صحيح ابن ماجه، ٢٥١ / ١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٧٣ / ٤، مادة (غفر)، وتقدم في شرح حديث المتن رقم ١٥٦ في المفردة رقم ١.

و«الحَيَّ: ضد الميت، جمعه: أحياء»^(١).

وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «اللهم اغفر لحينا، وميتنا: شمل الجميع، لكن مقام الدعاء ينبغي فيه البسط والتفصيل؛ لأن الدعاء كل جملة منه عبادة لله ﷻ، وإذا كررته ازددت بذلك ثواباً، فقلوه: حيناً، وميتنا يشمل الحي الحاضر، والميت القديم، والميت في عصره»^(٢).

٣- قوله: «وشاهدنا» أي: من شهد هذه الصلاة معنا، والشاهد: الحاضر، ... ومنه ... سيد الأيام يوم الجمعة هو شاهد، أي: هو يشهد لمن حضر صلاته»^(٣).

٤- قوله: «وغائبنا» أي: من غاب عنا لعذر، أو بُعد مكان، أو غير ذلك، فشاهدنا الحاضر معنا، والغائب المسافر أو غير الحاضر معنا»^(٤).

٥- قوله: «وصغيرنا»: أي: من لم يجز عليه القلم؛ لعدم بلوغه، ووصوله سن التكليف، وهو دعاء لرفع الدرجات له، وقيل إن ذلك من باب التبعية: قال ابن حجر الدعاء للصغير ليرفع الدرجات ويدفعه ما ورد في الموطأ عن أبي هريرة أنه ﷺ صلى على طفل لم يعمل خطيئة قط، فقال: «اللهم قه من عذاب القبر وضيقه»^(٥)، ويمكن أن يكون المراد بالصغير والكبير الشاب والشيخ فلا إشكال، ونقل التوربشتي عن الطحاوي أنه سئل عن الاستغفار للصبيان، فقال: معناه السؤال من الله أن يغفر له ما كتب في اللوح المحفوظ أن يفعله بعد البلوغ من الذنوب، كذا في الزجاجة والمرقاة»^(٦).

(١) القاموس المحيط، ص ١٦٤٩، مادة (حي).

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث ٩٣٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٥١٣، مادة (شهد).

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٧.

(٥) موطأ الإمام مالك، ١ / ٢٢٨، برقم ٥٣٦، وقال محقق الموطأ: حثان عبد المنان، ص ١٤١: «رجاله ثقات».

(٦) شرح سنن ابن ماجه، للسيوطي، ص ١٠٨.

٦- قوله: «وكبيرنا» أي: من الشباب، والشيخوخ الذين هم أهل التكليف، ويدخل فيه النساء لعموم الأدلة، قال الملا علي القاري رحمته الله: «قال الطيبي: المقصود من القرائن الأربع: الشمول، والاستيعاب، فلا يحمل على التخصيص نظراً إلى مفردات التركيب، كأنه قيل: اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات كلهم أجمعين»^(١).

٧- قوله: «وَذَكِّرْنَا وَأُثْنَانَا»: قَالَ الْعَظِيمُ أَبَادِي رحمته الله: «الْمَقْصُودُ مِنَ الْقَرَائِنِ الْأَرْبَعِ: الشُّمُولُ، وَالِاسْتِيعَابُ فَلَا يُحْمَلُ عَلَى التَّخْصِصِ، نَظَرًا إِلَى مُفْرَدَاتِ التَّرْكِيبِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ كُلِّهِمْ أَجْمَعِينَ»^(٢).

٨- قوله: «اللهم من أحبيته منا فأحبه على الإسلام»: لأن الإسلام استسلام لله تعالى بامثال الأمر، واجتناب النهي، وهذا لا يكون إلا في الدنيا «أي الإستسلام والإنقياد للأوامر والنواهي»^(٣).

٩- قوله: «ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان»: لأن الإيمان تصديق بالباطن، ومحله القلب، والإيمان هو اليقين، والموت عليه نعمة عظمية؛ «لأن الإيمان أفضل، ومحله القلب، والمدار على ما في القلب عند الموت، وفي يوم القيامة»^(٤).

١٠- قوله: «اللهم لا تحرمنا أجره» أي: أجر زيارته وهو مريض، وتجهيزه وغسله، والصلاة عليه، والانتظار حتى دفنه. قال العيني رحمته الله: «لا تحرمنا: من حرمة الشيء، يَحْرِمُهُ، من باب ضرب يضرب، حَرَمًا بكسر الراء، مثل سَرَقَهُ

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٤٣٦.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/ ٤٣٦.

(٣) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٨/ ٣٤٦.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٧.

سَرِقًا، وَحَرَمَةً، وَحَرِيمَةً، وَحِزْمَانًا»^(١).

١١- قوله: «ولا تُضِلُّنا بعده» أي: ثبِّتنا على الإيمان، وَجَبَّنا أسباب الغواية، والضلال هو الابتعاد عن دين الله وهداه، والضياح، وبطلان العمل الفاسد المخالف للإيمان والشريعة، ف«بُطْلَانُ الْعَمَلِ وَضِياعُهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الضَّلَالِ: الضِّياع، ... يقال: ضَلَّ الشَّيْءُ: إِذَا ضَاعَ، وَضَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ إِذَا حَارَ»^(٢). وأيضاً: «وَلَا تُضِلُّنَا بَعْدَهُ» أي: لَا تَجْعَلُنَا ضَالِّينَ بَعْدَ الْإِيمَانِ^(٣)، وأيضاً: «ولا تُضِلُّنَا بعده» أي: أعذنا من الضلال، وَجَبَّنا الفتنة والزَّلَل بعد فقداننا له^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- الإلحاح على الله، ودعاؤه ﷻ بتضرع، وإخلاص للميت، دعاء يرجي له القبول إن شاء الله، قال النبي ﷺ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلَصُوا لَهُ الدَّعَاءَ»^(٥).
- ٢- المقصود من القرائن الأربعة التي جاءت في هذا الدعاء: الشمول، والاستيعاب، فلا يحمل على التخصيص؛ نظراً إلى مفردات التركيب، كأنه قيل: اللهم اغفر للمسلمين، والمسلمات، كلهم أجمعين قاله الطيبي^(٦).
- ٣- تكرار ألفاظ الدعاء، والتعميم فيه، والتخصيص دليل على محبة الداعي لربه؛ لأن الإنسان إذا أحب أحداً أحب طول مناجاته، وهو دليل على شدة افتقار العبد لخالقه^(٧).
- ٤- حث الإسلام على الدعاء للأحياء والأموات؛ لأن الكل مفتقر إلى الله ﷻ، ومن

(١) شرح أبي داود للعيني، ٦ / ١٤٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٢٠٦، مادة (ضل).

(٣) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٨ / ٣٤٦.

(٤) فقه الأدعية والأذكار، ٣ / ٢٢٣.

(٥) أبو داود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت، برقم ٣١٩٩، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٣١٩٩.

(٦) عون المعبود، ٥ / ٨٠.

(٧) انظر: أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٣١٩.

دعا بهذا الدعاء في صلاة الجنازة، أو في غيرها، فله بكل واحد من المسلمين والمسلمات - الأحياء منهم والأموات - حسنة، وقد قال النبي ﷺ: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة»^(١). إلا أننا لا نقول لشخص بعينه أن له هذا الأجر، فهذا من العموم.

٥- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «وكان النبي ﷺ يقول في دعائه إذا صلى على الميت: «اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان»؛ لأن الأعمال بالجوارح، وإنما يتمكن منه في الحياة، فأما عند الموت، فلا يبقى غير التصديق بالقلب، ومن هنا قال المحققون من العلماء: كل مؤمن مسلم؛ فإن من حقق الإيمان، ورسخ في قلبه قام بأعمال الإسلام»^(٢).

٦- قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «هذا الدعاء ... هو الدعاء العام يقول المصلي على الميت: اللهم اغفر لحينا، وميتنا، وصغيرنا، وكبيرنا، وذكرنا، وأنثانا، وشاهدنا، وغائبنا، وهذه الجمل تغني عنها جملة واحدة، لو قال: اللهم اغفر لحينا، وميتنا شمل الجميع، لكن مقام الدعاء ينبغي فيه البسط والتفصيل؛ لأن الدعاء كل جملة منه عباده لله ﷻ، وإذا كررته ازددت بذلك ثواباً، فقله: «حينا وميتنا» يشمل الحي الحاضر، والميت القديم، والميت في عصره، «وصغيرنا وكبيرنا»، كذلك أيضاً يشمل الصغير والكبير، الحي والميت وذكر الصغير مع أن الصغير لا ذنب له من باب التبعية، وإلا فإن الصغير ليس له ذنب حتى تسأل له المغفرة، «وذكرنا وأنثانا» مثلها عامة، «وشاهدنا وغائبنا» الحاضر والمسافر»^(٣).

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين، ٣ / ٢٣٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٠٢٦، وتقدم تخريجه في شرح الحديث رقم ٤٨ من أحاديث المتن في شرح الفائدة رقم ٦.

(٢) كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، ص: ٥٤.

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٤٧.

٧- من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته فتوفه على الإيمان: الحياة ذكر معها الإسلام، وهو الاستسلام الظاهر، وأما الموت قال: «توفنا على الإيمان»؛ لأن الإيمان أفضل، ومحله القلب، والمدار على ما في القلب عند الموت، وفي يوم القيامة^(١).

٨- «اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده» لا تحرمنا أجره: يعني بالصلاة عليه؛ لأن الإنسان يؤجر بالصلاة على الميت، كما سبق أن «من شهدا حتى يُصلّى عليها، فله قيراط، ومن شهدا حتى تدفن فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين»^(٢)، كذلك أيضاً أجر آخر للمصاب بهذا الميت الذي حزن لفراقه، يؤجر أيضاً على صبره على المصيبة، «ولا تفتنا بعده» يعني لا تضلنا عن ديننا بعده؛ لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة مادام الإنسان لم تخرج روحه؛ فإنه عرضة لأن يفتن في دينه، والعياذ بالله؛ ولهذا قال: «لا تفتنا بعده» فينبغي للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء، اقتداء برسول الله ﷺ^(٣).

١٥٨- (٣) «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانًا بَنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبَلَ جَوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاعْفُ لَهُ، وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(٤).

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٤٧.

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن، برقم ١٣٢٥، ومسلم، كتاب الجنائز، باب فضل الصلاة على الجنازة، برقم ٩٤٥.

(٣) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٩٣٧.

(٤) أبو داود، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر، برقم ٣٢٠٢، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدعاء في الصلاة الجنائز، برقم ١٤٩٩، وأخرجه أحمد، ٣٩٩/٢٥، برقم ١٦٠١٨، وابن حبان (٤٣/٧)، برقم ٣٠٧٤، وحسنه محققو المسند، ٤٠٠/٢٥، وصححه الألباني في صحيح ابن

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٣٧- عَنْ وَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانًا بَنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلُ جَوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاعْفُ رُءُوسَهُ، وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم إن فلان بن فلان»: هي كقولك: عبدك بن عبدك، فهي تعبير عن الإنسان، أو العبد، قال ابن الأثير: «وفلان وفلانة: كناية عن الذكر والأنثى من الناس، فإن كنتي بهما عن غير الناس قلت: الفلان والفلانة» ^(٣).

٢- قوله: «في ذمتك» أي: في أمانتك وعهدك وكفالتك، قال في النهاية: «الذِّمَّةُ، والذِّمَامُ، وهما بِمَعْنَى الْعَهْدِ، وَالْأَمَانِ، وَالضَّمَانِ، وَالْحُرْمَةِ، وَالْحَقِّ، وَسُمِّيَ أَهْلُ الذِّمَّةِ لَدُخُولِهِمْ فِي عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَانِهِمْ... أَي: إِذَا أُعْطِيَ أَحَدُ الْجَيْشِ الْعَدُوَّ أَمَانًا جَارَ ذَلِكَ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يُخْفِرُوهُ، وَلَا أَنْ يُنْقَضُوا عَلَيْهِ عَهْدُهُ، وَلِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ اللَّهِ عَهْدًا بِالْحِفْظِ، وَالْكَلاَةِ، فَإِذَا أُلْقِيَ بِيَدِهِ

=

ماجه، ٢٥١/١، وصحيح أبي داود، برقم ٢٧٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) وائلة بن الأسقع رضي الله عنه: من أصحاب الصفة، أسلم سنة تسع، وشهد غزوة تبوك، وشهد المغازي بدمشق، وحمص، ثم تحول إلى بيت المقدس، وقيل مات بها، وقد طال عمره، فهو آخر من مات من الصحابة رضي الله عنهم بدمشق، وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة وخمس سنين كما اعتمد ذلك البخاري وغيره. انظر: الاستيعاب، ٤/ ١٥٦٤، سير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٨٣، ترجمة رقم (٥٧)، والإصابة، ٦/ ٥٩١.

(٢) أبو داود، برقم ٣٢٠٢، وابن ماجه، برقم ١٤٩٩، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٢٥١/١،

وصحيح أبي داود، برقم ٢٧٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٧٣، مادة (قلل).

إِلَى التَّهْلُكَةِ، أَوْ فَعَلَ مَا حُرِّمَ عَلَيْهِ، أَوْ خَالَفَ مَا أُمِرَ بِهِ خَذَلْتَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ تَعَالَى»^(١).

وقال العيني في معنى: «(في ذمتك)»: «(في أمانك، أو في ضمانك، والذمة تجيء بمعنى العهد، والأمان، والضمان، والحرمة، والحق)»^(٢).

٣- قوله: «(وحبل جوارك)» أي: في حفظك، وهو عطف تفسيري^(٣)، وقيل: أي: أنه أصبح جارا لك، قال ابن الأثير: «(وَحَبْلُ جَوَارِك: كان من عادة العرب أن يُخِيفَ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَخَذَ عَهْدًا مِنْ سَيِّدِ كُلِّ قَبِيلَةٍ، فَيَأْمَنُ بِهِ مَا دَامَ فِي حُدُودِهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْآخَرِ، فَيَأْخُذُ مِثْلَ ذَلِكَ؛ فَهَذَا حَبْلُ الْجَوَارِ: أَيِ مَا دَامَ مُجَاوِرًا أَرْضَهُ، أَوْ هُوَ مِنَ الْإِجَارَةِ: الْأَمَانِ وَالنُّصْرَةِ)»^(٤).

قال العيني: «(وحبل جوارك: أي: أمانك، والحبل: العهد، والميثاق، والأمان الذي يؤمن من العذاب...)»^(٥).

وقال العظيم أبادي: «(وحبل جوارك - بكسر الجيم -: قيل عطف تفسيري، وقيل الحبل: العهد، أي: في كنف حفظك، وعهد طاعتك، وقيل: أي: في سبيل قربك، وهو الإيمان، والأظهر أن المعنى أنه متعلق ومتمسك بالقرآن... وفسره جمهور المفسرين بكتاب الله تعالى، والمراد بالجوار: الأمان، والإضافة بيانية، يعني الحبل الذي يورث الاعتصام به الأمان والإسلام، قاله القاري)»^(٦).

٤- قوله: «(فقه من فتنة القبر)»: الفتنة، وهي: الامتحان، والاختبار،

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ١٦٨، مادة (ذمم)

(٢) شرح أبي داود للعيني، ٦ / ١٤٧.

(٣) عون المعبود، ٥ / ٨٢.

(٤) النهاية في غريب الأثر (١ / ٣٣٢، مادة (حبل)).

(٥) شرح أبي داود للعيني، ٦ / ١٤٧.

(٦) عون المعبود، ٨ / ٣٤٨.

الاستعاذة من فتنة القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات، وغير ذلك، وتفتنون: أي تمتحنون في قبوركم، ويعرف إيمانكم بالنبوة^(١)، قال ابن علان رحمته الله: «أي: احفظه من فتنة القبر، أي: اختباره، أو عذابه»^(٢)، وقال الطيبي رحمته الله: «المراد ب(فتنة القبر) التحير في الجواب عن الملكين»^(٣)، وقال المناوي رحمته الله: «فتنة القبر تكون في السؤال عن النبوة المحمدية، فمن أجاب حين يُسأل بأنه عبد الله ورسوله، وأنه آمن به، وصدقه نجاً، ومن تلعث، أو قال: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته، عُذِّبَ»^(٤).

٥- قوله: «وعذاب النار»: قال المناوي رحمته الله: «أي: إحراقها بعد فتنها، كذا قرر بعضهم، وقال الطيبي: قوله: فتنة النار أي: فتنة تؤدي إلى عذاب النار»^(٥).

٦- قوله: «وعذاب القبر»: أي: احفظه، وصنه، وأبعد عنه عذاب القبر، «فالوقاية: وقيت الشيء أقيه: إذا صنته، وسترته عن الأذى، ... وتوقى، واتقى بمعنى»^(٦). قال العيني: «فقه: أمر من وقى، يقي، قِ فعل أمر من وقى، و(الهاء) فيها ضمير... بخلاف ما إذا قلت: قه أمر؛ فإن (الهاء) فيه للسكت والراحة، و«فتنة القبر» السؤال الذي يسأل فيه الميت»^(٧).

٧- قوله: «أنت أهل الوفاء» أي: بما وعدت به في كتابك وعلى السنة

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٤١٠، مادة (فتن).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٢٤٣.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤ / ١٣٩٤.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤ / ٥٥٧.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢ / ١٦٠.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ٢١٦، مادة (وقي).

(٧) شرح أبي داود للعيني، ٦ / ١٤٧.

رسلك، إشارة إلى قوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(١) وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٢)، والوفاء من التوفية وهي إتمام الحق، وعدم إنقاصه، فدوفى الشيء ووفى إذا تم وكمل، ... وأوفى الله ذمتك: أي: أتمها^(٣).

١٦- قوله: «والحق»: الذي هو اسم من أسمائك، وكذا كل كلامك وأفعالك حق، قال الله: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾^(٤)، و«في أسماء الله تعالى الحق: هو الموجود حقيقة، المتحقق وجوده، وإلهيته، والحق: ضد الباطل، ... وحق العباد على الله أي ثوابهم الذي وعدهم به، فهو واجب الإنجاز، ثابت بوعده الحق»^(٥).

٨- قوله: «فاغفر له»: قال في النهاية: «في أسماء الله تعالى: «الغفار، والغفور»، وهما من أبنية المبالغة ومغناهما: السَّاتِرِ لذنوبِ عِبَادِهِ، وغيوبهم، الْمُتَجَاوِزِ عَنْ خَطَايَاهُمْ، وذنوبهم، وأصل الغفر: التَّغْطِيَةُ، يقال: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ غَفْرًا، وَغَفْرَانًا، وَمَغْفِرَةً، وَالْمَغْفِرَةُ: الْبَاسُ اللَّهُ تَعَالَى الْعَفْوُ لِلْمُذْنِبِينَ»^(٦).

٩- قوله: «وارحمه»: وهذا دعاء للميت بأن يسبغ الله عليه شأيب الرحمة، التي هي صفة من صفاته ﷺ، قال في النهاية: «رحم: في أسماء الله تعالى: «الرحمن، الرحيم»، وهما اسمانِ مُشْتَقَّانِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مثل: نَدَمَان، وَنَدِيم، وَهُمَا مِنْ أبنية المبالغة، وَرَحْمَانٌ أَبْلَغُ مِنْ رَحِيم، وَالرَّحْمَانُ خَاصُّ لِلَّهِ، لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ، وَلَا يُوصَفُ، وَالرَّحِيمُ يُوصَفُ بِهِ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، فيقال: رَجُلٌ رَحِيمٌ، وَلَا يَقَالُ رَحْمَانٌ... الرَّحْمُ بِالضَّم: الرَّحْمَةُ، يقال: رَحِمَ رُحْمًا،

(١) سورة النساء، الآية: ٨٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢١٠، مادة (وفي).

(٤) سورة يونس، الآية: ٣٢، وقد سبق شرح بقية الألفاظ قريبًا.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤١٣، مادة (حق).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٧٣، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢، حديث المتن رقم ١٥٥.

...ومكة: هي أُمُّ رُحْم، أي أصل الرَّحمة»^(١).

١٠- قوله: «إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»: «إشارة إلى طلب مغفرة متفضل بها من عند الله، لا يقتضيها سبب من العبد من عمل حسن، ولا غيره، فهي رحمة من عنده، والمغفرة: الستر، وقد ذكرناها، والرحمة: إما نفس الأفعال التي يوصلها الله من الإنعام، والأفضال للعبد، ... وقوله: «إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»: من باب المقابلة، والختم للكلام، فالغفور مقابل لقوله: «اغفر لي»، والرحيم مقابل لقوله: «ارحمني»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- في هذا الحديث إثبات لعذاب القبر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن الذين ينكرون عذاب القبر: «مَذْهَبُ «سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَيْمَتِهَا» أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ، أَوْ عَذَابٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِرُوحِهِ، وَلِبَدَنِهِ، وَأَنَّ الرُّوحَ تَبَقَّى بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ مُنْعَمَةً، أَوْ مُعَذَّبَةً، وَأَنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْبَدَنِ أحياناً، فَيَحْصُلُ لَهُ مَعَهَا النَّعِيمُ، وَالْعَذَابُ، ثُمَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى، أُعِيدَتْ الْأَرْوَاحُ إِلَى أَجْسَادِهَا، وَقَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَعَادُ الْأَبْدَانِ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، وَالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، وَهَذَا كُلُّهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ»^(٣).

٢- قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «اللَّهُمَّ إِنْ فَلَاناً ابْنَ فَلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ، وَحَبْلُ جَوَارِكَ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ، فَاعْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْأَحَادِيثِ؛ بَلْ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْمَيِّتِ، وَكَذَلِكَ الدَّعَاءُ لَهُ بَعْدَ الدَّفْنِ»^(٤).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٢٠٩، مادة (رحم).

(٢) العلم الهيب، ٣٠٤.

(٣) مجموع الفتاوى، ٤ / ٢٨٤.

(٤) الروح، ص: ١١٩.

٣- جواز الجهر بالدعاء في صلاة الجنازة على سبيل التعليم؛ لقول الراوي: صلى بنا رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعتة يقول، اللهم إن فلان بن فلان... وهو حديث المتن.

٤- الرجل ينسب لأبيه حيًا وميتًا ويوم القيامة خلافاً لمن قال: إنه ينسب إلى أمه، وقد اعتمدوا على حديث ضعيف جداً عند الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (١).

٥- قال ابن العربي: «قوله: «وقه عذاب النار»، وقال: «فتنه القبر» وهذا سبيل لا بد لكل ميت منه، فللمؤمن النجاة، وللكافر الهلكة، وللمذنب المشيئة» (٢).

٦- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «كلما أخبر به محمد ﷺ من: عذاب القبر، ومنكر، ونكير، وغير ذلك من أهوال القيامة، والصراط، والميزان، والشفاعة، والجنة، والنار، فهو حق؛ لأنه ممكن، وقد أخبر به الصادق، فيلزم صدقه» (٣).

٧- وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله عن: «عَذَابِ الْقَبْرِ: هَلْ هُوَ عَلَى النَّفْسِ، وَالْبَدَنِ، أَوْ عَلَى النَّفْسِ، دُونَ الْبَدَنِ؟ وَالْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ حَيًّا أَمْ مَيِّتًا؟ وَإِنْ عَادَتْ الرُّوحُ إِلَى الْجَسَدِ، أَمْ لَمْ تَعُدْ، فَهَلْ يَتَشَارَكَانِ فِي الْعَذَابِ

(١) انظر فتح الباري، ١٠ / ٥٦٣، ولفظه عند الطبراني في المعجم الكبير، ٨ / ٢٩٨: «عن سعيد بن عبد الله الأودي، قال: شهدت أبا أمامة وهو في الترع، فقال: إذا أنا مت، فاضنّوا بي كما أمرنا رسول الله ﷺ أن نضنّع بموتانا، أمرنا رسول الله ﷺ فقال: «إذا مات أحد من إخوانكم، فسويتم الثراب على قبره، فليقيم أحدكم على رأس قبره، ثم ليقل: يا فلان بن فلانة، فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان بن فلانة، فإنه يستوي قاعداً، ثم يقول: يا فلان بن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله، ولكن لا تشعرون، فليقل: أذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنت رضىت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبالقُرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يأخذ أحدهما بيد صاحبه، ويقول: انطلق بنا ما نفعك عند من قد لقى حجتة، فيكون الله حجيجه دونهما» فقال رجل: يا رسول الله، فإن لم يعرف أمه؟ قال: «فيُسبّه إلى حواء، يا فلان بن حواء» وقد ضعفه العلماء، كالعلامة الألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة، ٢ / ٦٤.

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣ / ٥٣١.

(٣) العقيدة الأصفهانية، ص ٢١١.

وَالنَّعِيمِ؟ أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ عَلَى أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ؟

فَأَجَابَ ﷺ وَجَعَلَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مُنْقَلَبَةً وَمَثْوَاهُ آمِينَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بَلِ الْعَذَابُ، وَالنَّعِيمُ عَلَى النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، تَنَعَّمِ النَّفْسُ، وَتُعَذِّبُ مُنْفَرِدَةً عَنِ الْبَدَنِ، وَتُعَذِّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ، وَالْبَدَنُ مُتَّصِلٌ بِهَا، فَيَكُونُ النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ الْحَالِ مُجْتَمِعَيْنِ، كَمَا يَكُونُ لِلرُّوحِ مُنْفَرِدَةً عَنِ الْبَدَنِ، ... فَقَدْ ثَبَتَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَاتِّفَاقِ سَلَفِ الْأُمَّةِ، أَنَّ الرُّوحَ تَبَقَّى بَعْدَ فِرَاقِ الْبَدَنِ، وَأَنَّهَا مُنْعَمَةٌ أَوْ مُعَذِّبَةٌ^(١).

٨- وقد ذكر تلميذ ابن تيمية الإمام ابن القيم رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَنْ أحوال العذاب والنعيم تكون في الدنيا على الجسد، والروح تبع له ينالها من العذاب أو النعيم ما الله به عليم، وفي القبر يكون العذاب والنعيم على الروح، والجسد تبع لها يناله من ذلك ما الله به عليم، وأما يوم القيامة بعد البعث فيكون النعيم والعذاب على الروح والجسد على حد سواء جميعاً، فقال رَحِمَهُمُ اللَّهُ فِي كتاب الروح: «اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الدُّورَ ثَلَاثَةً: دَارَ الدُّنْيَا، وَدَارَ الْبَرْزَخِ، وَدَارَ الْقَرَارِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَارٍ أَحْكَامًا تَخْتَصُّ بِهَا، وَرَكَّبَ هَذَا الْإِنْسَانَ مِنْ بَدَنٍ، وَنَفْسٍ، وَجَعَلَ أَحْكَامَ دَارِ الدُّنْيَا عَلَى الْأَبْدَانِ، وَالْأَرْوَاحِ تَبْعاً لَهَا؛ وَلِهَذَا جَعَلَ أَحْكَامَهُ الشَّرْعِيَّةَ مَرْتَبَةً عَلَى مَا يَظْهَرُ مِنْ حَرَكَاتِ اللِّسَانِ، وَالْجَوَارِحِ، وَإِنْ أَضْمَرَتْ النُّفُوسُ خِلَافَهُ، وَجَعَلَ أَحْكَامَ الْبَرْزَخِ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ تَبْعاً لَهَا، فَكَمَا تَبَعَتِ الْأَرْوَاحُ الْأَبْدَانِ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا فَتَأَلَّمَتِ بِأَلْمِهَا، وَالتَّذَّتْ بِرَاحَتِهَا، وَكَانَتْ هِيَ الَّتِي بَاشَرَتْ أَسْبَابَ النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ، تَبَعَتِ الْأَبْدَانُ الْأَرْوَاحَ فِي نَعِيمِهَا وَعَذَابِهَا، وَالْأَرْوَاحُ حَيْثُ هِيَ الَّتِي تَبَاشَرُ الْعَذَابَ وَالنَّعِيمَ، فَالْأَبْدَانُ هُنَا ظَاهِرَةٌ، وَالْأَرْوَاحُ خَفِيَّةٌ، وَالْأَبْدَانُ كَالْقُبُورِ لَهَا، وَالْأَرْوَاحُ هُنَا ظَاهِرَةٌ، وَالْأَبْدَانُ خَفِيَّةٌ فِي قُبُورِهَا، تَجْرِي أَحْكَامُ الْبَرْزَخِ عَلَى الْأَرْوَاحِ

فتسري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان، فتسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً»^(١).

٩- وقال ابن العربي رحمته الله: «قوله: «وأنت أهل الوفاء» يعني بالميعاد؛ ولذلك معانٍ كثيرة، أولها الوفاء لمن مات على التوحيد، لا يعذبه الباري؛ لانه أهل الوفاء؛ ولما قال إن الوفاء هو التوحيد، وقد قال المفسرون في قوله: ﴿وإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾^(٢) قيل: التوحيد، والجزاء، الأوفى هو الإثابة على التوحيد، والنجاة من النار، والوفاء للشافعين فيه من المصلين، وشهاداتهم له بالإيمان على ما بيناه في حديث عمر الصحيح: قول النبي ﷺ: «من شهد له اربعة بخير أدخله الله الجنة قلنا وثلاثة قال وثلاثة قلنا واثنان قال واثنان ولم نسأله عن الواحد»^(٣)»^(٤)، والحديث الذي أشار إليه في البخاري، ولفظه: «عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَقَدْ وَقَعَ بِهَا مَرَضٌ، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَمَرَّتْ بِهِمْ جَنَازَةٌ، فَأَتْنِي عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَجِبْتُ، ثُمَّ مَرَّ بِأُخْرَى، فَأَتْنِي عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَجِبْتُ، ثُمَّ مَرَّ بِالثَّالِثَةِ فَأَتْنِي عَلَى صَاحِبِهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجِبْتُ، فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: فَقُلْتُ: وَمَا وَجِبْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ» فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ؟ قَالَ: «وِثَلَاثَةٌ»، فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: «وَاثْنَانِ»، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الْوَاحِدِ»^(٥).

١٠- بوب البخاري في كتاب الأدب: باب قال فيه: ما يدعى الناس

(١) الروح، لابن القيم، ١ / ٣١١، بتحقيق بسام علي سلامة.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٧.

(٣) البخاري، برقم ١٣٦٨، ويأتي تخريجه.

(٤) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣ / ٥٣١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، برقم ١٣٦٨.

بآبائهم، واستدل بقول الرسول ﷺ: «إن الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان بن فلان»^(١).

قال الحافظ: «قال ابن بطال: وهذا رد لمن زعم أنهم لا يدعون يوم القيامة إلا بأمهاتهم سترًا على آبائهم»^(٢).

١١- أما ما جاء عن بعض الرواة من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من نسبه إلى أمه؛ فهذا من باب التمييز فقط، مثل: معاذ ومعوذ ابنا عفراء «اسم الأم» واسم الأب الحارث^(٣).

ومحمد بن الحنفية رحمه الله هو ممن نسب إلى أمه، قال ابن سعد: «وهو محمد الأكبر بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمّه الحنفية: خولة بنت جعفر»^(٤).

١٢- قال الإمام أبو بكر بن العربي رحمه الله: «هذه الأحاديث الواردة التي ثبت

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب ما يدعى الناس بآبائهم، برقم ٦١٧٧.

(٢) فتح الباري، ١٠/ ٥٦٣.

(٣) قال الإمام ابن الجوزي في كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٣٧٨: «وفي الصحابة أربعة عشر رجلاً اشتهروا بالنسبة إلى أمهاتهم: بلال بن حمامة، واسم أبيه رباح، معاذ ومعوذ ابنا عفراء، وهي أمهما، واسم أبيهما الحارث بن رفاعه، مالك بن نميلة، وهي أمه، واسم أبيه ثابت المزني، شرحبيل بن حسنة، وهي أمه، وأبوه عبد الله بن المطاع، بشير بن الخصاصية، وهي أمه، ويقال هي امرأة من جداته، وأبوه معبد بن شرحبيل، عبد الله بن بحينة، وهي أمه، واسم أبيه مالك الأزدي، الحارث بن البرصاء، وهي أمه، واسم أبيه مالك بن قيس الليثي، يعلى بن منية، ومنية أمه، وقيل جدته أم أبيه، واسم أبيه أمية، يعلى بن سيابة، وهي أمه، واسم أبيه مرة الثقفي، سعد بن حبة، وهي أمه، واسم أبيه بجير بن معاوية، ومن ولده أبو يوسف القاضي، بدليل بن أم أصرم، واسم أبيه سلمة الخزاعي، خفاف بن ندبة، وهي أمه، واسم أبيه عمير بن الحارث، وقد اشتهر من كبار العلماء بالنسبة إلى أمهاتهم خمسة: إسماعيل ابن علي، وهي أمه، واسم أبيه إبراهيم، محمد بن عثمة، وهي أمه، واسم أبيه خالد، وهو يروي عن مالك الفقيه، منصور بن صفيّة، وهي أمه، واسم أبيه عبد الرحمن بن طلحة، محمد بن عائشة، وهي أمه، ويقال جدة له، واسم أبيه حفص بن عمر، إبراهيم هراسه، وهي أمه، واسم أبيه سلمة».

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد، ٩١/ ٥.

عن النبي ﷺ في الدعاء، فلا يُلْتَفَتُ إلى سواها، وإلى ما صنف الناس، فيها: الفقه، والفوائد المثورة»^(١).

١٥٩- (٤) «اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ اِحْتَاجُ إِلَى رَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، [وَلَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَقْتِنَّا بَعْدَهُ]»^{(٢)(٣)}.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٣٨- عَنْ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُكَانَةَ بْنِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه^(٤)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ لِلْجَنَازَةِ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهَا، قَالَ: «اللَّهُمَّ عَبْدُكَ، وَابْنُ أَمَتِكَ اِحْتَاجُ إِلَى رَحْمَتِكَ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ عَذَابِهِ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ»^(٥).

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣/ ٥٢٩.

(٢) ما بين المعقوفين: أخرجه ابن حبان، ١٧/ ٣٤٢، برقم ٣٠٧٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٥/ ٧٢.

(٣) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٣٥٩، والدعوات الكبير للبيهقي، ٢/ ٢٨٦، برقم ٦٣٠، والمعجم الكبير للطبراني، ٢٢/ ٢٤٩، برقم ٦٤٧، والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم، ١/ ٣٥٧، برقم ٤٤٤، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم، ٥/ ٢٧٨٨، وفيها زيادة: «وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَدْعُو» وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٢٥، وقال: «ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني في الكبير بالزيادة، كما في المجمع، ٤/ ٣٣، وابن قانع كما في الإصابة».

(٤) يزيد بن ركانة رضي الله عنه، هو ابن عبد يزيد بن هاشم القرشي، له ولأبيه صحبة ورواية وقد روى عنه ابنه علي وعبد الرحمن. أسد الغابة، ٥/ ٤٥٢، والإصابة، ٦/ ٦٥٥.

(٥) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١/ ٣٥٩، وصححه الألباني في أحكام الجنائز للألباني، ص ١٢٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٥٣٩- عن أبي سعيد المقبري^(١) أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ^(٢) كَيْفَ تُصَلِّي عَلَى الْجَنَازَةِ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَا لَعَمْرُ اللَّهِ أُخْبِرُكَ أَتَّبِعُهَا مِنْ أَهْلِهَا فَإِذَا وُضِعَتْ كَبَّرْتُ وَحَمَدْتُ اللَّهَ وَصَلَّيْتُ عَلَى نَبِيِّهِ ثُمَّ أَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ، كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ»^(٣).

٥٤٠- ولفظ ابن حبان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَاعْفُ رُوحَهُ، وَلَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ أَمَتِكَ» أي: أنه مملوك لك هو ومن كانا سبيًا في وجوده، فهو مناجاة من العبد لربه بصفة العبودية الدالة على الذلة والخضوع التام، مع اعترافه بعبوديته، وعبودية من ولده، فالمرأة يقال لها أمة، ليدل على عبوديتها، فكلهم في نسق عبيد أبناء عبيد، ف«العَبْدُ: الإنسان،

(١) أبو سعيد المقبري: اسمه كيسان المدني مولى أم شريك، في بني ليث، سمي المقبري لأن منزله كان عند المقابر، ويقال هو الذي يقال له صاحب العباء، ثقة، ثبت، مات سنة مائة، حدث عنه الجماعة. انظر: الطبقات لخليفة بن خياط، ص ٢٤٨، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٢/ ٤٦٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) موطأ مالك، ٢/ ٣١٩، برقم ٧٧٥، والسنن الكبرى للبيهقي، ٤/ ٤٠، وصححه محقق جامع الأصول عبد القادر الأرناؤوط، ٦/ ٢٢٠.

(٤) أخرجه ابن حبان، ٧/ ٣٤٢، برقم ٣٠٧٣، وصححه محققه شعيب الأرناؤوط، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٥/ ٧٢. ومسند أبي يعلى، ١١/ ٤٧٧، وصححه محققه عبد القادر الأرناؤوط، وصححه في موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، ٣/ ٣٤.

حُرًّا كَانَ أَوْ رَقِيقًا، يُذْهَبُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ مَرْبُوبٌ لِبَارِيهِ، جَلَّ وَعَزَّ»^(١).
و«الْأَمَّةُ: الْمَمْلُوكَةُ خِلَافَ الْحُرَّةِ، وَفِي التَّهْذِيبِ: الْأَمَّةُ الْمَرْأَةُ ذَاتُ الْعُبُودَةِ،
وَقَدْ أَقَرَّتْ بِالْأُمُوءِ»^(٢)، فقولُه: «اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك» فيه
مزيد الاستعطاف؛ فإن شأن الكرام السادات الصفح عن عبيدهم، ولا أكرم
منه ﷺ»^(٣).

٢- قوله: «احتاج إلى رحمتك» أي: وهو في هذه الحالة أشد احتياجاً لرحمتك؛
لأن عمله قد انقطع، فهو أشد ما يكون إلى عون، من الله، وطلب لمغفرته،
ورحمته، قال الشنقيطي: «فإن الإنسان قد يغفر له، ولكنه يحتاج إلى الرحمة»^(٤).

٣- قوله: «وأنت غني عن عذابه» أي: لا تضرك المعصية، ولا تنفعك
الطاعة، فلك الغنى المطلق، وهذا كقوله: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ
وَأَمْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾^(٥) «فالغني هو الذي لا تعلق له بغيره، ... ولا
يتصور أن يكون غنياً مطلقاً إلا الله تعالى، فالله تعالى هو الغني، وهو المغني
أيضاً، ولكن الذي أغناه لا يتصور أن يكون بإغنائه غنياً مطلقاً، فمن أقل
أموره أنه يحتاج إلى المغني، فلا يكون غنياً، بل يستغني عن غير الله تعالى
بأن يمدّه الله تعالى بما يحتاج إليه»^(٦)، فالغني لا يحتاج إلى أحد، وإنما غيره
يحتاج إليه، وفي اللسان: «غنا: في أسماء الله ﷻ: الْغَنِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ
إِلَى أَحَدٍ فِي شَيْءٍ، وَكُلُّ أَحَدٍ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ الْغَنِيُّ الْمُطْلَقُ، وَلَا

(١) لسان العرب، ٣ / ٢٧٣، مادجة (عبد).

(٢) لسان العرب، ١٤ / ٤٤، مادة (أم).

(٣) شرح الزرقاني، ٢ / ٨٥.

(٤) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ٥ / ٨٣.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٧.

(٦) انظر: إتحاف السادة المتقين، للزبيدي صاحب معجم تاج العروس، ٣ / ٢٦٨.

يُشَارِكُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ غَيْرُهُ، ... وَهُوَ الَّذِي يُغْنِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»^(١).

٤- قوله: «إِنْ كَانَ مُحْسِنًا»: أي: إِنْ كَانَ لَدَيْهِ حَسَنَاتٍ، وَأَعْمَالٌ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ يَعْبُرُ عَنْهَا عَنْ كُلِّ مَا يَسِرُّ مِنَ نِعْمَةٍ تَنَالُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ وَبَدَنِهِ وَأَحْوَالِهِ...، وَالْإِحْسَانُ يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْإِنْعَامُ عَلَى الْغَيْرِ، يُقَالُ: أَحْسَنَ إِلَى فُلَانٍ.

وَالثَّانِي: إِحْسَانٌ فِي فِعْلِهِ، وَذَلِكَ إِذَا عَلِمَ عِلْمًا حَسَنًا، أَوْ عَمِلَ عَمَلًا حَسَنًا... فَالْإِحْسَانُ زَائِدٌ عَلَى الْعَدْلِ، فَتَحْرِي الْعَدْلَ وَاجِبٌ، وَتَحْرِي الْإِحْسَانِ نَدْبٌ وَتَطَوُّعٌ... وَلِذَلِكَ عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ»^(٢).

٥- قوله: «فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ» أي: ضَاعَفْ لَهُ الثَّوَابَ وَأَجْزَلْ لَهُ الْأَجْرَ، فَفِيمَا أَنَّهُ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ، وَمُحْتَاجٌ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَادْعُوكَ يَا رَبِّي أَنْ تَفِيضَ عَلَيْهِ مِنْ فَضْلِكَ، وَإِنْعَامِكَ، وَضَاعَفْ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: «وَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ، يُضَاعَفُ لَهُ الْأَجْرُ فِيمَا أَحْسَنَ فِيهِ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئِ عَمَلِهِ»^(٣).

وَقَالَ فِي شَرْحِ الزَّرْقَانِي: «فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ» أَيُّ ضَاعَفْ لَهُ الْأَجْرَ فِيمَا أَحْسَنَ فِيهِ»^(٤).

٦- قوله: «وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا» أي: اقْتَرَفَ شَيْئًا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَالذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، قَالَ الرَّائِغِبُ: «السُّوءُ: كُلُّ مَا يَغْمُّ الْإِنْسَانَ مِنَ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالْآخِرَوِيَّةِ، وَمِنْ الْأَحْوَالِ النَّفْسِيَّةِ، وَالْبَدَنِيَّةِ»^(٥).

٧- قوله: «فَتَجَاوَزْ عَنْهُ» أي: بِالْعَفْوِ، وَالْمَغْفَرَةِ، وَإِبْدَالِ سَيِّئَاتِهِ حَسَنَاتٍ، وَلَا تَوَاضَعْ بِمَا قَدَّمَ مِنْ ذُنُوبٍ وَآثَامٍ، وَاعْفُ عَنْهُ، وَقَالَ الزَّرْقَانِي: «فَتَجَاوَزْ عَنْ

(١) لسان العرب، ١٥ / ١٣٥، مادة (غني).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ١ / ٢٣٥.

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨ / ٢٥٧.

(٤) شرح الزرقي لموطأ مالك، ٢ / ٨٥.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ١ / ٥٢١.

سيئاته: فلا تؤاخذ به»^(١).

٨- قوله: «كان يشهد أن لا إله إلا أنت، وأن محمداً عبدك ورسولك، وقد وعدت من يشهد بذلك بالجنة، ووعدك الحق، فمن كمال عفوك، لا تعذبه قبل ذلك»^(٢).

٩- قوله: «اللهم لا تحرمنّا أجره»: «قَالَ السُّيُوطِيُّ: بَفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّهَا لُغْتَانِ فَصَيِّحَتَانِ، وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ، يُقَالُ حَرَمَهُ، وَأَحْرَمَهُ، وَالْمُرَادُ أَجْرُ مَوْتِهِ؛ فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ أَخُو الْمُؤْمِنِ، فَمَوْتُهُ مُصِيبَةٌ عَلَيْهِ، يَطْلُبُ فِيهَا الْأَجْرَ، قَالَ فِي فَتْحِ الْوُدُودِ»^(٣).

وقال الزرقاني: «اللهم لا تحرمنّا أجره: أي: أجر الصلاة عليه، أو شهود جنازته، أو أجر المصيبة بموته؛ فإن المؤمن مصاب بأخيه المؤمن»^(٤).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «لا تحرمنّا أجره، يعني بالصلاة عليه؛ لأن الإنسان يؤجر بالصلاة على الميت، كما سبق أن من شهدها حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، كذلك أيضاً أجر آخر للمصاب بهذا الميت الذي حزن لفراقه، يؤجر أيضاً على صبره على المصيبة»^(٥).

وقال الشيخ البدر: «اللَّهُمَّ لا تحرمنّا أجره، أي: الأجر الذي نحصله من تجهيزه، والصلاة عليه، وتشيعه، ودفنه، وكذلك الأجر الذي نحصله من صبرنا على مصيبتنا فيه، وأما أجر عمله فهو له، وليس لنا منه شيء»^(٦).

١٠- قوله: «ولا تفتنّا»: بما يشغلنا عنك، «بعده»؛ فإن كل شاغل عن الله تعالى فتنة، وفيه أن المصلي له أن يشرك نفسه في الدعاء بما شاء، فهاتان

(١) شرح الزرقاني، ٢ / ٨٥.

(٢) شرح الزرقاني، ٢ / ٨٥.

(٣) عون المعبود وحاشية ابن القيم، ٨ / ٣٤٦.

(٤) شرح الزرقاني، ٢ / ٨٥.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٧.

(٦) فقه الأدعية والأذكار، للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ٣ / ٢٣٣.

الدعوتان للمصلي لا للميت»^(١).

قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «ولا تفتنا بعده: يعني لا تزلنا عن ديننا بعده؛ لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة مادام الإنسان لم تخرج روحه؛ فإنه عرضة لأن يفتن في دينه، والعياذ بالله؛ ولهذا قال: «لا تفتنا بعده»، فينبغي للإنسان أن يدعو بهذا الدعاء اقتداء برسول الله ﷺ»^(٢).

١١- قوله: «لعمرك الله»: هو قسم ببقاء الله، ودوامه، وهو رفع بالابتداء، والخبر محذوف تقديره: لعمر الله قسمي، أو ما أقسم به، واللام للتوكيد؛ فإن لم تأت باللام نصبته نصب المصادر، فقلت: عمر الله، وعمرك الله، أي بإقرارك لله، وتعميرك له بالبقاء»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَأَمَّا صِيغَةُ الْقَسَمِ: فَتَكُونُ فِعْلِيَّةً، كَقَوْلِهِ: أَخْلِفَ بِاللَّهِ؛ أَوْ تَالَهُ، أَوْ وَالَّهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَتَكُونُ اِسْمِيَّةً، كَقَوْلِهِ: لَعَمْرُ اللَّهِ لَا فَعَلَنْ، وَالْحِلُّ عَلَيَّ حَرَامٌ لَا فَعَلَنْ»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- تنوع الأذكار الواردة عن النبي ﷺ مرجعها جميعاً إلى الشاء على الله بما هو أهله وطلب الرحمة منه للميت مخلصاً له في ذلك.

٢- إظهار العبودية، والافتقار لله وحده في جميع الأحوال، قبل الموت من العبد، وبعد الموت ممن يدعون له، فالكل لا غنى له عن ربه طرفة عين، فهو محتاج إليه في جلب المنافع، ودفع المضار في الدنيا والآخرة.

(١) فقه الأدعية والأذكار، ٣ / ٢٣٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٢٩٨، مادة (عمر).

(٤) مجموع الفتاوى، ٣٥ / ٢٤٦.

٣- قال ابن عبد البر: «الدُّعَاءُ لِلْمَيِّتِ اسْتِغْفَارٌ لَهُ، وَدُعَاءٌ بِمَا يَحْضُرُ الدَّاعِيَ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي يَرْجُو بِهِ الرَّحْمَةَ لَهُ وَالْعَفْوَ عَنْهُ، وَلَيْسَ فِيهِ عِنْدَ الْجَمِيعِ شَيْءٌ مُوقَّتٌ»^(١).

٤- تقرير أن من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلا «الغني»، قال الخطابي: هو الذي استغنى عن الخلق، وعن نصرتهم وتأيدهم لملكه؛ فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء محتاجون^(٢)، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾^(٣).

٥- قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «فِي هَذَا الْحَدِيثِ جَوَابُ السَّائِلِ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ الْمَسْئُولُ تَغْلِيمَ مَا يَعْلَمُ أَنَّ بِهِ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ، وَفِيهِ قَصْدُ الْجِنَازَةِ إِلَى مَوْضِعِهَا فِي حِينِ حَمْلِهَا»^(٤).

٦- بينت أحاديث صلاة الجنابة مدى فقر العبد لربه في كل أحواله، قال ابن القيم: وفقر العباد إلى ربهم فقران:

أ- فقر اضطراري: وهو فقر عام، لا خروج لبر، ولا فاجر عنه.

ب - فقر اختياري: وهو نتيجة لعلمين شريفيين:

أحدهما: معرفة العبد بربه.

والثاني: معرفته بنفسه، فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا فقراً هو

عين غنى العبد وعنوان فلاحه وسعادته^(٥).

٧- قال العظيم أبادي: «فَهَذِهِ صِيغَةُ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ، وَقَدْ وَقَعَ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ ذِكْرُ أَدْعِيَةٍ غَيْرِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّمَسُّكُ بِالثَّابِتِ عَنْهُ أَلْزَمُ، وَأَوْكَدُ، وَاخْتِلَافُ

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨ / ٢٥٧.

(٢) شأن الدعاء، ص ٩٣.

(٣) سورة محمد، الآية: ٣٨.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨ / ٢٥٦.

(٥) انظر: طريق الهجرتين، الفصل الأول، ص ٢٢.

الْأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو لِمَيِّتٍ بِدُعَاءٍ، وَلَا خَرَ بآخِرٍ، وَالَّذِي أَمَرَ بِهِ إِخْلَاصُ الدُّعَاءِ، فَلِلرَّجُلِ الْمُتَّبِعِ لِلسُّنَّةِ أَنَّهُ يَدْعُو بِهِذِهِ الْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ؛ سَوَاءً كَانَ الْمَيِّتُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَلَا يُحَوَّلُ^(١).

٨- «اللهم لا تحرمنّا أجره، ولا تفتنّا بعده» فهذا دعاء للحَيِّ، ولكنه يتعلق بالميت، فالذي يبدو أن المقصود منه هو أن الإنسان يجتهد ويقبل على الله، ويهتم بالدعاء، فلا يكون هناك ذهول ولا غفلة؛ حتى يحصل المقصود من الصلاة على الجنازة^(٢).

٩- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: الْحَلْفُ «بِعِزَّةِ اللَّهِ»^(٣)، وَ«لَعَمْرُ اللَّهِ»^(٤)، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ الَّذِي نُهِيَ عَنْهُ، وَالِاسْتِغَاثَةُ بِمَعْنَى أَنْ يُطْلَبَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ مَا هُوَ اللَّائِقُ بِمَنْصِبِهِ، لَا يَتَنَازَعُ فِيهَا مُسْلِمٌ، وَمَنْ نَازَعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى، فَهُوَ إِمَّا كَافِرٌ إِنْ أَنْكَرَ مَا يَكْفُرُ بِهِ، وَإِمَّا مُخْطِئٌ ضَالٌّ»^(٥).



(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم (٨/ ٣٥٧)

(٢) شرح سنن أبي داود للعباد، ٣٦٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ وَمَنْ حَلَفَ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، برقم ٧٣٨٣، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم ٢٧١٧، ولفظ البخاري: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ».

(٤) البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الرجل: لعمر الله، برقم ٦٦٦٢، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، برقم ٢٧٧٠، ولفظ البخاري: «عن عائشة زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ، وَكُلُّ حَدَّثَنِي طَائِفَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ، وَفِيهِ: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَاسْتَعَذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، فَقَامَ أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقُتْلَنَّه».

(٥) مجموع الفتاوى، ١ / ١١٢.

٥٦ - الدعاء للفرط في الصلاة عليه

١٦٠- (١) «اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» (١).

وإن قال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فَرَطاً وَذُخْراً لَوَالِدَيْهِ، وَشَفِيعاً مُجَاباً، اللَّهُمَّ ثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمَا، وَأَعْظِمْ بِهِ أَجْوَرَهُمَا، وَالْحَقُّهُ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَاجْعَلْهُ فِي كِفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِيهِ بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ الْجَحِيمِ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأَسْلَافِنَا، وَأَفْرَاطِنَا، وَمَنْ سَبَقَنَا بِالْإِيمَانِ» (٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الأثر:

٥٤١- عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ (٣) قال: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ (٤) عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» (٥).

(١) أخرجه مالك في الموطأ، ٢٨٨/١، برقم ٥٣٦، وابن أبي شيبة في المصنف، ٢١٧/٣، والبيهقي، ٩/٤، وصححه إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لشرح السنة للبخاري، ٣٥٧/٥، وصححه عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه لجامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٦/٢٢٤.

(٢) انظر: المغني لابن قدامة، ٤١٦/٣، والدروس المهمة لعامة الأمة، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ؓ، ص ١٥.
(٣) سعيد بن المسيب: هو ابن حزن أبو محمد القرشي، كَانَ مِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ فَقْهًا وَدِينًا، وَوَرَعًا، وَعِلْمًا، وَعِبَادَةً، وَفَضْلًا، وَكَانَ أَبُوهُ يَنْجُرُ فِي الرِّبِّ، سيد التابعين في زمانه، رأى عمر، وسمع عثمان وعليًا وعائشة وابن عباس وغيرهم ؓ، وكانت وفاته سنة أربع وتسعين وكان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء؛ لكثرة من مات منهم فيها. انظر: الثقات لابن حبان، ١٦٥/٢، وسير أعلام النبلاء، ٢١٧/٤ ترجمة رقم (٨٨).

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الموطأ، ٢٨٨/١، برقم ٥٣٦، وابن أبي شيبة، ٢١٧/٣، والبيهقي، ٩/٤، وصححه إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لشرح السنة للبخاري، ٣٥٧/٥، وصححه عبد القادر الأرنؤوط في تحقيقه لجامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٦/٢٢٤.

٥٤٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِيمَا أَعْلَمَ - شَكَّ مُوسَى - قَالَ: «ذَرَارِيُّ الْمُسْلِمِينَ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام»^(١).

٥٤٣- وعن سَمُرَةَ بِنْتِ جُنْدَبٍ رضي الله عنها قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِمَّا يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا»، قَالَ: فَيَقْضُ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقْضَ، وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا ابْتَعَانِي، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا...» فذكر الحديث بطوله، ثم قالاً للنبي صلى الله عليه وسلم في آخر هذه القصة العجيبة: «... وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّوضَةِ؛ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، وَأَمَّا الْوَلَدَانِ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ». قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ...»^(٢).

٥٤٤- وَدَفَنَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(٣) ابْنًا لَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ جَافِ الْأَرْضَ عَنْ جَنْبِهِ، وَافْتَحْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ لِرُوحِهِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ»^(٤).

٥٤٥- رَوَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ، إِذَا كَانَ الْمَيِّتُ صَبِيًّا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا

(١) أخرجه أحمد، ٧١ / ١٤، برقم ٨٣٢٤، والحاكم، ٥٤١ / ١، وقال: «صحيح على شرط الشيخين» والبيهقي في البعث، ص ١٥٥، برقم ٢١١، وابن أبي شيبه، ٥٤ / ٣، برقم ١٢٠٥٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢١٩ / ٧: «فيه عبد الرحمن بن ثابت، وثقه المديني، وجماعة، وضعفه ابن معين وغيره، وبقيّة رجاله ثقات» وحسنه محققو المسند، ٧١ / ١٤، والعلامة الألباني في السلسلة الصحيحة، ٤٥١ / ٣.

(٢) البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم ٧٠٤٧، وقد تقدم الحديث بطوله في شرح أحاديث المتن رقم ١١٤، ورقم ١١٥ في شرح آداب الرؤيا، في الأدب السابع: «لا فضل في رؤيا الليل على رؤيا النهار».

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٤) مصنف ابن أبي شيبه، ١٩ / ٣، برقم ١١٧٠٢، والمعجم الكبير للطبراني، ١ / ٢٤٤، برقم ٦٨٧، والأوسط لابن المنذر، ٥ / ٥٠٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٢٠١ / ٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٤٤ / ٣: «ورواه الطبراني في الكبير ورجالته ثقات» وصححه علي بن نايف الشحود في كتابه: الاستعداد للموت، ص ٢٤٠.

فَرَطًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا ذُخْرًا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا شَافِعًا وَمُشَفَّعًا^(١).

٥٤٦- وَقِيلَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَهُمَا، وَأَعْظِمْ بِهِ أَجُورَهُمَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ فِي كِفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَالْحَقُّهُ بِصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِسَلَفِنَا، وَفَرَطِنَا، وَمَنْ سَبَقَنَا بِالْإِيمَانِ»^(٢).

٥٤٧- وقال الإمام النووي رحمته الله: «قال أصحابنا: فإن كان الميت طفلاً دعا لأبويه، فقال: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَهُمَا فَرَطًا، واجْعَلْهُ لَهُمَا سَلَفًا، واجْعَلْهُ لَهُمَا ذُخْرًا، وَثَقِّلْ بِهِ مَوَازِينَهُمَا، وَأَفْرِغِ الصَّبْرَ عَلَى قُلُوبِهِمَا، وَلَا تَفْتِنَهُمَا بَعْدَهُ وَلَا تَحْرِمَهُمَا أَجْرَهُ. هذا لفظ ما ذكره أبو عبد الله الزبيرى من أصحابنا في كتابه الكافي، وقاله الباقر بن معناه، وبنحوه قالوا، ويقول معه: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّتِنَا وَمَيِّتِنَا، إِلَى آخِرِهِ. قال الزبيرى: فَإِنْ كَانَتْ امْرَأَةً قَالَ: اللَّهُمَّ هَذِهِ أُمَّتُكَ، ثُمَّ يَنْتَسِقُ الْكَلَامَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب...»^(٤)، قال الطيبي رحمته الله: «العود: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به، يقال: عاذ فلان بفلان»^(٥)، وقال المناوي رحمته الله:

(١) العيال لابن أبي الدنيا، ٥٩٨ / ٢، موقوفاً على الحسن، وذكره العيني في العناية على شرح الهداية، ٢٢٣ / ٣. وانظر: عون المعبود، ٣٦٣ / ٨.

(٢) هذا النص مجموعاً بهذا اللفظ موجود في أكثر كتب الفقهاء على المذاهب الأربعة بألفاظ متقاربة، انظر: البناية شرح الهداية للعيني الحنفي، ٢٢٣ / ٣، والرسالة للقيرواني المالكي، ص ٥٨، وحاشية البجيرمي الشافعي، ٢٦٣ / ٤، والمغني لابن قدامة الحنبلي، ٤١٦ / ٣، والدروس المهمة لعامة الأمة، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله، ص ١٥.

(٣) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢١٦.

(٤) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ١٤٣، وتقدم التفصيل في شرحها في شرح ألفاظ حديث المتن رقم ١، شرح المفردة رقم ٦.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٩١١ / ٦.

«استعاذ منه؛ لأنه أول منزل من منازل الآخرة، فسأل الله أن لا يتلقاه في أول قدم يضعه في الآخرة في قبره عذاب ربه»^(١).

٢- قوله: «اللهم اجعله فرطاً»: الفرط هو السابق أي: اجعل صبرهما على فراقه أجراً متقدماً عندك، قال ابن الأثير رحمه الله: «فَرَطٌ يَفْرِطُ، فَهُوَ فَارِطٌ وَفَرَطٌ إِذَا تَقَدَّمَ وَسَبَقَ الْقَوْمَ لِيُزْتَادَ لَهُمُ الْمَاءُ، وَيُهَيَّئَ لَهُمُ الدَّلَاءُ وَالْأَرَشِيَّةُ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ لِلطِّفْلِ الْمَيِّتِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطاً، أَي: أَجْراً يَتَقَدَّمُنَا. يُقَالُ: افْتَرَطَ فُلَانٌ ابْنًا لَهُ صَغِيرًا إِذَا مَاتَ قَبْلَهُ»^(٢).

٣- قوله: «وسلفاً»: أي: جعل هذا الطفل الذي سبقنا بالموت، فصار لنا سلفاً، وخلفناه بعد موته مقدمة لنا في الأجر، قال ابن الأثير: «قيل: هو من: سلف المال؛ كأنه قد أسلفه، وجعله ثمناً للأجر، والثواب الذي يجازى على الصبر عليه، وقيل: سلف الإنسان: من تقدمه بالموت من آبائه، وذوي قرابته؛ ولهذا سُمِّيَ الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح»^(٣).

٤- قوله: «وذخراً لوالديه»: أي: وديعة لهما عندك يرجعان إليه عند الحاجة إليها يوم القيامة، اجعله في صحائف والديه مدخراً، وذخيرة، «والذخيرة: ما ادخر كالذخر، جمعه: أذخار»^(٤)، وقال في اللسان: «ذَخَرَ الشَّيْءَ، يَذْخُرُهُ ذُخْراً، وَادْخَرَهُ ادْخَاراً: اخْتَارَهُ، وَقِيلَ: اتَّخَذَهُ، وَكَذَلِكَ ادْخَرْتُهُ ... وَكَذَلِكَ الدُّخْرُ، وَالْجَمْعُ ادْخَارٌ، وَذَخَرَ لِنَفْسِهِ حَدِيثًا حَسَنًا: أَبْقَاهُ، وَهُوَ مَثَلُ بَذَلِكَ»^(٥).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١٦٦/٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤٣٤/٣، مادة (فرط).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٩٠/٢، مادة (سلف).

(٤) القاموس المحيط، ص ٥٠٦، مادة (ذخر).

(٥) لسان العرب، ٣٠٢/٤، مادة (ذخر).

٥- قوله: «وشفيحاً مجاباً» أي: مقبولاً منه الشفاعة لوالديه يوم القيامة؛ لأن الشافع ربما تقبل شفاعته، أو ترد عليه، قال في النهاية: «شفع يشفع شفاعته فهو شافع وشفيع والمُشَفِّع الذي يقبل الشفاعة، والمُشَفَّع الذي تقبل شفاعته، وإنه ليشفع علي بالعداوة: أي يعين علي، ويضارني،... ولا تنفعها شفاعته: نفي للشافع، أي: ما لها شافع فتتفعها شفاعته»^(١)، وأما مجاباً: فهو إذا دعا استجاب الله له دعاءه، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «شفيعاً» الشفيع: بمعنى الشافع، كالسميع بمعنى السامع، والشفيع: هو الذي يتوسط لغيره بجلب منفعة، أو دفع مضرة، وسمي شفيعاً؛ لأنه يجعل المشفوع له اثنين بعد أن كان واحداً، فصار بضم صوته إلى صوت المشفوع له شفيعاً له، قوله: «مجاباً» لأن الشفيع قد يجاب، وقد لا يجاب، فسأل الله أن يكون شفيعاً مجاباً»^(٢).

٦- قوله: «اللهم ثقل به موازينهما»: وذلك لعظم جزاء الصبر على المصيبة، فالؤمن يحتاج إلى تثقيل ميزانه يوم القيامة، والتثقيل هو زيادة الأعمال الصالحة، وكثرتها فتجعل الميزان ثقيلاً عند الله، قال العدوي رَحِمَهُ اللهُ: «وَتَقْلُ بِهِ أَي: بِأَجْرِ مُصِيبَتِهِ، مَوَازِينُهُمْ: أَي: مَوَازِينُهُمْ؛ لأنه الموصوف بالثقل، أي: بحيث ترجح حسناتهم على سيئاتهم»^(٣).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «اللهم ثقل به موازينهما» أي: موازين الأعمال، وذلك في كونه أجراً لهما؛ لأنه كلما كان أجراً ثقلت به الموازين، والموازين: جمع ميزان، وهو: ما توزن به أعمال العباد يوم القيامة»^(٤).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٨٥، مادة (شفع).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٢٢٧.

(٣) الثمر الداني، للأبي الأزهر، ١/ ٢٩١، وانظر: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، ٣/

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٢٢٧.

٧- قوله: «وأعظم به أجورهما» أي: ضاعف لهما الأجر، وأجزله لهما، فتعظيم الأجور زيادتها وإضعافها أضعافاً، قال الأبي رحمه الله: «وأعظم: أي: كثير به، أي: بأجر مصيئته أجورهم، ولما كان لا يلزم من التكثير التثقيل، ولا من التثقيل التكثير أتى بقوله: وأعظم به إلخ بعد قوله: وثقل به إلخ»^(١).

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وأعظم به أجورهما»، أي: اجعل أجورهما عظيمة، وهنا إشكال نحوي حيث قال: «أجورهما» مع أن المضاف إليه مثني، أي لم يقل: عظم به أجريهما؟^(٢).

٨- قوله: «وألحقه بصالح المؤمنين»: وهم الذين أسكتتهم جنات النعيم، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله مبيناً من هم صالح المؤمنين: «وقد اختلف أهل التأويل في المراد بقوله تعالى: ﴿وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) عَلَى أَقْوَال:

أحدها: الأنبياء، أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ، وابن أَبِي حَاتِمٍ عَنْ قَتَادَةَ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ، وَذَكَرَهُ ابن أَبِي حَاتِمٍ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَأَخْرَجَهُ النَّقَاشُ عَنْ الْعَلَاءِ بن زياد.

الثاني: الصَّحَابَةُ أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حَاتِمٍ عَنْ السُّدِّيِّ، وَنَحْوَهُ فِي تَفْسِيرِ الْكَلْبِيِّ، قَالَ: هُم أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَأَشْبَاهُهُمْ مِمَّنْ لَيْسَ بِمُنَافِقٍ.

الثالث: خِيَارِ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حَاتِمٍ عَنْ الضَّحَّاكِ.

الرابع: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، أَخْرَجَهُ ابن أَبِي حَاتِمٍ عَنْ الْحَسَنِ البَصْرِيِّ.

الخامس: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ، وابن مَرْدَوِيهِ عَنْ ابن مَسْعُودٍ

مَرْفُوعًا وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ»^(٤).

(١) الثمر الداني للأبي الأزهرى، ١ / ٢٩١.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥ / ٢٢٨.

(٣) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٤) فتح الباري، ١٠ / ٤٢١.

٩- قوله: «واجعله في كفالة إبراهيم» أي: معه عليه الصلاة والسلام في الجنة، والكافل هو ضامن مؤمن حاجة من يكفلهم، قال ابن الأثير: «الكافل: القائم بأمر اليتيم، المرَبِّي له، وهو من الكَفِيل: الضَّمين»^(١)،

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «والحقه بصالح سلف المؤمنين، واجعله في كفالة إبراهيم»، أي: بصغار المؤمنين الذين سلفوا، وذلك أن الصغار من ولدان يكونون في كفالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد رآهم النبي ﷺ حينما عُرج به - عند إبراهيم وسأل عنهم، ف قيل له: هؤلاء ولدان المؤمنين ؛ ولهذا قال: «واجعله في كفالة إبراهيم»»^(٢).

١٠- قوله: «وقه برحمتك عذاب الجحيم»: قال ابن سيده رَحِمَهُ اللهُ: «وقاه: صانه، ووقاه ما يكره: حماه مِنْهُ، ... والتوقية: الكلاءة وَالْحِفْظ»^(٣)، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: اجْعَلْهُ مِمَّنْ شَمَلَتْهُ رَحْمَتُكَ، وناله عَفْوُكَ، وعد على ما تعلم من ذنوبه بِرَحْمَتِكَ، وَعَلَى مَا سَلَفَ مِنْ تَقْصِيرِهِ عَنْ طَاعَتِكَ مَا وَعَدْتَ مِنَ الْإِحْسَانِ مِنْ نَفْسِكَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^(٤)، وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ: زَخْرَجْهُ عَنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ، وَهُوَ الْعَذَابُ الْمَوْجِعُ الْأَلِيمُ»^(٥).

١١- قوله: «وأبدله داراً خيراً من داره» أي: أدخله الجنة، التي هي دار السلام، قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «أبدله داراً خيراً من داره؛ لأنه انتقل من دار الدنيا إلى دار البرزخ، ودار الدنيا كما نعلم دار محن، وأذى، وكدر، فيقول: أبدله داراً

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٣٤٢، مادة (كفل).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥ / ٢٢٩.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم، ٦ / ٥٩٨، مادة (قوي).

(٤) انظر: بستان الواعظين ورياض السامعين، ص ٢٦٧.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ٧ / ١٣١.

خيراً من داره؛ ليكون منعماً في قبره»^(١).

١٢- قوله: «وأهلاً خيراً من أهله» أي: بصحبة أهل الجنان؛ حيث لا غل، ولا حسد، ويدخل في الأهل: الزوجة، والخدم، والأهل هنا المصاحبون له في حياته، كما يصاحب الرجل زوجه، أي: يلازمون، قال القرطبي: «الأهل هنا: عبارة عن الخدم، والخول، ولا تدخل هنا الزوجة فيهم؛ لأنه قد خصّها بالذكر بعد ذلك؛ حيث قال: «وزوجاً خيراً من زوجة»^(٢). وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وأهلاً خيراً من أهله: أهله ذووه، كأمه، وخالته، وبناته، وأبيه، وابنه، وما أشبه ذلك»^(٣).

١٣- قوله: «اللهم اغفر لأسلافنا» أي: من سبقنا بالموت، والرحيل إليك من الآباء والأمهات وغيرهم، فالسلف هم المتقدمون، ف «سَلَفَ الإنسان مَنْ تَقَدَّمَ بِالمَوْتِ مِنْ آبَائِهِ، وَذَوِي قَرَابَتِهِ؛ وَلِهَذَا سَمِّيَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ التَّابِعِينَ السَّلَفَ الصَّالِحَ... وَالْمَاضُونَ مِنْهَا»^(٤).

١٤- قوله: «وأفرطنا»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: أي: مَنْ سَبَقْنَا، وَالْفَرَطُ وَالْفَارِطُ هُوَ الَّذِي يَتَقَدَّمُ الْقَوْمَ إِلَى الْمَاءِ لِيُهَيَّجَ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ»^(٥).

١٥- قوله: «ومن سبقنا بالإيمان»: يشمل كل مؤمن ومؤمنة استجابوا لله وللرسول قبلنا من الأحياء والأموات.

١٦- قوله: «لم يعمل خطيئة قط» لموته قبل البلوغ، مأخوذ من حديث رفع القلم عن ثلاثة، فعَدَّ الصبي حتى يحتلم، وقال عمر: الصغير يكتب له الحسنات،

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١، من حديث لمتن رقم ١٥٦.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨ / ٩١، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢، من حديث المتن رقم ١٥٦.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٣٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٢، من حديث المتن رقم ١٥٦.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٩٨١، مادة (سلف).

(٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٢ / ٢٠٤.

ولا تكتب عليه السيئات، «فسمعتة يقول: اللهم أعذه من عذاب القبر»، قال ابن عبد البر: عذاب القبر غير فتنته، بدلائل من السنة الثابتة، ولو عذب الله عباده أجمعين لم يظلمهم، وقال بعضهم: ليس المراد بعذاب القبر هنا عقوبته، ولا السؤال، بل مجرد الألم بالغم، والهَم، والحسرة، والوحشة، والضغط، وذلك يعم الأطفال وغيرهم»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية الصلاة على الطفل الصغير؛ لقول المُعِيزَةِ بِنِ شُعْبَةَ رضي الله عنها: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الطِّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ»^(٢)، ولو مات بعد فترة يسيرة جداً من ولادته لقول النبي ﷺ: «إذا استهل الصبي ضلي عليه وورث»^(٣) ومعنى استهل أي: ولد صارخاً.

٢- قال ابن عبد البر: «وفي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَقْهِ الصَّلَاةُ عَلَى الْأَطْفَالِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا كَالصَّلَاةِ عَلَى الرِّجَالِ بَعْدَ أَنْ يَسْتَهْلَ الطِّفْلُ، وَعَلَى هَذَا جَمَاعَةُ الْفُقَهَاءِ، وَجُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ»^(٤).

٣- قال الباجي: «قَوْلُهُ صَلَّى عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ: الصَّلَاةُ عَلَى الصَّبِيِّ قُرْبَةٌ لَهُ، وَرَغْبَةٌ فِي إِنْجَاحِهِ بِصَالِحِ السَّلَفِ، وَلَا خِلَافَ فِي وُجُوبِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ أَعِزَّهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَبُو هُرَيْرَةَ اعْتَقَدَهُ لَشَيْءٍ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ عَامٌّ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَأَنَّ الْفِتْنَةَ فِيهِ لَا

(١) شرح الزرقاني، ٨٥/٢.

(٢) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الطفل، برقم ١٥٠٧، والحاكم، ٥٠٧/١، وصححه، والألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٣.

(٣) ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الطفل، برقم ١٥٠٨، وصححه الألباني، في السلسلة الصحيحة، برقم ١٥٣.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٢٥٨/٨.

تَسْقُطُ عَنْ الصَّغِيرِ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ فِي الدُّنْيَا»^(١).

٤- إثبات شفاعة الأفرط للوالدين إلا أن النبي ﷺ هو المقدم في كل شفاعة، ثم من بعده من الأنبياء، والملائكة، وأهل الإيمان^(٢).

٥- إثبات الميزان، وهو ميزان حقيقي خلافاً للمعتزلة، ومن وافقهم، أنه كناية عن إقامة العدل، والصواب أنه ميزان حسي؛ لقول النبي ﷺ في حديث صاحب البطاقة: «أن ذنوبه تجعل في كفة ولا إله إلا الله في كفة»^(٣)، ولكن هاتين الكفتين لا نعلم كيفيتهما؛ لأنهما من أمور الغيب، والذي عليه الجمهور أن الذي يوزن هو العمل، وليس العامل، أو صحائف الأعمال^(٤).

قال العلامة محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «... وهل الذي يوزن العمل، أو العامل، أو صحائف العمل؟
على أقوال ثلاثة للعلماء:

- القول الأول: أن الذي يوزن العمل.
 - القول الثاني: أن الذي يوزن العامل.
 - القول الثالث: أن الذي يوزن صحائف الأعمال.
- وذلك لاختلاف النصوص في ذلك.

(١) المتقى شرح الموطأ لسليمان بن خلف الباجي، ١٦/٢.

(٢) سبق الحديث عن الشفاعة في تفسير آية الكرسي، في شرح حديث المتن رقم ٧١، في شرح المفردات، المفردة رقم ٦، ورقم ٧، وانظر: ٢٠٠ س، ج في العقيدة، رقم ١٣٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه، برقم ٤٣٠٠، والترمذي، برقم ٢٦٣٩، وابن حبان، ١/٤٦١، برقم ٢٢٥، والحاكم، ١/٧١٠، وقال: «صحيح الإسناد» وصححه إسناده محقق ابن حبان، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٠٩٥، وتقدم تخريجه في شرح حديث المتن رقم ١٥٣ في الفائدة رقم ١١: «من جملة فضائل لا إله إلا الله في الفضيلة السابقة».

(٤) انظر: أحكام الجنائز لابن عثيمين ص ٣٣٧ وما بعدها.

- فحجة من قال: إن الذي يوزن العمل: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(١)

- و قول النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان»^(٢).

- وحجة من قال إن الذي يوزن صاحب العمل: قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾^(٣).

وحديث ابن مسعود ؓ: لما قام فهبت الريح فضحك الناس منه؛ لأنه ؓ دقيق الساقين، فقال النبي ﷺ: «إن ساقيه في الميزان أعظم من أحد»^(٤).

- وحجة من قال: إن الذي يوزن صحائف الأعمال: حديث صاحب البطاقة «الذي يؤتى له بسجلات عظيمة كلها ذنوب، حتى إذا رأى أنه قد هلك، قيل له: إن لك عندنا حسنة واحدة، فيؤتى ببطاقة صغيرة فيها لا إله إلا الله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم شيئاً، ثم توضع البطاقة في كفة، وبقية الأعمال في كفة، فترجح بهنّ وتميل»^(٥).

- فيجواب: إن حقيقة هذا وزن الأعمال؛ لأن الصحائف إنما تثقل، وتخف بما فيها من العمل.

(١) سورة الزلزلة، الآية : ٧.

(٢) البخاري، برقم ٦٤٠٤، ومسلم، برقم ٢٦٩٤، وسيأتي تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٥٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.

(٤) الطبقات الكبرى، ١٥٦/٣، ومسند أحمد ٩٨/٧، برقم ٣٩٩١، وصححه لغيره محققو المسند، ٩٩/٧، والألباني في السلسلة الصحيحة، ٢٤٩/٦، والطالسي، ٤٠٣/٢، برقم ١١٧٤، ومسند أبي يعلى الموصلي، ٢٠٩/٩، وحسنه محققه، ولفظ أحمد: عَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سَوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دَقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ».

(٥) أخرجه ابن ماجه، برقم ٤٣٠٠، والترمذي، برقم ٢٦٣٩، وابن حبان، ٤٦١/١، برقم ٢٢٥، والحاكم، ٧١٠/١، وقال: «صحيح الإسناد» وصححه إسناده محقق ابن حبان، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٨٠٩٥، وتقدم تخريجه في شرح حديث المتن رقم (١٥٣)، الفائدة رقم ١١، الفضيلة السابقة.

- وقد يقال: إن الأكثر وزن الأعمال، وقد توزن صحائف الأعمال.

- ولكن الراجح والذي عليه الجمهور أن الذي يوزن العمل^(١).

وقال الإمام ابن باز رحمته الله في شرح العقيدة الطحاوية: «والمعول على نفس الأعمال، ولكن الله جلّ وعلا قد يزن نفس العامل، ونفس الصحيفة، ونفس العمل، وقد جاءت النصوص بهذا وهذا: وزن الأعمال نفسها، ووزن الصحف، ووزن العامل، وربك جلّ وعلا هو الحكم العدل، والاعتبار بهذا كله بذات العمل، لا بذات الإنسان، ولا بصحيفته، الاعتماد بهذا كله على العمل»^(٢).

٦- وقال في تفسير آية: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ...﴾^(٣).

فتوضع البطاقة في كفة وتلك السجلات في كفة فترجح البطاقة بها، فهذا يدل على أن الذي يوزن هو صحائف العمل .

وأما الذين قالوا إن الذي يوزن هو العامل نفسه فاستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾^(٤) وبأن النبي ﷺ قال حين ضحك الناس على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكان ﷺ نحيفاً، فقام إلى شجرة أراك في ريح شديدة، فجعلت الريح تهزه هزاً، فضحك الناس من ذلك، فقال النبي ﷺ: «أتضحكون»، أو قال ﷺ: «أتعجبون من دقة ساقه»، والذي نفسي بيده إنهما في الميزان لأثقل من جبل أحد^(٥)، وهذا يدل على أن الذي يوزن هو العامل نفسه، والمهم أنه يوم القيامة

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٢٢٨ / ٥.

(٢) التعليقات البازية على شرح الطحاوية، ٩٩٠ / ٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٢ - ١٠٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.

(٥) مسند أحمد، ٩٨ / ٧، برقم ٣٩٩١، والطيالسي، برقم ٣٥٥، وابن سعد في الطبقات، ١٥٥ / ٣، والبخاري، ٢٦٧٨، وأبو يعلى، ٢٠٩ / ٩، برقم ٥٣١٠، ورقم ٥٣٦٥، والطبراني في المعجم الكبير،

توزن: الأعمال، أو صحائف الأعمال، أو العمال»^(١).

٧- بيان أن أطفال المؤمنين في الجنة، وفي كفالة إبراهيم وقد رآه النبي ﷺ ليلة أسري به وحوله أولاد المؤمنين^(٢) وفي لفظ: «أولاد الناس»^(٣) وفي لفظ: «وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة»^(٤) وعلى هذا يدخل فيهم أولاد المشركين والله أعلم، وإنما اختص إبراهيم بذلك لأنه أبو المسلمين وقد جاء في لفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥). قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^(٦).

إلا أنه لا يجوز لأحد من الأطفال مات بعينه أنه من أهل الجنة؛ لأن عائشة لما صلى النبي ﷺ على صبي من الأنصار قالت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوء ولم يدركه، فقال لها: «أو غير ذلك يا عائشة...»^(٧).

٩ / ٧٥، برقم ٨٤٥٢، ورقم ٨٤٥٣، وأبو نعيم في الحلية، ١ / ١٢٧، وابن أبي شيبه، ١٢ / ١١٣، وصححه لغيره محققو المسند، ٧ / ٩٩، وحسن إسناده حسين أسد محقق مسند أبي يعلى، وصححه بطرقه العلامة الألباني في سلسلة أحاديث الصحيحة، ٦ / ٥٧٠، برقم ٢٧٥٠.

(١) شرح رياض الصالحين، باب ذكر الموت وقصر الأمل، بعد الحديث رقم ٥٧٣.
(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، برقم ٢٦٦٢، ولفظه: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طُوبَى لِهَذَا غُصْفُورٍ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، لَمْ يَغْمَلِ الشَّوْءَ، وَلَمْ يَذْرُكْهُ. قَالَ: «أَوْغَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَضْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَضْلَابِ آبَائِهِمْ».

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ١٣٨٦.

(٤) البخاري، كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح، برقم ٧٠٤٧.

(٥) المستدرک، ١ / ٣٨٤، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» والبعث والنشور للبيهقي، ص ١٣٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٣ / ٤٥١، برقم ١٤٦٧.

(٦) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٧) مسلم، برقم ٢٦٦٢، وتقديم تخريجه قبل أسطر.

٨- قال ابن عبد البر رحمته الله في مسألة الأطفال: أطفال المسلمين، وأطفال الكافرين. رَوَى أَبُو رَجَاءٍ الْغَطَارِدِيُّ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم الْحَدِيثَ الطَّوِيلَ حَدِيثَ الرُّؤْيَا، وَفِيهِ قَوْلُهُ عليه السلام: «وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرُّؤْيَا، فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، وَأَمَّا الْوَلَدَانُ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي رَجَاءٍ عَنْ سَمُرَةَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «وَالشَّيْخُ فِي أَضَلِّ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَالصَّبِيَّانُ حَوْلَهُ أَوْلَادُ النَّاسِ»^(٢)، فَهَذَا يَقْتَضِي ظَاهِرُهُ وَعُمُومُهُ جَمِيعَ النَّاسِ»^(٣).

٩- قال النووي: «ولعله نهاها أي عائشة ل عن المسارعة إلى القطع بغير دليل، أو قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة»^(٤).

قال ابن رجب: بقية المؤمنين سوى الشهداء ينقسمون إلى: أهل تكليف وغير أهل تكليف، فهذان قسمان أحدهما: غير أهل التكليف كأطفال المؤمنين، فالجمهور على أنهم في الجنة وقد حكى الإمام أحمد الإجماع على ذلك^(٥).

١٦١- (٢) «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا، وَسَلَفًا، وَأَجْرًا»^(٦).

(١) البخاري، برقم ٧٠٤٧، وتقدم في لفظ أحاديث شرح المتن.

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ١٣٨٦.

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٨ / ٤٠١.

(٤) وانظر: أحكام الجنائز، للعلامة الألباني، ص ١٠٥، وهو في شرح المشكاة للطيب، ٢ / ٥٣٧.

(٥) انظر: أهوال القبور، ص ١٣٢، وما بعدها.

(٦) كان الحسن يقرأ على الطفل بفاتحة الكتاب، ويقول... الحديث. أخرجه البغوي في شرح السنة،

٣٥٧/٥، وعبد الرزاق، برقم ٦٥٨٨، وعلقه البخاري في كتاب الجنائز، ٦٥ باب قراءة فاتحة

الكتاب على الجنائز، ٢ / ١١٣، قبل الحديث رقم ١٣٣٥، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، ٩ / ٤.

الشرح:

أولاً: لفظ الأثر:

٥٤٨- في صحيح البخاري، وَقَالَ الْحَسَنُ^(١): «يَقْرَأُ عَلَى الطِّفْلِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا وَسَلَفًا وَأَجْرًا»^(٢).

٥٤٩- وعند ابن أبي شيبة: عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا، وَذُخْرًا، وَأَجْرًا»^(٣).

٥٥٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٤): أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي عَلَى الْمُنْفُوسِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطًا وَسَلَفًا وَذُخْرًا»، قَالَ نَعِيمٌ: وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: أَتُصَلِّي عَلَى الْمُنْفُوسِ الَّذِي لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ؟ قَالَ: قَدْ ضَلِّي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَكَانَ مَغْفُورًا لَهُ بِمَنْزِلَةٍ مَنْ لَمْ يَعْصِ اللَّهَ عز وجل^(٥).

٥٥١- «وَالسَّقْطُ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَيُدْعَى لَوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ»^(٦)، وفي رواية: الترمذي وغيره: عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ الرَّابِثُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ وَالْمَاشِي حَيْثُ شَاءَ مِنْهَا وَالطِّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ»^(٧).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٩٣ من أحاديث الشرح.

(٢) البخاري معلقاً، قبل الحديث رقم ١٣٣٥، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٣) ابن أبي شيبة، ١٠٥/٦.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البيهقي، ٩/٤، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لشرح السنة للبخاري، ٣٥٧/٥، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الجنائز، باب المشي أمام الجنائز، برقم ٣١٨٠، وأحمد، ١١٠/٣٠، برقم ١٨١٧٤، والبيهقي، ٨/٤، والطيالسي، ٧٨/٢، وصححه محققو المسند، ١١٠/٣٠، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٣.

(٧) الترمذي، برقم ١٠٣١، وقال: «حسن صحيح» والنسائي، برقم ١٩٤٤، وأحمد، ٩٦/٣٠، برقم ١٨١٦٢، وصحح ابن حبان، ٣٢٠/٧، برقم ٣٠٤٩، والحاكم، ٣٥٥/١، وصححه محققوه، ومحققو

ثانياً: شرح مفردات الأثر:

١- قوله: «اللهم اجعله لنا فرطاً»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «اللهم: معناها يا الله؛ ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب...»^(١)، الفرط: «فرط إذا تقدم، وسبق القوم ليرتاد لهم الماء، ويهيئ لهم الدلاء والأرشية، ومنه الدعاء للطفل الميت: اللهم اجعله لنا فرطاً أي: أجراً بتقدمنا، يقال: افترط فلان ابناً له صغير إذا مات قبله»^(٢).

٢- قوله: «وسلفاً»: أي: اجعل هذا الطفل الذي سبقنا بالموت، فصار لنا سلفاً، وخلفناه بعد موته، مقدمة لنا في الأجر، قال ابن الأثير: «قِيلَ هُوَ مِنْ سَلَفِ الْمَالِ، كَأَنَّهُ قَدْ أَسْلَفَهُ، وَجَعَلَهُ ثَمَنًا لِلْأَجْرِ وَالثَّوَابِ الَّذِي يُجَازَى عَلَى الصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: سَلَفَ الْإِنْسَانُ مَنْ تَقَدَّمَ بِالْمَوْتِ مِنْ آبَائِهِ، وَذَوِي قَرَابَتِهِ؛ وَلِهَذَا سُمِّيَ الصَّدْرُ الْأَوَّلُ مِنَ التَّابِعِينَ السَّلَفَ الصَّالِحَ»^(٣).

٣- قوله: «وذخراً»: أي: اجعله في صحائف والديه مدخراً، وذخيرة، «والذخيرة: ما ادخر كالذخر، جمعه: أذخار»^(٤)، وقال في اللسان: «ذَخَرَ الشَّيْءَ، يَذْخُرُهُ ذُخْرًا، وَادْخَرَهُ إِذْخَارًا: اخْتَارَهُ، وَقِيلَ: اتَّخَذَهُ، ... وَذَخَرَ لِنَفْسِهِ حَدِيثًا حَسَنًا: أَبْقَاهُ، وَهُوَ مَثَلٌ بِذَلِكَ»^(٥).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «الذخر: بمعنى المذخور، أي: أنها مصدر، بمعنى

المسند، ٣٠ / ٩٧، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٣.

(١) جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، ص ١٤٣، وتقدم التفصيل في شرحها في شرح ألفاظ حديث المتن رقم ١، شرح المفردة رقم ٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٤٣٤، مادة (فرط)، وسبق شرحه في مفردات حديث المتن رقم ١٦٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٣٩٠، مادة (سلف)، وسبق شرحه في مفردات حديث المتن رقم ١٦٠.

(٤) القاموس المحيط، ص ٥٠٦، مادة (ذخر)، وسبق شرحه في مفردات حديث المتن رقم ١٦٠.

(٥) لسان العرب، ٤ / ٣٠٢، مادة (ذخر).

اسم المفعول، أي: مذخوراً لوالديه يرجعان إليه عند الحاجة»^(١).

٤- قوله: «وأجرأ»: أي اجعل هذا الطفل الذي افتقده أهله ثوباً وأجرأً على صبرهم لفقده، «الأجر: الجزاء على العمل، كالإجارة، مثله، جمعه: أجور، وآجار، وأجره يأجره ويأجره: جزاه كآجره، ... والأجرة: الكراء، واثتجر: تصدق، وطلب الأجر»^(٢)، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «وأجرأ» أي: اجعله لهما أجرأً، وهذا ظاهر فيما إذا كانا حيَّين؛ لأنهما سوف يصابان به؛ فإذا أصيبا به فصبرا على هذه المصيبة صار أجرأً لهما. أما إذا كانا ميتين، فلا يظهر هذا، لكن لعل الفقهاء ذكروا هذا بناء على الأغلب»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- «هذه الأحاديث تدل على أن أولاد المسلمين في الجنة، وهو قول جمهور العلماء، وشذت المجبرة فجعلوا الأطفال في المشيئة، وهو قول مهجور مردود بالسنة وإجماع الجماعة الذين لا يجوز عليهم الغلط؛ لأنه يستحيل أن يكون الله تعالى يغفر لأبائهم بفضل رحمته، ولا يوجب الرحمة للأبناء، وهذا بيِّن لا إشكال فيه»^(٤).

٢- قال القاري: «دل هذا الحديث على ما يأتي:

أولاً: بيان أجر المصيبة في الأولاد ولو ماتوا صغاراً، فإنه لا جزاء لذلك إلا الجنة. ثانياً: أن محبة الأبوين لولدهما ورقة قلبهما عليه، وإن كان غريزة طبيعية في النفس، إلا أن المرء يثاب عليها، ولذلك عوض عن فقد الأولاد بالجنة كما قال

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥ / ٣٣١.

(٢) القاموس المحيط، ص ٤٣٦، مادة (أجر).

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥ / ٣٣١.

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٣ / ٢٤٦.

النبي ﷺ: «إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»^{(١)(٢)}.

٣- فضل من مات له أولاد واحتسبهم عند الله لقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ النَّاسِ مِنْ مُسْلِمٍ، يَتَوَفَّى لَهُ ثَلَاثٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ»^(٣)، أي: لم يبلغوا الحلم والحنث هو الذنب، وقوله: «لَا يَمُوتُ لِمُسْلِمٍ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَيُلْجِ النَّارَ إِلَّا تَحِلَّةُ الْقِسْمِ»^(٤) ومعنى تحلة القسم قوله ﷺ: «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا»^(٥)، وفي لفظ قال: «وَأَثْنَانِ»^(٦)، وقد روي في موت الواحد حديث^(٧)، والواحد يدخل في قوله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه ﷻ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ اخْتَسَبَهُ، إِلَّا الْجَنَّةُ»^(٨).

٤- الدعاء في صلاة الجنازة على الطفل يدعى فيه لوالديه، ولا يدعى بدعاء الاستفتاح في صلاة الجنازة سواء على الطفل أو الكبير؛ لأن مبنى هذه الصلاة على التخفيف؛ ولأن العبادات توقيفية، ولم ترد في صفة صلاة النبي ﷺ على الجنائز.

(١) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ٢ / ٣٦٧.

(٢) وسيأتي تخريج الحديث في الذي بعده.

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، برقم ١٢٤٨.

(٤) البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، برقم ١٢٥١.

(٥) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٦) ولفظه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النِّسَاءَ قُلْنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اجْعَلْ لَنَا يَوْمًا فَوْعَظْهُنَّ، وَقَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، كَانُوا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» قَالَتِ امْرَأَةٌ: وَأَثْنَانِ؟ قَالَ: «وَأَثْنَانِ» البخاري،

كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، برقم ١٢٤٩.

(٧) أخرجه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً، برقم ١٦٠١، وابن ماجه،

كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده، برقم ١٦٠٦، وأبو يعلى، ٥٣/٩، برقم

٥١١٦، وضعفه الألباني في المشكاة، ١٧٥٥.

(٨) البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يتغنى به وجه الله، برقم ٦٤٢٤.

٥- يصلى على السقط إذا تم أربعة أشهر هلالية غسل وصلى عليه وكفن لقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْفُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤَمِّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيَّ أَوْ سَعِيدٍ، ثُمَّ يَنْفَخُ فِيهِ الرُّوحَ، ...»^(١) الحديث، وقد قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ السَّقَطُ لَيَجُرُّ أُمُّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا اخْتَسَبَتْهُ»^(٢)، والسرر هو ما تقطعه القابلة، وللحديث السابق «وَالسَّقَطُ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَيُدْعَى لَوَالِدَيْهِ بِالمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ»^(٣)، وفي رواية: الترمذي وغيره: عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «قَالَ الرَّاكِبُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ وَالْمَاشِي حَيْثُ شَاءَ مِنْهَا وَالطِّفْلُ يُصَلَّى عَلَيْهِ»^(٤).

٦- الصلاة على الطفل مشروعة والنبي ﷺ لم يصل على ابنه إبراهيم؛ لقول عائشة رضي الله عنها: «مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا فَلَمْ يَصَلَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(٥).

قال ابن القيم رحمه الله: ثم اختلف في السبب الذي لأجله لم يصل عليه فقالت طائفة: استغنى ببنوة رسول الله ﷺ عن قرابة الصلاة التي هي شفاعة له

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، برقم ٣٢٠٨، ومعنى نطفة المني والعلقة دم جامد لتعلقه بالرحم والمضغة قطعة من اللحم بقدر ما يمضغ. انظر شرح الأربعين النووية لابن عثيمين.
(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن أصيب بسقط، برقم ١٦٠٩، وأحمد، ٤١٠/٣٦، برقم ٢٢٠٩٠، والمعجم الكبير للطبراني، ١٤٦/٢٠، برقم ٣٠٠، وصححه لغيره محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٣٠٥.

(٣) أبو داود، برقم ٣١٨٠، وأحمد، برقم ١٨١٧٤، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٣، وتقدم تخريجه.

(٤) الترمذي، برقم ١٠٣١، والنسائي، برقم ١٩٤٤، وأحمد، برقم ١٨١٦٢، وصححه محققو المسند، ٩٧/٣٠، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٣، وتقدم تخريجه.

(٥) أبو داود، كتاب الجنائز، باب في الصلاة على الطفل، برقم ٣١٧٨، وأحمد، ٤٣/٣٣٠، برقم ٢٦٣٠٥، وحسن إسناده محققو المسند، ٣٣٠، والألباني في أحكام الجنائز، ص ٧٩.

كما استغنى الشهيد بشهادته عن الصلاة عليه.

وقالت طائفة أخرى: أنه مات يوم أن كسفت الشمس فاشتغل بصلاة الكسوف عن الصلاة عليه^(١).

٧- الطفل إذا مات صغيراً جاء يوم القيامة وقد سبق أباه إلى باب الجنة يفتح لأبيه هذا الباب، وقد بشر النبي ﷺ أحد أصحابه، ففي حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ، فَيَقْعُدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَلَكَ، فَاِمْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْضُرَ الْحَلَقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ، فَحَزَنَ عَلَيْهِ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا لِي لَا أَرَى فُلَانًا؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بُيِّتُهُ الَّذِي رَأَيْتُهُ هَلَكَ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ بُيِّتِهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا فُلَانُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ أَنْ تَمْتَعَ بِهِ عُمْرُكَ، أَوْ لَا تَأْتِيَ عَدَا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ؟» قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَفْتَحُهَا لِي، لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: «فَذَلِكَ لَكَ» قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، أَهَذَا لِهَذَا خَاصَّةً؟ أَوْ مَنْ هَلَكَ لَهُ طِفْلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ قَالَ: «بَلْ مَنْ هَلَكَ لَهُ طِفْلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ ذَلِكَ لَهُ»^(٢)، وفي رواية: أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُحِبُّهُ؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحَبُّكَ اللَّهُ كَمَا أَحْبَبُّهُ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا فَعَلَ ابْنُ فُلَانٍ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِيهِ: «أَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا تَأْتِيَ أَبَاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِلَّا وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَهُ خَاصَّةٌ أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلِّكُمْ»^(٣).

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ١/ ٤٩٥.

(٢) النسائي، كتاب الجنائز، في التعزية، برقم ٢٠٩٠، والسنن الكبرى للبيهقي، ٤/ ٩٨، وهذا لفظ النسائي، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ٢٠٥.

(٣) مسند أحمد، ٢٤/ ٣٦١، برقم ١٥٥٩٥، والحاكم وصححه، ١/ ٣٨٤، والطيالسي،

وعند مسلم عن أبي حسان قال: قُلْتُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: إِنَّهُ قَدْ مَاتَ لِي ابْنَانِ، فَمَا أَنْتَ مُحَدِّثِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِحَدِيثٍ تُطِيبُ بِهِ أَنْفُسَنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: قَالَ: نَعَمْ، «صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ - أَوْ قَالَ أَبُوهُ -، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ - أَوْ قَالَ بِيَدِهِ -، كَمَا آخُذُ أَنَا بِصَنْفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا، فَلَا يَنْتَاهِي - أَوْ قَالَ فَلَا يَنْتَهِي - حَتَّى يَدْخُلَهُ اللَّهُ وَأَبَاهُ الْجَنَّةَ»^(١)، وصنفة الثوب: هو طرفه، والدعاميص: واحداهم دُعْمُوص بضم الدال أي صغار أهلها وأصل الدعموص دويية تكون في الماء لا تفارقه، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقه^(٢).

٨- صفة الصلاة على الميت:

عن الزهري رحمته الله، قال: سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه، يحدث سعيد بن المسيب رحمته الله قال: إن السنة في صلاة الجنازة، أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم عن الشعبي، قال: «أول تكبيرة من الصلاة على الجنازة ثناء على الله تعالى، والثانية صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والثالثة دعاء للميت، والرابعة السلام»^(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه يكبر على الجنازة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول: «اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض نبيك صلى الله عليه وسلم»^(٤).
وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ رحمته الله، عَنْ أَبِيهِ رحمته الله أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه

٢ / ٤٠١، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٠٠٧.

(١) مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، برقم ٢٦٣٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦ / ٣٩٧.

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ص ٧٧، برقم ٩١، وقال الألباني في تحقيق كتاب فضل الصلاة: «إسناده موقوف صحيح».

(٤) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ص ٧٧، برقم ٩٢، قال الأرناؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام، ص ٩٠: «رجاله ثقات»، وقال الشيخ الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

كَيْفَ تُصَلِّي عَلَى الْجَنَازَةِ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَا، لَعَمْرُ اللَّهِ أُخْبِرُكَ. أَتَبِعُهَا مِنْ أَهْلِهَا. فَإِذَا وُضِعَتْ كَبُرْتُ، وَحَمَدْتُ اللَّهَ، وَصَلَّيْتُ عَلَى نَبِيِّهِ». ثُمَّ أَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا، فَرِّدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا، فَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُفْتِنَّا بَعْدَهُ»^(١).

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ بْنَ سَهْلٍ بْنَ حُنَيْنٍ يُحَدِّثُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: «إِنَّ السُّنَّةَ فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ أَنْ يَقْرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَيُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ يُخْلِصَ الدُّعَاءَ لِلْمَيِّتِ حَتَّى يَفْرُغَ، وَلَا يَقْرَأَ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ يُسَلِّمُ فِي نَفْسِهِ»^(٢).

(١) أخرجه مالك في موطأ، ١/ ٢٢٨، برقم ١٧، واللفظ له، والأوسط لابن المنذر، ٥/ ٤٨٣، برقم ٣١٤١، وإسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ص ٧٧، برقم ٩٣، قال الأرنؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام، ص ٩٠: «رجاله ثقات» وقال الشيخ الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، ٣/ ٤٨٩، برقم ٦٤٢٨، والأوسط لابن المنذر، ٥/ ٤٨٢، برقم ٣١٣٧، وإسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ص ٧٩، برقم ٩٤، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار لابن حجر، ٤/ ٣٨٦: «هذا موقوف، رجاله رجال الصحيح إلا نافعاً، وهو صدوق» وقال الأرنؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام، ص ٩٠: «إسناده صحيح» وقال الشيخ الألباني في تحقيقه لكتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: «إسناده صحيح».

٥٧ - دُعَاءُ التَّعْزِيَةِ

١٦٢- «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى ... فَلْتَضَبِّرْ وَلْتَحْتَسِبْ»^(١).

وَأِنْ قَالَ: «أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ، وَأَحْسَنَ عَزَاءَكَ، وَغَفَرَ لِمِيتِكَ» فَحَسَنْ^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٥٢- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه ^(٣) قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَسُولٌ إِحْدَى بَنَاتِهِ يَدْعُوهُ إِلَى ابْنِهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَيْهَا فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَضَبِّرْ، وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَعَادَتْ الرَّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَيْهِ، وَنَفْسُهُ تَقَعَّقَعُ كَأَنَّهَا فِي

(١) البخاري، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿قُلْ اذْعُوا اللَّهَ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّمَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، برقم ٦٧٣٣، وكتاب الجنائز، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «يُعَذِّبُ الْمَيِّتَ بِيَعُضِّ بَكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» برقم ١٢٨٤، ومسلم، كتاب الجنائز، بَابُ الْبَكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ، برقم ٩٢٣.

(٢) الأذكار للنووي، ص ١٢٦.

(٣) أسامة بن زيد رضي الله عنه: الحب ابن الحب، يكنى بأبي محمد، وقيل: بأبي زيد، أمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ و رضي الله عنه، وأبوه زيد بن حارثة من كبار الصحابة، وكان شديد السواد بخلاف أبيه، وكان خفيف الروح، أحبه الرسول ﷺ كثيراً ومن ذلك قوله: «لو كان أسامة جارية لكسوته وحليته حتى أنفقته» رواه أحمد، ٥٠ / ٤٣، برقم ٢٥٨٦١، وابن سعد، ٦٢ / ٤، وصححه محققو المسند، ٥١ / ٤٣، والألباني في السلسلة الصحيحة، ٩٣ / ٣، برقم ١٠١٩، وذلك لما عثر وهو صغير بباب عتبة النبي ﷺ فشح في وجهه، فجعل يمص عنه الدم ويمجه في وجهه، وقوله: «إن هذا لمن أحب الناس إلي» مسلم، برقم ٢٤٢٦، وقد مات رضي الله عنه في خلافة معاوية. انظر: الاستيعاب، ٧٥ / ١، وسير أعلام النبلاء ترجمة، ٤٩٦ / ٢، رقم الترجمة (١٠٤)، والإصابة، ٤٩ / ١.

شَنْ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»^(١).

٥٥٣- وفي لفظ آخر للبخاري: عن أسامة بن زيد قال: أَرْسَلْتُ ابْنَةَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأَتَيْنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ وَيَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَضَيِّرْ، وَلْتَحْتَسِبْ»، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ تُقَسِّمُ عَلَيْهِ: لِيَأْتِيَنَهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ، فَرَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيَّ، وَنَفْسُهُ تَتَقَعَّقُعُ، قَالَ: حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ: كَأَنَّهَا شَنْ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ» أي: أَنْ مَا أَعْطَاهُ لَنَا وَدِيعَةً مُصِيرَهَا أَنْ تَرُدَّ إِلَى صَاحِبِهَا، قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَعْنَاهُ: الْحَثُّ عَلَى الصَّبْرِ وَالتَّسْلِيمِ لِقَضَاءِ اللَّهِ، وَتَقْدِيرِهِ أَنَّ هَذَا الَّذِي أَخَذَ مِنْكُمْ كَانَ لَهُ لَا لَكُمْ، فَلَمْ يَأْخُذْ إِلَّا مَا هُوَ لَهُ، فَيَنْبَغِي أَلَّا تَجْزَعُوا، كَمَا لَا يَجْزَعُ مَنْ أُشْرِدَتْ مِنْهُ وَدِيعَةٌ أَوْ عَارِيَةٌ»^(٣).

٢- قوله ﷺ: «وَلَهُ مَا أُعْطِيَ»: مَعْنَاهُ أَنَّ مَا وَهَبَهُ لَكُمْ لَيْسَ خَارِجًا عَنْ مِلْكِهِ؛ بَلْ هُوَ لِلَّهِ يَفْعَلُ فِيهِ مَا يَشَاءُ»^(٤).

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ» هذه جملة عظيمة، إذا كان الشيء كله لله إن أخذ منك شيئاً فهو ملكه، وإن أعطاك شيئاً فهو ملكه، فكيف تسخط إذا أخذ منك ما يملكه هو، عليك إذا أخذ الله منك شيئاً

(١) البخاري، برقم ٦٧٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ١٢٨٤، ومسلم، برقم ٩٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٥.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٥.

محبوباً، لك أن تقول هذا لله أن يأخذ ما شاء، وله أن يعطي ما شاء»^(١).

٣- قوله: «وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى» أي: من الأنفس، والأموال، وغير ذلك، فالكل من عنده عَلَيْكَ.

٤- قوله: «بأجلٍ مسمى» أي: توقيت محدد ومعين، قال الله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٢).

قال الإمام النووي رحمته: وَقَوْلُهُ عَلَيْكَ: «وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى» مَعْنَاهُ: اضْبُرُوا، وَلَا تَجْزَعُوا؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ يَأْتِ قَدْ انْقَضَى أَجَلُهُ الْمُسَمًّى، فَمُحَالٌ تَقَدُّمُهُ، أَوْ تَأَخُّرُهُ عَنْهُ، فَإِذَا عَلِمْتُمْ هَذَا كُلَّهُ، فَاصْبِرُوا، وَاحْتَسِبُوا مَا نَزَلَ بِكُمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(٣).

٥- قوله: «فلتصبر» أي: يا أسامة، مُرَّهَا بالصبر على هذه المصيبة، وحقيقة الصبر حبس النفس عن فعل ما يغضب الله، قال العلامة ابن عثيمين رحمته: «فلتصبر أي: فلتحبس نفسها عن السخط وتحمل المصيبة»^(٤).

٦- قوله: «ولتحتسب» أي: تحتسب أجر هذه المصيبة عند الله عَلَيْكَ، قال العلامة ابن عثيمين رحمته: وقوله ولتحتسب أي: تحتسب الأجر على الله بصبرها؛ لأن الناس من يصبر، ولا يحتسب، يصبر على المصيبة، ولا يتضجر؛ لكنه ما يؤمل أجرها على الله، فيفوته بذلك خير كثير، لكن إذا صبر، واحتسب الأجر على الله، فهذا هو الاحتساب^(٥).

٧- «أعظم الله أجرك»: أعظم: فتعظيم الأجور زيادتها وإضعافها أضعافاً^(٦).

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث ٢٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٥.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٢٩.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٢٩.

(٦) تقدم الكلام عليها في حديث المتن رقم ١٦٠.

«ومعنى أجره الله: أعطاه أجره، وجزاء صبره، وهمه في مصيبتة»^(١).

٨- «وأحسن عزاءك»: أي جعلك الله من أهل الإحسان بأن تصبر، وتتقي، قال الزبيدي: «أي رزقك الصبر الحسن، والعزاء كسحاب: اسم من ذلك، كالكلام من كلمه تكليماً، وتعزى هو تصبر وشعاره أن يقول: إنا لله» مع الحاضرين فإنه مرحوم»^(٢).

٩- قوله: «وغفر لميتك»: قال الشيخ العباد: «تعزية المصاب بالميت، وذلك بأن يدعى له، وللميت، فيدعى للميت بالمغفرة، ويدعى له بعظم الأجر، وبحصول الصبر والاحتساب»^(٣).

١٠- قوله: «أرسلت بنت النبي»: هي زينب^(٤) كما وقع في رواية أبي معاوية عن عاصم المذکور في مُصَنَّف ابن أبي شيبة، وكذا ذكره ابن بشكوال^(٥).

١١- قوله: «إن ابناً لها» أي: لبنت النبي ﷺ، وقد كتب الدمياطي بخطه في الحاشية إن اسمه علي بن أبي العاص بن الربيع^(٦).

١٢- قوله: «قد قبض» أي: قارب أن يقبض. أي يتوفاه الله بقبض روحه، وقبض: في أسماء الله تعالى (القابض الباسط)، وهو الذي يُمْسِك الرزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته، وَيَقْبِضُ الأرواح عند المَمَات، وَقَبْضُ المريض إذا تَوَفَّى وإذا أَشْرَف على المَوْت، وَقَبْضُ: أي هو في حال

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٠، وتقدم الكلام عليه في حديث المتن رقم ١٦٠.

(٢) إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٦/ ٣٠١.

(٣) شرح سنن أبي داود لعبد المحسن العباد، ٦/ ٣٦٤.

(٤) قال العلامة الألباني في أحكام الجنائز، ١٦٣: «وفي رواية: أميمة بنت زينب» ثم علق عليها في

الحاشية: «ثم عاشت أميمة هذه، (ويقال: أمامة) حتى تزوجها علي بعد فاطمة».

(٥) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٢/ ٢٨٤، وانظر: فتح الباري لابن حجر، ٣/ ١٥٦.

(٦) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٢/ ٢٨٤.

الْقَبْضُ، وَمُعَالَجَةُ النَّزْعِ^(١)، والباسط هو الذي يبسط الرزق للعبادة، سواء كان ذلك من أرزاق القلوب، أو الأبدان، بل وأرزاق كل شيء بيده ﷻ.

١٣- قوله: «تَقَعَّقُ» أي: تتحرك، وتضطرب^(٢).

١٤- قوله: «كَأَنَّمَا شَنَّ» أي: كان صوته ضعيفاً كضعف القرية البالية اليابسة^(٣).

والشن: القرية البالية، وتقعقها: حركتها وصوتها^(٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ كَأَنَّهَا فِي شَنْةٍ»: هُوَ يَفْتَحُ التَّاءَ، وَالْقَافَيْنِ، وَالشَّيْنَةَ: الْقَرْيَةَ الْبَالِيَةَ، وَمَعْنَاهُ لَهَا صَوْتُ وَحَشَرَجَةٌ، كَصَوْتِ الْمَاءِ إِذَا أُلْقِيَ فِي الْقَرْيَةِ الْبَالِيَةِ^(٥).

وقال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: «تَقَعَّقُ» أَيُّ: لَا يَثْبُتُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، كُلَّمَا صَارَتْ إِلَى حَالٍ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ صَارَتْ إِلَى أُخْرَى، يُقَالُ: تَقَعَّقَ الشَّيْءُ: إِذَا اضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ^(٦).

١٥- قوله: «ما هذا؟» أي: ما هذا البكاء يا رسول الله؟ وإنما قال هذا لظنه أن جميع أنواع البكاء لا تجوز، فبين له الرسول ﷺ أن هذا من الرحمة.

١٦- قوله: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده»: أي: أن الله ﷻ فطر قلوب عباده على الرحمة، وأنه أمر طبعي في الإنسان، ولذلك قال العلامة ابن مفلح رَحِمَهُ اللهُ معلّقاً على هذا الحديث: «الْبُكَاءُ عَلَى الْمَيِّتِ عَلَى وَجْهِ الرَّحْمَةِ مُسْتَحَبٌّ وَذَلِكَ لَا يُنَافِي الرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ بِخِلَافِ الْبُكَاءِ عَلَيْهِ لِفَوَاتِ حَظِّهِ مِنْهُ»^(٧).

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٩ / ٤، مادة (قبض).

(٢) جامع الأصول، لابن الأثير، ٩١ / ١١.

(٣) جامع الأصول، لابن الأثير، ٩١ / ١١.

(٤) جامع الأصول، لابن الأثير، ٩١ / ١١.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢٥ / ٦.

(٦) شرح السنة للبغوي، ٤٢٨ / ٥.

(٧) الآداب الشرعية لابن مفلح، ٣٠ / ١.

١٧- قوله: «وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»: قال العلامة ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «يَكُونُ الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ وَمِثَالِهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ الْجَزَاءُ مُمَازِلًا لِلْعَمَلِ مِنْ جِنْسِهِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُزْبَةً مِنْ كُزْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُزْبَةً مِنْ كُزْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ أَقَالَ نَادِمًا أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ تَتَبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّ اللهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ خَذَلَ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ نُصْرَتُهُ فِيهِ خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْضِعٍ يَجِبُ نُصْرَتُهُ فِيهِ، وَمَنْ سَمَحَ سَمَحَ اللهُ لَهُ، وَالرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ، وَمَنْ أَنْفَقَ أَنْفَقَ اللهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَوْعَى أَوْعَى اللهُ عَلَيْهِ، وَمَنْ عَفَا عَنْ حَقِّهِ عَفَا اللهُ لَهُ عَنْ حَقِّهِ، وَمَنْ تَجَاوَزَ تَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ اسْتَقْصَى اسْتَقْصَى اللهُ عَلَيْهِ؛ فَهَذَا شَرْعُ اللهِ وَقُدْرُهُ وَوَحْيُهُ وَثَوَابُهُ وَعِقَابُهُ كُلُّهُ قَائِمٌ بِهَذَا الْأَصْلِ، وَهُوَ الْحَاقُّ النَّظِيرُ بِالنَّظِيرِ، وَاعْتَبَارُ الْمِثْلِ بِالْمِثْلِ»^(١).

١٨- «فحسن»: أي: مقبول وجيد، ف«الإحسان: ضد الإساءة، وهو محسن ... واستحسنه: عده حسناً»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «فهذا الحديث من أعظم قواعد الإسلام، المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعه، والآداب، والصبر على النوازل كلها، والهموم والأسقام وغير ذلك من الأعراض . ومعنى: «أن الله تعالى ما أخذ» أن العالم كله ملك لله تعالى، فلم يأخذ ما هو لكم، بل أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية؛ ومعنى: «وله ما أعطى» أن ما وهبه لكم ليس خارجاً

(١) أعلام الموقعين، ١/ ٢٦٥.

(٢) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص ١٥٣٥، مادة (حسن).

عن ملكه، بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء، «وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى» فلا تجزعوا، فإن من قبضه قد انقضى أجله المسمى، فمُحال تأخره أو تقدّمه عنه، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم، والله أعلم»^(١).

٢- تمام تسليم النبي ﷺ لأمر الله، والرضا بالقضاء؛ لعدم ذهابه إليها في أول مرة.

٣- جواز المشي إلى التعزية بغير إذن، بخلاف الوليمة؛ لأنه ﷺ أخذ معه رجالاً.

٤- استحباب إبرار المقسم، وأمر صاحب المصيبة بالصبر قبل وقوع الموت ليقع وهو مستشعر بالرضا مقاوماً للحزن بالصبر.

٥- تقديم النبي ﷺ الأخذ على الإعطاء، في قوله: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى»، وإن كان الأخذ متأخراً على الإعطاء؛ لبيان أن الذي أراد أن يأخذ هو الذي أعطى ابتداءً.

٦- استحباب تقديم السلام على الكلام؛ لقول النبي ﷺ: «السلام قبل الكلام»^(٢)، وعيادة المريض ولو كان مفضولاً أو صبيّاً صغيراً.

٧- جواز البكاء من غير نوح لأن النياحة تسخط على القدر لقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِخُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهِذَا» وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، «أَوْ يَزَحِمُ»^(٣).

٨- قال الإمام النووي رحمه الله: «قوله: «فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَزَحِمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ»^(٤) مَعْنَاهُ أَنَّ سَعْدًا ظَنَّ أَنَّ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْبُكَاءِ حَرَامٌ، وَأَنَّ دَمْعَ الْعَيْنِ

(١) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢٠٦.

(٢) الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، برقم ٢٦٩٩، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٨١٦، بلفظ: «السلام قبل السؤال».

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، برقم ١٣٠٤، ومسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، برقم ٩٢٤.

(٤) البخاري، برقم ١٢٨٤، ومسلم، برقم ٩٢٣، وتقدم تخريجه.

حَرَامٌ، وَظَنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَسِيَ فَذَكَرَهُ، فَأَعْلَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مُجَرَّدَ الْبُكَاءِ، وَدَمْعَ بَعَيْنٍ لَيْسَ بِحَرَامٍ، وَلَا مَكْرُوهٍ، بَلْ هُوَ رَحْمَةٌ، وَفَضِيلَةٌ، وَإِنَّمَا الْمُحَرَّمُ النَّوْحُ، وَالنَّدْبُ، وَالْبُكَاءُ الْمَقْرُونُ بِهِمَا، أَوْ بِأَحَدِهِمَا، كَمَا سَيَأْتِي فِي الْأَحَادِيثِ «أَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا أَوْ يَزْحَمُ، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ»^(١)، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «الْعَيْنُ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَلَا تَقُولُ مَا يُسَخِّطُ اللَّهَ»^(٢)، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «مَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ أَوْ لَقْلَقَةٌ»^(٣) (٤).

٩- قال الإمام ابن مفلح: «يُعْرَفُ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا بَكَى عَلَى الْمَيِّتِ وَقَالَ «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ» وَإِنَّ هَذَا لَيْسَ كَبُكَاءٍ مَنْ يَبْكِي لِحَظِّهِ لَا لِرَحْمَةِ الْمَيِّتِ، وَإِنَّ الْفَضِيلَ لَمَّا مَاتَ ابْنُهُ ضَحِكَ وَقَالَ: رَأَيْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَى فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْضَى بِمَا قَضَى اللَّهُ بِهِ حَالُهُ حَالٌ حَسَنٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الْجَزَعِ، فَأَمَّا رَحْمَةُ الْمَيِّتِ وَالرِّضَاءُ بِالْقَضَاءِ وَحَمْدُ اللَّهِ كَحَالِ النَّبِيِّ ﷺ فَهَذَا أَكْمَلُ، وَقَالَ فِي الْفُرْقَانِ: وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ، ثُمَّ ذَكَرَ فِي الرِّضَا قَوْلَيْنِ ثُمَّ قَالَ: وَأَعْلَى مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهُ عَلَى الْمُصِيبَةِ لِمَا يَرَى مِنْ إِنْعَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهَا، وَلَا يَلْزُمُ الْعَاصِيَ الرِّضَا بِلُغْوِهِ، وَلَا الْمُعَاقِبُ الرِّضَا بِعِقَابِهِ قَالَ بَعْضُهُمْ:

(١) البخاري، برقم ١٣٠٤، ومسلم، برقم ٩٢٤، وتقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) لفظ البخاري قريب من هذا اللفظ، وليس بنصه، ولم أجد هذا النص، وأما لفظ البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيِّفٍ الْفَزَنِيِّ وَكَانَ ظَلُمًا لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ، وَشَمَّهُ، ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلْتُ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذَرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَلَا تَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ».

(٣) البخاري، موقوفاً على عمر ﷺ، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، قبل الحديث رقم ١٢٩١، والبيهقي، ٧١ / ٤، وقال في تخريج أحاديث الكشاف، ٢٦٥ / ٤: «وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي سَنَنِهِ، قَالَ النَّوَوِيُّ فِي الْخُلَاصَةِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ».

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢٥ / ٦.

الْمُؤْمِنُ يَصْبِرُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى الْعَافِيَةِ إِلَّا صَدِيقٌ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَتُبْلِيْنَا بِالضَّرَاءِ فَصَبْرُنَا، وَابْتُلِيْنَا بِالسَّرَاءِ فَلَمْ نَصْبِرْ^(١).

١٠- «وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوَازِيِّ رحمته الله: الرَّجُلُ كُلُّ الرَّجُلِ مَنْ يَصْبِرُ عَلَى الْعَافِيَةِ، وَهَذَا الصَّبْرُ مُتَّصِلٌ بِالشُّكْرِ، فَلَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْقِيَامِ بِحَقِّ الشُّكْرِ، وَإِنَّمَا كَانَ الصَّبْرُ عَلَى السَّرَاءِ شَدِيدًا؛ لِأَنَّهُ مَقْرُونٌ بِالْقُدْرَةِ، وَالْجَائِعُ عِنْدَ غَيْبَةِ الطَّعَامِ أَقْدَرُ عَلَى الصَّبْرِ مِنْهُ»^(٢).

١١- حسن أدب الصحابة مع رسول الله ﷺ لقول سعد رضي الله عنه: يا رسول الله، قبل الاستفهام.

١٢- الترهيب من قسوة القلب وجمود العين^(٣).

١٣- فضيلة التعزية وأنها من الأمور التي يترتب عليها فضل عظيم لقوله ﷺ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَعْزِي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ ﷻ مِنْ حُلِّ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤)، وقد روي: «مَنْ عَزَى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ»^(٥).

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح، ٣٠ / ١.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح، ٣٠ / ١.

(٣) انظر: فتح الباري، ٣ / ١٩٣، ١٩٤.

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عزى مصاباً، برقم ١٦٠١، والديلمي، ٢٧ / ٤، برقم ٦٠٨١، قال المناوي في فيض القدير، ٤٩٥ / ٥: قال النووي في الأذكار: «إسناده حسن» وحسنه لغيره العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٥٠٨.

(٥) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في أجر من عزى مصاباً، برقم ١٣٠١، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عزى مصاباً، برقم ١٦٠٢، والبيهقي، ٥٩ / ٤، وضعفه الألباني في المشكاة، برقم ١٧٣٧، وغيره، ولكن قال ابن الترمكاني في تعليقه على سنن البيهقي في الجوهر النقي لابن الترمكاني، ٤ / ٥٩: «قلت: آخر هذا الكلام يناقض أوله، إذ روي عن غيره أيضاً، فلم ينفرد به، وفي الكمال لعبد الغني: قيل لوكيع: غلط علي بن عاصم في حديث ابن مسعود؟ فقال وكيع أنا إسرائيل، عن محمد بن سوقة، عن إبراهيم، عن الأسود، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ: «مَنْ عَزَى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ» وذكر المزي في أطرافه أن الثوري رواه عن ابن سوقة مثله، فهذان اثنان تابعا ابن عاصم، فروياه عن ابن سوقة كذلك» وقال العلامة ابن الملقن رحمته الله في تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، ١ / ١٦٤ بعد أن ذكر كلام من وضعفه كالبيهقي وغيره:

١٤- فِيهِ اسْتِحْبَابُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَعِيَادَةُ الْفَاضِلِ الْمَفْضُولِ، وَعِيَادَةُ الْإِمَامِ، وَالْقَاضِي، وَالْعَالِمِ، وَأَتْبَاعِهِ^(١).

١٥- فضيلة الاحتساب لمن أصيب بمصيبة لقول الرسول ﷺ فيما يروي عن ربه: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»^(٢).

١٦- تجوز التعزية وإن كان الفقيد عاصياً بانتحار أو غيره، وكذلك لمن قتل قصاصاً، أو حدّاً، كالزاني المحصن، وكذا شارب المسكر حتى مات، ولا مانع من الدعاء لهم بالرحمة، ولكن لا يصلي عليهم أعيان المسلمين، مثل: السلطان، والقاضي، ونحو ذلك من باب الزجر عن عملهم السيئ^(٣).

١٧- قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «قال عليه الصلاة والسلام: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» في هذا دليل على جواز البكاء رحمة بالمصاب، إذا رأيت مصاباً في عقله، أو بدنه، فبكيت رحمة به، فهذا دليل على أن الله جعل في قلبك رحمة، وإذا جعل الله في قلب الإنسان رحمة، كان من الرحماء الذين يرحمهم الله ﷻ، نسأل الله أن يرحمنا وإياكم برحمته.

١٨- في هذا الحديث دليل على وجوب الصبر؛ لأن الرسول ﷺ قال: «مرها فلتصبر ولتحتسب»، وفيه دليل على أن هذه الصيغة من العزاء أفضل صيغة،

«قلت: قد قال هو بعد هذا، وروى أيضاً عن غيره، فكيف ينفرد به إذاً، وقد تابعه ثمانية أنفس عليه، وقال الحاكم في مستدركه في كتاب الفرائض علي بن عاصم: صدوق» وقد استشهد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ بهذا الحديث في الفتاوى الكبرى، ٣/ ٧١، ومجموع الفتاوى، ٢٤/ ١٨٠: «التَّعْزِيَةُ مُسْتَحَبَّةٌ، فَفِي التَّزْمِيدِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ عَزَى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ».

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٢٢٥.

(٢) البخاري، برقم ٦٤٢٤، وتقديم تخريجه في شرح حديث المتن رقم ١٦١، الفائدة الثالثة.

(٣) أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٩٤.

أفضل من قول بعض الناس: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك، هذه صيغة اختارها بعض العلماء^(١)، لكن الصيغة التي اختارها الرسول عليه الصلاة والسلام أفضل؛ لأن المصاب إذا سمعها اقتنع أكثر.

١٩- والتعزية في الحقيقة ليست تهنئة، كما ظنها بعض العوام، يحتفل بها، ويوضع لها الكراسي، وتوضع لها الشموع، ويحضر لها القراء، والأطعمة، لا، التعزية تسلية، وتقوية للمصاب أن يصبر؛ ولهذا لو أن أحداً لم يصب بالمصيبة، كما لو مات له ابن عم، ولم يهتم به؛ فإنه لا يعزى؛ ولهذا قال العلماء: تسن تعزية المصاب، ولم يقولوا تسن تعزية القريب؛ لأن القريب ربما لا يصاب بموت قريبه، والبعيد يصاب بقوة صداقة بينهما مثلاً، أما الآن مع الأسف انقلبت الموازين، وصارت التعزية للقريب، حتى وإن فرح، وضرب الطبول لموت قريبه، فإنه يعزى.

٢٠- ربما يكون بعض الناس فقيراً، وبينه وبين ابن عمه مشكلات كثيرة، ومات ابن عمه، وله ملايين الدراهم، هل يفرح إذا مات ابن عمه في هذه الحال، أو يصاب غالباً بفرح، ويقول: الحمد لله الذي فكّني من مشاكله، وورثني ماله، هذا لا يعزى، هذا يهنأ، لو أردنا أن نقول شيئاً، والله الموفق^(٢).

٢١- لا يشترط في التعزية أن يحد لها ثلاثة أيام لا يتجاوزها؛ لأن النبي ﷺ عزى بعد الثلاثة في حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، وهذا مبني على الفائدة منها، أما حديث: «لا عزاء بعد ثلاث» فلا أصل له^(٣).

(١) انظر: الأذكار للإمام النووي، ص ١٢٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٢٩.

(٣) انظر: أحكام الجنائز للألباني، ص ٢٠٩.

٢٢- قال النووي رحمته الله: وأما لفظ التعزية، فبأي لفظ عزاه حصلت^(١)، وإلى هذا المعنى أشار الألباني رحمته الله^(٢)، أما قول بعض الناس: «البقية في حياتك»، فلا يجوز؛ لأن الميت ما ترك شيئاً من حياته لقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٣).

٢٣- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر، ولتحتسب، فينبغي للإنسان في تعزية أخيه أن يقول له هذه الكلمات، فهي أحسن ما يعزى به، إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، اصبر، واحتسب، والله الموفق»^(٤).

(١) الأذكار للنووي، ص ٣٠٤.

(٢) أحكام الجنائز، ص ٢٠٦، وانظر: بدع التعزية، ص ٣٢٠ في الكتاب نفسه.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٢٤.

٥٨ - الدُّعَاءُ عِنْدَ إِدْخَالِ الْمَيِّتِ الْقَبْرِ

١٦٣- «بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٥٤- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ^(٢) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا وَضَعَ الْمَيِّتَ فِي الْقَبْرِ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»^(٣)، هذا لفظ أبي داود.

٥٥٥- ولفظ ابن حبان: عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا وَضَعَ الْمَيِّتَ فِي الْقَبْرِ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»^(٤).

٥٥٦- ولفظ الترمذي، وأحمد: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أُدْخِلَ الْمَيِّتُ الْقَبْرَ - وَقَالَ أَبُو خَالِدٍ مَرَّةً إِذَا وَضَعَ الْمَيِّتَ فِي لَحْدِهِ، قَالَ مَرَّةً: «بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»^(٥).

٥٥٧- ولفظ الحاكم: «إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي قُبُورِهِمْ، فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ،

(١) أبو داود، كتاب الجنائز، باب في الدعاء للميت إذا وضع في قبره، برقم ٣٢١٣، وابن أبي شيبة، ١٩ / ٣، برقم ١١٦٩٦، وأحمد، ١٨٨ / ٩، برقم ٥٢٣٤، وصححه محققو المسند، ١٨٩ / ٩، والألباني في إرواء الغليل، ١٩٧ / ٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٢١٣، وابن أبي شيبة، ١٩ / ٣، برقم ١١٦٩٦، وأحمد، برقم ٥٢٣٤، وصححه محققو المسند، ١٨٩ / ٩، والألباني في إرواء الغليل، ١٩٧ / ٣، وتقدم تخريجه في تخريج المتن.

(٤) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول إذا أدخل الميت القبر، برقم ١٠٤٦، وصحيح ابن حبان، ٣٧٦ / ٧، برقم ٣١٠٩، وصححه محققه، وابن أبي شيبة، ١٠٦ / ٦، ٢٩٨٤١، والحاكم، ٣٦٥ / ١، وصححه، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ٣١٤ / ١٣، برقم ٣٠٩٩.

(٥) الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول إذا أدخل الميت القبر، برقم ١٠٤٦، وزاد فيه: وَقَالَ مَرَّةً: «بِسْمِ اللَّهِ، وَبِاللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» برقم ١٠٤٦، وأحمد، ٨ / ٤٢٩، برقم ٤٨١٢، وصححه محققو المسند، ٨ / ٤٣٠، والألباني في إرواء الغليل، ١٩٧ / ٣.

وعلى ملة رسول الله»^(١).

٥٥٨- وفي لفظ الحاكم عن البياضي^(٢)، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا وضع الميت في قبره فليقل الذين يضعونه حين يوضع في اللحد: باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «بسم الله» أي: أبدأ دفن هذا الميت، مستعيناً بالله، راجياً منه التوفيق والقبول. قال العلامة السعدي رحمه الله: «بِسْمِ اللَّهِ» أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالى؛ لأن لفظ «اسم» مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنى، «الله» هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة، لما اتصف به من صفات الألوهية، وهي صفات الكمال»^(٤).

٢- قوله: «وعلى سنة رسول الله ﷺ» أي: وعلى طريقه ودينه الإسلام، والذي هو عبادة الله بما شرع، ونبذ الشرك والبدع»^(٥).

٣- قوله: «إذا وضع الميت في القبر»: قال الشيخ العباد: «أي: أنه عندما يوضع في لحده؛ فإن من يضعه يقول: «باسم الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ»^(٦).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الذكر عند إدخال المسلم الميت القبر فيقول:

(١) الحاكم، ١ / ٣٦٥، وصححه، والألباني في إرواء الغليل، ٣ / ١٩٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٦٦ من أحاديث الشرح.

(٣) الحاكم، ١ / ٣٦٥، وصححه، والألباني في إرواء الغليل، ٣ / ١٩٧.

(٤) تفسير السعدي، ص ٣٩.

(٥) تفسير الجزائري، آية ٩٥ من سورة آل عمران.

(٦) شرح سنن أبي داود للعباد، ص ٣٧٠.

«بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١).

أو «بِسْمِ اللَّهِ وبِاللَّهِ وعلى ملة رسول الله ﷺ»^(٢).

أو «بِسْمِ اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ»^(٣).

٢- يدخل الميت من عند رجلي القبر، يدخل رأسه سلاً في القبر وهذا هو الأفضل لما ثبت من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه^(٤).

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه، حدثنا عبد الأعلى، عن خالد، عن ابن سيرين، قال: «كُنْتُ مَعَ أَنَسٍ فِي جِنَازَةٍ فَأَمَرَ بِالْمَيِّتِ فُسِّلَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ»^(٥).

٣- وعن جابر رضي الله عنه، عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّهُ أَدْخَلَ مَيِّتًا مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ»^(٦).

٤- وعن رافع، قال: «سَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَعْدًا، وَرَشَّ عَلَى قَبْرِه مَاءً»^(٧).

٥- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ الْمَيِّتُ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ، وَيُسَلَّ سَلًّا»^(٨).

(١) أبو داود، برقم ٣٢١٣، وابن أبي شيبة، ١٩/٣، وأحمد، برقم ١١٦٩٦، وصححه محققو المسند، ١٨٩/٩، والألباني في إرواء الغليل، ١٩٧/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) الترمذي، برقم ١٠٤٦، وأحمد، ٤٢٩/٨، برقم ٤٨١٢، وصححه محققو المسند، ٤٣٠/٨، والحاكم في المستدرک، ٣٦٥/١، والألباني في إرواء الغليل، ١٩٧/٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ١٠٤٦، وصحيح ابن حبان، ٣٧٦/٧، برقم ٣١٠٩، وصححه محققه، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ٣١٤/١٣، برقم ٣٠٩٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) وذلك لما قاله عبد الله بن زيد رضي الله عنه: «هَذَا مِنَ السُّنَّةِ» لما دفن أحد الصحابة، ولفظ الحديث: في سنن أبي داود، برقم ٣٢١١: عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: أَوْضَى الْحَارِثُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ، «فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْخَلَهُ الْقَبْرَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْ الْقَبْرِ، وَقَالَ: هَذَا مِنَ السُّنَّةِ» وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥٠.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة، ١٧/٣، برقم ١١٦٧٧، وهو في مسند أحمد، ١٦٢/٧، برقم ٤٠٨١، وصححه إسناده محققو المسند.

(٦) مصنف بن أبي شيبة، ١٧/٣، برقم ١١٦٧٨، وضعفه الحافظ ابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية، ٢٤٠/١.

(٧) سنن ابن ماجه، برقم ١٥٥١، وضعفه الألباني، في مشكاة المصابيح، برقم ١٧١٩. وتقدم تخريجه.

(٨) قال الحافظ ابن حجر في الدراية في تخريج أحاديث الهداية، ٢٣٩/١: «وروى ابن شاهين من

- ٦- وعن أبي سعيد رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أخذ من قبل القبلة، واستقبل استقبالاً»^(١).
- ٧- وعن عمير بن سعيد: «أن علياً كبر على يزيد بن المكفف أربعاً، وأدخله من قبل القبلة»^(٢)، وأخرج أيضاً عن ابن الحنفية: «أنه ولي ابن عباس، فكبر عليه أربعاً، وأدخله من قبل القبلة»^(٣).
- ٨- وسمعت شيخنا ابن باز رحمته الله يُبين أن السنة في إدخال الميت القبر أنه يسلم من قبل رجلي القبر، وقال: «هذا أحسن ما ورد في ذلك، ورُوي في ذلك نوعان آخران: أحدهما: سلّه من جهة القبلة، والثاني: سلّه من جهة رأس القبر، والأمر في هذا واسع، ولكن أحسن ما ورد ما رواه عبد الله بن زيد؛ لأن قوله من السنة في حكم المرفوع عند أهل العلم»^(٤).

- حديث أنس رفعه: «يُدخل الميت من قبل رجله، ويسلّ سلاً» وإسناده ضعيف.
- (١) سنن ابن ماجه، برقم ١٥٥٢، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه، برقم ٣٤٠.
- (٢) مصنف ابن أبي شيبة، ٣/ ١٨، برقم ١١٦٩٠.
- (٣) مصنف ابن أبي شيبة، ٣/ ١٨، برقم ١١٦٨٩.
- (٤) سمعته أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ٥٩٦، وانظر: سبل السلام للصنعاني، ٣/ ٣٧٢، والمغني لابن قدامة، ٣/ ٤٢٥.
- قال الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الدفن بالليل، برقم ١٠٥٧ عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل قبراً ليلاً، فأسرج له سراجاً فأخذ من قبل القبلة» قال الترمذي: «حديث ابن عباس: «حديث حسن» وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا، وقال: يدخل الميت من قبل القبلة، وقال بعضهم: يسلم سلاً...» وقال عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول، ١١/ ١٤٢: «وهو حديث حسن» ولكن ضعفه جماعة من أهل العلم منهم الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٩٠، وقال المباركفوري: «... يدخل الميت القبر من قبل الرأس بأن يوضع رأس الجنازة على مؤخرة القبر ثم يدخل الميت القبر، وهو قول الشافعي وأحمد، والأكثرين وهو الأقوى والأرجح دليلاً» تحفة الأحوذى، ٤/ ١٦٤.
- وذكر الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٩٠-١٩١ صوراً ثلاثاً هي:
- أ - يدخل الميت من قبل رجلي القبر، وصححها.
- ب - يدخل الميت من قبل القبلة وضعفها.
- ج - يدخل الميت من قبل رأسه وضعفها. انظر: صلاة المؤمن، لمؤلفه، ص ١٣٠٤.

وتقدم حديث عبد الله بن زيد، وفيه أنه صلى على الحارث، ثم أدخله القبر من قبل رجل القبر، وقال: «هذا من السنة»^(١).

٩- الفرق بين اللحد والشق:

أما اللحد فهو أن يحفر في قاع القبر حفرة من جهة القبلة ليوضع فيها وسمي لحدًا؛ لأنه مائل من جانب القبر والشق أن يحفر للميت في وسط المقبرة حفرة واللحد أفضل لقول النبي ﷺ: «اللحد لنا والشق لغيرنا»^(٢) ولكن إذا احتيج إلى الشق لعله أن الأرض رملية أو غيرها فلا بأس^(٣).

١٠- قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «يُقَالُ: لَحَدَ يَلْحَدُ كَذَهَبَ يَذْهَبُ، وَالْحَدَّ يَلْحَدُ، إِذَا حَفَرَ اللَّحْدَ، وَاللَّحْدَ - بِفَتْحِ اللَّامِ وَضَمِّهَا - مَعْرُوفٌ، وَهُوَ الشَّقُّ تَحْتَ الْجَانِبِ الْقِبْلِيِّ مِنَ الْقَبْرِ. وَفِيهِ دَلِيلٌ لِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَالْأَكْثَرِينَ فِي أَنَّ الدَّفْنَ فِي اللَّحْدِ أَفْضَلُ مِنَ الشَّقِّ إِذَا أُمِكنَ اللَّحْدُ، وَأَجْمَعُوا عَلَى جَوَازِ اللَّحْدِ وَالشَّقِّ...»

١١- فِيهِ: اسْتِحْبَابُ اللَّحْدِ وَنَضْبُ اللَّبَنِ، وَأَنَّهُ فُعِلَ ذَلِكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِاتِّفَاقِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ نَقَلُوا أَنَّ عَدَدَ لَبَنَاتِهِ ﷺ تِسْعٌ^(٤).

١٢- وقال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الدَّفْنَ فِي اللَّحْدِ وَالشَّقِّ جَائِزَانِ، لَكِنْ إِنْ كَانَتْ الْأَرْضُ ضَلْبَةً لَا يَنْهَارُ تَرَابُهَا، فَالْحَدُّ أَفْضَلُ، وَإِنْ كَانَتْ رَخْوَةً فَالشَّقُّ أَفْضَلُ^(٥)».



(١) أبو داود، برقم ٣٢١١، وتقدم تخريجه في الفائدة الثانية من فوائد هذا الحديث.

(٢) أخرجه أبو داود، برقم ٣٢٠٨، والترمذي، برقم ١٠٤٥، وابن ماجه، برقم ١٥٥٤، وصححه الألباني في المشكاة، برقم ١٧٠١.

(٣) انظر: أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٣٤٤.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣ / ٣٨٧.

(٥) شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي، ٩ / ١٩.

٥٩ - الدُّعَاءُ بَعْدَ دَفْنِ الْمَيِّتِ

١٦٤- «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٥٩- لفظ أبي داود عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه ^(٢) قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»^(٣).

٥٦٠- ولفظ البيهقي عَنْ هَانِيٍّ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ رضي الله عنه إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكَى حَتَّى يَبْلُغَ لِحْيَتَهُ، قَالَ فَيَقَالُ لَهُ: تُذَكِّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ قَالَ: فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلَ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَمَنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ». قَالَ: وَقَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ، قَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَّغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ قَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِمَيِّتِكُمْ وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ». زَادَ فِيهِ غَيْرُهُ عَنْ هِشَامٍ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا»، وَأَسْنَدَ قَوْلَهُ: مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ»^(٤).

(١) أبو داود، كتاب الجنائز، باب الاستغفار عند القبر للميت، برقم ٣٢٢١، والزهد للإمام أحمد، ص ٢٤٦، برقم ٦٨٨، والحاكم، ١/ ٣٧٠، وصححه وهو بلفظ: «مُرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِجَنَازَةٍ عِنْدَ قَبْرِ وَصَاحِبَةٍ يُدْفَنُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُّوا لِلَّهِ لَهَ التَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ» والمقدسي في الأحاديث المختارة، وحسن إسناده، ١/ ٢٢٢، والسنة لعبد الله بن أحمد، ٢/ ٥٨٩، برقم ١٤٢٥، والبيهقي في السنن الكبرى، ٤/ ٥٦، وحسنه النووي في الأذكار، ص ٢٢١، ومحقق كتاب السنة، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٩٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٢٢١، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥٦، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٤) البيهقي، ٤/ ٥٦، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥٦، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يبل لحيته»: تسيل دموعه، حتى تبلل لحيته، قال ابن منظور رحمته الله: «بَلَّهَ بِالمَاءِ وَغَيْرِهِ: يَبُلُّهُ بَلًّا، وَبِلَّةً، وَبِلَلُّهُ فَابْتَلَّ، وَتَبَلَّلَ... بَلَّهَ يَبُلُّهُ أَي: نَدَّاهُ، وَبِلَلُّهُ، شُدِّدَ لِلْمُبَالَغَةِ، فَابْتَلَّ. وَالبَلَالُ: المَاءُ»^(١).

٢- قوله: «منظراً قط إلا والقبر أفضع منه»: قال الطيبي رحمته الله: «أي: ما رأيت منظراً، وهو ذو هول وفظاعة «إلا والقبر أفضع منه»، يقال: فضع الأمر بالفم فظاعة، فهو فظيع، أي: شديد، شنيع، جاوز المقدار، وعبر بالمنظر عن الموضع مبالغة؛ فإنه إذا نُفي الشيء مع لازمه ينتفي الشيء بالطريق البرهان، و«فضع» كلمة يؤكد بها النفي في الفعل الماضي، كما أن عوض يؤكد بها النفي في المستقبل»^(٢).

٣- قوله: «كان إذا فرغ من دفن الميت»: أي: انتهى من حضور الدفن، ونزول الميت إلى حفرته. قال المناوي رحمته الله: «أي المسلم، قال الطيبي: والتعريف للجنس، وهو قريب من النكرات»^(٣)، وقال الشيخ عطية محمد سالم رحمته الله: «فإذا فرغ الناس من دفن الميت، وأهالوا عليه التراب، ولم يبق إلا أن ينصرفوا؛ وقف»^(٤).

٤- قوله: «وقف عليه» أي: قريباً من القبر، قال المناوي رحمته الله: «وقف عليه: أي: على قبره هو وأصحابه صفوفاً»^(٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فَالْقِيَامُ عَلَى قَبْرِهِ مِنْ جَنْسِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ»^(٦).

٥- قوله: «استغفروا لأخيكم» أي: سلوا الله له المغفرة بتضرع وإخلاص،

(١) لسان العرب، ١١ / ٦٣، مادة (بلل).

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢ / ٥٩٧.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥ / ١٩٢.

(٤) شرح بلوغ المرام، للشيخ عطية محمد سالم، ص ١٢٢.

(٥) فيض القدير، ٥ / ١٩٢.

(٦) مجموع الفتاوى، ١ / ١٦٥.

قال المناوي رحمته الله: «فقال: استغفروا لأخيكم في الإسلام»^(١).

٦- قوله: «فإنه الآن يُسأل»: قال المناوي رحمته الله: «فهو الآن يسأل: أي: يسأله الملكان... فهو أحوج ما كان إلى الاستغفار، وذلك لكمال رحمته بأمته، ونظره إلى الإحسان إلى ميتهم، ومعاملته بما ينفعه في قبره، ويوم معاده»^(٢).

٧- قوله: «وسلوا»: قال العيني رحمته الله: «قوله: «وسلوا»: أصله: اسألوا، حذفت الهمزتان للتخفيف، فوزنه: (فُلُوا)؛ لأن عين الفعل سقطت من الموزون، فسقطت من الوزن»^(٣)، وقال المناوي رحمته الله: «وسلوا له التثبيت: أي: اطلبوا له من الله تعالى أن يثبت لسانه، وجنانه لجواب الملكين، قال الطيبي: ضمَّن سلوا معنى الدعاء... أي ادعوا الله له بدعاء التثبيت، أي: قولوا: ثبته الله بالقول الثابت؛ فإنه الذي رأيت في أصول صحيحة قديمة من أبي داود بدل هذا، ثم سلوا له التثبيت»^(٤)، وقال القاضي ابن العربي رحمته الله: «استغفروا لأخيكم»: معناه سلوا الله المغفرة، وهو أفضل ما يُسأل له»^(٥).

٨- قوله: «وسلوا له التثبيت»: أي: عند سؤال الملكين الأسئلة الثلاثة:

أ - من ربك؟

ب - ما دينك؟

ج - ما هذا الرجل الذي بعث فيكم^(٦)؟

(١) فيض القدير، ١٩٢/٥.

(٢) فيض القدير، ١٩٢/٥.

(٣) شرح سنن أبي داود للعيني، ١٧٦/٦.

(٤) فيض القدير، ١٩٢/٥.

(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، لابن العربي ٥١٩/٣.

(٦) أخرجه الطيالسي، برقم ٧٥٣، وأحمد، برقم ١٨٥٣٤، وأبو داود، برقم ٤٧٥٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٦٧٦، وقد تقدم تخريجه في الفائدة الأولى من فوائد حديث المتن رقم ٥٥.

٩- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا من دفنه، قرع النعال الخفي يسمعه الميت إذا انصرفوا من دفنه، وقد ثبت عن النبي ﷺ في حديث حسن «أنه كان إذا دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل» فيستحب إذا دفن الميت أن يقف الإنسان على قبره، ويقول: اللهم ثبته، اللهم ثبته، اللهم ثبته، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له؛ لأن النبي ﷺ كان إذا سلّم سلّم ثلاثاً، وإذا دعا دعا ثلاثاً، نسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية الوقوف على القبر بعد الدفن والاجتهاد للميت بالدعاء في هذا الموقف العصيب. قال الإمام ابن قدامة رحمته الله: «وسئل أحمد عن الوقوف على القبر بعد ما يدفن يدعى للميت؟ قال: لا بأس به، قد وقف عليّ، والأحنف بن قيس، وروى أبو داود بإسناده عن عثمان قال: «كان النبي ﷺ إذا دفن الرجل وقف عليه وقال: «استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»^(٢)»، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَلِهَذَا كَانَتْ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَوْتَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْقِيَامُ عَلَى قُبُورِهِمْ مِنَ السُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ»^(٤)، وقال العيني رحمته الله: «ويستفاد من الحديث ثلاث فوائد، الأولى: انتفاع الميت بدعاء الحي خلافاً لمن ينكر ذلك، الثانية: لا بد من السؤال في القبر، الثالثة: وقت السؤال عقيب الدفن»^(٥).

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٧١١.

(٢) أبو داود، برقم ٣٢٢١، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، ص ١٥٦، وتقديم تخريجه في حديث المتن.

(٣) المغني، للإمام ابن قدامة المقدسي، ٣٧٩ / ٢.

(٤) مجموع الفتاوى، ١ / ١٦٥.

(٥) شرح أبي داود للعيني، ٦ / ١٧٩.

٢- الدعاء لا يكون دعاءً جماعياً كما يفعله بعض الناس من كونهم يُؤمُّون جميعاً على دعاء واحد منهم بل كل يدعو بما فتح الله عليه، وحده، وقال الشيخ العباد: «والمقصود من ذلك: أن كل واحد يدعو بنفسه، لا أن يكون هناك واحد يدعو، ويؤمن الباقون، فالنبي ﷺ لم يقل: إني سأدعو فأمنوا، وإنما قال: «ادعوا لأخيك»، ومعنى هذا: أن كل واحد يدعو من قبل نفسه»^(١).

٣- إثبات سؤال القبر، وأن الميت يفهم هذه الأسئلة مهما كان جنسه ولغته^(٢)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وفي قوله ﷺ: «إِنَّهُ الْآنَ يَسْأَلُ» يعني حين يتم دفنه يسأل، يأتيه ملكان، فيسألانه عن ثلاثة أشياء: مَنْ ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وهذه الثلاثة هي ثلاثة الأصول التي بنى عليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ رسالته المشهورة: ثلاثة الأصول: مَنْ ربك؟ ما دينك؟ مَنْ نبيك؟ أما المؤمن فيثبته الله ﷻ بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم»^(٣).

٤- قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «فيه دلالة على انتفاع الميت باستغفار الحي له، وعليه ورد قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٥)، ونحوهما.

٥- رباط الأخوة في الله ممتد في الدنيا وبعد الموت وإلى يوم القيامة بتشفيع أهل الإيمان بعضهم في بعض.

٦- لم يأت في السنة تحديد مدة زمنية للوقوف عند القبر بعد الدفن من

(١) شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد، ص ٣٧٠.

(٢) سبق بيان ذلك في فوائد حديث المتن، رقم ٥٥ في الفائدة رقم ١.

(٣) شرح بلوغ المرام لابن عثيمين، ٣/ ٣٠١.

(٤) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(٥) سورة محمد، الآية: ٩.

أجل الدعاء، أما ما قاله عمرو بن العاص لأهله أنهم بعد دفنه يمكنوا يدعون له قدر ما تنحر جزور وتقسم لحمها، فهذا اجتهد منه ﷺ واتباع السنة أولى^(١).

٧- قال العلامة الألباني رحمه الله: ويستحب لمن عند القبر أن يحثو من التراب ثلاث حثوات بيده جميعاً بعد الفراغ من سد اللحد؛ لقول أبي هريرة رضي الله عنه: «إن رسول الله ﷺ صلى على جنازة، ثم أتى الميت فحشى عليه من قبل رأسه ثلاثاً»^(٢)، وهذا من باب المشاركة في الدفن، وأما ما يفعله بعضهم من قولهم عند الحثية الأولى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾، والثانية: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، والثالثة: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(٣) فلا أصل له^(٤).

٨- «فيسن للإنسان إذا فرغ الناس من دفن الميت أن يقف عنده، ويقول: اللهم اغفر له ثلاث مرات، اللهم ثبته ثلاثاً؛ لأن النبي ﷺ كان غالب أحيانه إذا دعا دعا ثلاثاً، ثم ينصرف، ولا يجلس بعد ذلك، لا للذكر، ولا للقراءة، ولا للاستغفار، هكذا جاءت به السنة، أما ما ذكر عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه أمر أهله أن يقيموا عنده إذا دفنوه قدر ما تنحر جزور، قال: «العلي أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي»^(٥)، يعني الملائكة، فهذا اجتهد منه ﷺ، وهدي النبي ﷺ أكمل من هدي غيره، ولم يكن النبي ﷺ يقف، أو يجلس عند القبر بعد الدفن قدر ما تنحر الجزور، ويقسم لحمها، ولم يأمر أصحابه بذلك، غاية ما هنالك أنه أمرهم أن يقفوا على القبر، ويستغفروا لصاحبه، ويسألوا له الشيت فقط، هذا هو السنة، ثم ينصرف الناس»^(٦).

(١) انظر ما قاله ابن عثيمين رحمه الله في شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٤٧.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله، وكذا الهجرة والحج، برقم ١٢١.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٥.

(٤) انظر: أحكام الجنائز، ص ١٩٣.

(٥) إشارة إلى حديث البراء رضي الله عنه وقد تقدم.

(٦) انظر: شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٤٧.

٩- وأما القراءة عند القبر، فالأصح أنها مكروهة، وأنه يكره للإنسان أن يذهب إلى القبر، ثم يقف، أو يجلس عنده ويقرأ؛ لأن هذا من البدع، وقد قال النبي ﷺ: «كل بدعة ضلالة»^(١)، وأقل أحوالها أن تكون مكروهة، والله الموفق»^(٢).

١٠- هل من السنة أن يقوم أحد الناس بإلقاء موعظة، وخطبة بعد الدفن، والجواب كما قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «لم ينقل ذلك عن رسول الله ﷺ، وإنما جلس مع أصحابه يحدثهم عما يكون عند الاحتضار، وبعد الموت»^(٣)، وهو لم يقصد الجلوس للموعظة، وإنما قصد الجلوس حتى يتتوها من إلحاد القبر، وفرق بين ما يحدث اتفاقاً، وما يحصل قصداً»^(٤)، وكذلك لئلا تتخذ المقابر منابر.

وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٥)، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلِكُ الْمَوْتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى

(١) ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء، برقم ٤٢، وصححه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٤٢.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٤٧.

(٣) إشارة إلى حديث البراء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الآتي.

(٤) أحكام الجنائز ص ٤٩.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٨ من أحاديث الشرح.

يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرِجُ مِنْهَا كَاطِيبٍ نَفْحَةً مِسْكٍ وَجَدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُوتُونَ، يَغْنِي بِهَا، عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتَحُونَ لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ فَيُشِيعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا، وَطِيْبِهَا، وَيَفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسْرُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي، قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَتَيْتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَحْطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ،

وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جَيْفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُوتُونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُتَّهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يَفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾^(١)، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِّينَ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتَطْرَحُ رُوحُهُ طَرَحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ، فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٢)، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، لَا أَذْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، لَا أَذْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، لَا أَذْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرُشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسُمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ^(٣).



(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣١.

(٣) مسند أحمد، ٣٠/٤٩٩، برقم ١٨٥٣٤، وعبد الرزاق، ٣/٥٨٠، برقم ٦٧٣٧، وابن أبي شيبة، ٣/٥٤، برقم ١٢٠٥٩، والحاكم في المستدرک، ١/٣٧-٣٨، والبيهقي في إثبات عذاب القبر، ص ٥٠، برقم ٤٤، وفي شعب الإيمان له، ١/٣٥٦، وصححه محققو المسند، ٣٠/٥٠٣، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٣/٢١٩.

٦٠ - دَعَاءُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ

١٦٥- «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ أَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٦١- لفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبَرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرِي خَيْلٍ دُهِمٌ بُوْهُمُ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لِيَذَادَنَّ رَجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أَنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ، فَيَقَالَ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»^(٣).

(١) مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، برقم ٢٤٩، وكتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، برقم ٩٧٤، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر، برقم ١٥٤٧، واللفظ له عن بريدة رضي الله عنه، وما بين المعقوفين من حديث عائشة عند مسلم، والترمذي، كتاب الجنائز، باب ما يقول الرجل إذا دخل المقابر، برقم ١٠٥٣، وابن السني، ص ٥٤١، برقم ٥٨٩، وصحح الألباني حديث ابن ماجه، وابن السني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٥٤٦، وإرواء الغليل، ٣/ ٢٣٦، وحسن النووي رواية الترمذي في الأذكار، ص ٢٢٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٥٦٢- وفي رواية: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْمَقْبَرَةِ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ»^(١).

٥٦٣- وفي لفظ لمسلم عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنِّي، وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: قَالَتْ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَى فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمًا ظَنَّ أَنَّ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ الْبَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّنْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَى إِثْرِهِ، حَتَّى جَاءَ الْبَقِيعَ فَقَامَ، فَأَطَالَ الْقِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَأَنْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَزَوْلَ فَهَزَوْلْتُ، فَأَخْضَرَ فَأَخْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: «مَا لَكَ؟ يَا عَائِشُ، حَشِيَا رَابِيَةً» قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: «لَتُخْبِرْنِي أَوْ لِيُخْبِرَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لِهَدَّةٍ أَوْجَعْتَنِي، ثُمَّ قَالَ: «أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ؟» قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمُ النَّاسُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي، فَأَخْفَاهُ مِنْكَ، فَأَجَبْتُهُ، فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكَ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ وَقَدْ وَضَعْتَ ثِيَابَكَ، وَظَنَنْتِ أَنَّ قَدْ رَقَدْتَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَوْقِظَكَ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ

(١) مسلم، برقم ٢٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأَخِرِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلْآحِقُونَ»^(١).

٥٦٤- ولمسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٢)، أَنَّهَا قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوْعَدُونَ غَدًا، مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا، إِن شَاءَ اللَّهُ، بِكُمْ لَآحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ»^(٣).

٥٦٥- ولفظ ابن ماجه عن بُرَيْدَةَ بن الخصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٤)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ، كَانَ قَائِلُهُمْ يَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ»^(٥).

٥٦٦- وعند الترمذي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٦)، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفْنَا، وَنَحْنُ بِالْآثِرِ»^(٧).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «السلام عليكم»: السلام في الأصل السلامة والعافية أي: عليكم من الله الرحمات والبركات والنجاة من كل كرب وضيق. قال القرطبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب المفهم: «وفيه معنى الدعاء لهم . ويدل أيضاً على حسن التعاهد وكرم العهد، وعلى دوام الحرمة ، ويحتمل أن يرد الله أرواحهم فيستمعون ويردون»^(٨).

(١) صحيح مسلم، برقم ١٠٣- (٩٧٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) صحيح مسلم، برقم ١٠٢- (٩٧٤)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣٢ من أحاديث الشرح.

(٥) ابن ماجه، برقم ١٥٤٧، وابن السني، ص ٥٤١، برقم ٥٨٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٧) الترمذي، برقم ١٠٣٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٨) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣/ ١٢٧.

٢- قوله: «أهل الديار»: أي: سكان القبور، وإنما قال أهل الديار لطول مكثهم فيه، فصار داراً لهم، قال الخطابي: والدار في اللغة تقع على الربع المسكون وعلى الخراب غير المأهول^(١).

٣- قوله: «من المؤمنين والمسلمين»: إنما بدأ بالمؤمنين؛ لأن المؤمن أعلى درجة من المسلم، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، قال ابن علان رحمته الله: «بيان لأهل الديار ولللاحتراز عمن قد يكون في المقبرة من خارج عن الملة من الجاهلية^(٢)»، وقال النووي رحمته الله: «المُسْلِمُ وَالْمُؤْمِنُ قَدْ يَكُونَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَعَظُفُ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظِ، وَهُوَ بِمَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٣)، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْمُسْلِمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِنْ كَانَ مُتَأَفِّقًا لَا يَجُوزُ السَّلَامُ عَلَيْهِ وَالتَّرْحُمُ^(٤).

٤- قوله: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» أي: أنتم لنا فرط^(٥) والفرط السابق. قال القرطبي في المفهم: «وقوله: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»: يحتمل أوجهًا: أحدها: أنه امثال لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِيْ شَيْءٌ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ^(٦)، فكان يكثر من ذلك حتى أدخله فيما لا بد منه، وهو الموت.

وثانيها: أنه يكون أراد: إنا بكم لاحقون في الإيمان، ويكون هذا قبل أن

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٥.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٠/ ٥.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٣٥ - ٣٦.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧/ ٤٤.

(٥) ابن ماجه، ١٥٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) سورة الكهف، الآيتان: ٢٣ - ٢٤.

يعلم بمآل أمره، كما قال: ﴿وَمَا أَذِرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾^(١).
 وثالثها: أن يكون أراد: استثناء في الواجب، كما قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ
 الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾^(٢)، وتكون فائدته التفويض المطلق.
 ورابعها: أن يكون أراد: لاحقون بكم في هذه البقعة الخاصة، فإنه وإن
 كان قد علم أنه يموت بالمدينة ويدفن بها، فإنه قد قال للأنصار: «المحيا
 محياكم، والممات مماتكم»^(٣)، لكن لم تعين له البقعة التي يكون فيها إذ
 ذاك، وهذا الوجه أولى من كل ما ذكر، وكلها أقوال لعلمائنا»^(٤).

٥- قوله: «أتاكم ما توعدون غداً مؤجلون»: قال الطيبي: «أتاكم ما
 مؤجلونه أنتم، والأجل: الوقت المضروب المحدود في المستقبل؛ لأن ما
 هو آت بمنزلة الحاضر»^(٥).

٦- قوله: «وددت أننا رأينا إخواننا»: قال القاضي عياض رحمته الله: «فيه جواز
 التمني، لا سيما في باب الخير، ولقاء الفضلاء، والأخيار الأولياء في الله، وقيل:
 إن المراد تمنيه لقاءهم بعد الموت، وقوله: «إخواننا»: لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا
 الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٦). وقال القرطبي صاحب المفهم رحمته الله: «وقوله: «وددت أننا قد
 رأينا إخواننا»؛ هذا يدل على جواز تمنى لقاء الفضلاء والعلماء، وهذه الأخوة
 هي أخوة الإيمان اليقيني، والحب الصحيح للرسول ﷺ»^(٧).

٧- وقوله: «ألسنا بإخوانك؟» قال: «بل أنتم أصحابي»: قال الباجي: «يُرِيدُ أَنَّ

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٦.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٣) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، برقم ١٧٨٠.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣/ ١٢٨.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٤٣٦.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٤٨.

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٣/ ١٢٨.

لَهُمْ مَزِيَّةٌ عَلَى إِخْوَانِهِ، وَاخْتِصَاصًا لِصُحْبَتِهِ، وَلَمْ يَنْفِ بِذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا إِخْوَانَهُ، وَإِنَّمَا مَنَعَ أَنْ يُسَمَّوْا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ بِذَلِكَ إِنَّمَا هِيَ عَلَى سَبِيلِ الثَّنَاءِ عَلَى الْمُسَمَّى، وَالْمَدْحِ وَالتَّزْفِيعِ مِنْ حَالِهِ، فَيَجِبُ أَنْ يُسَمَّى بِأَرْفَعِ حَالَاتِهِ، وَيُوصَفَ بِأَفْضَلِ صِفَاتِهِ، وَلِلصَّحَابَةِ بِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ دَرَجَةٌ لَا يَلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ^(١).

٨- قوله: «أنتم أصحابي»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «الصَّحَابَةُ لَهُمْ الْأُخُوَّةُ وَمَزِيَّةُ الصُّحْبَةِ، وَلِاتِّبَاعِهِ بَعْدَهُمُ الْأُخُوَّةُ دُونَ الصُّحْبَةِ»^(٢).

٩- قوله: «ويرحم الله»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: الرحمة من «الله تعالى: الرضى عمن رحمه؛ لأن من رُقَّ له القلب، فقد رضى عنه، أو الإنعام، وإرادة الخير؛ لأن الملك إذا عطف على رعيته، ورقَّ لهم، أصابهم بمعروفه وإنعامه»^(٣)، وهذا من ثمرات الرحمة، وآثارها، ولا شك أن رحمة الله صفة من صفاته تليق بجلاله، لا يشبه في ذلك شيئاً من خلقه.

١٠- قوله: «المستقدمين»: أي: السابقين لنا بالقرار في القبور من المسلمين، قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «المستقدمين: أي الذين تقدموا علينا بالموت منا، أي: معشر المؤمنين»^(٤).

١١- قوله: «والمستأخرين»: أي: الذين مازال في عمرهم بقية ومن سيأتي ممن هو في علم الله من المسلمين، قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «والمستأخرين أي المتأخرين في الموت والسين فيهما لمجرد التأكيد أي: الأموات منا والأحياء وقدم الأموات ههنا لاقتضاء المقام واستنساق الكلام»^(٥).

(١) المتتقى شرح الموطأ، ١ / ٧٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣ / ٥٨.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠ / ٣١٧٤.

(٤) مرقاة المفاتيح، شرح مشكاة المصابيح، ٣ / ٤٩.

(٥) مرقاة المفاتيح، ٣ / ٤٩.

١٢- قوله: «نسأل الله لنا ولكم العافية»: أما عافية الأحياء، فهي بمعافتهم من كل سوء، وموتهم على التوحيد، وعافية الأموات بسلامتهم من عذاب القبر، وجعله روضة من رياض الجنة، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «أما بالنسبة لنا فإنها عافية حسية كعافية البدن، وعافية معنوية من الذنوب والمعاصي، أما العافية لأهل القبور فهي: العافية من عذاب القبر»^(١).

١٣- قوله: «البهم»: قال ابن الأثير رحمته الله: «البهم: جمع بهيم، وهو اللون الواحد الذي لا يشاركه فيه لون آخر، أسود كان أو غيره»^(٢).

١٤- قوله: «اليزدان»: قال ابن الأثير رحمته الله: «ذدت فلاناً عن كذا: إذا دفعته عنه، أذوده ذوداً»^(٣)، وقال رحمته الله في كتاب آخر: «فَلْيُذَادَنَّ رَجَالٌ عَنْ حَوْضِي» أَيُّ لِيُطْرَدَنَّ، وَيُرَوَى: فَلَا تُذَادَنَّ: أَيُّ لَا تَفْعَلُوا فِعْلاً يُوجِبُ طَرْدَكُمْ عَنْهُ، وَالْأَوَّلُ أَشْبَهُ»^(٤).

١٥- قوله: «سحقاً»: قال ابن الأثير رحمته الله: «سحقاً: تقول، أي: بعداً له، والسحق: البعد»^(٥)، وقال ابن عبد البر رحمته الله: «فسحقاً: فمعناه: فبعداً، والسحق، والبعد، والإسحاق، والإبعاد سواء، بمعنى واحد، وكذلك النأي، والبعد لفظتان بمعنى واحد، إلا أن سحقاً وبعداً هكذا إنما تجيء بمعنى الدعاء على الإنسان، كما يقال: أبعده الله، وقتله الله، وسحقه الله، ومحقه، وأسحقه أيضاً، ومن هذا قول الله عز وجل: ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٦)، يعني بعيد، وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله، فهو من

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٣٨٧ / ٥.

(٢) جامع الأصول، ٢٠٨ / ٩.

(٣) جامع الأصول، ٢٠٨ / ٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٧٢ / ٢، مادة: (ذود).

(٥) جامع الأصول، ٢٠٨ / ٩.

(٦) سورة الحج، الآية: ٢٢.

المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، والله أعلم»^(١).

١٦- قوله: «أنا فرطكم على الحوض»: الفرط هو السابق، قال ابن الأثير رحمه الله: «وَفَرَطَ إِذَا تَقَدَّمَ وَسَبَقَ الْقَوْمَ لِيَزْتَادَ لَهُمُ الْمَاءُ، وَيَهَيِّئَ لَهُمُ الدَّلَاءَ وَالْأَرَشِيَّةَ»^(٢)، وقال المناوي: «أنا فرطكم: - بالتحريك - أي سابقكم «على الحوض»: أي إليه؛ لأصلحه لكم، وأهيئ لكم ما يليق بالوارد، وأحوطكم، وأخذ لكم طريق النجاة، من قولهم فرس فرط: متقدم للخيال، ذكره الزمخشري، وهذا تحريض على العمل الصالح المقرب له في الدارين، وإشارة إلى قرب وفاته، وتقدمه على وفاة صاحبه»^(٣).

١٧- قوله: «عُرٌّ»: قال ابن الأثير رحمه الله: جَمْعُ الْأَعْرِ، مِنَ الْعُرَّةِ: بِيَاضِ الْوَجْهِ، يُرِيدُ بِيَاضَ وَجُوهِهِمْ بِنُورِ الْوُضُوءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ فِي صَوْمِ «الْأَيَّامِ الْعُرِّ»^(٤)، أَيْ الْبَيْضِ اللَّيَالِي بِالْقَمَرِ، وَهُوَ يَفِيدُ: الْحَسَنَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، شَبَّهَ بَعْرَةَ الْفَرَسِ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَرْفَعُ قِيمَتُهُ فَهُوَ عُرَّةٌ^(٥).

١٨- قوله: «مَحْجَلَةٌ»: الجواد المحجل «هُوَ الَّذِي يَرْتَفِعُ الْبَيَاضُ فِي قَوَائِمِهِ إِلَى مَوْضِعِ الْقَيْدِ، وَيُجَاوِزُ الْأَرْسَاعَ، وَلَا يُجَاوِزُ الرُّكْبَتَيْنِ؛ لَأَنَّهُمَا مَوَاضِعُ الْأَحْجَالِ، وَهِيَ الْخَلَائِلُ وَالْقَيْودُ، وَلَا يَكُونُ التَّحْجِيلُ بِالْيَدِ وَالْيَدَيْنِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا رِجْلٌ أَوْ رِجْلَانِ، أَيْ: بِيَضِ مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ مِنَ: الْأَيْدِي، وَالْوَجْهِ، وَالْأَقْدَامِ، اسْتِعَارَ أَثَرَ الْوُضُوءِ فِي: الْوَجْهِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْبَيَاضِ الَّذِي يَكُونُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ»^(٦).

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٠ / ٢٦٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٤٣٤، مادة (فرط)، وتقدم مستوفى في المفردة الثانية من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٦٠.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣ / ٥٨.

(٤) مسند أحمد، ١٤ / ١٥٤، برقم ٨٤٣٤، وصححه محققو المسند.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٣٥٤، مادة (عُرر).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٣٤٦، مادة: (حجل).

١٩- قوله: «البعير الضال»: وجمعه ضوال، قال ابن الأثير رحمته الله: «الضوال: الضائعة من كل ما يُقتنى من الحيوان وغيره، يُقال: ضل الشيء إذا ضاع، وضل عن الطريق إذا حار، وهي في الأضل فاعلة، ثم اتسع فيها فصارت من الصفات الغالبة، وتقع على الذكر والأنثى، والاثنتين والجمع، وتجمع على ضوال»^(١).

٢٠- قوله: «هلم»: قال ابن الأثير رحمته الله: «وفيه لغتان: فأهل الحجاز يطلقونه على الواحد والجمع، والاثنتين والمؤنث بلفظ واحد، مَبْنِي على الفتح، وينو تميم تُبْنِي، وتجمع، وتؤنث، فتقول: هلم، وهلمّي، وهلمّا، وهلمّوا»^(٢).

٢١- قوله: «بقيع الغرقد»: قال ياقوت الحموي: «بالعين المعجمة: أصل البقيع في اللغة الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى، وبه سُمي بقيع الغرقد، والغرقد كبار العوسج... وهو مقبرة أهل المدينة، وهي داخل المدينة»^(٣). وقال الطيبي رحمته الله: «البقيع من الأرض المكان المتسع، ولا يسمى بقيعاً إلا وفيه شجرها، وأصولها، وبقيع الغرقد: موضع بظاهر المدينة، فيه قبور أهلها، كان به شجر الغرقد، فذهب وبقي اسمه»^(٤).

٢٢- قوله: «أنتم سلفنا»: «قال ابن الأثير: (... من تقدمه بالموت من آبائه، وذوي قرابته؛ ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين: السلف الصالح»^(٥)، وقال الطيبي رحمته الله: «قيل: هو من سلف المال، كأنه أسلفه وجعله ثمناً للأجر والثواب الذي يجازى على الصبر عليه. وقيل: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٩٨، مادة (ضلل).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٧٢، مادة (هلم).

(٣) معجم البلدان، ١/ ٤٧٣، مادة (بقيع الغرقد).

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٤٣٦.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٩٠، مادة (سلف)، وتقدم مستوفى في المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ١٦٠.

بالسلف الصالح»^(١).

٢٣- قوله: «ونحن على الأثر»: قال ابن منظور رحمته الله: «الأثر: بَقِيَّةُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ آثَارٌ وَأَثُورٌ، وَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ، وَفِي أَثَرِهِ، أَي: بَعْدَهُ، وَأَثَرْتُهُ وَتَأَثَّرْتُهِ: تَبَعْتُ أَثَرَهُ؛ عَنِ الْفَارِسِيِّ. وَيُقَالُ: أَثَرَ كَذَا وَكَذَا بِكَذَا وَكَذَا أَي: أَتْبَعَهُ إِيَّاهُ»^(٢).

٢٤- قوله: «إِلَّا رَيْثَمًا»: قال ابن الأثير رحمته الله: «الريث: الإبطاء، والمراد: مقدار ما»^(٣)، وقال الإمام النووي رحمته الله: «أي قدرما»^(٤).

٢٥- قوله: «فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُؤَيْدًا»: قال القاضي عياض رحمته الله: «أي: قليل، لئلا يَنْبَهَهَا»^(٥)، وقال ابن الأثير رحمته الله: «رويدا: إذا مشى على مهل»^(٦)، وقال النووي رحمته الله: «أَي: قَلِيلًا لَطِيفًا لئلا يُتَبَهَّهَا»^(٧).

٢٦- قوله: «ثُمَّ أَجَافَهُ»: قال القاضي عياض رحمته الله: «أي: أغلقه... فعل ذلك ﷺ لئلا تعلم بخروجه عنها، وبقائها في الليل وحدها، فيدركها دَعْرٌ وتوحش، كما فسر ذلك داخل»^(٨)، وقال النووي رحمته الله: «أَي: أَغْلَقَهُ، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ ﷺ فِي خُفْيَةٍ لئلا يُوقِظَهَا، وَيَخْرُجَ عَنْهَا فَرُبَّمَا لِحَقَّهَا وَخَشَةُ فِي أَنْفِرَادِهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ»^(٩).

٢٧- قوله: «وَتَقَنَّنْتُ إِزَارِي»: قال الإمام النووي رحمته الله: «هَكَذَا هُوَ فِي الْأَصُولِ إِزَارِي

(١) شرح المشكاة للطيب: الكاشف عن حقائق السنن، ٤ / ١٤٣٥.

(٢) لسان العرب، ٤ / ٥، مادة (أثر).

(٣) جامع الأصول، ١١ / ١٥٦.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧ / ٤٣.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣ / ٤٤٨.

(٦) جامع الأصول، ١١ / ١٥٦.

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧ / ٤٣.

(٨) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣ / ٤٤٩.

(٩) شرح النووي على صحيح مسلم، ٧ / ٤٣.

بَغَيْرِ بَاءٍ فِي أَوَّلِهِ، وَكَأَنَّهُ بِمَعْنَى لَبَسْتُ إِزَارِي فَلِهَذَا عُدِّي بِنَفْسِهِ»^(١).

٢٨- قوله: «فَلَهْدَنِي»: قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَرُويَ فَلَهَزَنِي بِالزَّايِ وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: لَهْدُهُ، وَلَهْدُهُ - بِتَخْفِيفِ الْهَاءِ وَتَشْدِيدِهَا أَيْ: دَفَعَهُ، وَيُقَالُ: لَهَزَهُ: إِذَا ضَرَبَهُ بِجَمْعٍ كَفَّهُ فِي صَدْرِهِ»^(٢)، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «والظاهر من معنى الحديث أنها اتهمته أنه سار إلى بعض أزواجه، بدليل لهده لها في صدرها، وهو الضرب فيه»^(٣).

٢٩- قوله: «فأحضر فأحضرت» قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «الإحضار: العدو»^(٤)، وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «والهرولة: فوق الإسراع، والإحضار: فوق الهرولة، وكلها مراتب الجري»^(٥).

٣٠- قوله: «مَالِكُ يَا عَائِشُ حَشِيًّا رَابِيَةً»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «مَالِكُ يَا عَائِشَةُ حَشِيًّا رَابِيَةً»:، قال الإمام: قال الهروي: أي: مَالِكُ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكَ»^(٦)، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «يَجُوزُ فِي عَائِشٍ فَتُحُ الشَّيْنِ وَضُمُّهَا، وَهُمَا وَجْهَانِ جَارِيَانِ فِي كُلِّ الْمُرَحَّمَاتِ، وَفِيهِ جَوَازُ تَرْخِيمِ الْإِسْمِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِيْذَاءٌ لِلْمُرَحَّمِ، وَ«حَشِيًّا»: ... مَعْنَاهُ وَقَدْ وَقَعَ عَلَيْكَ الْحَشَاءُ، وَهُوَ الرَّبُّو، وَالتَّهْيِيجُ الَّذِي يَغْرِضُ لِلْمُسْرَعِ فِي مَشْيِهِ، وَالْمُحْتَدِّ فِي كَلَامِهِ مِنْ ارْتِفَاعِ النَّفْسِ، وَتَوَاتُرِهِ، يُقَالُ: امْرَأَةٌ حَشِيَاءٌ، وَحَشِيَّةٌ، وَرَجُلٌ حَشِيَانٌ، وَحَشَشْتُ، قِيلَ:

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٣ / ٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٣ / ٧.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٤٩ / ٣.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٣ / ٧.

(٥) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٠٩ / ٨.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٤٩ / ٣.

أَصْلُهُ مَنْ أَصَابَ الرَّبُّو حَشَاهُ، وَقَوْلُهُ: «رَابِيَّةً»: أَي: مُرْتَفَعَةً الْبُطْنِ»^(١).

٣١- قوله: «فَأَنْتِ السَّوَادُ»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «أَي: الشَّخْصُ»^(٢).

٣٢- قوله: «أَظْنَنْتُ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ؟»: قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «أَي: يجور، ولا يصح مع هذا أن يتأول عليها غير هذا الوجه من تعلم، أو استفاء، على ما أشار إليه بعضهم، إذ لا يقتضيه لفظ الحديث»^(٣).

٣٣- قوله: «بَأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي»: قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «أَي: أفديك بهما، وأجعلهما فداءك، فضلاً عن غيرهما»^(٤).

٣٤- قوله: «وَضَعْتُ ثِيَابَكَ»: أَي: خلعتيها، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «وَضَعَتِ الْمَرْأَةُ حِمَارَهَا، وَهِيَ وَاضِعٌ، بِغَيْرِ هَاءٍ: خَلَعَتْهُ»^(٥).

٣٥- قوله: «خَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الْوَحْشَةُ: ضِدُّ الْأَنْسِ. وَالْوَحْشَةُ: الْحَلَوَةُ وَالْهَمُّ. وَأَوْحَشَ الْمَكَانُ، إِذَا صَارَ وَحْشاً. وَكَذَلِكَ تَوَحَّشَ. وَقَدْ أَوْحَشْتُ الرَّجُلَ فَاسْتَوْحَشَ»^(٦).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية الترحم على الموتى حال زيارة القبور أو المرور عليها وأن تحية الأموات كتحية الأحياء أي: بتقديم السلام عليكم بخلاف ما كانت عليه الجاهلية من قوله: عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحمها^(٧)

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٣ / ٧.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٤ / ٧.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤٤٩ / ٣.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٣٢٧ / ٨.

(٥) لسان العرب، ٤٠٠ / ٨، مادة (وضع).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٦١ / ٥، مادة (وحش).

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤٥ / ٧.

أما قول جابر بن سليم رضي الله عنه للرسول ﷺ لما لقيه: عليك السلام يا رسول الله! مرتين، فقال له: «لا تقل عليك السلام؛ فإن عليك السلام تحية الميت»^(١)؛ فإنما قال ذلك إشارة إلى ما جرت به العادة في الجاهلية^(٢).

٢- مشروعية زيارة القبور للاتعاظ والاعتبار بما سيؤول إليه الزائر؛ ولذهاب قسوة القلب؛ ولذا قال النبي ﷺ: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»^(٣) فإنها تذكركم الآخرة^(٤).

٣- يجب على الزائر أن يلتزم بالآداب الشرعية؛ لأن زيارة القبور على أقسام ثلاثة: أ- زيارة سنية: أي: ما كان فيها الزائر متبعاً لهدي النبي ﷺ، وهو الدعاء للأموات، والترحم عليهم والاتعاظ بحالهم، وإحياء السنة، وتذكّر الآخرة. ب- زيارة بدعية: وهو أن يقصد الزائر قراءة القرآن عند المقبرة أو الصلاة عندها أو نحو ذلك مما هو وسيلة للشرك.

ج- زيارة شركية: وهو أن يقصد الزائر دعاء الميت والذبح له أو طلب غوث أو نصر فكل ذلك شرك أكبر والعياذ بالله^(٥).

٤- في قول النبي ﷺ: «وإننا إن شاء الله بكم لاحقون» قال ابن عثيمين: لاحقون على ماذا؟ فإذا قلنا بالموت ورد علينا إشكال، وهو تعليق ذلك بمشيئة الله مع أنه محقق والجواب عن ذلك:

أ- المراد لاحقون على الإيمان فيكون لحوقاً معنوياً لا حسيّاً.

(١) أبو داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، برقم ٤٠٨٤، والترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء فر كراهية أن يقول: عليك السلام مبتدئاً، برقم ٢٧٢١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٤٠٨٤.

(٢) انظر: أحكام الجنائز للألباني، ص ٢٦١.

(٣) مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، برقم ٩٧٧.

(٤) أحمد، ٣٩٨/٢، برقم ١٢٣٧، وصححه لغيره محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٥٧٧.

(٥) أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ١٣٦.

ب - المراد اللحاق على الموت وأن التعليق هنا تعليل أي: أن لحوقنا إياكم سيكون بمشيئة الله.

ج - أن التعليق ليس على أصل الموت ولكن على وقته أي سنلحق بكم متى شاء الله ذلك^(١).

٥- إذا مر المسلم على قبور غير المسلمين فيسن له أن يقول: أبشركم بالنار، لقوله ﷺ: «حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار»^{(٢)(٣)}.

٦- قال ابن عبد البر رحمه الله: «كل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، والله أعلم، وأشدّهم طرداً من خالف جماعة المسلمين، وفارق سييلهم مثل الخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم يبدلون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور، والظلم، وتطمسيس الحق، وقتل أهله، وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجميع أهل الزين والأهواء والبدع كل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بهذا الخبر^(٤).

٧- قال الباجي: وَلِلصَّحَابَةِ بِصُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ دَرَجَةٌ لَا يُلْحَقُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ، فَيَجِبُ أَنْ يُوصَفُوا بِهَا، وَالَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا أَتَوْا بَعْدُ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَتْ لَهُمْ دَرَجَةٌ الصُّحْبَةِ؛ فَلِذَلِكَ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ إِخْوَانُهُ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْهُمْ بِرَحْمَتِهِ^(٥)، وقال

(١) أحكام الجنائز لابن عثيمين، ص ٣٦٠.

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، برقم ١٥٧٣، قال البوصيري في مصباح الزجاجة، ٤٣ / ٢: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات» وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣١٦٥.

(٣) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٤٨٧.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٠ / ٢٦٢.

(٥) المنتقى شرح الموطأ، ٧٠ / ١.

القاضي عياض رحمته الله: «الأصحاب: فمن صحبك وصحبته، وذهب أبو عمر من هذا الحديث وغيره في فضل من يأتي، ومن في آخر الزمان، إلى أنه قد يكون فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل ممن كان في جملة الصحابة»^(١).



(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢ / ٤٨.

٦١- دَعَاءُ الرِّيحِ

١٦٦- (١) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٦٧- لفظ أبي داود: عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢)، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الرَّيْحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ - قال سلمة: فَرَوْحُ اللَّهِ - تأتي بالرحمة، وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوا، وسلوا الله خيرها، واستعينوا بالله مِنْ شَرِّهَا» (٣).

٥٦٨- ولفظ ابن ماجه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَلَكِنْ سَلُوا اللَّهَ مِنْ خَيْرِهَا، وَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا» (٤).

٥٦٩- ولفظ أحمد عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه (٥)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، برقم ٥٠٩٩، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب النهي عن سب الريح، برقم ٣٧٢٧، والنسائي في السنن الكبرى، ما يقول إذا هاجت الريح وذكر الاختلاف على الزهري في حديث أبي هريرة في ذلك، برقم ١٠٧٦٩، والإمام أحمد في المسند، ٣٥ / ٧٥، برقم ٢١١٣٨، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٢٥١، برقم ٧١٩، والحاكم في المستدرک، ٢ / ٢٧٢، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه محققو المسند، ٣٥ / ٧٥، والعلامة الألباني في: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦ / ٢٥٥، و٥٩٨، وصحيح سنن ابن ماجه، ٢ / ٣٠٥، وصحيح الأدب المفرد، برقم ٧١٩، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٧٣١، ٧٣١٨.

(٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه أبو داود، برقم ٥٠٩٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦ / ٥٩٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) ابن ماجه، برقم ٣٧٢٧، وصححه العلامة الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٢ / ٣٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٥٨ من أحاديث الشرح.

الرَّيْحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَمِنْ خَيْرِ مَا فِيهَا، وَمِنْ خَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَمِنْ شَرِّ مَا فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»^(١).

٥٧٠- ولفظ الحاكم عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَضْرِيفُ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾»^(٢)، وَلَكِنْ قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم إني أسألك من خيرها»: قال البجيرمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَأَلَ اللَّهُ خَيْرَ الْمَجْمُوعَةِ، لِأَنَّهَا لِلرَّحْمَةِ»^(٤)، وقال الصنعاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فإنها جند من أجناد الله، يأتي بالخير والشر، فلا يجوز سبها؛ بل ينتقل إلى سؤال من أرسلها طلباً لخيرها، وإعازة من شرها»^(٥).

٢- قوله: «وأعوذ بك من شرها»: قال البجيرمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَتَعَوَّذَ بِهِ مِنْ شَرِّ الْمُفْرَدَةِ لِأَنَّهَا لِلْعَذَابِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْأُسْلُوبُ فِي كَلَامِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ»^(٦)، وقال الشوكاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وبهذا يعرف أن الريح قد تأتي بالخير، وقد تأتي بالشر»^(٧).

(١) المسند، برقم ٢١١٣٨، وصححه محققو المسند، ٣٥ / ٧٥، والعلامة الألباني في: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٦ / ٢٥٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

(٣) المستدرک، للحاكم، ٢ / ٢٧٢، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٧٣١٨.

(٤) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب)، لسليمان بن محمد بن عمر البخيزمي المصري الشافعي، ٢ / ٢٥٠.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ١١ / ١٠٥.

(٦) حاشية البجيرمي على الخطيب، ٢ / ٢٥٠.

(٧) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٦٢.

٣- قوله: «(من روح الله) أي: من رحمة الله بخلقه وهذا كقول: ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾»^(١)، قال ابن الأثير رحمه الله: «أي: مِنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ»^(٢)، وقال الطيبي رحمه الله: «قوله: «الريح من روح الله»: الروح: النفس، وقد أراح الإنسان إذا تنفس... فإن قيل: كيف يكون الريح من روح الله، أي: من رحمته، مع أنه يجيء بالعذاب؟ فجوابه من وجهين: أحدهما أن الريح إذا جاءت لعذاب قوم ظالمين، كانت رحمة لقوم مؤمنين»^(٣)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «(أي: مِنْ الرُّوحِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ؛ فَإِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَى اللَّهِ إِضَافَةُ مِلْكٍ، لَا إِضَافَةُ وَصْفٍ؛ إِذْ كُلُّ مَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ إِنْ كَانَ عَيْنًا قَائِمَةً بِنَفْسِهَا، فَهُوَ مِلْكٌ لَهُ، وَإِنْ كَانَ صِفَةً قَائِمَةً بِغَيْرِهَا لَيْسَ لَهَا مَحَلٌّ تَقُومُ بِهِ، فَهُوَ صِفَةٌ لِلَّهِ)»^(٤).

٤- قوله: «(تأتي بالرحمة)»: وذلك إذا أتت بمطر في الجذب أو هب في وقت حر وغير ذلك مما يترتب عليه منفعة للخلق.

٥- قوله: «(وتأتي بالعذاب)»: وذلك بهدم البيوت وإثارة الغبار وتكسير الأشجار وتفريق السحاب الذي يُطْمَع فيه المطر وغير ذلك»^(٥).

٦- قوله: «(فلا تسبوها)»: أي: لا تقولوا فيها كلاماً قبيحاً كالشتم واللعن، قال ابن منظور: «السَّبُّ الْقَطْعُ، سَبَّهَ سَبًّا قَطَعَهُ،... وَسَبَّ أَي: غَيَّرَ بِالْبُخْلِ فَسَبَّ عَرَاقِيبَ إِبِلِهِ أَنْفَةً مِمَّا غَيَّرَ بِهِ كَالسَّيْفِ يَسْمَى سَبَّابَ الْعَرَاقِيبِ لِأَنَّهُ يَقْطَعُهَا، وَسَبَّسَبَ إِذَا قَطَعَ رَجِمَهُ، وَالتَّسَابُّ: التَّقَاطُعُ، وَالسَّبُّ: الشَّتْمُ وَهُوَ مُصَدَّرُ سَبَّهَ يَسْبُهُ سَبًّا: شَتَّمَهُ، وَأَصْلُهُ مِنْ ذَلِكَ وَسَبَّهَ أَكْثَرُ سَبَّهَ ... وَالسَّبَّةُ: الْعَارُ، وَيُقَالُ صَارَ

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٧٢، مادة (روح).

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٢٧.

(٤) مجموع الفتاوى، ٩/ ٢٩٠.

(٥) انظر: العلم الهيب، ص ٤١٠.

هذا الأمر سُبَّةٌ عليهم - بالضم - أي عاراً يُسَبُّ به، ويقال بينهم أَسْبُوبَةٌ يَتَسَابَّوْنَ بها أي: شيء يَتَشَاتَمُونَ به، والتَّسَابُّ التَّشَاتُمُ، وتَسَابَّوْا تَشَاتَمُوا^(١).

٧- قوله: «اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَمِنْ خَيْرِ مَا فِيهَا»: قال الراغب الأصفهاني: «السؤال: استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، واستدعاء مال، أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعده، أو برده»^(٢).، وقال في تعريف الخير: «الخير: ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضده: الشر. قيل: والخير ضربان: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال ... وخير وشر مقيدان، وهو أن يكون خيراً لواحد شراً لآخر، كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد، وشراً لعمر»^(٣)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فَأَخْبَرَ أَنَّهَا تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ، وَأَمَرَ أَنْ نَسْأَلَ اللَّهَ مِنْ خَيْرِهَا، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، فَهَذِهِ السُّنَّةُ فِي أَسْبَابِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَنْ يَفْعَلَ الْعَبْدُ عِنْدَ أَسْبَابِ الْخَيْرِ الظَّاهِرَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا يَجْلِبُ اللَّهُ بِهِ الْخَيْرَ، وَعِنْدَ أَسْبَابِ الشَّرِّ الظَّاهِرَةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ مَا يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْهُ الشَّرَّ، فَأَمَّا مَا يَخْفَى مِنَ الْأَسْبَابِ فَلَيْسَ الْعَبْدُ مَأْمُوراً بِأَنْ يَتَكَلَّفَ مَعْرِفَتَهُ، بَلْ إِذَا فَعَلَ مَا أُمِرَ، وَتَرَكَ مَا حُظِرَ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ الشَّرِّ، وَيَسَّرَ لَهُ أَسْبَابَ الْخَيْرِ»^(٤)، وقال الراغب في تعريف الشر: «الشر: الذي يرغب عنه الكل، كما أن الخير هو الذي يرغب فيه الكل... ورجل شر وشرير: متعاط للشر، وقوم أشرار، وقد أشررت: نسبته إلى

(١) لسان العرب، ١ / ٤٥٥، مادة (سب).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ٥١٦، مادة (سول).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ٣٢٧، مادة (خير).

(٤) الفتاوى الكبرى، ١ / ٦٠.

الشر، وقيل: أشررت كذا، وأشررته: إذا نسبته إلى الشر، والشر بالضم خص بالمكروه، وشرار النار: ما تطاير منها، وسميت بذلك لاعتقاد الشر فيه»^(١).

٨- قوله: «نفس الرحمن»: قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «والنفس: الريح الداخل والخارج في البدن من الفم والمنخر، وهو كالغذاء للنفس، وبانقطاعه بطلانها... وقوله عليه الصلاة والسلام: «لاتسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن» أي: مما يفرج بها الكرب. يقال: اللهم نفس عني، أي: فرج عني، وتنفس الريح: إذا هبت طيبة»^(٢)، وقال ابن الأثير رحمته الله: «يُرِيدُ بِهَا أَنَّهَا تُفَرِّجُ الْكَوْبَ، وَتُنْشِئُ السَّحَابَ، وَتُشْرِى الْغَيْثَ، وَتُذْهِبُ الْجَدْبَ، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: النَّفْسُ فِي هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ: اسْمٌ وَضَعَ مَوْضِعَ الْمُضْذِرِ الْحَقِيقِيِّ، مِنْ نَفْسٍ يُنْفَسُ تَنْفِيسًا وَنَفْسًا، كَمَا يَقَالُ: فَرَجٌ يُفَرِّجُ تَفْرِيجًا وَفَرَجًا، كَأَنَّهُ قَالَ: أَجِدُ تَنْفِيسَ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ، وَإِنَّ الرِّيحَ مِنْ تَنْفِيسِ الرَّحْمَنِ بِهَا عَنِ الْمَكْرُوبِينَ»^(٣)، وقال ابن الجوزي رحمته الله: «وكذلك لا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ أَي: أَنَّهَا تُفَرِّجُ الْكَوْبَ»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الريح من الآيات الباهرات الدالة على قدرة خالقها ومسيرها الله عَزَّ وَجَلَّ، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾^(٦).

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ٥٢٩، مادة (شر).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ٢ / ٤٤٦، مادة (نفس).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ٩٤، مادة (نفس).

(٤) غريب الحديث لابن الجوزي، ٢ / ٤٢٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٦) سورة الروم، الآية: ٤٦.

٢- الريح لا تتحرك إلا بأمر الله تعالى فهي جند من جنوده ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١) ولذلك فإن من سبها فقد تناول على خالقه وخالقها وكذلك كل الآيات الكونية كالخسوف والكسوف وغيرهما، قال الإمام الشافعي: «لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسُبَّ الرِّيحَ فَإِنَّهَا خَلَقَ اللَّهُ ﷻ مُطِيعٌ وَجُنْدٌ مِنْ أَجْنَادِهِ يَجْعَلُهَا رَحْمَةً وَنِقْمَةً إِذَا شَاءَ»^(٢).

٣- المسلم حال قوله لهذا الدعاء يتذكر فعل الله بعباد حيث سلط عليهم الريح فأهلكتهم، قال الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾^(٣).

ومعنى صرصر أي: قوية شديدة الهبوب لها صوت أبلغ من صوت الرعد القاصف.

ومعنى عاتية أي: عتت على خزانها وزادت على الحد.

ومعنى حُسُومًا أي: نحسًا وشرًا عليهم حتى دمرتهم^(٤).

١٦٧- (٢) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»^(٥).

(١) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٢) الأم للشافعي، ٥٥٦/٢.

(٣) سورة الحاقة، الآيات: ٦ - ٨.

(٤) تفسير السعدي، ص ٨٨٢.

(٥) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْظَرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، برقم ٤٨٢٩، وانظر كتاب بدء الخلق، باب ما جاء

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٧١- لفظ البخاري عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ^(١) قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَاحِكًا حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ، قَالَتْ: وَكَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرَحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتُهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَّةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عَذِبَ قَوْمٍ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا» ^(٢).

٥٧٢- ولفظ مسلم عَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ» قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ، تَغْيَرُ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَذْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ، سَرَّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: "لَعَلَّهُ، يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ عَادٍ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا﴾» ^(٣) ^(٤).

في قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الفرقان: ٤٨]، برقم ٣٢٠٦، ومسلم، واللفظ له، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح والمطر، برقم ٨٩٩.

(١) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، واللفظ له، ٢/ ٦٦٦، برقم ٨٩٩، والبخاري، ٤/ ٧٦ برقم ٣٢٠٦، ورقم ٤٨٢٩، وتقدم

تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢٤.

(٤) مسلم، واللفظ له، ٢/ ٦٦٦، برقم ٨٩٩، والبخاري، ٤/ ٧٦ برقم ٣٢٠٦، ورقم ٤٨٢٩، وتقدم

تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً شرح: مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم إني أسألك خيرها»: قال البجيرمي رَحِمَهُ اللهُ: «سَأَلَ اللهُ خَيْرَ الْمَجْمُوعَةِ، لِأَنَّهَا لِلرَّحْمَةِ»^(١)، وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «فإنها جند من أجناد الله، يأتي بالخير والشر، فلا يجوز سبها؛ بل ينتقل إلى سؤال من أرسلها طلباً لخيرها، وإعازة من شرها»^(٢).

٢- قوله: «وخير ما فيها»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «ما اشتملت عليه من الحكمة في إرسالها»^(٣)، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «من منافعها كلها»^(٤)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «وخير ما فيها: ما فيها: أي: ما تحمله من أمور قد تكون نافعة وقد تكون ضارة»^(٥).

٣- قوله: «وخير ما أرسلت به»، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «ويحتمل من فيها الأعوان المرسلون معها، قال الطيبي: يحتمل الفتح على الخطاب ويحتمل بناءه للمفعول»^(٦)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «لأنها تارة ترسل بالخير وتارة ترسل بالشر فتسأل الله خير ما أرسلت به»^(٧).

٤- قوله: «وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها»: قال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «فإنها ترسل بالخير والشر»^(٨).

(١) حاشية البجيرمي على الخطيب، ٢/ ٢٥٠.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ١١/ ١٠٥، وتقدم في شرح مفردات حديث المتن رقم ١٦٦، المفردة رقم ١.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٢٤.

(٤) تحفة الأحوذى، ٦/ ٤٣٦.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٧٢٩.

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٢٤.

(٧) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٧٢٩.

(٨) تحفة الأحوذى، ٦/ ٤٣٦.

٥- قوله: «وشر ما أرسلت به»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «فإذا استعاذ الإنسان من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به، وسأل الله خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، كفاه الله شرها»^(١).

٦- قوله: «عصفت»: أي: أقبلت هائجة، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «عصفت الريح: إذا هبت هبوباً شديداً»^(٢).

٧- قوله: «عارض»: «العارض: السحاب الذي يعرض في السماء»^(٣).

٨- قوله: «تخيلت»: أي: جاءت سحابة يظن فيها المطر مقرونة برعد وبرق، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «المخيلة: السحابة التي يظن أن فيها مطراً، وتخيلت السماء: إذا تغيمت»^(٤)، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «أي: تهيأت للمطر بظهور الخال دونها، وهي سحاب يتخيل فيها المطر»^(٥).

٩- قوله: «سري عنه»: أي: كشف عنه الحزن وزال عنه القلق والخوف، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: سري عنه: «سري عنه هذا الأمر: إذا كشف وأزيل عنه»^(٦)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي كشف عنه الخوف، وأزيل: يقال: سروت الثوب، وسريته إذا خلعته، والتشديد فيه للمبالغة»^(٧).

١٠- قوله: «لعله»: أي: لعل هذا الأمر أي: الريح.

١١- قوله: «قوم عاد»: أي: الذين أرسل الله إليهم نبي الله هود عليه السلام كما قال

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٧٢٩.

(٢) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٢ / ٤.

(٣) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٢ / ٤.

(٤) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٢ / ٤.

(٥) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٤٩٠ / ٢.

(٦) جامع الأصول، لابن الأثير، ١٢ / ٤.

(٧) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٣٢٦ / ٤.

الله ﷻ: ﴿كَذَّبْتَ عَادَ الْمُزْسِلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾^(١).

١٢- قوله: «لهواته»: قال ابن الأثير رحمه الله: «اللّهوات: جَمْعُ لَهَاءَ، وَهِيَ اللَّحْمَاتُ فِي سَقْفٍ أَقْصَى الْفَمِ»^(٢).

١٣- قوله: «يُؤْمِنِي»: قال ابن الأثير رحمه الله: «فَهُوَ مِنَ الْأَمَانِ، وَالْأَمْنُ ضِدُّ الْخَوْفِ»^(٣).

١٤- قوله: «تغير لونه»: قال ابن منظور رحمه الله «تَغَيَّرَ الْحَالُ، وَانْتَقَلَهَا مِنَ الصَّلَاحِ إِلَى الْفَسَادِ، وَالْغَيْرُ: الْإِسْمُ مِنْ قَوْلِكَ غَيَّرْتُ الشَّيْءَ فَتَغَيَّرَ»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- شدة خوف النبي ﷺ وخشيته من ربه ﷻ وشفقته على أصحابه أن يصيبهم ما أصاب الأمم الماضية من ألوان العذاب.

٢- الالتجاء إلى الله عند تغير أي مظهر من مظاهر الكون المعتادة؛ لأن الذي يملك كشفها هو الله وحده لا شريك له.

٣- قال الإمام العيني رحمه الله: اعلم أن هاهنا ثلاث خيرات:

الخير الأول: خير نفس الريح: مثل تلذذ بني آدم ببرودتها في الحر وإعطائها الطراوة والبداية للنباتات وزهاؤها بالروائح الكريهة ونحو ذلك.

الخير الثاني: خير ما فيها: مثل نزول المطر النافع؛ لأن المطر لا يجيء إلا ويسبقه الريح.

الخير الثالث: خير ما أرسلت به: مثل السحاب؛ لأنه يجيء بالريح

وله خير وشر، خيره مثل المطر النافع وشره مثل المطر الضار. فافهم^(٥).

(١) سورة الشعراء: ١٢٣، ١٢٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٨٤، مادة (لهاء).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٦٩، مادة (أمن).

(٤) لسان العرب، ٥/ ٤٠، مادة (غير).

(٥) العلم الهيب، ص ٤١١.

٤- كان من جملة هديه ﷺ إذا رأى ناشئاً في أفق السحاب - أي سحاباً لم يتكامل اجتماعه - ترك العمل وإن كان في صلاة - أي: دعاء - ثم يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا» فإذا مُطِرَ قال: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا»^(١) وكانت إذا اشتدت الريح يقول: «اللَّهُمَّ لَقْحًا لَا عَقِيمًا»^(٢) ولقْحًا أي: حاملًا للماء والعقيم الذي لا ماء فيه.

(١) سنن أبي داود، برقم ٥٠٩٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن حبان، ٢٨٨ / ٣، برقم ١٠٠٨، والحاكم، ٢٨٦ / ٤، وصححه، والطبراني في المعجم الكبير، ٣٣ / ٧، برقم ٦٢٩٦، وحسنه محققو صحيح ابن حبان، وصححه العلامة الألباني في التعليقات الحسان، ١٠٠٤ / ٣، برقم ١٠٠٤.

٦٢- دُعَاءُ الرَّعْدِ

١٦٨- «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الأثر:

٥٧٣- لفظ البخاري في الأدب المفرد، ومالك: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه (٢): أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ إِنَّ هَذَا الْوَعِيدَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ شَدِيدٌ»^(٣).

٥٧٤- ولفظ الإمام أحمد: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ، لَهَا عَنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا وَعِيدٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ شَدِيدٌ»^(٤).

٥٧٥- عن الأسود بن يزيد^(٥)، أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ قَالَ: «سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحْتَ لَهُ، أَوْ «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»^(٦).

(١) البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٥٢، برقم ٧٢٣، ومالك في الموطأ، ٩٩٢/٢، برقم ١٨٠١، والإمام أحمد في الزهد، ١/ ٣٥٨، برقم ١١٢٣، وابن أبي شيبة، ٦/ ٢٧، برقم ٢٩٢١٤، وصححه النووي في خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، ٨٨٨/ ٢، والعلامة الألباني في صحيح الأدب المفرد، ١/ ٢٦٢، برقم ٧٢٣، وصحيح الكلم الطيب، ١٥٧.

(٢) سبق ترجمته في الحديث ٢٤٠ من أحاديث الشرح.

(٣) الأدب المفرد، ص ٢٥٢، ومالك في الموطأ، برقم ١٨٠١، وصححه النووي في خلاصة الأحكام، ٨٨٨/ ٢، والعلامة الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٧٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الإمام أحمد في الزهد، برقم ١١٢٣، وتقدم تخريجه في حديث المتن.

(٥) الأسود بن يزيد بن قيس بن عبد الله النخعي، أدرك النبي ﷺ ولم يره، يروي عن: أبي بكر، وعمر، روى عنه: الشعبي، والنخعي، وكان صواماً، وقواماً، حج بين أربعين حجة وعمرة، وكان فقيهاً زاهداً، مات سنة خمس وسبعين، وقيل سنة أربع وسبعين. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٦/ ٧٠، والثقات لابن حبان، ١٩/ ٢.

(٦) تفسير الطبري، ١٦/ ٣٨٩، والدعاء للطبراني، ص ٣٠٤، برقم ٩٨٤، ووثق محقق تفسير الطبري رواة الأثر.

ثانياً: شرح مفردات الأثر:

١- قوله: «سبحان من يسبح الرعد بحمده» أي: أن هذا الصوت القوي هو تسبيح من الرعد لخالقه، وهذا إشارة إلى قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(١)، قال الإمام الطبري رحمه الله: تنزيهه سبحانه من كل سوء^(٢)، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَهُوَ مُتَعَالٍ عَنِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَوْلَادِ، كَمَا أَنَّهُ مُسَبِّحٌ عَنِ ذَلِكَ، وَتَعَالِيهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الشَّرِيكِ هُوَ تَعَالِيهِ عَنِ السَّمِيِّ، وَالنِّدِّ، وَالْمِثْلِ، فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِثْلَهُ»^(٣).

٢- قوله: «يسبح الرعد»: قال ابن العربي رحمه الله: «إِنَّ الرَّعْدَ مَلَكٌ يَزْجُرُ السَّحَابَ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ زَجْرُهُ لَهَا تَسْبِيحًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾»^(٤)، والرعد لا يعلمه الناس إلا بذلك الصوت، وجائز أن يكون ذلك تسبيحه، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾»^(٥)، عن عكرمة أن ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: «كَانَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ قَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي سَبَّحَتْ لَهُ، قَالَ: إِنَّ الرَّعْدَ مَلَكٌ يَنْعِقُ بِالْغَيْثِ، كَمَا يَنْعِقُ الرَّاعِي بِغَنَمِهِ»^(٦).

٣- قوله: «والملائكة من خيفته» أي: من خشيته لعظم قدرته وجبروت قهره وسعة ملكه. قال القرطبي رحمه الله: «(من خيفته): من خيفة الله، قاله الطبري وغيره، قال ابن عباس: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ خَائِفُونَ مِنَ اللَّهِ لَيْسَ

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ٣٠ / ١٥.

(٣) مجموع الفتاوى، ١٢٠ / ١٦. وتقدم الكلام عن التنزيه مستوفى في مفردات حديث المتن رقم ١٥، المفردة ١.

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٣.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

(٦) المسالك في شرح موطأ مالك، ٥٩١ / ٧، وانظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، لابن عبد البر، ٢٧ / ٣٨٠.

(٧) البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٥٢، برقم ٧٢٢، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٤ / ٤٩١، برقم ١٨٧٢.

كخوف ابن آدم، لا يعرف واحدهم من على يمينه، ومن على يساره، لا يشغلهم عن عبادة الله طعام، ولا شراب»^(١).

٤- قوله: «لها»: قال الزمخشري: «هم البله الغافلون، وقيل: الذين لم يتعمدوا الذنب، وإنما فرط منهم سهواً وغفلة، يقال: لها عن الشيء، إذا غفل وشغل»^(٢)، وقال ابن منظور: «والتَّلْهِي بالشيء: التَّغْلُّ بِهِ وَالتَّمَكُّثُ، يُقَالُ: تَلَهَّيْتُ بِكَذَا، أَي: تَعَلَّلْتُ بِهِ، وَأَقَمْتُ عَلَيْهِ، وَلَمْ أَفَارِقْهُ؛ ... وَتَقُولُ: أَلَهُ عَنِ الشَّيْءِ أَي: ائْتَرَكْهُ ... وَالَهُ عَنْهُ، وَمِنْهُ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ، الْأَصْمَعِيُّ: لَهَيْتُ مِنْ فُلَانٍ، وَعَنْهُ، فَأَنَا أَلْهَى، الْكِسَائِيُّ: لَهَيْتُ عَنْهُ لَا غَيْرُ، قَالَ: وَكَلَامُ الْعَرَبِ لَهَوْتُ عَنْهُ، وَلَهَوْتُ مِنْهُ، وَهُوَ أَنْ تَدْعَهُ وَتَرْفُضَهُ، وَفُلَانٌ لَهَوْتُ عَنِ الْخَيْرِ، عَلَى فَعُولٍ، الْأَزْهَرِيُّ: اللَّهَوُ: الضُّدُوفُ، يُقَالُ: لَهَوْتُ عَنِ الشَّيْءِ، أَلْهُوْ لَهُا، قَالَ: وَقَوْلُ الْعَامَّةِ تَلَهَّيْتُ، وَتَقُولُ: أَلْهَانِي فُلَانٌ عَنْ كَذَا أَي: شَغَلْنِي وَأُسَانِي»^(٣).

٥- قوله: «الوعيد»: قال ابن الأثير رحمته الله: «أَوْعَدَ يُوعِدُ إِيعَاداً، وَقَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ «الْوَعْدُ، وَالْوَعِيدُ» فَالْوَعْدُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، يُقَالُ: وَعَدْتُهُ خَيْراً، وَوَعَدْتُهُ شَرّاً، فَإِذَا أَسْقَطُوا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، قَالُوا فِي الْخَيْرِ: الْوَعْدُ، وَالْعِدَّةُ، وَفِي الشَّرِّ: الْإِيعَادُ، وَالْوَعِيدُ»^(٤)، وقال ابن منظور رحمته الله: «وَالْوَعِيدُ، وَالتَّوَعُّدُ: التَّهْدُدُ، وَقَدْ أُوْعِدَهُ، وَتَوَعَّدَهُ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: الْوَعْدُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، قَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ: وَفِي الْخَيْرِ الْوَعْدُ وَالْعِدَّةُ، وَفِي الشَّرِّ الْإِيعَادُ وَالْوَعِيدُ، فَإِذَا قَالُوا: أُوْعِدْتُهُ بِالشَّرِّ، أَثْبَتُوا الْأَلْفَ مَعَ الْبَاءِ؛ ... قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: كَلَامُ الْعَرَبِ: وَعَدْتُ الرَّجُلَ خَيْراً، وَوَعَدْتُهُ شَرّاً، وَأُوْعِدْتُهُ خَيْراً، وَأُوْعِدْتُهُ شَرّاً،

(١) تفسير القرطبي، ٩/ ٢٥١.

(٢) الفائق في غريب الحديث، ٣/ ٣٣٦.

(٣) لسان العرب، ١٥/ ٢٦٠، مادة (لهو).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٠٦، مادة (وعد).

فَإِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الْخَيْرَ، قَالُوا: وَعَدْتُهُ، وَلَمْ يَدْخِلُوا أَلْفًا، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الشَّرَّ قَالُوا: أَوْعَدْتَهُ، وَلَمْ يُسْقِطُوا الْأَلْفَ»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- ملك الله وعلمه لا يستطيع أحد إدراكه وفي الحديث: «عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ، إِذْ قَالَ لَهُمْ: «تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟» قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: «إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ، وَمَا تُلَامُ أَنْ تَبْطُ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شَبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ قَائِمٌ»^(٢).

٢- من سمع صوت الرعد وهو يتكلم فيستحب له أن يقطع كلامه ويترك الحديث ويقول هذا الذكر وهذا هو الذي فعله عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

٣- الرعد والبرق والصواعق والحر والبرد جميعاً مسخرون يعملون بأمر من هو شديد المحال أي: شديد القوة والأخذ والبطش ﷻ.

٤- قال الطيبي رحمته الله: «خص سامعوا الرعد بالحمد؛ لأن الناس عند صوت الرعد خائفون راجون، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾»^(٣)، رجع الحمد على الخوف تفاؤلاً، أو إن جانب الرحمة أوسع»^(٤).

٥- بيان سخافة عقول من يقولون: إن صوت الرعد هو علي بن أبي طالب

(١) لسان العرب، ٣/ ٤٦٣، مادة (وعد).

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٢٠١، برقم (٣١٢٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٢/ ٨٥٢، برقم ٨٥٢، وهناك رواية أوردها الألباني في هذا الموضع، وضعفها، ولفظها كما في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، ٢/ ٢١٧: عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: «تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟» فَقَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ قَالَ: «إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ، وَلَا تُلَامُ أَنْ تَبْطُ وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شَبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ».

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٢.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٣٠.

ﷺ، وهذا شيء يسيرٌ من جملة ترهاتهم، وأباطيلهم^(١).

٦- صح الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا سمع صوت الرعد قال: «سبحان الذي سبحت له»، قال: «إن الرعد ملك ينطق بالغيث كما ينطق الراعي بغنمه»^(٢).

٧- يقول ابن عباس رضي الله عنهما: أَقْبَلْتُ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ، يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ»، فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «زَجْرُهُ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ» قَالُوا: صَدَقْتَ... الحديث^(٣).

(١) انظر كتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي، ص ٢٢٤، وغيره.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ص ٢٥٢، برقم ٧٢٢، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٧٢٢.

(٣) الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة يوسف، برقم ٣١١٧، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، كيف تؤنث المرأة، وكيف يذكر الرجل، برقم ٩٠٧٢، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٤/ ٤٩١، برقم ١٨٧٢.

٦٣ - مِنْ أَدْعِيَةِ الاسْتِسْقَاءِ

١٦٩- (١) «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا، مَرِيئًا، مَرِيئًا، نَافِعًا، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٧٦- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه (٢) قَالَ أَتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ يَوَاكِي، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا، مُغِيثًا، مَرِيئًا، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ». قَالَ فَأُطْبِقْتُ عَلَيْهِمُ السَّمَاءَ (٣).

٥٧٧- عَنْ كَعْبِ بْنِ مُرَّةَ (٤)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَسْقِ اللَّهَ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا، مَرِيئًا، طَبَقًا، عَاجِلًا، غَيْرَ رَائِثٍ، نَافِعًا، غَيْرَ ضَارٍّ» قَالَ: فَمَا جَمَعُوا حَتَّى

(١) أبو داود، كتاب صلاة الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء، برقم ١١٧١، عن جابر رضي الله عنه. وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢١٦/١، برقم ١٠٣٦، وابن ماجه عن كعب بن مرة، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء، برقم ١٢٦٩، وابن ماجه عن ابن عباس، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء في الاستسقاء، برقم ١٢٧٠، وحديث ابن ماجه رقم ١٢٦٩، صححه الأرنؤوط في تحقيق سنن ابن ماجه، ٣٢٠/٢، والعلامة الألباني في إرواء الغليل، ١٤٥/٢، وصحح البوصيري في مصباح الزجاجة، ١٥١/١، والأرنؤوط في سنن ابن ماجه، ٣٢١/٢، الحديث رقم ١٢٧٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ١١٧١، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٠٣٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) كعب بن مرة البهزي السلمي، له صحبة، نزل الشام ونزل البصرة، وروى عنه أهلها، روى عنه شريح بن السمر، وأبو الأشعث الصنعاني، وأبو صالح الخولاني، وله أحاديث، والله أعلم، ومات بها سنة تسع وخمسين، وقد قيل: إن كعب بن مرة البهزي مات بالشام سنة سبع وخمسين. انظر: طبقات ابن سعد، ٤١٤/٧، والاستيعاب، ٤١١/١، والإصابة في تمييز الصحابة، ٦٦٥/٥.

أُحْيُوا، قَالَ: فَأَتَوْهُ، فَشَكُّوا إِلَيْهِ الْمَطَرَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا» قَالَ: فَجَعَلَ السَّحَابُ يَتَقَطَّعُ يَمِينًا وَشِمَالًا^(١).

٥٧٨- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: جَاءَ أَغْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ، مَا يَتَزَوَّدُ لَهُمْ رَاعٌ، وَلَا يَخْطُرُ لَهُمْ فَحْلٌ، فَصَعِدَ الْمُنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا، مُغِيثًا، مَرِيثًا، طَبَقًا، مَرِيْعًا، غَدَقًا، عَاجِلًا، غَيْرَ رَائِثٍ»، ثُمَّ نَزَلَ، فَمَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ مِنْ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ، إِلَّا قَالُوا: قَدْ أُحْيِينَا^(٣).

٥٧٩- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه^(٤) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتَ الْمَوَاشِي، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمُطِرُوا مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ، وَهَلَكْتَ الْمَوَاشِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَالْأَكَامِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، فَانْجَابَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ أَنْجِيَابُ الثَّوْبِ»^(٥).

٥٨٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَتْ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمَطَّرُوا، وَلَكِنَّ السَّنَةَ أَنْ تُمَطَّرُوا وَتُمَطَّرُوا، وَلَا تُثَبِّتِ الْأَرْضُ شَيْئًا»^(٦).

(١) ابن ماجه، برقم ١٢٦٩، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه، ٢/ ٣٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) ابن ماجه، برقم ١٢٧٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٢/ ١٤٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٥) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء إذا انقطعت السبل من كثرة المطر، برقم ١٠١٧.

(٦) صحيح مسلم، كتاب وأشراط الساعة، باب في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة، برقم ٢٩٠٤.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللهم اسقنا»: «اللهم» بِمَعْنَى: يَا إِلَه، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولَهَا، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ^(١)، وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «اللهم اسقنا: بهمزة الوصل من سقى يسقي، وبهمزة القطع من أسقى يسقي، وكلاهما صحيح»^(٢).

٢- قوله: «غيثاً»: المراد بذلك المطر، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الْغَيْثُ وَهُوَ الْمَطَرُ، يُقَالُ: غَيْثَتِ الْأَرْضُ فَهِيَ مَغِيثَةٌ، وَغَاثَ الْغَيْثُ الْأَرْضَ إِذَا أَصَابَهَا، وَغَاثَ اللَّهُ الْبِلَادَ يَغِيثُهَا، وَالسُّؤَالُ مِنْهُ: غَيْثًا، وَمِنْ الْإِغَاثَةِ بِمَعْنَى الْإِعَانَةِ: أَعْثْنَا»^(٣).

٣- قوله: «مغيثاً»: أي: مزيلاً لما نحن فيه من شدة وبلاء، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ومغيثاً: أي: مزيلاً للشدة؛ وذلك لأن المطر قد ينزل، ولا يزيل الشدة... وهذا يقع، فأحياناً تحصل أمطار كثيرة، ولا تنبت الأرض، وأحياناً تأتي أمطار خفيفة، ويكون الربيع كثيراً»^(٤)، كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَيْسَتْ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمَطَّرُوا...» الحديث.

٤- قوله: «هنيئاً»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «هَنَأْنِي الطَّعَامُ يَهْنُؤُنِي، وَيَهْنِئُنِي، وَيَهْنَأُنِي، وَهَنَأْتُ الطَّعَامَ: أَيُّ تَهْنَأْتُ بِهِ، وَكُلُّ أَمْرٍ يَأْتِيكَ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ فَهُوَ هَنِيءٌ»^(٥)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «الهنيء: ما لا مشقة فيه، وما يفرح الناس به، ويستريحون له»^(٦).

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ٢١٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٠٠، مادة (غيث).

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ١٥٤.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٧٧، مادة (هنا).

(٦) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٥/ ١٥٤.

٥- قوله: «مريئاً»: أي: محمود العاقبة لا غرق فيه ولا هدم، قال ابن الأثير رحمته الله: «مريئاً: المريء: الذي يمرئ، يقال: مرأني الطعام وأمرأني، قال الفراء: يقال: هنأني الطعام ومرأني، فإذا أتبعوها هنأني قالوا: مرأني بغير ألف، فإذا أفردوها قالوا: أمرأني»^(١).

٦- قوله: «مريعاً»: منبئاً للزروع والثمار بفضلك، قال ابن الأثير رحمته الله: «مريعاً: قال الخطابي: يروى على وجهين، بالياء والباء، فمن رواه بالياء جعله من المراعة، وهي الخصب، يقال منه: مرع المكان: إذا أخصب، فهو مريع، بوزن: قتيل، ومن رواه بالباء، فمعناه: منبئاً للربيع، يقال: أربع الغيث يربع، فهو مربع، بوزن: مكرم»^(٢).

٧- قوله: «نافعاً غير ضار»: أي: يتحقق به المقصود ولا يترتب عليه مفسدة، وقال ابن الأثير رحمته الله: «النافع» هُوَ الَّذِي يُوصِلُ النَّفْعَ إِلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ حَيْثُ هُوَ خَالِقُ النَّفْعِ وَالضَّرِّ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ»^(٣).

٨- قوله: «عاجلاً غير آجل»: أي: في تَوْنًا، فلا تحبسه عنا بذنوبنا، وبما فعل السفهاء منا، قال ابن الأثير رحمته الله: «أصلُ الْعَجَلَةِ: خَشَبَةٌ مُعْتَزَّضَةٌ عَلَى الْبُئْرِ، وَالْعَزْبُ مُعَلَّقٌ بِهَا»^(٤).

٩- قوله: «يواكي» بياء معجمة من تحت بنقطتين، قال: ومعناه: التحامل على يديه إذا رفعهما، ومدهما في الدعاء، ومنه التوكؤ على العصا، وهو التحامل عليها»^(٥).

(١) جامع الأصول، ٦/ ٢١٠.

(٢) جامع الأصول، ٦/ ٢١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٩٨، مادة (نفع).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١٨٦، مادة (عجل).

(٥) جامع الأصول، ٦/ ٢١٠.

وقيل: «بواكي»: جمع باكية، أو نساء باكيات، لانقطاع المطر عنهم، وهذه الرواية المشهورة^(١).

١٠- قوله: «غير راث»: قال ابن الأثير رحمته الله: «راث: علينا الأمر: إذا أبطأ فهو راث»^(٢)، وقال في موضع آخر: «أي غير بطيء متأخر، راث علينا خبر فُلانٍ يريث إذا أبطأ»^(٣).

١١- قوله: «فأطبقت عليهم السماء»: قال ابن الأثير رحمته الله: «أي مائئاً لِلأَرْضِ مُعْطِيّاً لَهَا، يُقَالُ غَيْثٌ طَبَقَّ: أَيَّ عَامٌّ وَاسِعٌ»^(٤)، وقال الطيبي رحمته الله: «فأطبقت: أي ملأت، والغيث المطبق هو العام الواسع، أقول [القائل الطيبي]: عقب الغيث، وهو المطر الذي يغيث الخلق من القحط بالمغيث على الإسناد المجازي، والمغيث في الحقيقة هو الله تعالى»^(٥)، وقال العيني رحمته الله: «فأطبقت عليهم السماء: أي: أطبقت عليهم المطر، من قولهم: أطبق عليه الحمى، وهي التي تدوم فلا تفارق ليلاً ولا نهاراً، ويحتمل أنه أراد: أصابتهم السماء بالمطر العام، والمستعمل في هذا الباب التطبيق، يقال: طبق الغيم تطبيقاً إذا أصاب ماؤه جميع الأرض، يقال: مطر طبق»^(٦).

١٢- قوله: «يخطر»: قال ابن الأثير رحمته الله: «أَيَّ مَا يُحَرِّكُ ذَنْبَهُ هُزَالاً لَشِدَّةِ الْقَحْطِ وَالْجَذْبِ، يُقَالُ: خَطَرَ الْبَعِيرُ بَذَنْبِهِ، يَخْطُرُ، إِذَا رَفَعَهُ وَحَطَّهُ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَ الشَّبَعِ وَالسَّمَنِ»^(٧).

(١) انظر: عون المعبود، ٢/ ٣٣٤، وانظر: ترجيح ابن القيم في الفائدة رقم ١١ من فوائد هذا الحديث الآتية بعد.

(٢) جامع الأصول، ٦/ ٢١٠.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٢٨٧، مادة (ريث).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ١١٣، طبق.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٢٣.

(٦) شرح أبي داود للعيني، ٥/ ١٦.

(٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٦، مادة (خطر).

- ١٣- قوله: «غدقاً»: قال ابن الأثير رحمه الله: «الغَدَق - بَفَتْحِ الدَّالِ -: المطر الكبار القطر، والمُغْدَق: مُفْعِلٌ مِنْهُ، أَكْذَهُ بِهِ، يُقَالُ: أَغْدَقَ الْمَطَرُ يُغْدِقُ إِغْدَاقاً فَهُوَ مُغْدِقٌ»^(١).
- ١٤- قوله: «وَالْأَكَامَ» قال ابن عبد البر رحمه الله: «فَهِيَ: الْكُدَى وَالْجِبَالُ مِنَ الثَّرَابِ، وَهِيَ جَمْعُ أَكْمَةٍ مِثْلَ رَقَبَةٍ وَرِقَابٍ وَعَتَبَةٍ وَعِتَابٍ، وَقَدْ تَجَمَّعَ عَلَى آكَامٍ مِثْلَ آجَامٍ»^(٢).
- ١٥- قوله: «وَمَنَابِثُ الشَّجَرِ»: قال ابن عبد البر رحمه الله: «مَوَاضِعُ الْمَرْعَى حَيْثُ تَزْعَى الْبَهَائِمُ»^(٣).

- ١٦- قوله: «انْجِيَابُ الثُّوبِ»: قال ابن عبد البر رحمه الله: «انْجِيَابُ الثُّوبِ: انْقِطَاعُ الثُّوبِ يَغْنِي الْخَلْقَ، يَقُولُ: صَارَتِ السَّحَابَةُ قِطْعاً وَانْكَشَفَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ كَمَا يَنْكَشِفُ الثُّوبُ عَنِ الشَّيْءِ يَكُونُ عَلَيْهِ»^(٤).

ثانياً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- مشروعية صلاة الاستسقاء، ومعنى الاستسقاء لغة: طلب سقي الماء من الغير للنفس أو الغير، وشرعاً طلب السقيا من الله، وتُصَلَّى إِذَا أَجْدَبَتِ الْأَرْضُ، وَقَحَطَ الْمَطَرُ، وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أَوْجِهٍ مُتَعَدِّدَةٍ^(٥).
- ٢- الأفضل أن تُصَلَّى جَمَاعَةً، وَصَفَتْهَا فِي مَوْضِعِهَا، أَي: فِي الصَّحَرَاءِ، وَأَحْكَامُهَا كَصَلَاةِ الْعِيدِ مِنْ حَيْثُ عَدَدُ التَّكْبِيرَاتِ، وَالْقِرَاءَةُ فِيهَا؛ لَكِنَّا تَخَالَفَ الْعِيدِ فِي أَنَّهَا سَنَةٌ، وَالْعِيدِ فَرَضُ كِفَايَةٍ^(٦)، وَالصَّوَابُ أَنَّ صَلَاةَ الْعِيدِ فَرَضُ عَيْنٍ.

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٤٥، مادة (خطر).

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٤٩.

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٠.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٠.

(٥) انظر الشرح الممتع لابن عثيمين ٥/ ٢٠١.

(٦) المصدر السابق.

٣- إذا أراد الإمام الخروج لها وعظ الناس وأمرهم بالتوبة من المعاصي والخروج من المظالم وترك التشاحن والصدقة المستحبة لأن منع الصدقة الواجبة وهي: الزكاة سبب لمنع القطر من السماء لقول النبي ﷺ: «... وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ»^(١).

٤- كان خروج النبي ﷺ إلى هذه الصلاة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما متذللاً متواضعاً متخشعاً متضرعاً^(٢)، أما التذلل فهو أشد من التواضع؛ لأن الإنسان يرى نفسه أنه ذليل أمام الله والتواضع يكون بالقول والهيئة والقلب، والخشوع هو سكون الأطراف وأن يكون على وقار وهيبة والتضرع هو شدة الإنابة^(٣).

٥- ثبت أن النبي ﷺ خرج إلى المصلى فاستسقى فاستقبل القبلة وقلب رداءه وصلى ركعتين^(٤) وجاءت كيفية القلب من حديث عباد بن تميم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ استسقى وعليه خميصة سوداء فأراد أن يأخذ بأسفلها فيجعله أعلاها فثقلت عليه فقلبها عليه الأيمن على الأيسر والأيسر على الأيمن^(٥).

٦- أما الحكمة من التحويل فهو للتفاؤل بتحويل الحال عما هي عليه من القحط إلى نزول الغيث ويكون التحويل عند بداية الدعاء.

٧- ويسن للإمام أن يبالغ في رفع يديه حال الدعاء لقول أنس رضي الله عنه: «لم يكن النبي ﷺ يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء حتى يرى بياض إبطيه»^(٦)، والمراد أنه حال الخطبة لا يرفع يديه إلا إذا دعا للاستسقاء

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، برقم ٤٠١٩، وحسنه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٠٦.

(٢) صحيح ابن خزيمة، ٦٨٦/١، برقم ١٤٠٥، وحسنه الألباني في تعليقه على ابن خزيمة، وصحيح سنن ابن ماجه، برقم ١٠٤٦.

(٣) الشرح الممتع، ٥/ ٢١١.

(٤) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب تحويل الرداء في الاستسقاء، برقم ١٠١٢.

(٥) مسند أحمد، ٢٦/ ٣٩٤، برقم ١٦٤٧٣، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في الإرواء، ٣/ ١٤١، برقم ٦٧٦.

(٦) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب رفع الإمام يده في الاستسقاء، برقم ١٠٣١.

وكذلك المستمعون يرفعون لقول أنس رضي الله عنه: «لما رفع يديه حين استسقى في خطبة الجمعة رفع الناس أيديهم»^(١).

٨- قال الطيبي رحمته الله: «وأكد النافع بـ«غير ضار»». وكذا «عاجلاً» بـ«غير أجل» اعتناء بشأن الخلق، واعتماداً على سعة رحمة الله تعالى عليهم، فكما دعا رسول الله ﷺ هذا الدعاء، كانت الإجابة طبقاً له، حيث أطبقت عليهم السماء، فإن في إسناد الإطباق إلى السماء والسحاب - هو المطبق أيضاً - مبالغة، وعرفها، ليتفهي أن ينزل المطر من سماء، أي: من أفق واحد من بين سائر الآفاق، لأن كل أفق من آفاقها سماء، والمعنى أنه غمام مطبق أخذ بآفاق السماء إجابة لدعوة نبيه ﷺ»^(٢).

٩- قال ابن عبد البر رحمته الله: «فِي الْحَدِيثِ أَيْضًا مَا يَدُلُّ عَلَى الدُّعَاءِ فِي الْإِسْتِصْحَاءِ عِنْدَ نَوَالِ الْغَيْثِ، كَمَا يُسْتَسْقَى عِنْدَ احْتِبَاسِهِ»^(٣).

١٠- قال ابن عبد البر رحمته الله: «وَيَنْبَغِي لِمَنْ اسْتَصْحَا أَنْ لَا يَدْعُو فِي رَفْعِ الْغَيْثِ جُمْلَةً، وَلَكِنْ اقْتِدَاءً بِالنَّبِيِّ ﷺ وَمَا أَدَّبَ بِهِ أُمَّتُهُ فِي ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: مَنَابِتُ الشَّجَرِ وَبُطُونُ الْأُودِيَةِ. يَعْنِي حَيْثُ لَا يَخْشَى هَذْمُ بَيْتٍ وَلَا هَلَاكُ حَيَوَانٍ وَلَا نَبَاتٍ»^(٤).

١١- جاء في بداية هذا الحديث أن جابراً رضي الله عنه قال: أتت النبي ﷺ بواكي، وهي جمع باكية أي: نفوس باكية أو نساء باكيات لانقطاع المطر عنهم وهذه هي الرواية المشهورة.

(١) مسلم، برقم ٢٠٧٢.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤/ ١٣٢٣.

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٠.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٠.

قال الخطابي رحمته الله: وهناك رواية «يُواكي» أي: أن النبي ﷺ كان يتحامل على يديه أي: يرفعهما في الدعاء ومنه التوكؤ على العصا، قال النووي رحمته الله: وهذا الذي ادعاه الخطابي ليس بصواب^(١).

١٢- قال النووي: الاستسقاء ثلاثة أنواع:

أحدها: الاستسقاء بالدعاء من غير صلاة. ١

الثاني: الاستسقاء في خطبة الجمعة أو في أثر صلاة مفروضة.

الثالث: وهو أكملها أن يكون بصلاة ركعتين وخطبتين ويتأهب قبله بالطاعات^(٢).

١٣- ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما، عندما سئل عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ، فَقَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَبَدِّلًا مُتَوَاضِعًا، مُتَضَرِّعًا، حَتَّى أَتَى الْمُصَلَّى، وَلَمْ يَخْطُبْ خُطْبَكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ فِي الدُّعَاءِ، وَالتَّضَرُّعِ، وَالتَّكْبِيرِ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، كَمَا يُصَلِّي فِي الْعِيدِ»^(٣).

١٧٠- (٢) «اللَّهُمَّ اغْنِنَّا، اللَّهُمَّ اغْنِنَّا، اللَّهُمَّ اغْنِنَّا»^(٤).

(١) انظر: عون المعبود، ٢/ ٣٣٤.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٢٨.

(٣) رواه أبو داود، برقم ١١٦٥، والترمذي، برقم ٥٥٨، والنسائي، برقم ١٥٠٥، و١٥٠٧، وابن ماجه، برقم ١٢٨١، وغيرهم، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان، ٤/ ٤٢٥، برقم ٢٨٥١، وفي صحيح سنن أبي داود، برقم ١٠٥٧.

(٤) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، برقم ١٠١٤، وكتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، برقم ٩٣٣، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم ٨- (٨٩٧)، و٩- (٨٩٧)، و١٠- (٨٩٧).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٨١- لفظ البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه ^(١) أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: «اللهم اغثنا، اللهم اغثنا، اللهم اغثنا» قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحب، ولا قرعة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من وراءه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس سناً، ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهم حوالينا، ولا علينا، اللهم على الآكام، والطراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر» قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس، قال شريك: سألت أنس بن مالك: أهو الرجل الأول؟ فقال: ما أدري ^(٢).

٥٨٢- وفي رواية للبخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ فبينما النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه وما نرى في السماء قرعة، فوالذي نفسي بيده، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ، فمطرنا يوماً ذلك، ومن الغد، وبعد الغد، والذي

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٢) البخاري، برقم ١٠١٤، ومسلم، برقم ٨ - (٨٩٧)، وتقدم ترجمته في تخريج حديث المتن.

يَلِيهِ حَتَّى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ، أَوْ قَالَ غَيْرُهُ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهْدَمُ الْبَنَاءُ، وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا» فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةِ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا أَنْفَرَجَتْ، وَصَارَتْ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةَ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجَوْدِ^(١).

٥٨٣- وفي رواية لمسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِذْ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِمَعْنَاهُ، وَفِيهِ: قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا» قَالَ: فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةِ إِلَّا تَفَرَّجَتْ، حَتَّى رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ فِي مِثْلِ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ وَادِي قَنَاةَ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةِ إِلَّا أَخْبَرَ بِجَوْدِ^(٢).

٥٨٤- وفي رواية لمسلم أيضاً: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَصَاحُوا، وَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَحَطَ الْمَطَرُ، وَاحْمَرَّ الشَّجَرُ، وَهَلَكَتِ الْبَهَائِمُ، وَسَاقَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ الْأَعْلَى: فَتَقَشَّعَتْ عَنِ الْمَدِينَةِ، فَجَعَلَتْ تُمَطِّرُ حَوَالَيْهَا، وَمَا تُمَطِّرُ بِالْمَدِينَةِ قَطْرَةً، فَتَنْظَرُتُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَإِنَّهَا لَفِي مِثْلِ الْإِكْلِيلِ^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «هلكت الأموال»: المراد بالأموال الماشية والمراد بهلاكهم عدم ما يعيشون عليه من الأقوات المفقودة بحبس المطر، ويدخل في ذلك الناس كما جاءت في روايات أخرى، وقال القرطبي: «قوله: «هلكت الأموال»؛ أي: المواشي،

(١) البخاري، برقم ٩٣٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، ٩- (٨٩٧)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ١٠- (٨٩٧)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

وأصل المال: كل ما يُتَمَوَّل، وعَزَفُهُ عند العرب: الإبل؛ لأنها معظم أموالهم»^(١).

٢- قوله: «وانقطعت السبل»: والمراد بذلك أن الإبل ضعفت لقلّة القوت، وقيل: نفاذ ما عندهم من الطعام أو قتلته، وقال القرطبي: «وقوله: و«انقطعت السبل»؛ أي: الطرق؛ لهلاك الإبل، ولعدم ما يؤكل في الطرق»^(٢).

٣- قوله: «اللهم أغثنا» - بالهمزة رباعياً، هكذا روينا - ومعناه: هب لنا غيثاً، والهمزة فيه للتعدية، وقال بعضهم: صوابه: غِثْنَا؛ لأنه من غاث. قال: وأما أغثنا: فإنه من الإغاثه، وليس من طلب الغيث، والأول الصواب، والله أعلم»^(٣).

٤- قوله: «أن يغثنا»: غاث الله عباده غيثاً، وغيثاً أي: سقاهم المطر وأغاثهم أي: أجاب دعاءهم. قال ابن الأثير رحمه الله: «يُقَالُ: غِيثَتِ الْأَرْضُ، فَهِيَ مَغِيثَةٌ، وَغَاثَ الْغَيْثُ الْأَرْضَ إِذَا أَصَابَهَا، وَغَاثَ اللَّهُ الْبِلَادَ يَغِيثُهَا، وَالسُّؤَالُ مِنْهُ: غِثْنَا، وَمِنْ الْإِغَاثَةِ بِمَعْنَى الْإِعَاثَةِ: أَغِثْنَا»^(٤).

٥- قوله: «رفع رسول الله ﷺ يديه» أي: للدعاء ورفع الناس أيديهم ونظروا إلى السماء. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: «رَفَعَ يَدَيْهِ»؛ زَادَ النَّسَائِيُّ فِي رِوَايَةِ سَعِيدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ: «وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَ»، وَزَادَ فِي رِوَايَةِ شَرِيكَ: «حِذَاءَ وَجْهِهِ»، وَابْنُ خُزَيْمَةَ مِنْ رِوَايَةِ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ: «حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ»، وَتَقَدَّمَ فِي الْجُمُعَةِ بِلَفْظٍ: «فَمَدَّ يَدَيْهِ وَدَعَا»، زَادَ فِي رِوَايَةِ قَتَادَةَ فِي الْأَدَبِ: «فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ»^(٥).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢٠ / ٨.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢٠ / ٨.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢٢ / ٨.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٤٠٠، مادة (غيث).

(٥) فتح الباري، ٥٠٣ / ٢.

٦- قوله: «قحط المطر»؛ قال القرطبي رحمته الله: «أي: امتنع وانقطع، وفي البارع^(١): قَحَطَ المطر: بفتح القاف والحاء، وقحط الناس: بفتح الحاء وكسرهما، وفي الأفعال بالوجهين في المطر، وحُكي: قُحِطَ الناس - بضم القاف وكسر الحاء -، يُقحطون، قحطاً وقحوطاً»^(٢).

٧- قوله: «لا والله!»: هذا قسم مثل وايم الله، قال القسطلاني رحمته الله: «فلا والله، أي: فلا نرى والله»^(٣)، وقال السيوطي رحمته الله: «وكقوله: «إي والله»، و«إني والله، إن شاء الله»، وأما تأكيد اليمين في يمينه في موضع، وقوله في آخر: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ» فَإِنَّمَا هُوَ لِيَتَعَلَّمَ الْخَلْقَ التَّصَرُّفَ فِي ذَلِكَ بِذِكْرِ اللَّهِ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ الْغَلَا، وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى»^(٤).

٨- قوله: «من سحب ولا قرعة»: السحاب أي: المجتمع والقرعة، أي: المتفرق، قال القاضي عياض رحمته الله: «ما في السماء من سحابة، ولا قَرَعَة»، قال الإمام: معناه: قطعة سحب، وجمعه قَرَعٌ، قال أبو عبيد: وأكثر ما يكون في الخريف»^(٥).

٩- قوله: «سلع»: جبل معروف بالمدينة.

١٠- قوله: «من بيت ولا دار» أي: يحجبنا عن رؤية السحاب. قال القاضي عياض رحمته الله: «ما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار»: ويحتمل - والله أعلم - لتحمل الناس عن تلك الجهة، لشدة الجذب، وحزونة الموضع،

(١) كتاب مشهور عند أهل اللغة، وقد ذكره صاحب معجم المصباح المنير، ٧١٢ / ٢ أثناء ذكره للكتب التي رجع إليها في تأليفه، فقال: «كتاب البارع لأبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي المعروف بالقالبي» وقال الزبيدي في تاج العروس، ٣٦ / ١: «أصح ما ألف في اللغة على حروف المعجم: كتاب البارع لأبي علي البغدادي».

(٢) المفهم، ١٦٢ / ٢.

(٣) شرح القسطلاني (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)، ٢٤١ / ٢.

(٤) المسالك في شرح موطأ مالك، للسيوطي، ٣٠٨ / ٦.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، ٣٢٠ / ٣.

وطلب الكلاء، والخصب، وسلع: جبل مشهور بقرب المدينة، بفتح السين وسكون اللام قال في البخارى: هو الجبل الذى بالسوق»^(١).

١١- قوله: «رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ» أي: ينزل وَيَقْطُرُ، وَهُوَ يَتَفَاعَلُ، من الحُدُور»^(٢). وقال القسطلاني رَحِمَهُ اللهُ: «الأليق به هنا أن يكون بمعنى مواصلة العمل في مهلة، نحو: تفكر، وكأن المؤلف أراد أن يبين أن تحادر المطر على لحيته عليه الصلاة والسلام، لم يكن اتفاقاً إذ كان يمكنه التوقي منه بثوب ونحوه، كما قاله في المصابيح، أو بنزوله عن المنبر أول ما وكف السقف، لكنه تمادى في خطبته حتى كثر نزوله بحيث تحادر على لحيته، كما قاله في الفتح، فترك فعل ذلك قصداً للتمطر، وتعقبه العيني: بأن، يأتي لمعان: للتكلف، كشجع لأن معناه كلف نفسه الشجاعة، وللاتخاذ: نحو: توسدت التراب، أي: اتخذته وسادة. وللتجنب: نحو، تأثم، أي: جانب الإثم، وللعمل: يعني: فیدل على أن أصل الفعل حصل مرة بعد مرة نحو: تجرعت، أي: شربته جرعة بعد جرعة، قال ولا دليل في قوله: حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، على التمرط الذي هو من التفعّل الدال على التكلف، ودعوى أنه قصد التمرط لا برهان عليها، وليس في الحديث ما يدل لها»^(٣).

١٢- قوله: «مثل الترس» أي: سحابة مستديرة، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «فطلعت سحابة مثل الترس: قال ثابت: لم يرد - والله أعلم - في قدره، لكن في مرحاها واستدارتها، وهو أحمد السحاب عند العرب»^(٤).

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٥٣، مادة (حدر).

(٣) شرح القسطلاني (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)، ٢/ ٢٥٣.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠.

١٣- قوله: «فما جعل يشير بيده إلى ناحية من السماء إلا تفرجت» قال الإمام النحوي ابن مالك رَحِمَهُ اللهُ فِي تعليقه على شواهد الصحيح: «تضمن هذا الكلام وقوع خبر «جعل» الإنشائية جملة فعلية مصدرية بكلاما، وحقه أن يكون فعلاً مضارعاً كغيرها من أفعال باب المقاربة، فيقال: جعلت أفعل كذ، ولا يقال: جعلت كلما شئت فعلت، ولا نحو ذلك»^(١).

١٤- قوله: «فلما توسطت السماء»: لكي تمطر وتعم الأرض كلها.

١٥- وقوله: «ثم أمطرت»: من فرق بين مطرت في الرحمة، وأمطرت في العذاب، ومن سَوَّى في ذلك، وهو المعروف في كلام العرب، وقد قال الله تعالى: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾^(٢)، وإنما زعموا مطر الرحمة»^(٣).

١٦- قوله: «سبتاً» أي: أسبوعاً^(٤)، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «السبت: القطعة من الدهر، قال ثابت: والثاني يحملونه على أنه أراد من سبت إلى سبت، وإنما هو القطعة من الزمان، يقال: سبت من الدهر، وَسَبْتَةٌ وَسَبْتَةٌ، وقد رواه الداودي: «ستاً»، وفسره: أي ستة أيام من الدهر، أي من الجمعة إلى الجمعة، وهو تصحيف»^(٥)، وقال أيضاً: «وأصل السبت القطع، ومنه سُمِّيَ يوم السبت، قالوا: لأن الله تعالى أمر فيه بني إسرائيل بقطع الأعمال، وقيل: لأن فيه قطع الله بعض خلف الأرض»^(٦).

١٧- قوله: «فما أشار بيده إلى ناحية إلا انفرجت»: أي: انقطعت

(١) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، للإمام ابن مالك النحوي، ص ١٣٥.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠.

(٤) انظر: فتح الباري، ٢/ ٦٢٠ - ٦٢٤.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠.

السحاب، وبأن بعضها من بعض، والفرجة - بالضم - الخلل بين الشيئين، وهو معنى قوله في الحديث الآخر: «فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس»: وفيه وشبهه من الأحاديث جواز الاستصحاء إذا احتيج إليه، وأضرَّ المطر بالناس، ولكن ليس فيه بروز ولا صلاة، وفيه إجابة دعوة النبي ﷺ في المواطنين، وكرامته على ربّه»^(١).

١٨- قوله: «الأكام»: قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ أَهْلُ اللَّغَةِ: (الْإِكَامُ بِكَسْرِ الِهِمَزَةِ جَمْعُ أَكْمَةٍ، وَيُقَالُ فِي جَمْعِهَا: أَكَامٌ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ، وَيُقَالُ: أَكَمَ بِفَتْحِ الِهِمَزَةِ وَالْكَافِ، وَأَكُمَ بِضَمِّهِمَا، وَهِيَ دُونَ الْجَبَلِ وَأَعْلَى مِنَ الرَّايَةِ، وَقِيلَ: دُونَ الرَّايَةِ»^(٢).

١٩- قوله: «والظَّرابُ»: «الروابي الصغار، واحدها ظَرِبٌ، ومنه الحديث: «فإذا حوت مثل الظَّرابِ»^(٣)، وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا الظَّرَابُ فَبِكَسْرِ الظَّاءِ الْمُعْجَمَةِ وَاحِدَهَا ظَرْبٌ بِفَتْحِ الظَّاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ، وَهِيَ الرُّوَابِي الصِّغَارُ»^(٤).

٢٠- وقوله: «الإكليل»: «قال أبو عبيد: هو ما أحاط بالظفر من اللحم، والإكليل أيضاً: العصاة»^(٥).

٢١- وقوله: «الجوبة»: «هي الفجوة بين البيوت، والفجوة أيضاً: المكان المتسع من الأرض، والمعنى: أن السحاب تقطع حول المدينة مستديراً، وانكشف عنها حتى باينت ما جاورها مبينة الجوبة لما حولها، وقال

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢١.

(٢) شرح النووي على مسلم، ٦/ ١٩٢.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢١.

(٤) شرح النووي على مسلم، ٦/ ١٩٢.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٢٢.

الداودي : هي كالحوض المستدير، ومنه قوله: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾^(١)،
وواحدة الجوابي: جابية»^(٢).

٢٢- وقوله: «قناة»: اسم وادٍ من أودية المدينة، وكأنه سَمِّي مكانه قناة، وقد
جاء في غير الكتاب: وسال الوادي قناة شهراً على البدل»^(٣).

٢٣- قوله: «الْجَوْدُ»: «الْمَطَرُ الْوَاسِعُ الْغَزِيرُ، جَادَهُمُ الْمَطَرُ يَجُودُهُمْ جَوْدًا،
وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «تَرَكْتُ أَهْلَ مَكَّةَ وَقَدْ جِيدُوا»، أَي: مُطِرُوا مَطَرًا جَوْدًا»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- «قال المهلب: رفع اليدين في الاستسقاء وغيره مستحب؛ لأنه خضوع
وتذلل، وتضرع إلى الله تعالى، وروي عن النبي ﷺ، أنه قال: «إن الله حيي،
يستحيي إذا رفع العبد إليه يديه أن يردهما صفراً»^(٥)، وذكر ابن حبيب قال:
كان مالك يرى رفع اليدين في الاستسقاء للناس والإمام، وبطونهما إلى
الأرض، وذلك العمل عند الاستكانة والخوف والتضرع، وهو الرَّهْبُ، وأما
الرغبة والمسألة فتبسط الأيدي، وهو الرَّغْبُ، وهو معنى قول الله، تعالى:
﴿وَيَدْعُونََنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾^(٦)، خوفاً وطمعاً، وروي عن مالك في المجموعة
أنه استحسّن رفع الأيدي في الاستسقاء، والحجة له قول أنس: أن النبي ﷺ

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨ / ٢٢.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨ / ٢٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ٣١٢، مادة (جيد).

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٤٩٠، وعبد الرزاق، ٢ / ٢٥١، برقم ٣٢٥٠،

واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٣٢٠.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

لم يكن يرفع يديه في شيء من دعائه إلا في الاستسقاء»^(١).

٢- قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا، اللَّهُمَّ اغْنِنَا» هَكَذَا هُوَ مُكْرَّرُ ثَلَاثًا فَبِهِ اسْتِحْبَابُ تَكَرُّرِ الدُّعَاءِ ثَلَاثًا»^(٢).

٣- فِي هَذَا الْفَصْلِ فَوَائِدُ مِنْهَا الْمُعْجَزَةُ الظَّاهِرَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي إِجَابَةِ دُعَائِهِ مُتَّصِلًا بِهِ حَتَّى خَرَجُوا فِي الشَّمْسِ، وَفِيهِ أَدْبُهُ ﷺ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْأَلْ رَفْعَ الْمَطَرِ مِنْ أَضْلِهِ، بَلْ سَأَلَ رَفْعَ ضَرَرِهِ، وَكَشَفَهُ عَنِ الْبُيُوتِ وَالْمَرَافِقِ، وَالطُّرُقِ بِحَيْثُ لَا يَتَضَرَّرُ بِهِ سَاكِنٌ، وَلَا ابْنُ سَبِيلٍ، وَسَأَلَ بَقَاءَهُ فِي مَوَاضِعِ الْحَاجَةِ بِحَيْثُ يَبْقَى نَفْعُهُ، وَخَضْبُهُ، وَهِيَ بُطُونُ الْأُودِيَةِ، وَغَيْرَهَا مِنَ الْمَذْكُورِ ... وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ اسْتِحْبَابُ طَلَبِ انْقِطَاعِ الْمَطَرِ عَلَى الْمَنَازِلِ وَالْمَرَافِقِ إِذَا كَثُرَ وَتَضَرَّرُوا بِهِ، وَلَكِنْ لَا تُشْرَعُ لَهُ صَلَاةٌ وَلَا اجْتِمَاعٌ فِي الصَّخْرَاءِ»^(٣).

٤- قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِيهِ الْأَدَبُ فِي الدُّعَاءِ، حَيْثُ لَمْ يَدْعُ بِرَفْعِ الْمَطَرِ مُطْلَقًا لِاحْتِمَالِ الْاِحْتِيَاجِ إِلَى اسْتِمْرَارِهِ، فَاحْتَرَزَ فِيهِ بِمَا يَقْتَضِي رَفْعَ الضَّرَرِ، وَبَقَاءَ النَّفْعِ، وَاسْتَنْبَطَ مِنْهُ أَنَّ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ لَا يَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَسْخَطَهَا لِعَارِضٍ يَعْرِضُ فِيهَا، بَلْ يَسْأَلُ اللَّهُ رَفْعَ ذَلِكَ الْعَارِضِ وَإِبْقَاءَ النِّعْمَةِ»^(٤).

٥- وَقَالَ أَيْضًا: «وَفِيهِ أَنَّ الدُّعَاءَ بِرَفْعِ الضَّرَرِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ، وَإِنْ كَانَ مَقَامُ الْأَفْضَلِ التَّفْوِيزِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ كَانَ عَالِمًا بِمَا وَقَعَ لَهُمْ مِنَ الْجَدْبِ، وَأَخَّرَ السُّؤَالَ فِي ذَلِكَ تَفْوِيزًا لِرَبِّهِ، ثُمَّ أَجَابَهُمْ إِلَى الدُّعَاءِ لَمَّا سَأَلُوهُ فِي ذَلِكَ بَيَانًا لِلْجَوَازِ، وَتَقْرِيرَ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْخَاصَّةِ، أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ»^(٥).

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٢١ / ٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٢ / ٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٩٢ / ٦.

(٤) فتح الباري، ٥٠٧ / ٢.

(٥) فتح الباري، ٥٠٧ / ٢.

- ٦- جواز سؤال الإمام في الخطبة للحاجة، وأنها لا تنقطع بالكلام.
- ٧- مشروعية تكرار الدعاء ثلاثاً.
- ٨- إدخال دعاء الاستسقاء في خطبة الجمعة والدعاء به على المنبر ولا تحويل فيه ولا استقبال.
- ٩- الاجتزاء بصلاة الجمعة عن صلاة الاستسقاء.
- ١٠- علم من أعلام النبوة في إجابة دعائه عقبه أو معه.
- ١١- الدعاء برفع الضرر لا ينافي التوكل على الله ﷻ.
- ١٢- جواز رفع الصوت في المسجد بسبب الحاجة المقتضية لذلك.
- ١٣- جواز اليمين لتأكيد الكلام، ويحتمل أن يكون ذلك جرى على لسان أنس رضي الله عنه بغير قصد اليمين.
- ١٤- جواز الشكوى من غير تسخط، ولا تبرم على القدر، وإنما يكون القصد هو إظهار الحال، ولذلك لم ينكر النبي ﷺ على هذا الرجل قوله.
- ١٥- الأسباب لا تعمل إلا بأمر الله، وكذلك المسببات؛ لأن المطر ما حُبس إلا بأمره، وما نزل إلا بفضلله^(١).
- ١٦- قال القاضي عياض رحمته الله: «وفي إجابة النبي ﷺ لهذا السائل، ودعائه له، جواز الاستسقاء في خطبة الجمعة، والدعاء بذلك، وعلى غير سنة الاستسقاء، وليس في هذا تحويل عن القبلة، ولا تحويل رداء، وإنما هو دعاء مجرد بالسقي، كسائر الأدعية للمسلمين في الخطبة، كما جاء في هذه الأحاديث الأخر المختصة بالسائل يوم الجمعة، وإنما تختص تلك الهيئات والسنن لمن برز لها، وبهذا اعتبر الحنفي في أنه لا صلاة للاستسقاء، وفاته معرفة تلك

(١) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٥٠٠.

السنن المتقدمة والثابتة، وفيه جواز الاقتصار على الاستسقاء يوم الجمعة بالدعاء المجرد في خطبتها دون البروز، وهو معنى قول الشافعي: ومن أجاز به غير صلاة ممن عرف مذهبه أنه لا يبرز لها إلا بصلاة، وبه أيضاً احتج بعض السلف أن الخروج إليها عند الزوال، إذ كان دعاء النبي ﷺ في هذا الخبر يوم الجمعة، والناس كلهم على خلافه أنها بكرة كصلاة العيدين»^(١).

١٧- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الْغِيَاثُ هُوَ الْمُغِيثُ، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ: غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ، وَمَعْنَاهُ الْمُدْرِكُ عِبَادَهُ فِي الشَّدَائِدِ إِذَا دَعَوْهُ، وَمُجِيبُهُمْ، وَمُخْلِصُهُمْ، وَفِي خَبَرِ الْإِسْتِسْقَاءِ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «اللَّهُمَّ أَغْنِنَا، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا» يُقَالُ: أَغَانَهُ إِغَاةً وَغِيَاثًا وَغَوْثًا، وَهَذَا الْإِسْمُ فِي مَعْنَى الْمُجِيبِ وَالْمُسْتَجِيبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾^(٢). إِلَّا أَنَّ الْإِغَاةَ أَحَقُّ بِالْأَفْعَالِ وَالِاسْتِجَابَةِ أَحَقُّ بِالْأَقْوَالِ وَقَدْ يَقَعُ كُلُّ مِنْهُمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ، قَالُوا الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُسْتَعِيثِ وَالِدَّاعِي أَنَّ الْمُسْتَعِيثَ يُنَادِي بِالْغَوْثِ، وَالِدَّاعِي يُنَادِي بِالْمَدْعُوِّ وَالْمُغِيثِ، وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ فَإِنَّ مِنْ صِيغَةِ الْإِسْتِغَاةِ يَا اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَكْثُرُ أَنْ يَقُولَ وَآ غَوْثَاهُ وَيَقُولُ إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾^(٣)، وَفِي الدُّعَاءِ الْمَأْثُورِ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ»^(٤)، وَالِاسْتِغَاةُ بِرَحْمَتِهِ اسْتِغَاةٌ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، كَمَا أَنَّ الْإِسْتِعَاذَةَ بِصِفَاتِهِ اسْتِعَاذَةٌ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَكَمَا أَنَّ الْقَسَمَ

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣١٩.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٤) أخرجه الحاكم وصححه، ٥٤٥/١، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٢٧٣،

وتقدم تخريجه في تخريج حديث ٨٨ من أحاديث المتن.

بِصِفَاتِهِ قَسَمَ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، فَبِالْحَدِيثِ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الثَّامَةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»، وَفِيهِ: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١)،^(٢).

١٨- دعا النبي ﷺ بقوله: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا» ولم يقل: اللَّهُمَّ أَمْطِرْنَا؛ لأن المطر ما جاء ذكره في القرآن إلا عذاباً^(٣)، لقوله تعالى:

أ- ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٤)، قيل: إن قائل هذا هو أبو جهل، أو النضر بن الحارث، وقيل: إنهم كفار مكة ومشركوها.

ب- وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾^(٥)، والمراد بذلك الحجارة التي أنزلها الله على قوم لوط.

ج- وقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾^(٦).

أما الغيث فهو الذي يأتي بالخير لقول الله ﷻ:

أ- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٧).

ب - ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾^(٨)، ومعنى الكفار أي: الزُّرَّاع.

(١) مسلم، برقم ٤٨٦، ومسنند أحمد، برقم ٢٤٣١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٤٧.

(٢) مجموع الفتاوى، ١/ ١١١.

(٣) وقد أشار إلى هذا المعنى ابن عينة رحمه الله وانظر ما علقه البخاري قبل الحديث (٤٦٤٨) «صحيح البخاري».

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٢.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٧٣.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٠٢.

(٧) سورة الشورى، الآية: ٢٨.

(٨) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

١٧١- (٣) «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَأَنْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَخِي بَلَدَكَ الْمَيِّتَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٨٥- لفظ أبي داود: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه (٢) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَأَنْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَخِي بَلَدَكَ الْمَيِّتَ»^(٣).

٥٨٦- ولفظ مالك عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَأَنْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَخِي بَلَدَكَ الْمَيِّتَ»^(٤).

٥٨٧- ولفظ عبد الرزاق: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسْتَسْقِي يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ، وَبَهَائِمَكَ، وَأَنْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَخِي بَلَدَكَ الْمَيِّتَ» قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِذَا اشْتَدَّ الْمَطَرُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ جَبِّتْهَا

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء، برقم ١١٧٨، والبيهقي في السنن الكبرى، ٣/ ٣٥٦، وفي الدعوات الكبير، ٢/ ٢٦٦، وموطأ مالك، ١/ ١٩٠، برقم ٤٤٩ مرسلاً، ومصنف عبد الرزاق الصنعاني، ٣/ ٩٢، برقم ٤٩١٢، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٢١٨. وقال ابن عبد البر رحمته الله في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢٣/ ٤٣٢: «هكذا رواه مالك عن يحيى عن عمرو بن شعيب مرسلاً، وتابعه جماعة على إرساله، منهم: المعتمر بن سليمان، وعبد العزيز بن مسلم القسملی، فرووه عن يحيى بن سعيد، عن عمرو بن شعيب مرسلاً، ورواه جماعة عن يحيى بن سعيد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده مسنداً، منهم حفص بن غياث، والثوري، وعبد الرحيم بن سليمان، وسلام أبو المنذر، فأما حديث الثوري فذكره أبو داود، قال: حدثنا سهل بن صالح، حدثنا علي بن قادم، حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا استسقى يقول: فذكر مثل لفظ حديث مالك سواء».

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ١١٧٨، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٢١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) موطأ مالك، ١/ ١٩٠، برقم ٤٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

يُتَوَاتَرُ الْمَدَرِ، اللَّهُمَّ عَلَى ظُهُورِ الْأَكَامِ، وَيُطَوَّنِ الْأُودِيَّةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ»: هذا يشمل الرجال والنساء والعبيد والإماء وكل من لله عبد. قال الصنعاني رحمته الله: «اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ: تَلَطُّفاً فِي الْمَسْأَلَةِ؛ لِأَنَّ الْمَالِكَ أَلْطَفَ بَعْبَادِهِ مِنْ كُلِّ لَطِيفٍ»^(٢)، وقال المناوي رحمته الله: «(قال: اللهم اسْقِ عِبَادَكَ) لِأَنَّهُمْ عِبِيدُكَ الْمُتَذَلِّلُونَ، الْخَاضِعُونَ لَكَ، فَالْعِبَادُ هُنَا كَالسَّبَبِ لِلْسَّقْيِ»^(٣).

٢- قوله: «وبهائمك» أي: جميع ما يدب على الأرض من الدواب، والحشرات، وغير ذلك مما يعلمه رب الأرض والسماء. قال الصنعاني رحمته الله: «(وبهائمك): جَمْعُ بَهِيمَةٍ، وَهِيَ كُلُّ ذَاتٍ أَرْبَعٍ، ذَكَرْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا ذَنْبَ لَهُمْ، فَهِنَّ إِلَى الرَّحْمَةِ أَقْرَبَ»^(٤)، وقال الزرقاني: «(وبهيمتك): كُلُّ ذَاتٍ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ، وَكُلِّ حَيْوَانٍ لَا يَمِيزُ، وَفِي إِضَافَتِهِمَا إِلَيْهِ تَعَالَى مَزِيدُ الْاسْتِعْطَافِ، فَالْعِبَادُ كَالسَّبَبِ لِلْسَّقْيِ، وَالبَهِيمَةُ تُرْحَمُ فَتُسْقَى، وَفِي خَبَرِ ابْنِ مَاجَهَ: «لَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ تَمْطُرُوا»^(٥).

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ٣/ ٩٢، برقم ٤٩١٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني، ٨/ ٣٢٨.

(٣) فيض القدير، ٥/ ١٢٦.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٢٨.

(٥) شرح الزرقاني على الموطأ، ١/ ٥٤٤. ولفظ الحديث عند ابن ماجه، برقم ٤٠١٩: «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خُمْسُ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُذَكَّرُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُغْلَبُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاغُوتُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُضُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أَخَذُوا بِالسِّنِينَ، وَشَدَّةِ الْمَثْوَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يَمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيَخْخِرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ» وحسنه لغيره الأرنؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه، ٥٠، وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ١٥٧، برقم ١٧٦١.

٣- قوله: «وانشر رحمتك» أي: ابسط رحمتك على هذه الخلائق، والعوالم بإنزال الغيث. وقال الصنعاني رحمته: «(وانشر رحمتك): أطلق الرحمة على السحاب الممطرة؛ لأنها متسببة عنها، ويحتمل أنه أريد نفس الرحمة، ونشرها عبارة عن العموم بالإغاثة بها»^(١).

٤- قوله: «وأحيي بلدك الميت» أي: الذي ييس زرع وهلك حرثه. قال الطيبي رحمته: «يريد بعض بلاد المتبعدين عن مظان الماء، الذي لا ينبت فيه عشب للجذب، فسماه ميتاً على الاستعارة، ثم فرع عليه الإحياء»^(٢).

٥- قوله: «بيوت المدر»: قال ابن الأثير رحمته: «يُرِيدُ بِأَهْلِ الْمَدَرِ: أَهْلَ الْقَرْيِ وَالْأَمْصَارِ، وَاجِدَتْهَا: مَدْرَةٌ... وَمَدْرَةُ الرَّجُلِ: بَلَدَتُهُ... الْمَدَرُ، وَهُوَ الطِّينُ الْمُتَمَاسِكُ؛ لِئَلَّا يَخْرُجَ مِنْهُ الْمَاءُ»^(٣).

٦- قوله: «وَالْأَكَامَ» قال ابن عبد البر رحمته: «فَهِيَ: الْكُدَى وَالْجِبَالُ مِنَ الثَّرَابِ، وَهِيَ جَمْعُ أَكْمَةٍ مِثْلَ رَقَبَةٍ وَرِقَابٍ»^(٤).

٧- قوله: «وَمَنَابِتُ الشَّجَرِ»: قال ابن عبد البر رحمته: «مَوَاضِعُ الْمَرْعَى حَيْثُ تَزَعَى الْبَهَائِمُ»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- بيان شفقة النبي ﷺ على الخلق جميعاً، وهو كما قال ربنا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٦).

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨ / ٣٢٩.

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٤ / ١٣٢٢.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٣٠٩، مادة (مدر).

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧ / ١٤٩، وتقدمت في المفردة رقم ١٣ من مفردات حديث المتن رقم ١٦٩.

(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧ / ١٥٠. وتقدمت في المفردة رقم ١٥ من مفردات حديث المتن رقم ١٦٩.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٢- تقرير أن إنزال المطر من السماء هو من رحمة الله بخلقه وأنه آية من آياته الدالة على كمال قدرته وتمام قيوميته. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١).

٣- الذي يحيي الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى بعد البلى وبعثهم للجزاء والحساب، قال الله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

٤- قال الإمام ابن عبد البر رحمته الله: «وإنما فيه ضرب من الدعاء في الاستسقاء، والدعاء في ذلك كثير مختلف الألفاظ، متفق المعاني في الرغبة والضراعة إلى الله تعالى في فضله وغوث عباده برحمته»^(٣).

٥- وقال أيضاً: «وإنما ذكر مالك هذا الباب بعد الذي قبله؛ لأنه أفرَد الأول بسنة الاستسقاء من الصلاة وغيرها على حسب ما أوردنا فيه، وأفرَد هذا بمعنى الدعاء؛ لأن الاستسقاء هو طلب الماء من الله تعالى، والدعاء إليه»^(٤).



(١) سورة الروم، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٠.

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧ / ١٤٢.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧ / ١٤٢.

٦٤ - الدُّعَاءُ إِذَا رَأَى الْمَطَرَ

١٧٢- «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٨٨- لفظ البخاري: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ^(٢) «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى

الْمَطَرَ قَالَ: صَيِّبًا نَافِعًا»^(٣).

٥٨٩- ولفظ النسائي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أُمِطِرَ

قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ صَيِّبًا نَافِعًا»^(٤).

٥٩٠- ولفظ أبي داود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى نَاشِئًا فِي

أَفُقِ السَّمَاءِ تَرَكَ الْعَمَلَ، وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاةٍ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا». فَإِنْ مُطِرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا هَنِيئًا»^(٥).

٥٩١- وفي لفظ آخر لأبي داود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ

(١) البخاري، كتاب الاستسقاء، باب ما يقال إذا أمطرت، برقم ١٠٣٢، والنسائي، كتاب الاستسقاء، القول عند المطر، برقم ١٥٢٣، وهذا لفظه، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، برقم ٥١٠٢، ومسند أحمد، ٤٢ / ٣٦٨، برقم ٢٥٥٧٠، ومسند أحمد أيضاً، ٤٣ / ٥٢، برقم ٢٥٨٦٤، والأدب المفرد، ص ٢٣٨، برقم ٦٨٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥٢، ومحققو المسند، وقال ابن الملقن رحمته الله في تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، ١ / ٥٦٨: «وَفِي رِوَايَةِ لَأَبِي دَاوُدَ، وَابْنِ حَبَانَ: «صَيِّبًا هَنِيئًا» قَالَ فِي الْاِقْتِرَاحِ: «وَهِيَ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ».

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٠٣٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) النسائي، برقم ١٥٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا هاجت الريح، برقم ٥١٠٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

إِذَا رَأَى الْمَطَرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ صَيِّبًا هَنِيئًا»^(١).

٥٩٢- ولفظ أحمد. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى نَاشِئًا مِنْ أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ السَّمَاءِ، تَرَكَ عَمَلَهُ، وَإِنْ كَانَ فِي صَلَاتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ»، فَإِنْ كَشَفَهُ اللَّهُ، حَمِدَ اللَّهَ، وَإِنْ مَطَرَتْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»^(٢).

٥٩٣- ولفظ آخر عند أحمد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى نَاشِئًا فِي السَّمَاءِ سَحَابًا، أَوْ رِيحًا اسْتَقْبَلَهُ مِنْ حَيْثُ كَانَ، وَإِنْ كَانَ فِي الصَّلَاةِ يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ ﷻ مِنْ شَرِّهِ، فَإِذَا أَمْطَرَتْ قَالَ: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا نَافِعًا»^(٣).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «اللَّهُمَّ» بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْمِيمُ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَوَّلِهَا، وَالضُّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُتَنَادِي الْمُفْرَدِ»^(٤).

٢- قوله: «صَيِّبًا»: الصَّيْبُ هُوَ الْمَطَرُ الْمُنْصَبُ بِغَزَارَةٍ وَالَّذِي فِيهِ نَفْعٌ لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الصَّيْبُ: السَّحَابُ الَّذِي يَهْرَاقُ مَاءً»^(٥). وَقَالَ الْقَاضِي عِيَّاش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صَيِّبًا: - بِيَاءٍ مَكْسُورَةٍ مُشَدَّدَةٍ - أَيُّ: مَطَرٌ، ... وَيُقَالُ: صَابَ، وَأَصَابَ السَّحَابُ إِذَا أَمْطَرَ، وَأَصْلُ الْإِصَابَةِ الْأَخْذُ، يُقَالُ: أَصَابَ مِنَ الطَّعَامِ إِذَا أَكَلَ مِنْهُ»^(٦).

(١) سنن ابن ماجه، برقم ٣٨٩٠، وصححه الشيخ الأرناؤوط في تحقيق سنن ابن ماجه، ٥٢ / ٥، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٥٠٩٩.

(٢) مسند أحمد، برقم ٢٥٥٧٠، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسند أحمد، برقم ٢٥٨٦٤، والأدب المفرد، برقم ٦٨٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٥٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في المفردة رقم ٦.

(٥) جامع الأصول، لابن الأثير، ٤ / ١٢.

(٦) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، ٥١ / ٢.

٣- قوله: «نافعاً»: لأن الصيب قد يأتي بما يضر، كقوله ﷺ: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾^(١). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ونافعاً صفة للصَّيبِ وكأنَّه أُحْتُزِرَ بها عَنِ الصَّيْبِ الضَّارِّ»^(٢)، وقال الشيخ عطية سالم رحمه الله: «و «نافعاً»: تتميم في غاية من الحسن؛ لأن لفظة صيباً مظنة للضرر والفساد، الصيب: المطر الذي يصوب، أي: ينزل ويقع: وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء، والتنكير دل على أنه نوع من المطر شديد هائل، فتممه بقوله: «نافعاً» صيانة عن الإضرار والفساد... دعا الله أن يجعله صيباً نافعاً، وذلك مخافة أن يكون صيباً ضاراً؛ لأنه إذا زاد المطر عن مقدار تحمُّل الخلق، أو الأرض، كان ضرره أكثر من نفعه، ونحن نشاهد، ونسمع بالكوارث والحالات التي يأتيها المطر غزيراً فيهلك الزرع، ويهدم البنيان، ويكسر الطرق والجسور، فالنبي ﷺ رحمة منه بالأمة حينما يرى المطر يقول: «اللهم صيباً نافعاً»^(٣).

٤- قوله: «ناشئاً»: قال القاري رحمه الله: «أي: سحاباً خارجاً من السماء، قال التوربشتي: سُمِّيَ السحاب ناشئاً؛ لأنه ينشأ من الأفق، يقال: نشأ، أي: خرج، أو ينشأ في الهواء، أي: يظهر؛ ولأنه ينشأ من الأبخرة المتصاعدة من البحار، والأراضي النزهة، ونحو ذلك تعني أي: تريد عائشة بقولها: ناشئاً: السحاب جملة معترضة لتفسير اللغة من الراوي بين الشرط وجزائه، وهو قولها: ترك - أي: النبي ﷺ - عمله المشتغل به من الأمور المباحة، واستقبله أي: السحاب»^(٤).

٥- قوله: «كشفه الله»: قال القاري رحمه الله: «كشفه الله: أي: أذهب الله ذلك

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩.

(٢) فتح الباري، ٢/ ٥١٨.

(٣) شرح بلوغ المرام للشيخ عطية محمد سالم، ٥/ ١٠٩.

(٤) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٤٩.

السحاب، ولم يمطر، حمد الله أي: على النجاة من شره»^(١).

٦- قوله: «أفق من آفاق الأرض»: قال ابن الأثير رحمه الله: آفاق الأرض: جهاتها ونواحيها، وأحدها أفق^(٢).

٧- قوله: «هنيئاً»: قال ابن الأثير رحمه الله: «هَنَأَنِي الطَّعَامُ يَهْنُؤُنِي، وَيَهْنُؤُنِي، وَيَهْنَأُنِي، وَهَنَأْتُ الطَّعَامَ: أَيُّ: تَهَنَّأْتُ بِهِ، وَكُلُّ أَمْرٍ يَأْتِيكَ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ فَهُوَ هَنِيءٌ، وَكَذَلِكَ الْمَهْنَأُ وَالْمُهْنَأُ... إِذَا دَعَا إِنْسَانًا وَآكَلَ طَعَامَهُ» (قَالَ: لَكَ الْمَهْنَأُ، وَعَلَيْهِ الْوِزْرُ) أَيُّ: يَكُونُ أَكْلُكَ لَهُ هَنِيئاً، لَا تُؤَاخِذُ بِهِ، وَوِزْرُهُ عَلَى مَنْ كَسَبَهُ»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب قول هذا الدعاء عند نزول المطر كما في هذا الحديث ويستحب قوله مرتين أو ثلاثة ولكن يقول: «اللهم سيباً نافعاً»^(٤)، وهي بسكون الياء من سيب إذا جرى الماء على وجه الأرض من كثرته^(٥).

٢- وفي لفظ: «اللهم اجعله صيباً هنيئاً»^(٦).

٣- يستحب الدعاء عامة وقت نزول المطر؛ لأنه مظنة الإجابة لقوله ﷺ: «اطلبوا إجابة الدعاء عند التقاء الجيوش وإقامة الصلاة ونزول المطر»^(٧).

(١) مرقاة المفاتيح، ٢/ ٢٤٩.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٥٦، مادة (أفق).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٢٧٧، مادة (هنا).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى، برقم ١٨٢٨، وابن حبان، ٢/ ٢٧٥، برقم ٩٩٤، والبخاري في الأدب المفرد،

برقم ٦٨٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٦/ ٢٥٦، في تعليقه الحديث رقم ٢٧٥٧.

(٥) شرح سنن ابن ماجه للسندي، ٤/ ٢٩٤.

(٦) صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٥٠٩٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٧) أخرجه الشافعي في الأم، ١/ ٢٥٣، والبيهقي في معرفة السنن والآثار، ٥/ ١٨٦، وحسنه الألباني بشواهده في السلسلة الصحيحة، برقم ١٤٦٩.

٤- قال ابن بطال رحمته الله: «فيه: الدعاء في الازدياد من الخير والبركة فيه والنفع به»^(١).

٥- كان من هدي النبي ﷺ عند نزول المطر أن يحسر، أي: يكشف عن بعض بدنه، ويعرضه للمطر، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، فحسر عن ثوبه حتى أصابه المطر، فقلنا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: «لأنه حديث عهد بربه»^(٢)، قال النووي: أي: بتكوين ربه إياه وأنه رحمة فيتبرك به^(٣).

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٢٢/٣.

(٢) مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الدعاء في الاستسقاء، برقم ٨٩٨.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، ٤٣٥/٦.

٦٥ - الذكر بعد نزول المطر

١٧٣- «مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٩٤- عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ^(٢) أَنَّهُ قَالَ صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، وَمُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ»^(٣).

٥٩٥- ولفظ آخر للبخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحَدِيثِيَّةِ، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَتَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَبِرِزْقِ اللَّهِ، وَبِفَضْلِ اللَّهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ:

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، برقم ٨٤٦، وكتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، برقم ٤١٤٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء، ١٢٥- (٧١)، ورقم ١٢٦- (٧٢)، و١٢٧- (٧٣).

(٢) زيد بن خالد الجهني ﷺ: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو طلحة وهو من قبيلة جهينة. روى عن رسول الله ﷺ واحداً وثمانين حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على خمسة أحاديث، وانفرد مسلم بثلاثة، مات ﷺ سنة ثمان وسبعين بالمدينة، وقيل: بالكوفة، وروى له أبو داود، والترمذي، وابن ماجه. انظر: الاستيعاب، ٨٥٠/٢، وأسد الغابة، ٨٣٢/٢.

(٣) البخاري، برقم ٨٤٦، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

مُطَرَّنَا بِنَجْمٍ كَذَا، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ، كَافِرٌ بِي»^(١).

٥٩٦- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ، يَقُولُونَ: الْكَوَاكِبُ وَالْكَوَاكِبُ»^(٣).

٥٩٧- عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما^(٤)، قَالَ: مُطَرَّ النَّاسِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: النَّبِيُّ ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَتَرَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾^(٥)، حَتَّى بَلَغَ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾»^(٦)^(٧).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «مُطَرَّنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ»: قال ابن عبد البر رحمته الله: «وَذَلِكَ إِيْمَانٌ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَطَّرُ، وَلَا يُعْطَى، وَلَا يَمْنَعُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا النَّوْءُ؛ لِأَنَّ النَّوْءَ مَخْلُوقٌ، لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ شَيْئاً، وَلَا لِغَيْرِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ وَقْتُ»^(٨).

٢- قوله: «صلى لنا» أي: صلى بنا وفيه جواز إطلاق ذلك مجازاً وإنما الصلاة لله تعالى، قال الزرقاني رحمته الله: «قال صلى لنا رسول الله ﷺ أي لأجلنا، واللام بمعنى

(١) البخاري، برقم ٤١٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ١٢٦ - (٧٢)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٧٥.

(٦) سورة الواقعة، الآية: ٨٢.

(٧) مسلم، برقم ١٢٧ - (٧٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٨) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٧/ ١٥٨.

الباء، أي صُلِّي بنا، وفيه جواز إطلاق ذلك مجازاً وإنما الصلاة لله تعالى»^(١).

٣- قوله: «إثر سماء»: على أثر: الأثر هو ما يعقب الشيء.

٤- قوله: «سماء»: أي: مطر، وأطلق عليه سماء؛ لكونه ينزل من جهة السماء، وكل جهة علو تُسمَّى سماء، قال الرافعي رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله: «في إثر سماء»: يقال: خرجت في إثره وأثره إذا خرجت عقيبه»^(٢)، وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في المفهم: «السَّمَاءُ هنا المطر، سُمِّيَ بذلك؛ لَأَنَّهُ يَنْزِلُ من السماء، وحقيقة السماء: كُلُّ ما علاك فأظْلَلَك»^(٣)، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «أثر سماء: السماء: المطر، وجمعه أسمية... والسماء: السحاب، وأصل السماء: كل ما ارتفع فأظل وعلا، وسماء كل شيء ما علا منه، وبه سميت السماء والسحاب، ثم سُمي المطرُ به لمجيء السحاب به، كما سُمِّيَ مُزْنًا، والمزن: السحاب. «على إثر سماء»: هو بكسر الهمزة وإسكان الثاء وفتحها جميعاً لغتان مشهورتان، والسماء المطر»^(٤).

٥- قوله: «بنوء كذا وكذا»: النوء هو النجم، ومعنى النوء سقوط نجم في المغرب من النجوم الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر^(٥). قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «النوء: واحد الأنواء، وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة في منزلة منها، ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلها، فتتقضي جميعها مع انقضاء السنة، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة، وطلوع رقييها: يكون مطر، فينسبون

(١) شرح الزرقاني على موطأ مالك، ١/ ٥٤٧.

(٢) شرح مسند الشافعي، للرافعي، ٢/ ٥٥.

(٣) المفهم، ١/ ٢٨٧، وجامع الأصول، ١١/ ٥٧٧.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ١/ ٣٣٠.

(٥) انظر: فتح الباري، ٢/ ٦٤٥، وما بعدها.

المطر إلى المنزل، ويقولون: «مطرنا بنوء كذا»، وإنما سُمِّيَ نوءاً؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءاً، أي: نهض وطلع، وقيل: إن النوء هو الغروب، فهو من الأضداد، قال أبو عبيد: لم نسمع في النوء أنه السقوط، إلا في هذا الموضع، وإنما غلظ النبي ﷺ في أمر الأنواء؛ لأن العرب كانت تنسب المطر إليها، فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى، وأراد بقوله: «مطرنا بنوء كذا» أي: في وقت كذا، وهو هذا النوء الفلاني؛ فإن ذلك جائز، فقد قيل: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يستسقي، فنادى بالعباس بن عبد المطلب، كم بقي من نوء الثريا؟ فقال: إن العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعاً بعد وقوعها، فما مضت تلك السبع حتى غيث الناس، وأراد عمر: كم بقي من الوقت الذي قد جرت العادة أنه إذا أتم الله بالمطر^(١).

٦- قوله: «كافر بي»: قال ابن الأثير رحمه الله: «فيحتمل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الإيمان، ويحتمل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الشرك، يعني أنه كفر نعمة الله، حيث نسبها إلى غيره»^(٢).

٧- قوله: «بالحدبية»: يقال: سميت بشجرة حدباء هناك، وهي بئر قريب من مكة دون مرحلة، وهي المكان الذي وقع فيه صلح الحدبية، أو غزوة الحدبية، أو فتح الحدبية، قال القرطبي رحمه الله: «والحدبية: موضع فيه ماء بينه وبين مكة أميال»^(٣)، وقال ابن عبد البر رحمه الله: «حُدَيْبِيَّةٌ: مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ فِي آخِرِ الْجَبَلِ، وَأَوَّلِ الْحَرَمِ، وَفِيهِ كَانَ الصُّلْحُ بَيْنَ قُرَيْشٍ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

(١) جامع الأصول، ١١ / ٥٧٧.

(٢) جامع الأصول، ١١ / ٥٧٧.

(٣) المفهم، ١ / ٢٨٧.

وَفِيهِ كَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(١)، وقال الرافعي رَحِمَهُ اللهُ: «وهي قرية ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك، ومنها إلى مكة مرحلة، وإلى المدينة تسع مراحل، وعن مالك أنها من الحرم، وقيل: إنها من الحل، وقيل: بعضها من الحل وبعضها من الحرم، وعلى تقدير الحل عُذَّتْ من مواقيت العمرة»^(٢).

٨- قوله: «فلما انصرف» أي: من صلاته أو من مكانه، قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله: فَلَمَّا انْصَرَفَ، أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، أي: انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ، وَفَرَغَ مِنْهَا؛ فظاهره: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَثْبِتُ فِي مَكَانِ صَلَاتِهِ بَعْدَ سَلَامِهِ؛ بَلْ كَانَ يَنْتَقِلُ عَنْهُ وَيَتَغَيَّرُ عَنْ حَالَتِهِ، وَهَذَا الَّذِي اسْتَحَبَّهُ مَالِكٌ لِلإِمَامِ فِي الْمَسْجِدِ»^(٣).

٩- قوله: «أقبل على الناس» أي: استدار من جهة القبلة وجعل وجهه لمن صلى خلفه، قال الزرقاني رَحِمَهُ اللهُ: «أقبل على الناس بوجهه الوجيه»^(٤).

١٠- قوله: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ، وَمِنْهُمْ كَافِرٌ»، قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «أصل الشكر: الظهور؛ ومنه قولهم: دَابَّةٌ شَكُورٌ: إِذَا ظَهَرَ عَلَيْهَا مِنَ السِّمَنِ فَوْقَ مَا تَأْكُلُهُ مِنَ الْعَلْفِ، وَ الشَّاكِرُ: هُوَ الَّذِي يُثْنِي بِالنِّعْمَةِ وَيُظْهِرُهَا، وَيَعْتَرِفُ بِهَا لِلْمُنْعِمِ، وَجَحَدُهَا كَفَرَانُهَا؛ فَمَنْ نَسَبَ الْمَطَرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَرَفَ مِثْلَهُ فِيهِ، فَقَدْ شَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى، وَمَنْ نَسَبَهُ إِلَى غَيْرِهِ، فَقَدْ جَحَدَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ، وَظَلَمَ بِنِسْبَتِهَا لِغَيْرِ الْمُنْعِمِ بِهَا؛ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ اعْتِقَادٍ، كَانَ كَافِرًا ظَالِمًا حَقِيقَةً، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُعْتَقَدٍ، فَقَدْ تَشَبَّهَ بِأَهْلِ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ الْحَقِيقِيِّ»^(٥)، وقال

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار - (١٥٤ / ٧)

(٢) شرح مسند الشافعي، ٥٥ / ٢.

(٣) المفهم، ٢٨٧ / ١.

(٤) شرح الزرقاني، ٥٤٧ / ١.

(٥) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢٤ / ٢.

القاضي عياض رحمته الله: «قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي ...» الحديث، قال الإمام: هذا يحمل على أن المراد به تكفير من اعتقد أن المطر من فعل الكواكب، وخلقها دون أن يكون خلقاً لله، كما يقول بعض الفلاسفة من أن الله تعالى لم يخلق من الأشياء إلا واحداً وهو العقل الأول عندهم، وكان عن العقل الأول غيره، وهكذا عن واحد آخر إلى أن كان عن كل ذلك ما تحته، حتى ينتهي الأمر إلى الأمطار وإلينا، في تخطيط طويل»^(١).

١١- قوله: «هل تدرون»: لفظ استفهام معناه التنبيه، قال الزرقاني رحمته الله: «الاستفهام ومعناه التنبيه وللنسائي من طريق سفيان عن صالح ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة»^(٢)، وقال القاضي عياض رحمته الله: «وأما من اعتقد أن لا خالق إلا الله سبحانه، ولكن جعل في بعض الاتصالات من الكواكب دلالة على وقوع المطر من خلقه تعالى، على عادة جرت في ذلك فلا يكفر بهذا، إذا عبر عنه بعبارة لا يمنع الشرع منها، والظن بمن قال من العوام: هذا نوء الثريا، ونوء الراعي، أنه إنما يريد هذا المعنى، وقد أشار مالك رحمته الله في موطنه إلى هذين المعنيين، وأوردهما في بايين، وأورد في المعنى الأول: الحديث الذي نحن فيه، وأورد في المعنى الثاني: "إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة، قال القاضي: قال الحربي: إنما جاءت الآثار بالتغليظ؛ لأن العرب كانت تزعم أن ذلك المطر من فعل النجم، ولا يجعلونه من سقي الله تعالى، فأما من نسبته إلى الله، وجعل النوء مثل أوقات الليل والنهار، كان ذلك واسعاً»^(٣).

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ١/ ٣٣٠.

(٢) شرح الزرقاني، ١/ ٥٤٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ١/ ٣٣١.

١٢- قوله ﷺ: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ»^(١)، قال القاضي ابن العربي رحمه الله: «ذلك في الأنواء، وهذا قول جماعة أهل التفسير، ورؤي عن سعيد بن أمية؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ يَقُولُ: مُطَرْنَا بِبَعْضِ عَثَانِينَ الْأَسَدِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذِبْتَ، بَلْ هُوَ سُقْيَا اللَّهُ وَرِزْقُهُ»^(٢)»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب استقبال الإمام للمصلين عقب انتهاء من الصلاة^(٤).
- ٢- جواز طرح الإمام المسألة على أصحابه وتشويقهم لمعرفة الإجابة، قال الزرقاني رحمه الله: «فيه طرح الإمام المسألة على أصحابه، وإن كانت لا تدرك إلا بدقة نظر»^(٥).
- ٣- حسن أدب الصحابة رضي الله عنهم مع الرسول ﷺ وقولهم: «الله ورسوله أعلم» وعدم التجرؤ على الفتيا بغير علم، أما حديث: «أجركم على الفتيا أجركم على النار» ففيه نظر^(٦).
- ٤- إثبات صفة الكلام لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكيف ولا تمثيل^(٧).
- ٥- الإجابة بـ«الله ورسوله أعلم» تكون في الأمور الشرعية، أي: مسائل

(١) سورة الواقعة، الآية: ٨٢.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره، ٢٦ / ٢٠٥، وابن عبد البر في التمهيد، ١٦ / ٢٨٤، وفي الاستذكار أيضاً، ٧ / ١٥٨، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٣) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣ / ٣٢٨.

(٤) راجع الفائدة السادسة والفائدة الثامنة من فوائد الحديث رقم ٦٦ من أحاديث متن هذا الكتاب.

(٥) شرح الزرقاني، ١ / ٥٤٨.

(٦) سنن الدارمي، ١ / ٣٩، برقم ١٥٩، وضعفه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة، ١٨١٤.

(٧) سبق شرح هذا في المفردة الثانية من مفردات الحديث رقم ٩٧، من أحاديث المتن.

الحلال والحرام، أما الأمور الكونية القدرية، فلا يقال إلا: الله أعلم؛ لأن هذا أمر غيبي، لا يطلع عليه إلا الله، كنزول المطر، وما يكون في غد، وذهب بعض أهل العلم إلى أن قول: الله ورسوله أعلم أي: في الأمور الشرعية، كانت تقال في حياته، أما بعد موته ﷺ فيقال: الله أعلم، ولا شك، ولا ريب أن الصواب أن يقال بعد موته ﷺ: «الله أعلم».

٦- من كمال التوحيد الواجب نسبة النعم جميعها إلى مسبها، وواهبها، أما نسبتها إلى غيره بالقول فقط، مع اعتقاد قلبه أنها من الله، فهذا ينقص كمال التوحيد، ومن هنا يظهر خطأ من يتابع «الطقس غدا» معتقدا صدقهم^(١).

٧- قال الإمام ابن رجب رحمته: «مَنْ أَضَافَ نِعْمَةَ الْغَيْثِ وَإِنزَالِهِ إِلَى الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ حَقًّا، وَمَنْ أَضَافَهُ إِلَى الْأَنْوَاءِ، كَمَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَعْتَادُهُ، فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»^(٢).

٨- قال الحافظ في الفتح^(٣): قَالَ الشَّافِعِيُّ: مَنْ قَالَ: مُطَرَّنَا بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا عَلَى مَا كَانَ بَعْضُ أَهْلِ الشِّرْكِ يَغْنُونُ مِنْ إِضَافَةِ الْمَطَرِ إِلَى أَنَّهُ مَطَرُ نُوءٍ كَذَا، فَذَلِكَ كُفْرٌ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ النُّوءَ وَقْتُ، وَالْوَقْتُ مَخْلُوقٌ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ، وَلَا لِغَيْرِهِ شَيْئًا، وَمَنْ: قَالَ مُطَرَّنَا بِنُوءٍ كَذَا عَلَى مَعْنَى مُطَرَّنَا فِي وَقْتٍ كَذَا، فَلَا يَكُونُ كُفْرًا، وَغَيْرُهُ مِنَ الْكَلَامِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، يَغْنِي حَسْمًا لِلْمَادَّةِ، وَعَلَى ذَلِكَ يَحْمَلُ إِطْلَاقُ الْحَدِيثِ^(٤).

٩- قال ابن الأثير رحمته: «علم النجوم المنهي عنه: هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكائنات، والحوادث التي لم تقع، وستجيء في المستقبل، وأنهم

(١) أي: الأرصاد الجوية.

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي، ٢/ ٣٤٧.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ٢/ ٥٢٣.

(٤) البخاري، برقم ١٠٣٩.

يدركون معرفتها بتسيير الكواكب، وانتقالاتها، واجتماعها، وافتراقها، وأن لها تأثيراً اختيارياً في العالم، فأما من يعرف من النجوم لمعرفة الأوقات، والاهتداء بها في الطرقات، ومعرفة القبلة، وأشباه ذلك، فليس به بأس»^(١).

١٠- قال القرطبي رحمه الله في المفهم: «قابل في هذا الحديث بين الشكر والكفر؛ فدل ظاهره على: أن المراد بالكفر هنا: كفران النعم، لا الكفر بالله تعالى، ويحتمل: أن يكون المراد به الكفر الحقيقي؛ ويؤيد ذلك استدلال النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ﴾^(٢)، أي تجعلون شكر رزقكم التكذيب؛ على حذف المضاف؛ قاله المفسرون، وقرأ علي: وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ؛ فعبر عن الرزق بالشكر، والرزق: الشكر بلغة أزد شنوءة، يقال: ما أرزقه، أي: ما أشكره، وما رزق فلان فلاناً، أي: ما شكره»^(٣).

١١- من فقه البخاري وحسن ترتيبه لصحيحه إirاده لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مِفْتَاحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ...» وفيه: «وَمَا يَذْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ»^(٤)، وفيه: «وَمَا يَذْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ» بعد حديث: «مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ»^(٥)، أي: أن المطر ينزل بقضاء الله وأنه لا تأثير للكواكب في نزوله. وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر هناك^(٦).

١٢- قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وإنما أُلقي عليهم هذا السؤال من

(١) جامع الأصول، ١١ / ٥٧٧.

(٢) سورة الواقعة، الآية: ٨٢.

(٣) المفهم، لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢ / ٢٤.

(٤) البخاري، برقم ١٠٣٩.

(٥) البخاري، برقم ١٠٣٨.

(٦) انظر: فتح الباري، ٢ / ٥٢٥.

أجل أن يتبھوا؛ لأن إلقاء الأسئلة يوجب الانتباه، قالوا: الله ورسوله أعلم، وهكذا كل إنسان يجب عليه إذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله ورسوله أعلم في الأمور الشرعية، أما الأمور الكونية القدرية، فهذا لا يقول: الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، كما لو قال قائل مثلاً: أتظن المطر ينزل غداً؟ تقول: الله أعلم، ولا تقل: الله ورسوله أعلم؛ لأن الرسول ﷺ لا يعلم مثل هذه الأمور، لكن لو قال لك هل هذا حرام أم حلال؟ تقول: الله ورسوله أعلم؛ لأن النبي ﷺ عنده علم الشريعة، المهم أنهم قالوا: الله ورسوله أعلم، وهذا من الأدب، قال: قال يعني أن الله قال ﷻ: «أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي» يعني في تلك الليلة، قال الله ﷻ فيما أوحاه إلى نبيه: «أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب»^(١)، والباء هنا للسببية، يعني معناه: أنك إذا أضفت المطر إلى النوء، فقلت: هذا النجم نجم بركة، وخير يأتي بالمطر، فهذا حرام عليك، كفر بالله ﷻ، وإضافة للشيء إلى سببه من نسيان المسبب، وهو الله ﷻ، وأما إذا قلت: مُطرنا بفضل الله ورحمته في هذا النوء، فلا بأس؛ لأن هذا اعتراف منك بأن المطر بفضل الله، ولكنه صار في هذا بالنوء كثير من العامة عندنا يقولون: مُطرنا بالفصل مطرنا كذا وكذا»^(٢).

١٣- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضَيِّفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَيُشْرِكُهُ بِهِ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هُوَ كَقَوْلِهِمْ كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً وَالْمَلَأُ حَادِقًا؛ وَلِهَذَا قَرَنَ الشُّكْرَ بِالتَّوْحِيدِ فِي الْفَاتِحَةِ وَغَيْرِهَا: أَوَّلُهَا شُكْرٌ وَأَوْسَطُهَا

(١) البخاري، برقم ٨٤٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٧٣١.

تَوْحِيدٌ وَفِي الْخُطْبِ الْمَشْرُوعَةِ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ تَحْمِيدٍ وَتَوْحِيدٍ وَهَذَانِ هُمَا رُكْنٌ فِي كُلِّ خُطَابٍ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَذْكُرُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ مَقْصُودِهِ مَا يُنَاسِبُ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّزْغِيبِ وَالتَّزْهِيْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»^(١).

١٤- قال ابن حجر الهيتمي رحمته الله: «الكبيرة الثانية عشرة بعد المائة: قول الإنسان إثر المطر: مطرنا بنوء نجم كذا، أي وقته معتقداً أن له تأثيراً... تنبيه عد هذا كبيرة هو ما وقع في كلام غير واحد، وليس بصحيح؛ لأن من قال ذلك معتقداً ما ذكر كافر حقيقة، والكلام إنما هو في الكبائر التي لا تزيل الإسلام، وقد قال الشافعي رحمته الله: من قال مطرنا بنوء كذا، وهو يريد أن النوء نزل بالماء، فهو كافر، حلال دمه إن لم يتب، وفي الروضة إن اعتقد أن النوء ممطر حقيقة كفر، وصار مرتداً، وقال ابن عبد البر رحمته الله: إن اعتقد أن النوء سبب ينزل الله به الماء على ما قدره، وسبق في علمه، فهو وإن كان مباحاً، فقد كفر بنعمة الله، وجهل بلطف حكمته»^(٢).

والخلاصة أن من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، وهو يعتقد أن النوء هو الفاعل الذي أنزل المطر، فهذا كفر أكبر، يخرج من ملة الإسلام، أما من قال ذلك، وهو يعتقد أن الله الذي ينزل المطر، ولكن جعل النوء سبباً في إنزال المطر، فهو كفر أصغر، ولا يخرج من الملة.

(١) مجموع الفتاوى، ٣٣ / ٨.

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ١ / ٣٠٥.

٦٦ - مِنْ أَدْعِيَةِ الْإِسْتِصْحَاءِ

١٧٤- «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَايِبِ الشَّجَرِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٩٨- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ^(٢) أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتَ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغْنِنَا، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا» قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللَّهِ مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَرْعَةً، وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعْتُ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةً مِثْلُ الثُّرَيْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتْ السَّمَاءَ انْتَشَرْتُ، ثُمَّ أَفْطَرْتُ، فَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ فِي الْجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكْتَ الْأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ، وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، وَمَنَايِبِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَأَقْلَعْتُ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ، قَالَ شَرِيكٌ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ: أَهُوَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ؟ فَقَالَ: مَا أَذْرِي^(٣).

(١) البخاري، برقم ٩٣٣، ومسلم، برقم ٨- (٨٩٧)، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ١٧٠ من أحاديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٠١٤، ومسلم، برقم ٨- (٨٩٧)، وتقدم تريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث^(١):

١- قوله: «هلكت الأموال»: هلكت الأموال وانقطعت السبل أي: بسبب غير السبب الأول، والمراد أن كثرة الماء قد انقطع المرعى بسببها، فهلكت المواشي من عدم الرعي، أو لعدم ما يكنها من المطر. قال القرطبي: «قوله: «هلكت الأموال»: أي: المواشي، وأصل المال: كل ما يَمُولُ»^(٢)، وقال القرطبي: «وقوله: «وانقطعت السبل»: أي: الطرق؛ لهلاك الإبل، ولعدم ما يؤكل في الطرق»^(٣).

٢- قوله: «اللهم حوالينا»: المراد به صرف المطر عن الأبنية والدور.

٣- قوله: «ولا علينا»: فيه بيان للمراد بقوله: «حوالينا» لأنها تشمل الطرق التي حولهم فأراد إخراجها بقوله: «ولا علينا».

٤- قوله: «على الآكام»: أي: الأرض المرتفعة وقيل غير ذلك، قوله: «الآكام»: قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «... وَهِيَ دُونُ الْجَبَلِ وَأَعْلَى مِنَ الرَّابِيَةِ، وَقِيلَ: دُونُ الرَّابِيَةِ»^(٤).

٥- قوله: «والظراب»: أي: الجبل المنبسط ليس بالعالي، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «الروابي الصغار، واحدا ظَرَبٌ»^(٥).

٦- قوله: «وبطون الأودية»: المراد بها ما يتحصل فيه الماء ليتفجع به^(٦)، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَشَفَهُ عَنِ الْبُيُوتِ وَالْمَرَاقِقِ، وَالطُّرُقِ بِحَيْثُ لَا يَنْضَرُّرُ بِهِ سَاكِنٌ، وَلَا ابْنُ سَبِيلٍ، وَسَأَلَ بَقَاءَهُ فِي مَوَاضِعِ الْحَاجَةِ بِحَيْثُ يَبْقَى نَفْعُهُ،

(١) تقدم ذكر أكثر المفردات في شرح حديث المتن رقم ١٧٠.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٢٠، وتقدمت في المفردة رقم ١ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٨/ ٢٠، وتقدمت في المفردة رقم ١ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ١٩٢، وتقدمت في المفردة رقم ١٨ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢١، وتقدمت في المفردة رقم ١٩ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.

(٦) فتح الباري ٢/ ٦٢٢، وما بعده.

وَحِصْبُهُ، وَهِيَ بُطُون الْأُودِيَّةِ، وَغَيْرَهَا مِنْ الْمَذْكُورِ»^(١).

٧- قوله: «وَمَنَابِتُ الشَّجَرِ»: أي: مكان إنباته ليستفيع به وتحصل الفائدة قال ابن عبد البر رحمته الله: «مَوَاضِعُ الْمَرْعَى حَيْثُ تَرْعَى الْبَهَائِمُ»^(٢).

٨- قوله: «أَنْ يَغِيثَنَا»: قال ابن الأثير رحمته الله: «يُقَالُ: غَيْثَتِ الْأَرْضُ، فَهِيَ مَغِيثَةٌ، وَغَاثَ الْغَيْثُ الْأَرْضَ إِذَا أَصَابَهَا»^(٣).

٩- قوله: «وَلَا قَرْعَةً»: قال القاضي عياض رحمته الله: «معناه: قطعة سحاب، وجمعه قَرْعٌ، قال أبو عبيد: وأكثر ما يكون في الخريف»^(٤).

١٠- قوله: «مثل الترس»: قال القاضي عياض رحمته الله: قال ثابت: لم يرد - والله أعلم - في قدره، لكن في مرحاها واستدارتها»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- بيان أدبه عليه السلام في الدعاء فإنه لم يسأل رفع المطر من أصله بل سأل رفع ضرره وكشفه عن السيوت والمرافق والطرق بحيث لا يتضرر به ساكن ولا ابن سبيل وسأل بقاءه في مواضع الحاجة»^(٦).

٢- جواز طلب الدعاء من الرجل الصالح الحي القادر، الحاضر؛ فإن هذا من التوسل الجائز كما في قصة العباس وعمر رضي الله عنهما^(٧)؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر الرجل على طلبه في الاستسقاء والاستصحاء وأجابه على ما طلبه منه.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ١٩٢.

(٢) الاستذكار الجامع لمناهب لقاء الأمصار، ١٥٠/ ٧. وتقدمت في المفردة رقم ١٥ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٦٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٠٠، مادة (غيث)، وتقدمت في المفردة رقم ٣ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.

(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض، ٣/ ٣٢٠. وتقدمت في المفردة رقم ٨ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ٣٢٠، وتقدمت في المفردة رقم ١٢ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٧٠.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٤٣٣.

(٧) البخاري، برقم ١٠١٠.

٣- التوسل خمسة أقسام^(١):

القسم الأول: التوسل إلى الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی وهو مشروع لقول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(٢) ولقول النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣)، وهذا توسل مشروع.

القسم الثاني: التوسل إلى الله بعمل صالح للداعي وهو مشروع لقصة أصحاب الغار^(٤).

القسم الثالث: التوسل بدعاء الرجل الصالح الحي الحاضر، القادر مثل حديثنا هذا وتوسل عمر بالعباس رضي الله عنه، فهذا توسل مشروع أيضاً.

القسم الرابع: التوسل بالجاء أو بالحق كأن يقول القائل أتوسل إليك بجاء النبي ﷺ أو بحق النبي ﷺ أو بحق فلان، فهذا توسل بدعي، وهو من وسائل الشرك والوسائل لها أحكام ومقاصد ولكنه لا يخرج صاحبه من الإسلام أما ما يُنسب زوراً إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم» فقد قال شيخ الإسلام: كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث^(٥).

القسم الخامس: التوسل بالذات وهذا ما يفعله المشركون مع أصنامهم فكانوا يتوسلون بها إلى الله تعالى ويقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾^(٦)، وهذا شرك المشركين.

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام للشيخ/ عبد الله البسام ٣ / ٩١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) البخاري، برقم ٢٧٣٦، وتقدم تخريجه.

(٤) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، برقم ٣٤٦٥.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١ / ٣١٩.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٣، وانظر ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة».

٦٧ - دُعَاءُ رُؤْيَا الْهَلَالِ

١٧٥- «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ رَبَّنَا وَتَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٥٩٩- لفظ الدارمي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى الْهَلَالَ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ»^(٣).

٦٠٠- ورواية الترمذي عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه^(٤) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْهَلَالَ، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ،

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال، برقم ٣٤٥١، والدارمي بلفظه، ١٠٥٠ / ٢، والطبراني في الكبير، ٣٥٦ / ١٢، برقم ١٣٣٣٠، / برقم ٤٤٠٩، وقال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٠ / ٢٠٢: «رواه الطبراني وإسناده حسن» وحسنه الزين العراقي في تخريج أحادي الإحياء، ٢ / ٨٢٥ والحاكم، ٤ / ٢٨٥، وحسنه العلامة الألباني في ظلال الجنة، ١ / ١٧٢، وفي صحيح الترمذي، ٣ / ١٥٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول عند رؤية الهلال، برقم ٣٤٥١، والدارمي بلفظه، ٣٣٦ / ١، والطبراني في الكبير، ٣٥٦ / ١٢، برقم ١٣٣٣٠، والحاكم، ٤ / ٢٨٥، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣ / ١٥٧.

(٤) طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، من أوائل المسلمين، هاجر إلى المدينة، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين كعب بن مالك، وأبلى طلحة يوم أحد بلاء حسناً، ووفى رسول الله ﷺ بنفسه، واتقى النبل عنه بيده حتى شلت إصبعه، وضرب الضربة في رأسه، وحمل رسول الله ﷺ على ظهره حتى استقل على الصخرة، ثم شهد طلحة المشاهد كلها، وشهد الحديبية، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض، استشهد ﷺ يوم الجمل، سنة ست وثلاثين، وكان عمره يوم قتل ابن أريق وستين سنة، وقيل ابن اثنتين وستين سنة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، ٣ / ٢١٤، والاستيعاب لابن عبد البر، ٢ / ٧٦٥، والإصابة لابن حجر العسقلاني، ٣ / ٥٢٩.

رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، هِلَالُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ»^(١).

٦٠١- ورواية الطبراني في الكبير عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ^(٢)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى الْهِلَالَ، قَالَ: «هِلَالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ» ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا» ثَلَاثًا، «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذَا الشَّهْرِ، وَخَيْرِ الْقَدَرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ^(٣).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الله أكبر» أي: أكبر من كل كبير، وإنما جاء التكبير في هذا الموضع؛ لأن الهلال آية دالة على مدبر الملكوت، ومسير الأفلاك، فقوله: «الله أكبر»: أي أكبر من كل كبير، وأكبر من أن يعرف كنهه^(٤) كبريائه وعظمته ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾^(٥)؛ ولذلك نهى النبي ﷺ عن التفكير في الله: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله ﷻ»^(٦).

٢- قوله: «أهله علينا» أي: أطلعه علينا وأرنا إياه، قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «أهله»: الإهلال في الأصل رفع الصوت، نقل منه إلى رؤية الهلال؛ لأن

(١) الترمذي، برقم ٣٤٥١، وقال حديث حسن، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) رافع بن خديج بن رافع بن عدي الأنصاري النجاري الخزرجي، يكنى أبا عبد الله، وقيل أبا خديج، رده رسول الله ﷺ يوم بدر؛ لأنه استصغره، وأجازه يوم أحد، فشهد أحدًا، والخندق، وأكثر المشاهد، وأصابه يوم أحد سهم، وانتفضت جراحته في زمن عبد الملك بن مروان فمات قبل ابن عمر بيسير وهو ابن ست وثمانين سنة بالمدينة سنة أربع وسبعين، وصلى عليه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم مات بعده أو مات. انظر: الاستيعاب، ٢/ ٤٧٩، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٤٣٦.

(٣) الطبراني في الكبير، ١٢/ ٣٥٦، برقم ١٣٣٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الكنه: قال ابن الأثير: «كنه الأمر: حقيقته، وقيل: وقته، وقدره...». النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٢٠٦، مادة (كنه).

(٥) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٦) أخرجه أبو الشيخ في العظمة، برقم ١، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم ١٢٠، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٧٨٨. وتقدم في المفردة الثالثة من مفردات حديث المتن رقم ٦٩.

الناس يرفعون أصواتهم إذا رأوه بالإخبار عنه، ولذلك سمي الهلال هلالاً، ثم نقل منه إلى طلوعه؛ لأنه سبب لرؤيته، ومنه إلى اطلاعه، وفي الحديث بهذا المعنى، أي: أطلعه علينا، وأرنا إياه مقترنا بالأمن والإيمان^(١).

٣- قوله: «بالأمن» أي: مقترناً بالأمن من المخاوف الدينية والدنيوية، قال الصنعاني رحمه الله: «أي: أطلعه علينا، وأرنا إياه مقترناً: بالأمن والإيمان، قلت أي الصنعاني: ويجوز أن يراد به الزمان نفسه، والمراد: أدخله علينا مصاحباً بالأمن، واليمن، من سرور الدارين، والإيمان بكل ما أمرت بالإيمان به»^(٢).

٤- قوله: «والإيمان» أي: وقفنا فيه للإيمان القولي، والفعل، واجعلنا صادقين في ذلك، قال الطيبي رحمه الله: «قوله: «الأمن، والإيمان، والسلامة، والإسلام»: طلب في كل من الفرقتين دفع ما يؤذيه من المضار، وجلب ما يرفقه من المنافع، وعبر بـ«الإيمان، والإسلام» عنها دلالة على أن نعمة الإيمان، والإسلام شاملة للنعم كلها، ومحتوية على المنافع بأسرها، فدل ذلك على عظم شأن الهلال؛ حيث جعله وسيلة لهذا المطلوب... واللفظ فيه أنه ﷺ جمع بين طلب دفع المضار، وجلب المنافع في ألفاظ يجمعها معنى الاشتقاق»^(٣).

٥- قوله: «والسلامة»: وذلك شامل لسلامة الدين والدنيا معاً، قال الزبيدي رحمه الله: «الأمن من سائر المخاوف، والإيمان الطمأنينة بالله، كأنه سأل دوامها، والسلامة والإسلام أن يدوم له الإسلام، ويسلم له شهره، فإن لله في كل شهر حكماً وقضاً»^(٤).

٦- قوله: «والإسلام» أي: اجعلنا في هذا الشهر مستسلمين لك قلباً وقالاً.

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٧.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٩٨.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٨.

(٤) إتحاف السادة المتقين الزبيدي، ٥/ ١٠١.

٧- قوله: «والتوفيق لما تحب وترضى»: قال الصنعاني: «لما تحب وترضى من الأعمال الصالحات»^(١).

٨- قوله: «ربي وربك الله»: خطاب للهلال الذي استهل، وابتدأ في الظهور، قال الطيبي رحمته الله: «ربي وربك الله: تنزيه للخالق أن يشاركه في تدبير ما خلق شيء، وفيه ردُّ للأقاويل الداحضة في الآثار العلوية، بأوجز ما يمكن، وفيه تنبيه على أن الدعاء مستحب، لاسيما عند ظهور الآيات، وتقلب أحوال النِّيرات، وعلى أن التوجه فيه إلى الرب لا إلى المربوب، والالتفات في ذلك إلى صنع الصانع، لا إلى المصنوع»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- «في هذا الحديث: مشروعية الدعاء عند رؤية الهلال، وقد ورد في ذلك أدعية مشهورة»^(٣).

٢- من أعظم منافع الأهلة معرفة العباد مواقيت عبادتهم، ومعيشتهم، ومناسكهم، وتمييز الأشهر والسنين، وغير ذلك من الآيات.

٣- استحباب الدعاء عند ظهور الآيات الدالة على بديع صنع الله بما ورد عن الرسول ﷺ.

٤- الإيمان والإسلام ليسا شيئاً واحداً عندما يجتمعان في الذكر؛ لأن الإيمان يراد به الاعتقادات الباطنة، والإسلام يراد به الأعمال الظاهرة، وأما عند أفراد كل واحد منهما بالذكر؛ فإنه يكون متناولاً لمعنى الآخر^(٤).

٥- مشروعية التكبير عند الآيات العظام؛ ليستولي على القلب كبرياء الله،

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٩٩.

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٨.

(٣) تطريز رياض الصالحين، للشيخ فيصل المبارك، ص ٦٩١.

(٤) فقه الأدعية والأذكار، ص ٢٥٦.

وعظمته، فيتحقق للعبد مقصودان: مقصود العبادة بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة بانقياد سائر المطالب لكبريائه^(١).

٦- الوقت هو رأس مال العبد الذي يجب أن يتاجر فيه مع ربه بالأعمال الصالحة حتى يرد إليه غير مفلس، قال ابن القيم رحمته الله: «السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها، فمن كانت أنفاسه في طاعة، فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية، فثمرته حنظل، وإنما يكون الجذاذ يوم المعاد، فعند الجذاذ يتبين حلو الثمار من مرها»^(٢).

٧- أشار القرآن الكريم إلى عظم آية ظهور الأهلة بقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَلْبَرَنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٣) أي: ينزلها، كل ليلة ينزل منها واحدة، إلى أن يصغر جدًا، فيكون كالعرجون القديم، أي: كعذقة النخل إذا قدم وصغر حجمه، وانحنى، ثم يهل في أول الشهر، ويبدأ يزيد شيئًا فشيئًا حتى يتم نوره ويتسق ضياؤه^(٤).

٨- سمي الهلال هلالًا لأن الناس يرفعون أصواتهم بالإخبار عنه من الإهلال الذي هو رفع الصوت والهلال، يكون أول ليلة، والثانية، والثالثة، ثم بعد ذلك يكون قمرًا^(٥).

٩- يشرع للمسلم أن يتعوذ بالله عند طلوع القمر؛ لقول عائشة رضي الله عنها: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فإذا القمر حين طلع فقال: «تعوذ بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب»^(٦)، أما حديث: «هلال خير ورشد» ثلاث مرات ثم قوله:

(١) انظر: كلام شيخ الإسلام، مجموع الفتاوى، ٢٤/٢٢٦.

(٢) الفوائد، ص ٢٩٢.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٩.

(٤) فقه الأدعية والأذكار، ص ٢٥٤.

(٥) العلم الهيب، ص ٤٢٠.

(٦) أخرجه أحمد، ٤٠/٣٧٨، برقم ٢٤٣٢٣، والسنن الكبرى للنسائي، ٦/٨٤، ١٠١٣٨، وحسنه

محققو المسند، ٤٠/٣٧٩، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الحديث رقم ٣٧٢.

«آمنت بالذي خلقك» ثلاث مرات، ففي ثبوته نظر^(١).

١٠- قال الألباني رحمه الله: يستقبل كثير من الناس الهلال عند الدعاء، كما يستقبلون بمثله القبر، وكل ذلك لا يجوز؛ لما تقرر في الشرع أنه لا يستقبل بالدعاء إلا ما يستقبل بالصلاة، ولذلك كان علي رضي الله عنه لا يرفع رأسه عند قوله هذا الدعاء، وكذلك ابن عباس رضي الله عنهما كره الانتصاب للهلال^(٢).

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول، إذا رأى الهلال، برقم ٥٠٩٢، ولفظه: «عن قتادة، أنه بلغه: أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «هلالٌ خيرٌ ورُشدٌ، هلالٌ خيرٌ ورُشدٌ، هلالٌ خيرٌ ورُشدٌ، آمنتُ بالذي خلقك» ثلاث مراتٍ، ثم يقول: «الحمدُ لله الذي ذهبَ بشهرٍ كذا، وجاءَ بشهرٍ كذا» وحسنه لغيره الأرناؤوط محقق سنن أبي داود، ٧/ ٤٢٣، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، برقم ١٠٨٩.

(٢) تعليق الألباني على كتاب الكلم الطيب، برقم ١٦٢.

٦٨ - الدَّعَاءُ عِنْدَ إِفْطَارِ الصَّائِمِ

١٧٦- (١) «ذَهَبَ الظَّمَاُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَبَتَّ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٠٢- عن مَرْوَانَ بْنِ سَالِمٍ^(٢) قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه^(٣) يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَيَقْطَعُ مَا زَادَ عَلَى الْكَفِّ، وَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «ذَهَبَ الظَّمَاُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَبَتَّ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٤).

٦٠٣- وعن أَنَسٍ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْطِرُ عَلَى رَطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَصْلِيَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَعَلَى تَمْرَاتٍ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرَاتٍ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ»^(٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يَقْبِضُ عَلَى لِحْيَتِهِ فَيَقْطَعُ مَا زَادَ عَلَى الْكَفِّ»: وهذا من اجتهاد ابن

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الصيام، باب القول عند الإفطار، برقم ٢٣٥٩، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب الصيام، ما يقول إذا افطر، برقم ٣٣٢٩، والحاكم، ٤٢٢ / ١، وصححه، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ١٢٣ / ٧، برقم ٢٠٤١، وصحيح الجامع، برقم ٤٦٧٨.

(٢) مروان بن سالم الملقب، مصري، مقبول، من الرابعة، روى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وروى عنه الحسين بن واقد المروزي، وأخرج له أبو داود، والنسائي. انظر: تهذيب الكمال للمزي، ٣٩٠ / ٢٧، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٩٧ / ٤.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم ٢٣٥٩، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود ١٢٣، برقم ٢٠٤١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) أخرجه أحمد، ١١٠ / ٢٠، برقم ١٢٦٧٦، وأبو داود، كتاب الصيام، باب ما يفطر عليه، برقم ٢٣٥٦، والترمذي، كتاب الصوم، باب ما يستحب عليه الإفطار، برقم ٦٩٦، وصحح إسناده محققو المسند، وحسنه الألباني في إرواء الغليل، برقم ٩٢٢.

عمر رضي الله عنه، ولا اجتهد مع النص، فيؤخذ بروايته، ولا يؤخذ برأيه في هذا المسألة رضي الله عنه؛ لأن النبي ﷺ أمر بتوفير اللحي، وهذا يبين بأنه لا يجوز أخذ شيء منها، ومن هذه الأحاديث التي نهى النبي ﷺ عن أخذ شيء من اللحي حديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «خالفوا المشركين وقروا اللحي وأحقوا الشوارب» وفي لفظ: «أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحي» ^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: «جزؤا الشوارب وأرخوا اللحي، خالفوا المجوس» ^(٢). وفي حديث زيد بن أرقم: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا» ^(٣). فلا يجوز لمسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ حقاً بعد سماعه لهذه الأحاديث أن يأخذ من لحيته شيئاً، والله المستعان.

٢- قوله: «ذهب الظمأ»: الظمأ: هو العطش الناتج عن الصيام، قال النووي رحمته الله: «الظمأ مهموز الآخر مقصور: وهو العطش» ^(٤).

٣- قوله: «ابتلت العروق» أي: بالري بعد ما كان فيها من اليوسة، قال الصنعاني رحمته الله: «وابتلت العروق: خص ذهاب الظمأ مع أنه قد ذهب الجوع؛ لأن الالتذاذ بالماء في البلاد الحارة، كالمدينة، ومكة أشد؛ ولأنه أول ما يفطرون به، والإخبار بذلك شكراً على النعمة بإنالة المستلذ بعد المنع عنه شرعاً» ^(٥).

٤- قوله: «وثبت الأجر» أي: حصل الثواب الذي يرجوه العبد من ربه فضلاً منه ونعمة، قال الطيبي رحمته الله: «استبشار منهم؛ لأن من فاز ببيغيته، ونال مطلوبه بعد التعب والنصب، وأراد أن يستلذ بما أدركه مزيد استلذاذ، ذكر تلك المشقة،

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنه، البخاري برقم ٥٨٩٢، ورقم ٥٨٩٣، ومسلم، برقم ٢٥٩.

(٢) مسلم، برقم ٢٦٠.

(٣) الترمذي، برقم ٢٧٦١، والنسائي، برقم ١٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٦٥٣٣، وفي غيره.

(٤) الأذكار النووية للإمام النووي، ١/ ٢٣٨.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٤٣.

ومن ثم حمّد أهل السعادة في الجنة بعد ما أفلحوا»^(١).

٥- قوله: «إن شاء الله»: لأن قبول الصيام تحت مشيئة الله ﷻ، قال الصنعاني رحمه الله: «وثبوت الأجر متوقف على مشيئة الله؛ ولذا قال: «إن شاء الله»، أو لأنه سلك طريقة الترقّي، وفيه أن العبد لا يثق، ولا يقطع بحصول الأجر على فعل من أفعال البر، ويحتمل أن التقييد للثبوت، لا لنفس حصول الأجر؛ فإنه قد يحصل ثم تعقبه^(٢) ما يبطله»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الدعاء عند الإفطار لقول الراوي كان النبي ﷺ إذا أفطر قال: «ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ...» الحديث.

٢- يسن تعجيل الإفطار بعد التحقق من غروب الشمس لقوله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»^(٤) وهذا بخلاف السحور الذي يستحب فيه التأخير إلى ما قبل الفجر لقول زيد بن ثابت رضي الله عنه تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قمنا إلى الصلاة فسأله أنس رضي الله عنه كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية^(٥).

٣- لا يجزم لأحد بقبول صيامه وثبوت أجره؛ لأن هذا دعاء عام وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة بخلاف المعتزلة فإنهم يوجبون على الله الثواب للعبد.

٤- قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «ذهاب الظمأ بالشرب واضح، وابتلال العروق بذلك واضح، فالإنسان إذا شرب وهو عطشان يحس بأن الماء من حين وصوله إلى المعدة يتفرق في البدن، ويحس به إحساساً ظاهراً، فيقول

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/ ١٥٨٨.

(٢) هكذا وجدته في الأصل الذي نقلت منه، والمعنى: ثم يعقبه ما يبطله، والله أعلم.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٤٤.

(٤) مسلم، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيده استحبابه....، برقم ١٠٩٨.

(٥) مسلم، كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيده استحبابه....، برقم ١٠٩٧.

بقلبه: سبحانه الله الحكيم العليم الذي فرقه بهذه السرعة، وظاهر الحديث أن هذا الذكر فيما إذا كان الصائم ظمآن والعروق يابسة»^(١).

٥- حديث أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال: «بسم الله، اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت» في ثبوته نظر^(٢)، والأولى قول ما صح عن الرسول ﷺ.

٦- قال ابن القيم رحمه الله: «وفي فطر النبي ﷺ من الصوم عليه^(٣)، أو على التمر، أو الماء تدبير لطيف جداً، فإن الصوم يُخَلِّي المَعْدَةَ مِنَ الغِذَاءِ، فَلَا تَجِدُ الكَبِدَ فِيهَا مَا تَجِدُ فِيهِ، وَتُرْسَلُهُ إِلَى الْقَوَى وَالْأَعْضَاءِ، وَالْخُلُو أَسْرَعُ شَيْءٍ وَضُولا إِلَى الكَبِدِ، وَأَحْبُهُ إِلَيْهَا، وَلَا سِيَّما إِنْ كَانَ رُطْبًا، فَيَسْتَدُّ قَبُولُهَا لَهُ، فَتَنْتَفِعُ بِهِ هِيَ وَالْقَوَى، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَالْتَّمَرُ لِحَلَاوَتِهِ وَتَغْذِيَّتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَحَسَوَاتُ الْمَاءِ تُطْفِئُ لَهَيْبَ الْمَعْدَةِ، وَحَرَارَةَ الصَّوْمِ، فَتَسْبِيهُ بَعْدَهُ لِلطَّعَامِ، وَتَأْخُذُهُ بِشَهْوَةٍ»^(٤).

٧- وقال المناوي رحمه الله: «وكان النبي ﷺ يحض على الفطر بالتمر، فإن لم يجد فعلى الماء، وهذا من كمال شفقتة على أمته، ونصحه لهم؛ فإن إعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة أدعى إلى قبوله، وانتفاع القوى به، خاصة القوة الباصرة، أما الماء؛ فإنه يرطب الكبد بعد نوع من الييوس، فإن التمر والماء لهما تأثير في صلاح القلب لا يعلمها إلا أطباء القلوب»^(٥)، وقد قال النبي ﷺ: «بيت لا تمر فيه جياع أهله»^(٦)، وقال: «بيت لا تمر فيه كالبيت لا طعام فيه»^(٧).

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٦ / ٤٤١.

(٢) أخرجه أبو داود، برقم ٢٣٥٨، وفي المراسيل، برقم ٩١، وضعفه الألباني في الإرواء، ٣ / ٣٧، وقد نبه رحمه الله على عدة علل للحديث فليراجع.

(٣) أي: الرُطْب.

(٤) زاد المعاد، ٤ / ٢٨٧.

(٥) فيض القدير، ٥ / ٣٠٠.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب في ادخار التمر ونحوه من الأقوات للعيال، برقم ٢٠٤٦.

(٧) سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب التمر، برقم ٣٣٢٨، وحسنه الأرناؤوط محقق ابن ماجه،

١٧٧- (٢) «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٠٤- لفظ ابن ماجه: «عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢) قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لِدَعْوَةً مَا تُرَدُّ» قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ إِذَا أَفْطَرَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي»^(٣).

والطبراني، ٢٩٨/٢٤، برقم ٧٥٧، وحسن إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٧٧٦. (١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، برقم ١٧٥٣، من دعاء عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحاكم، ٤٢٢/١، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار، انظر: شرح الأذكار، ٣٤٢/٤، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة، ٨١/٢: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رواه الحاكم في المستدرک، عن عبد العزيز بن عبد الرحمن الدباس، عن محمد بن علي بن زيد، عن الحكم بن موسى، عن الوليد به، حدثنا إسحاق، فذكره ورواه، البيهقي من طريق إسحاق بن عبيد الله، قال عبد العظيم المنذري في كتاب الترغيب: وإسحاق هذا مدني لا يعرف، قلت [القائل هو البوصيري]: قال الذهبي في الكاشف: صدوق، وذكره ابن حبان في الثقات؛ لأن إسحاق بن عبيد الله بن الحارث قال النسائي: ليس به بأس، وقال أبو زرعة: ثقة، وباقي رجال الإسناد على شرط البخاري» وحسن إسناده الأرنؤوط في سنن ابن ماجه، ٦٣٧/٢، وضعفه الألباني في إرواء الغليل، ٤١/٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصيام، باب في الصائم لا ترد دعوته، برقم ١٧٥٣، وابن السني في عمل اليوم والليلة، ص ٤٣٢، والحاكم، ٤٢٢/١، وصححه ووافقه الذهبي، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ٢٩٩/١، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤٠٧/٣، قال الكناني في مصباح الزجاجة، ٨١/٢: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» وحسن إسناده الأرنؤوط في سنن ابن ماجه، ٦٣٧/٢. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ١٩٦٥.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «دعوة ما تُردُّ»: قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي أَهْمِيَةِ الدَّعَاءِ عِنْدَ الْإِفْطَارِ: «وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ عِنْدَ فِطْرِهِ بِمَا أَحَبَّ، فَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةً مَا تُرَدُّ»^(١).

٢- قوله: «اللَّهُمَّ»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ، ... الْيَمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أَوَّلِهَا، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٢).

٣- قوله: «أَسْأَلُكَ» أَي: أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ، وَأَدْعُوكَ، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ: «سَوَّالُ اللَّهِ، وَالتَّوَسَّلُ إِلَيْهِ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابُ نَهْيِهِ، وَفَعَلَ مَا يَحِبُّهُ»^(٣).

٤- قوله: «بِرَحْمَتِكَ»: لِأَنَّ مِنْ أَسْمَائِكَ الرَّحْمَنَ وَالرَّحِيمَ وَالرَّحْمَةَ صِفَةً لَكَ. وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «الرَّحْمَةُ: الرِّقَّةُ وَالتَّعَطُّفُ، وَالْمَرْحَمَةُ مِثْلُهُ، وَقَدْ رَحِمْتُهُ وَتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ. وَتَرَاخَمَ الْقَوْمُ: رَحِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَالرَّحْمَةُ: الْمَغْفِرَةُ»^(٤)، وَرَحْمَةُ اللَّهِ لَيْسَتْ كَرَحْمَةِ خَلْقِهِ، وَصِفَةُ الرَّحْمَةِ لِلَّهِ ﷻ تَلِيقٌ بِجَلَالِهِ، لَا يَشْبَهُ شَيْئاً مِنْ خَلْقِهِ ﷻ، «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»^(٥).

٥- قوله: «التي وسعت كل شيء» أَي: عَمَتِ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِكَ. قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أَيُّ لَا نِهَآيَةَ لَهَا، أَي: مَنْ دَخَلَ فِيهَا لَمْ تَعْجِزْ عَنْهُ، وَقِيلَ: وَسَعَتْ كُلُّ

(١) مجالس شهر رمضان، لابن عثيمين، ص ٥٠.

(٢) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقديم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢/ ٣٢٢.

(٤) لسان العرب، ١٢/ ٢٣٠، مادة (رحم).

(٥) سورة الشورى، الآية: ١١.

شيء من الخلق، حتى إن البهيمة لها رحمة وعطف على ولدها»^(١)، وقال العلامة الصنعاني رحمه الله: «فهذه الرحمة العامة قد أعطاها تعالى عباده، ووسعتهم، وبسيها فتح لهم الباب إلى سؤاله، ودلهم على ما يقربهم إليه، كما أشار إليه: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(٢)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، ودعاهم إلى دعائه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(٤)، فما أحد إلا وله من الرحمة العامة جزء موفور؛ فإذا عرفت هذا علمت أنه سبحانه قد أعطى عباده الرحمة، فهم بين قابل لها، وراد لها كالكاfer لم يقبلها، فالمسؤول هنا هو الرحمة الخاصة الكائنة بعد المغفرة، وهي التي ينزل الله بها عباده غرف الجنان... فهذه رحمة وراء المغفرة، فالمغفرة سترت الذنوب، وتجنب العبد من العذاب، وبالرحمة الخاصة يدخل الجنة»^(٥).

٦- قوله: «أن تغفر لي» أي: تستر ذنوبي وتمحوها عني يا تواب يا غفور. قال ابن منظور: «الْعَفْرُ: التَّغْطِيَةُ، وَالسَّتْرُ ... عَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي: سَتَرَهَا... وَالْعَفْرُ، وَالْمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَالْعَفْوُ عَنْهَا»^(٦).

ثانياً: ما يستفاد من الحديث:

١- المؤمن يطمع في رحمة الله، ومن ذلك طلبه من ربه مغفرة ذنوبه قال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٧) وقال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ

(١) تفسير القرطبي، ٧/ ٢٦١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٥٣٥).

(٦) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في المفردة رقم ٢ من مفردات ألفاظ حديث المتن رقم ٤٨.

(٧) سورة غافر، الآية: ٧.

ذُو الرَّحْمَةِ ﴿١﴾.

فهو ﷻ مع كونه غنيًا عن خلقه فهو ذو رحمة بهم وهذا هو غاية الكرم والفضل.

٢- قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «المُرَادُ أَنَّ رَحْمَةَ اللهِ لَا يُشَبِّهُهَا شَيْءٌ لِمَنْ سَبَقَ لَهُ مِنْهَا نَصِيبٌ مِنْ أَيِّ الْعِبَادِ كَانَ حَتَّى الْحَيَوَانَاتِ.

٣- وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ يَتَّبِعِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَجْعَلَ تَعَلُّقَهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ فَرَضَ أَنَّ فِيهِ رَحْمَةً مَا حَتَّى يُقْصِدَ لِأَجْلِهَا فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْحَمُ مِنْهُ ، فَلْيُقْصِدِ الْعَاقِلُ لِحَاجَتِهِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ لَهُ رَحْمَةً ﴿٢﴾.

٤- قال الإمام ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ اللهُ: «وَرَحْمَتُهُ وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَغَضَبُهُ لَمْ يَسِعْ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ، وَلَمْ يَكْتُبْ عَلَى نَفْسِهِ الْغَضَبَ، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، وَلَمْ يَسِعْ كُلَّ شَيْءٍ غَضَبًا وَانْتِقَامًا، فَالرَّحْمَةُ وَمَا كَانَ بِهَا، وَلَوْ أَزَمَهَا، وَأَثَارُهَا غَالِبَةٌ عَلَى الْغَضَبِ» ﴿٣﴾.

٥- مما يقوي في النفس الطمع في رحمة الله ما يلي: قوله ﷻ: ﴿تَبْتَغِ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ ﴿٤﴾ ففي هذه الآية لطائف منها: أن الله أكد ذكر الرحمة والمغفرة بمؤكدات ثلاثة:

أ- قوله: «أني».

ب- «أنا».

ج- التعريف في «الغفور الرحيم».

وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة، ولم يقل في ذكر العذاب

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٨.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١٠ / ٤٣١.

(٣) الفوائد، للإمام ابن القيم، ص ١٢٥.

(٤) سورة الحجر، الآية: ٤٩، ٥٠.

أني أنا المعذب ولم يصف نفسه بذلك. بل قال على سبيل الإخبار^(١): ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾.

وكذلك: قول النبي ﷺ: «لما أغرق الله فرعون قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾»^(٢) فقال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر^(٣)، فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة^(٤) والآيات في هذا الباب والأحاديث كثيرة بحمد الله.

٦- مشروعية التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا^(٥).

(١) فتح البيان، ١٧٧/٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٠.

(٣) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٤٦٢، مادة (حول): «الحال: الطين الأسود كالخفأة».

(٤) الترمذي، برقم ٣١٠٧، ومسند أحمد، ٤/ ٨٢، برقم ٢٢٠٣، وضعفه محققو المسند، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ٢٥٦.

(٥) سبقت الإشارة إليه.

٦٩ - الدعاء قبل الطعام

١٧٨- (١) «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٠٥- لفظ أبي داود عن عائشة رضي الله عنها (٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ» (٣).

٦٠٦- ولفظ الترمذي: عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ». وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَأَكَلَهُ بِلُفْظَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَى لَكَفَاكُم» (٤).

٦٠٧- وفي رواية لأبي داود، عن أُمِّيَّةَ بِنْتِ مَخْشِيٍّ رضي الله عنها (٥) وَكَانَ مِنْ

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، برقم ٣٧٦٧، ورقم ٣٧٦٨، والترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية على الطعام، برقم ١٨٥٨، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب التسمية عند الطعام، برقم ٣٢٦٤، وصحيح ابن حبان، ١٢/١٢، وحسن رواية عائشة رضي الله عنها في أبي داود، والترمذي ورواية أمية بن مخشي في ابن حبان: الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٩/٥٢١، وصحح الألباني رواية الترمذي في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/٦١١، وصحح رواية ابن حبان الأرنؤوط صحيح ابن حبان، ١١/١٢، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢٥/١٣٧٠.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٧٦٧، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٩/٥٢١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، برقم ١٨٥٨، وابن ماجه، برقم ٣٢٦٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم ١٩٦٥.

(٥) أمية بن مخشي الخزاعي، ويكنى أبا عبدالله، له صحبة، سكن البصرة، وأعقب بها، روى عن المشي ابن

أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ حَتَّى لَمْ يَتَّقْ مِنْ طَعَامِهِ إِلَّا لُقْمَةً، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ ﷻ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ»^(١).

٦٠٨- وفي رواية لابن حبان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ^(٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ فِي أَوَّلِ طَعَامِهِ، فَلْيُقِلْ حِينَ يَذْكُرُ: بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ طَعَامًا جَدِيدًا، وَيَمْنَعُ الْخَبِيثَ مَا كَانَ يُصِيبُ بِهِ»^(٣).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «إذا أكل أحدكم» أي: إذا قدم له الطعام ليأكل.

٢- قوله: «طعامًا»: حلالًا وكذلك الشراب.

٣- قوله: «فليقل»: ظاهر ذلك الوجوب لما يترتب على قول النبي ﷺ: «ما زال الشيطان يأكل معه».

٤- قوله: «بسم الله» أي: متبركًا باسم الله راجيًا أن ينفعني به، قال الخرشي رحمته الله: «بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ: لَعَلَّ الْفَائِدَةَ فِي ذَلِكَ لُحُوقَ بَرَكَتِهِ لِلْأَكْلِ فِيمَا تَقَدَّمَ لَهُ فِي الْأَكْلِ»^(٤)، وقال المباركفوري رحمته الله: «فَلْيُقِلْ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ:

عبدالرحمن بن مخشي وهو ابن أخيه له حديث واحد في التسمية على الأكل، رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، والحاكم. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ١/١٠٧، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ١/١١٩.

(١) أخرجه أبو داود، برقم ٣٧٦٨، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٩/٥٢١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح.

(٣) صحيح ابن حبان، ١٢/١٢، وصححه الأرناؤوط صحيح ابن حبان، ١١/١٢، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢٥/١٣٧٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) شرح مختصر خليل للخرشي، ٢/١٧٣.

وَالْمَعْنَى فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهِ، كَمَا يَشْهَدُ لَهُ الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَ بِهِ التَّسْمِيَةَ، فَلَا يُقَالُ ذِكْرُهُمَا يُخْرِجُ الْوَسْطَ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾^(١)، مع قوله ﷺ ﴿أَكُلْهَا دَائِمًا﴾^(٢)، وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: الْمُرَادُ بِأَوَّلِهِ النَّصْفُ الْأَوَّلُ، وَبِآخِرِهِ النَّصْفُ الثَّانِي، فَيَحْضُلُ الْإِسْتِيفَاءُ، وَالْإِسْتِيعَابُ^(٣).

٥- قوله: «الخبِيث»: الْخَبِيثُ، وَهُوَ الشَّيْطَانُ الذَّكَرُ، وَيَجْعَلُ الْخَبَائِثَ جَمْعًا لِلْخَبِيثَةِ مِنَ الشَّيَاطِينِ، ...^(٤).

٦- قوله: «فإن نسي في أوله» أي: أنساه الشيطان أن يقول: بِسْمِ اللَّهِ، قَالَ الْمُبَارَكُفُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَإِنْ نَسِيَ: - بَفَتْحِ النُّونِ، وَكَسْرِ السِّينِ الْمُخَفَّفَةِ - أَيُّ: تَرَكَ نِسْيَانًا، «فِي أَوَّلِهِ» أَيُّ: فَإِنْ نَسِيَ حِينَ الشُّرُوعِ فِي الْأَكْلِ، ثُمَّ تَذَكَّرَ فِي أَثْنَائِهِ أَنَّهُ تَرَكَ التَّسْمِيَةَ أَوَّلًا»^(٥).

٧- قوله: «بسم الله في أوله وآخره»: قَالَ ابْنُ عَلَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أُولَهُ وَآخِرَهُ»: «أَيُّ فِيهِمَا، وَالْمُرَادُ جَمِيعُ أَجْزَاءِ الطَّعَامِ»^(٦).

٨- قوله: «لو سمي لكفاكم»، قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْمِ هَذَا الْأَعْرَابِي، فَأَكَلَ الشَّيْطَانُ بِيَدِهِ مِنْهُ، فَارْتَقَتْ الْبَرَكَةُ عَنْهُ، فَلَمْ يَكْفِهِمْ، وَلَوْ سَمِيَ لَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ مَدْخَلٌ، وَلَا لِلْبَرَكَةِ عَنْهَا مَزْجَلٌ»^(٧)، وَقَالَ ابْنُ عَلَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَوْ سَمِيَ لَكُفَاكُمْ» أَيُّ مَعَهُ بِأَنْ يَبَارَكَ فِيهِ فَتَأْكُلُونَ وَيَأْكُلُ وَيَكْفِي الْجَمِيعَ،

(١) سورة مريم، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٥.

(٣) تحفة الأحوذى، ٥ / ٤٨٣.

(٤) لسان العرب، ٢ / ١٤١، مادة (خبث)، وتقدم في المفردة رقم ١٠، من شرح مفردات حديث المتن رقم ٧٥.

(٥) تحفة الأحوذى، ٥ / ٤٨٣.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لابن علان، ٦ / ٢٠.

(٧) عارضة الأحوذى، ١ / ٥٧.

لكن يترك التسمية عليه نزعت منه البركة حتى أكل في لقمتين»^(١).

٩- قال ابن علان رحمته الله: «ما زال الشيطان يأكل معه، أي: في دوام تناوله الطعام، تاركاً التسمية فيه»^(٢).

١٠- قوله: «بلقمتين»: قال ابن منظور رحمته الله: «واللُقْمَةُ: اسم لما يَهَيَّئُهُ الإنسان للالتقام، واللُقْمَةُ أَكْلُهَا بِمَرَّةٍ، تقول: أَكَلْتُ لُقْمَةً بِلَقْمَتَيْنِ، وَأَكَلْتُ لُقْمَتَيْنِ بِلُقْمَةٍ»^(٣). وقال الأزهري رحمته الله: «واللقمة: اسم لما يهيئه الإنسان للالتقام، واللقمة: أكلها بمرة. تقول أكلت لقمة بلقمتين، وأكلت لقمتين بلقمة»^(٤).

١١- قوله: «استقاء ما في بطنه»: قال الخرخشي رحمته الله: «أي: خَارَجَ الْإِنَاءَ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ حَقِيقَةً»^(٥)، وقال العظيم أبادر رحمته الله: «(استقاء) أي: الشَّيْطَانُ (مَا فِي بَطْنِهِ) أَي: مِمَّا أَكَلَهُ، وَالِاسْتِقَاءُ اسْتِفْعَالٌ مِنَ الْقِيءِ، بِمَعْنَى الْإِسْتِفْرَاقِ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ، أَوْ الْمُرَادُ الْبَرَكَةُ الذَّاهِبَةُ بِتَرْكِ التَّسْمِيَةِ، كَأَنَّهَا كَانَتْ فِي جَوْفِ الشَّيْطَانِ أَمَانَةً، فَلَمَّا سَمِيَ رَجَعَتْ إِلَى الطَّعَامِ، قَالَ الثَّوْرِبَشْتِيُّ أَي صَارَ مَا كَانَ لَهُ وَبَالًا عَلَيْهِ مُسْتَلَبًا عَنْهُ بِالتَّسْمِيَةِ»^(٦).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- حرص الرسول ﷺ على تعليم أمته أمور دينهم ودنياهم.

٢- للتسمية قبل الطعام فوائد عظيمة منها البركة في الطعام ولذلك قال النبي ﷺ لبعض أصحابه الذين شكوا أنهم يأكلون ولا يشبعون: «فاجتمعوا

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢٠ / ٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢٠ / ٦.

(٣) لسان العرب، ٥٤٦ / ١٢، مادة (لقم).

(٤) تهذيب اللغة، للأزهري، ٢٣٥ / ٣، مادة (لقم).

(٥) شرح مختصر خليل للخرشي، ١٧٣ / ٢.

(٦) عون المعبود، ١٧٣ / ١٠.

على طعامكم يبارك لكم فيه»^(١).

٣- التسمية على الطعام والشراب تطرد الشيطان وتدحره لقوله ﷺ: «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه»^(٢) فإن نسي التسمية أول الطعام ثم تذكرها جاء بها.

٤- السنة في التسمية هو قول: «بسم الله»، ولا تجزئ تسمية واحد عن الجميع، ولو قال: بسم الله الرحمن الرحيم فلا حرج؛ لأن الرحمن والرحيم اسمان من أسماء الله الحسنى.

٥- قال ابن القيم رحمه الله: «وَالصَّحِيحُ وَجُوبُ التَّسْمِيَةِ عِنْدَ الْأَكْلِ، وَهُوَ أَحَدُ الْوَجْهَيْنِ لِأَصْحَابِ أَحْمَدَ، وَأَحَادِيثُ الْأَمْرِ بِهَا صَحِيحَةٌ صَرِيحَةٌ، وَلَا مُعَارِضَ لَهَا، وَلَا إِجْمَاعَ يُسَوِّغُ مُخَالَفَتَهَا وَيُخْرِجُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا، وَتَارِكُهَا شَرِيكُهُ الشَّيْطَانُ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ»^(٣).

٦- قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «الإنسان إذا لم يسم الله على طعامه فإن الشيطان يأكل معه لحديث أمية بن مخشي أن رجلاً أكل طعاماً فلم يسم فلما بقى لقمة واحدة تذكر فسمى الله تعالى فضحك النبي ﷺ وأخبر أن الشيطان كان يأكل معه فلما ذكر الله قاء الشيطان ما أكله وهذه من نعمة الله سبحانه وتعالى أن الشيطان يحرم أن يأكل معنا إذا سميناه في أول الطعام وكذلك إذا سميناه في آخره وقلنا بسم الله أوله وآخره فإن ما أكله يتقيؤه فيحرم إياه وفي الحديث دليل على أن الشيطان يأكل لأنه أكل من هذا

(١) أبو داود، كتاب الأطعمة، باب في الاجتماع على الطعام، برقم ٣٧٦٤، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٦٦٤.

(٢) مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامها، برقم ٢٠١٧.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢/ ٣٦٢.

الطعام فالشيطان يأكل ويشرب ويشارك الأكل والشارب إذا لم يسم الله تعالى على أكله وشربه»^(١).

٧- لم يرد في أمر الكلام أثناء الطعام أمر ولا نهى فهو من المباحات ويكون الكلام حسب المصلحة التي تترتب عليه كإيناس ضيف أو إجابة سائل أو نحو ذلك، وكذلك إذا سكت طيلة أكله فلا شيء عليه.

١٧٩- (٢) «مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعَامَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ»^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٠٩- لفظ الترمذي: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما^(٣)، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ^(٤) عَلَى مَيْمُونَةَ^(٥)، فَجَاءَتْنَا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ رَسُولُ

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٨١٤.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أكل طعاماً، برقم ٣٤٥٥، وأبو داود، كتاب الأشربة، باب ما يقول إذا شرب اللبن، برقم ٣٧٣٠، وأحمد، ٣/ ٤٢٩، برقم ١٩٧٨، والطبقات الكبرى، لابن سعد، ١/ ٣٩٧، وحسنه محققو المسند، ٣/ ٤٤٠، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٣٧٣٠، وصحيح الترمذي، برقم ٢٧٤٩، وصحيح سنن ابن ماجه، برقم ٣٣٢٢.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٨٧ من أحاديث الشرح.

(٥) أم المؤمنين زوج النبي ﷺ ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية، أخت أم الفضل لبابة زوج العباس بن عبد المطلب ﷺ، كان اسم ميمونة برة فسمها رسول الله ﷺ ميمونة، وكانت قبل النبي ﷺ عند حويطب بن عبد العزى، وفي رواية أنها هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ تزوجها رسول الله ﷺ وبنى بها بسرف، وتوفيت في هذا الموضع الذي ابنتى بها فيه رسول الله ﷺ، وذلك سنة إحدى وخمسين، وقيل توفيت بسرف سنة ست وستين، وقيل توفيت سنة ثلاث وستين، وصلى عليها ابن عباس. انظر: =

اللَّهُ ﷺ، وَأَنَا عَلَى يَمِينِهِ، وَخَالِدٌ عَلَى شِمَالِهِ، فَقَالَ لِي: «الشَّرْبَةُ لَكَ، فَإِنْ شِئْتَ أَتَرَتْ بِهَا خَالِدًا»، فَقُلْتُ: مَا كُنْتُ أَوْثِرُ عَلَى سُورِكَ أَحَدًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ الطَّعَامَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ يَجْزِي مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرُ اللَّبَنِ»^(١).

٦١٠ - ولفظ أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٢) قَالَ: كُنْتُ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَجَاؤُوا بِضَبَّيْنِ مَشْوِيَّيْنِ عَلَى ثُمَامَتَيْنِ، فَتَبَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ خَالِدٌ: إِحَالُكَ تَقْدَرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ»، ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلَبْنٍ، فَشَرِبَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَإِذَا سَقَى لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَجْزِي مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنُ»^(٣).

٦١١ - ولفظ أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما^(٤)، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَلَى مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رضي الله عنها، فَقَالَتْ: أَلَا نُطْعِمُكُمْ مِنْ هَدِيَّةٍ أَهْدَتْهَا لَنَا أُمُّ عَفِيْقٍ؟^(٥)، قَالَ: فَجِئَا بِضَبَّيْنِ مَشْوِيَّيْنِ، فَتَبَرَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ رضي الله عنه: كَأَنَّكَ تَقْدَرُهُ؟ قَالَ: «أَجَلٌ» قَالَتْ: أَلَا أُسْقِيكُمْ مِنْ لَبَنِ

الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤/ ١٩١٤، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٨/ ١٢٦].

(١) الترمذي، برقم ٣٤٥٥، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٣٧٣٠، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٣٧٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٥) أم عفيق: هي أم حفيد خالة ابن عباس، وخالة خالد بن الوليد رضي الله عنه، قَالَ أَبُو عَمْرٍو ابن عبد البر رحمته الله:

«وَهَذِهِ الْأُخْتُ الْأَعْرَابِيَّةُ، هِيَ هَذِيْلَةُ أُمِّ حَفِيْدٍ، وَأَخَوَاتٌ مَيْمُونَةَ لِأَيِّهَا: لُبَابَةُ الصُّغْرَى، وَعَضْمَاءُ،

وَعَرَاءُ، وَهَذِيْلَةُ أُمِّ حَفِيْدٍ ...، وَهُنَّ تِسْعُ أَخَوَاتٍ، مِنْهُنَّ سِتٌّ لِأَبٍ وَأُمٍّ، وَثَلَاثٌ لِأُمٍّ». الاستذكار

الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ٢٧/ ١٨٦.

أَهْدَتْهُ لَنَا؟ فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: فَجِئَ بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَخَالِدٌ عَنْ شِمَالِهِ، فَقَالَ لِي: «الشُّرْبَةُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا»، فَقُلْتُ: مَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ بِسُورِكَ عَلَيَّ أَحَدًا، فَقَالَ: «مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ طَعَامًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ، وَزِدْنَا مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِي مَكَانَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ»^(١).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «من أطعمه الله طعاماً»: قال الشوكاني رحمه الله: «إذا فرغ من الأكل والشرب»^(٢).

٢- قوله: «إذا أكل أحدكم طعاماً»: قال المباركفوري رحمه الله: «أي: أراد أن يأكل طعاماً، أي غير لبن»^(٣).

٣- قوله: «الشربة لك» أي: لكونك على يميني فأنت مستحق لها فلا تدفع لغيرك إلا بإذنها. قال المباركفوري رحمه الله: «قوله الشربة لك أي: أنت مُسْتَحَقٌّ لَهَا لِأَنَّكَ عَلَى جِهَةِ يَمِينِي فَإِنْ شِئْتَ آثَرْتَ بِهَا خَالِدًا أَي: اخْتَرْتَ بِالشُّرْبَةِ عَلَى نَفْسِكَ خَالِدًا»^(٤).

٤- قوله: «آثرت» أي: تركتها لخالد عن رغبة منك. قال ابن منظور رحمه الله: «المأثرة، بفتح الثاء، وَضَمُّهَا: الْمَكْرَمَةُ؛ لِأَنَّهَا تُؤَثَّرُ، أَي: تُذَكَّرُ، وَيَأْثُرُهَا قَرْنٌ عَنْ قَرْنٍ يَتَحَدَّثُونَ بِهَا... مَاثِرُ الْعَرَبِ: مَكَارِمُهَا، وَمَفَاخِرُهَا الَّتِي تُؤَثَّرُ عَنْهَا،

(١) أحمد، برقم ١٩٧٨، وحسنه محققو المسند، ٣/ ٤٤٠. وهذه القصة أصلها في الصحيحين، البخاري، برقم ٢٥٧٥، ومسلم، برقم ١٩٤٥، وأحد ألفاظ البخاري: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَهْدَتْ أُمُّ حَفْصَةَ خَالَهٖ ابْنَ عَبَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَقْطَا وَسَمْنَا وَأَضْبَا، فَأَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ الْأَقِطِ، وَالسَّمْنِ، وَتَرَكَ الضَّبَّ تَقْدَرًا»، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٢٤.

(٣) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٩٦.

(٤) تحفة الأحوذى (٩/ ٢٩٦).

أَيُّ تُذَكِّرُ وَتُزَوِّي... وَآثَرُهُ عَلَيْهِ: فَضْلُهُ، وَآثَرٌ، كُلُّهُ: فَضْلٌ وَقَدَّمَ. وَآثَرْتُ فَلَانًا عَلَى نَفْسِي: مَنِ الْإِثَارَ، آثَرْتُكَ إِثَارًا أَيُّ: فَضَّلْتُكَ^(١).

٥- قوله: «سُورِك»: السُّور: هو البقية، والفضلة بعد الشرب، قال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «السُّورُ - بِضَمِّ السِّينِ، وَشُكُونِ الْهَمْزَةِ -: الْبَقِيَّةُ، وَالْفَضْلَةُ، وَالْمَعْنَى: مَا كُنْتُ لِأَخْتَارَ عَلَى نَفْسِي بِفَضْلِ مِنْكَ أَحَدًا مِنْ أَطْعِمَةِ اللهِ»^(٢).

٦- قوله: «أطعمه الله طعاماً» أَيُّ: ساق له هذا الطعام ليأكله. قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «الطَّعَامُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُؤْكَلُ، وَقَدْ طَعِمَ يَطْعُمُ طَعْمًا، فَهُوَ طَاعِمٌ إِذَا أَكَلَ أَوْ ذَاقَ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾^(٣): مَعْنَاهُ: مَا أُرِيدُ أَنْ يَزْرُقُوا أَحَدًا مِنْ عِبَادِي، وَلَا يُطْعِمُوهُ لِأَنِّي أَنَا الرَّزَّاقُ الْمُطْعِمُ»^(٤).

٧- قوله: «فليقل: اللهم بارك لنا فيه» أَيُّ: اجعل هذا الخير في نماء دائمًا واجعله عونًا لنا على طاعتك. قال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «بَارِكْ لَنَا فِيهِ: مِنَ الْبَرَكَاتِ وَهِيَ زِيَادَةُ الْخَيْرِ وَنُمُوهُ، وَدَوَامُهُ، وَأَطْعَمْنَا خَيْرًا مِنْهُ مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ، أَوْ أَعَمَّ»^(٥).

٨- قوله: «ومن سقاه الله لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه»: قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «دليل على أن اللبن أرفع حالاً من الطعام، ووجه ذلك أن النبي ﷺ طلب أن يطعمه الله ما هو خير من الطعام»^(٦).

٩- قوله: «وأطعمنا خيراً منه» أَيُّ: من طعام الجنة العالية ذات القطوف

(١) لسان العرب، ٦/٤، مادة (أثر).

(٢) تحفة الأحوذى، ٢٩٦/٩.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٧.

(٤) لسان العرب، ٣٦٣/١٢، مادة (طعم).

(٥) تحفة الأحوذى، ٢٩٦/٩.

(٦) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٢٤.

الدانية، قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «طلب أن يطعمه الله ما هو خير من الطعام، ولم يطلب ذلك في اللبن، وإنما طلب الزيادة منه»^(١)، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَطْعَمْنَا خَيْرًا مِنْهُ مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ، أَوْ أَعَمَّ»^(٢).

١٠- قوله: «وزدنا منه»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «لا خير من اللبن في المشروب، فيسأل إنما يطلب الزيادة منه، وقد بين ﷺ أخيرته بإغنائه، أي: إجزائه عن الطعام والشراب، فدل أن الخيرية في النفع والكفاية، لا في التلذذ والرفاهية»^(٣).

١١- قوله: «يجزئ»: أي: يكفي لدفع الجوع والعطش، قال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِئُ بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الزَّايِ بَعْدَهَا هَمْزٌ أَيْ: يَكْفِي فِي دَفْعِ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ مَعَ مَكَانِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ أَيْ: مَكَانِ جَنْسِ الْمَأْكُولِ وَالْمَشْرُوبِ وَبَدَلَهُمَا غَيْرُ اللَّبَنِ بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي يُجْزِئُ»^(٤).

١٢- قوله: «الضَّب»: قال ابن منظور: «الضَّبُّ: دَوِيَّةٌ مِنَ الْحَشَرَاتِ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ يُشَبُّهُ الْوَرَلُ؛ وَالْجَمْعُ أَضْبٌ مِثْلُ كَيْفٍ وَأَكْفٍ، وَضِبَابٌ وَضِبَانٌ»^(٥).

١٣- قوله: «مشوي»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «وَالشَّيْ: مَضْدَرٌ شَوِيْتُ، وَالشَّوَاءُ الْاسْمُ. وَشَوَى اللَّحْمَ شَيْئًا فَانْشَوَى... وَاشْتَوَى الْقَوْمُ: اتَّخَذُوا شِوَاءً... وَشَوَاهُمْ وَأَشَوَاهُمْ: أَطْعَمَهُمْ شِوَاءً. وَأَشَوَاهُ لَحْمًا: أَطْعَمَهُ إِيَّاهُ»^(٦).

١٤- قوله: «ثمامتين»: قال الخطابي رَحِمَهُ اللهُ: «الثمامتان: عودان، واحدهما

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٢٤، والتنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥٩١.

(٢) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٩٦.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥٩١.

(٤) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٩٦.

(٥) لسان العرب، ١/ ٥٣٨، مادة (ضِب).

(٦) لسان العرب، ١٤/ ٤٤٦، مادة (شوي).

ثمامة، والثمَام شجر دقيق العود ضعيفه»^(١)، وقال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «والثَّمَامُ: نَبْتُ مَعْرُوفٍ فِي الْبَادِيَةِ، وَلَا تَجْهَدُ النَّعْمَ: ثَبَتَ ضَعِيفٌ قَصِيرٌ لَا يَطُولُ... وَمَا يَسُ مِنْ الْأَغْصَانِ الَّتِي تَوْضَعُ تَحْتَ النَّصْدِ وَبَيْتِ مَثْمُومٍ: مُعْطًى بِالثَّمَامِ»^(٢).

١٥- قوله: «فتبْزُق»: تَكَرَّهًا، قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «بَزَقَ: الْبَزَقَ وَالْبَصُقَ: لُغَتَانِ فِي الْبَزَاقِ، وَالْبُصَاقِ، بَزَقَ يَبْزُقُ بَزْقًا»^(٣).

١٦- قوله: «كَأَنَّكَ تَقْذَرُهُ»: قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ رَحِمَهُ اللهُ: «قَذَرَ: الْقَذَرُ: ضِدُّ النَّظَافَةِ؛ وَشَيْءٌ قَذِرٌ بَيْنُ الْقَذَارَةِ... وَقَدْ قَذَرَهُ قَذْرًا وَتَقَذَّرَهُ وَاسْتَقَذَّرَهُ... وَالْقَاذِرَةُ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا: الْفِعْلُ الْقَبِيحُ، وَاللَّفْظُ السَّيِّئُ؛ وَرَجُلٌ قَذَرٌ قَذِرٌ وَقَذَرٌ. وَيُقَالُ: أَقْذَرْنَا يَا فُلَانُ أَيْ: أَضْجَرْنَا»^(٤).

ثَالِثًا: مَا يَسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ:

١- الْحَثُّ عَلَى إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الدَّخُولِ عَلَى صَاحِبِ الْبَيْتِ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ؛ لِأَنَّ مِيمُونَةَ هِيَ أُخْتُ أُمِّ الْفَضْلِ لِبَابَةِ الْكُبْرَى الْهَلَالِيَّةِ وَالْدَّةِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأُخْتُ لِبَابَةِ الصَّغْرَى الْهَلَالِيَّةِ وَالْدَّةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَمِيعًا^(٥).

٢- قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَلَا يَجُوزُ عِنْدِي لِأَحَدٍ شَرْبَ مَاءٍ، أَوْ لَبْنًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْرَبَةِ الْحَلَالِ، وَحَوْلَهُ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَشْرَبَ مِنْ ذَلِكَ مَعَهُ مِمَّنْ بِهِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، أَوْ لَيْسَ بِهِ حَاجَةٌ إِلَيْهِ، إِذَا وَسَعَهُمْ ذَلِكَ الشَّرَابُ أَنْ يَنَاولَ مِنْ عَلَى يَسَارِهِ الْبَتَّةَ بِحَالٍ، فَاضْلًا كَانَ أَوْ مَفْضُولًا، حَتَّى يَشَاوِرَ مِنْ عَلَى يَمِينِهِ؛ فَإِنَّهُ حَقٌّ لَهُ بِالسَّنَةِ الثَّابِتَةِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ؛ فَإِنْ أَذِنَ لَهُ فَعَلَ، وَإِلَّا فَهُوَ أَحَقُّ

(١) معالم السنن، ٤/ ٢٧٦.

(٢) لسان العرب، ١٢/ ٧٩، مادة (ثمم).

(٣) لسان العرب، ١٠/ ١٩، مادة (بزق).

(٤) لسان العرب، ٥/ ٨٠، مادة (قذر).

(٥) الصواب أن أم خالد بن الوليد: لبابة الصغرى صحابية، وبه جزم الحافظ ابن حجر في الإصابة، ٨/ ١٧٨.

بالشراب من الذي على يساره، وهذا نص صحيح ثابت، لا يلتفت إلى ما خالفه من آراء الرجال، وبالله التوفيق، وهو المستعان، والشراب المذكور في هذا الحديث كان لبناً^(١).

٣- استحباب التيامن في كافة الأمور هو هديه ﷺ إلا ما استقذر، كاستنجاء أو نحوه، وإن كان من على اليسار فاضلاً، ومن كان على اليمين مفضولاً، دليل ذلك أن النبي ﷺ كان عند أنس ؓ في داره، فأعطاه لبناً، فشرب رسول الله ﷺ وأبو بكر عن يساره، وعمر أمامه، وأعرابي عن يمينه، فلما فرغ من شربه ﷺ قال عمر: هذا أبو بكر يا رسول الله يريه إياه، فأعطى رسول الله ﷺ الأعرابي، وقال: «الأيمنون» ثلاثاً، قال أنس: فهي سنة، قالها ثلاثاً^(٢).

٤- قال العيني رحمه الله: «وفيه فضيلة اليمين على الشمال وقد أمروا بالشرب بها والمعاطاة دون الشمال وفيه أن من استحق شيئاً من الأشياء لم يدفع عنه صغيراً كان أو كبيراً إذا كان ممن يجوز إذنه»^(٣).

٥- قال النووي رحمه الله: «وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ أَيْضًا بَيَانَ هَذِهِ السُّنَّةِ، وَهِيَ أَنَّ الْأَيْمَنَ أَحَقُّ، وَلَا يُدْفَعُ إِلَى غَيْرِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَأَنَّهُ لَا بَأْسَ بِاسْتِئْذَانِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُلْزَمُهُ الْإِذْنُ، وَيَتَّبِعِي لَهُ أَيْضًا إِلَّا يَأْذَنُ إِنْ كَانَ فِيهِ تَفْوِيتُ فَضِيلَةٍ أُخْرَوِيَّةٍ، وَمَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ كَهَذِهِ الصُّورَةِ»^(٤).

٦- واختلف في الإيثار في الطاعات، فقيل: الإيثار المحمود إنما يكون في أمور الدنيا، وما كان فيه حظ للنفس، أما الإيثار المذموم فهو ما كان في

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢١ / ١٢١.

(٢) مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن، ونحوهما، عن يمين المبتدئ، برقم ٢٠٣٠.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٩ / ٩.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣ / ٢٠١.

الطاعات، فيكره أن يؤثر غيره بموضعه في الصف الأول، وكذلك نظائره^(١)، وقيل: بل الإيثار بالطاعات لا بأس به، وقد يحصل المؤثر غيره على أضعاف الثواب، قال ابن القيم رحمته الله في زاد المعاد: «...يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَسْأَلَ أَخَاهُ أَنْ يُؤْثِرَهُ بِقُرْبَةٍ مِنَ الْقُرْبِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُؤْثِرَ بِهَا أَخَاهُ، وَقَوْلُ مَنْ قَالَ مِنَ الْفُقَهَاءِ: لَا يَجُوزُ الْإِيثَارُ بِالْقُرْبِ لَا يَصِحُّ، وَقَدْ أَثَرَتْ عَائِشَةُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِدَفْنِهِ فِي بَيْتِهَا جَوَارِ النَّبِيِّ ﷺ، وَسَأَلَهَا عَمْرٌ ذَلِكَ فَلَمْ تَكْرَهُ لَهُ السُّؤَالَ، وَلَا لَهَا الْبَذْلُ، وَعَلَى هَذَا إِذَا سَأَلَ الرَّجُلُ غَيْرَهُ أَنْ يُؤْثِرَهُ بِمَقَامِهِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، لَمْ يُكْرَهُ لَهُ السُّؤَالَ، وَلَا لِذَلِكَ الْبَذْلُ وَنَظَائِرُهُ، وَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَةَ الصَّحَابَةِ، وَجَدَهُمْ غَيْرَ كَارِهِينَ لِذَلِكَ، وَلَا مُمْتَنِعِينَ مِنْهُ، وَهَلْ هَذَا إِلَّا كَرَمٌ وَسَخَاءٌ، وَإِيثَارٌ عَلَى النَّفْسِ، بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مَحَبُوبَاتِهَا، تَفْرِيحًا لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَتَعْظِيمًا لِقَدْرِهِ، وَإِجَابَةً لَهُ إِلَى مَا سَأَلَهُ، وَتَرْغِيبًا لَهُ فِي الْخَيْرِ، وَقَدْ يَكُونُ ثَوَابُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ رَاجِحًا عَلَى ثَوَابِ تِلْكَ الْقُرْبَةِ، فَيَكُونُ الْمُؤْثِرُ بِهَا مِمَّنْ تَاجَرَ فَبَذَلَ قُرْبَةً، وَأَخَذَ أَضْعَافَهَا، وَعَلَى هَذَا فَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يُؤْثِرَ صَاحِبُ الْمَاءِ بِمَائِهِ أَنْ يَتَوَضَّأَ بِهِ، وَيَتَيَمَّمُ هُوَ إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَيَمُّمِ أَحَدِهِمَا، فَآثَرَ أَخَاهُ، وَحَازَ فَضِيلَةَ الْإِيثَارِ، وَفَضِيلَةَ الطَّهْرِ بِالثَّرَابِ، وَلَا يَمْنَعُ هَذَا كِتَابًا، وَلَا سُتَّةً، وَلَا مَكَارِمَ أَخْلَاقٍ، وَعَلَى هَذَا، فَإِذَا اشْتَدَّ الْعَطَشُ بِجَمَاعَةٍ، وَعَايَنُوا التَّلَفَ، وَمَعَ بَعْضِهِمْ مَاءٌ، فَآثَرَ عَلَى نَفْسِهِ، وَاسْتَسْلَمَ لِلْمَوْتِ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا، وَلَمْ يَقُلْ إِنَّهُ قَاتِلٌ لِنَفْسِهِ، وَلَا أَنَّهُ فَعَلَ مُحَرَّمًا، بَلْ هَذَا غَايَةُ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(٢)، وَقَدْ جَرَى هَذَا بَعْضُهُ لَجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي فُتُوحِ الشَّامِ، وَغَدَّ ذَلِكَ مِنْ مَنَاقِبِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ، وَهَلْ

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣ / ٢٠١.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

إِهْدَاءِ الْقُرْبِ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا، وَالْمُتَنَازِعِ فِيهَا إِلَى الْمَيِّتِ إِلَّا إِيْثَارَ بَثْوَابِهَا، وَهُوَ عَيْنُ الْإِيْثَارِ بِالْقُرْبِ، فَأَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ أَنْ يُؤْثِرَهُ بِفِعْلِهَا لِيُحْرَزَ ثَوَابُهَا، وَبَيْنَ أَنْ يَعْمَلَ ثُمَّ يُؤْثِرَهُ بِثَوَابِهَا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ»^(١).

٧- فعل ابن عباس رضي الله عنه دليل على فطنته، رغم أنه كان غلاماً، وإنما فعل ذلك ليشرب من المكان الذي شرب منه النبي ﷺ تبركاً بريقه الشريف، وهذا من خصائصه ﷺ، ولاتنسحب إلى أحد من الأمة، مهما علا قدره.

٨- استحباب تقديم اللبن للضيف لفعل الصحابة رضي الله عنهم ذلك كثيراً، وإن قدم غيره لا شيء في ذلك، إلا أن اللبن أنفع من غيره، قال الحافظ: وبه يشتد العظم، وينبت اللحم، وهو بمجرد قوت، ولا يدخل في السرف بوجه، وهو أقرب إلى الزهد^(٢). وهو إشارة إلى الفطرة، ولذلك اختاره النبي ﷺ ليلة المعراج^(٣)، لما خير بين اللبن والعسل والخمر - أي خمر الجنة.

٩- قال ابن عبد البر رحمته الله: «وفي هذا الحديث من الفقه أن من وجب له شيء من الأشياء، لم يدفع عنه، ولم يتصور عليه فيه إلا بإذنه، صغيراً كان أو كبيراً، إذا كان ممن يجوز له إذنه، وليس هذا موضع «كبر، كبر»؛ لأن السن إنما يراعى عند استواء المعاني والحقوق، وكل ذي حق أولى بحقه أبداً، والمناولة على اليمين من الحقوق الواجبة في آداب المجالسة^(٤).

١٠- وفي هذا الحديث دليل على أن الجلساء شركاء في الهدية، وذلك على جهة: الأدب، والمروءة، والفضل، والأخوة، لا على الوجوب؛ لإجماعهم على أن

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/ ٤٤٢.

(٢) انظر: فتح الباري ١٠/ ٨٧.

(٣) البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب اللبن، برقم ٥٦١٠.

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢١/ ١٢٣.

المطالبة بذلك غير واجبة لأحد، وبالله التوفيق^(١).

١١- استحباب قول: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ» بعد شرب اللبن واستحباب المضمضة منه بعد شربه لقوله ﷺ: «إِنْ لَهُ لِدَسْمًا»^(٢).

١٢- في قوله ﷺ: «وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ»^(٣)، قال الجزائري: «فسبحان ذي القدرة العجيبة، والعلم الواسع، والحكمة التي لا يقادر قدرها، اللبن يقع بين الفرث والدم، والفرث هو الروث الموجود في الكرش، فينقل الدم إلى الكبد، فيوزعه على العروق لبقاء حياة الحيوان، واللبن يساق إلى الضرع، والفرث يبقى أسفل الكرش، ويخرج اللبن خالصاً من شائبة الدم، وشائبة الفرث، فلا يرى ذلك في لون اللبن، ولا يشم في رائحته، ولا يوجد في طعمه، بدليل أنه سائغ للشاربين، حقاً إنها عبرة من أجل العبر، تنقل صاحبها إلى نور العلم، والمعرفة بالله في جلاله وكماله، فتورثه محبة الله، وتدفعه إلى طاعته، والتقرب إليه»^(٤).

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ٢١/ ١٢٣.

(٢) البخاري، كتاب الوضوء، باب هل يمضمض من اللبن، برقم ٢١١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٦.

(٤) تفسير الجزائري، ص ٨٩٤.

٧٠- الدُّعَاءُ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الطَّعَامِ

١٨٠- (١) «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ، مِنْ غَيْرِ

حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦١٢- لفظ أبي داود عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه (٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ، وَمَنْ لَبَسَ ثَوْبًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»^(٣).

٦١٣- ولفظ الترمذي وغيره: عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤).

(١) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، كتاب اللباس، باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً، برقم ٤٠٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان، ١٨١ / ٥، وفي الدعوات الكبير له، ٧٥ / ٢، وبدون لفظ: «وما تأخر» أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٤٥٨، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب ما يقال إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٢٨٥، وحسنه الألباني في ضعيف أبي داود، برقم ٣٥٠٥، دون لفظ: «وما تأخر» وفي صحيح الترمذي، ١٥٩ / ٣، وصحيح ابن ماجه، برقم ٢٦٥٦، وحسن الحافظ ابن حجر رواية أبي داود في نتائج الأفكار، ١ / ١٢٢، وفي الخصال المكفرة، ص ٧٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٦ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٤٠٢٥، وحسنه الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ١ / ١٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، برقم ٣٤٥٨، وابن ماجه، برقم ٣٢٨٥، وحسنه الألباني صحيح الترمذي، ١٥٩ / ٣، وصحيح ابن ماجه، برقم ٢٦٥٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «من أكل طعاماً»: قال ابن علان رحمته الله: «ظاهر عمومته، ولو على وجه التداوي، لشمول الطعام له لغة وشرعاً، كما ذكره الفقهاء في باب الربا، وعدم حنث من حلف لا يأكل طعاماً، يتناوله من حيث إن مدار الأيمان على العرف، وهو لا يعدّه طعاماً»^(١).

٢- قوله: «الحمد لله»: قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»^(٢)، وقال الطيبي رحمته الله: «الحمد: الشاء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدينية ما لا يحصى»^(٣).

٣- قوله: «الذي أطعمني هذا»: أي: جعلني آكله وأشعر بلذة طعمه فإن هذا من النعم. قال ابن منظور رحمته الله: «الطَّعَامُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُؤْكَلُ»^(٤).

٤- قوله: «ورزقنيه»: أي: يسره لي، فهو صاحب الفضل والنعمة. قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «ارزقني: يعني الرزق الذي يقوم به البدن: من الطعام، والشراب، واللباس، والمسكن، وغير ذلك، والرزق الذي يقوم به القلب، وهو العلم النافع، والعمل الصالح، وهذا يشمل هذا وهذا، فالرزق نوعان: رزق يقوم به البدن، ورزق يقوم به القلب، والدين، والإنسان إذا قال: ارزقني، فهو يسأل الله هذا وهذا»^(٥).

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢٢ / ٦.

(٢) بدائع الفوائد، ٥٣٧/٢، وانظرها بتفصيل أكثر في شرح مفردات الحديث رقم ٢ من أحاديث المتن، في المفردة رقم ٤، ورقم ٧.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٩٠٩ / ٦، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثانية من حديث المتن رقم ١٠٨.

(٤) لسان العرب، ٣٦٣ / ١٢، مادة (طعم)، وتقدم في شرح المفردة السادسة من حديث المتن رقم ١٧٩.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤٦٩، وتقدم الكلام على الرزق مستوفى في المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ٤٩.

٥- قوله: «من غير حول مني ولا قوة»: أي: من غير قوة مني، تشق علي ولا حيلة، بل بفضلك وحدك ورزقك، وتوفيقك، وإعانتك^(١). قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «ومعنى ذلك أنه لولا أن الله تعالى يسر لك هذا الطعام، ما حصل لك، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمَغْرُمُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾»^(٢)، فالإنسان لولا أن الله ييسر له الطعام من حين أن ييذر، ثم ينبت، ثم يحصد، ثم يحضر إليه، ثم يطحن، ثم يعجن، ثم يطبخ، ثم ييسر الله له الأكل ما تيسر له ذلك؛ ولهذا قال بعض العلماء إن الطعام لا يصل إلى الإنسان ويقدم إليه إلا وقد سبق ذلك نحو مائة نعمة من الله لهذا الطعام، ولكننا أكثر الأحيان في غفلة عن هذا، نسأل الله أن يطعمنا وجميع المسلمين الطعام الحلال، وأن يرزقنا شكر نعمته، إنه على كل شيء قدير^(٣).

٦- قوله: «غفر له ما تقدم من ذنبه»: قال ابن منظور: «الغفر: التغطية، والستر،... غفر الله ذنوبه أي: سترها... والغفر، والمغفرة: التغطية على الذنوب، والعفو عنها»^(٤)، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «بمعنى أن الله أخبر أنه لا يؤاخذ به بذنب لو وقع منه»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- حمد الله وشكره على نعمه من أسباب رضا الله على العبد، قال رسول

(١) الكلم الطيب، تعليق الشيخ: محمد النجدي، ٥٩.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٦٣ - ٦٧.

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٧٣٥.

(٤) لسان العرب، ٥ / ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم مستوفى في المفردة الثانية من مفردات ألفاظ الحديث

رقم ٤٨ من أحاديث المتن.

(٥) فتح الباري، ١١ / ٤٣٦.

الله ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا»^(١).

٢- الأرزاق التي يسوقها الله لعباده هي إنعام منه عليهم وكل ما يبذله العبد من سبب شرعي إنما هو بتوفيق الله وتذليله لهذه الأسباب.

٣- إظهار افتقار المسلم لربه يقوي في قلبه عبوديته لله تعالى.

٤- البشارة النبوية الكريمة لقائل هذا الذكر بالمغفرة لقوله ﷻ في نهاية الحديث: «غفر له ما تقدم من ذنبه».

٥- من جملة الآداب النبوية إضافة إلى ما مضى:

الأدب الأول: الأكل باليمين والأكل مما يلي الأكل لقوله ﷻ: «سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»^(٢)، إلا إذا كان الأكل يأكل وحده فلا حرج عليه أن يأكل من الطرف الآخر لأنه لا يؤذي أحدًا بذلك ولكنه لا يأكل من الوسط لأن البركة تنزل فيها. ولكن يجوز للإنسان إذا كان الطعام أنواعًا كلحم أو غيره أن تتخطى يده ما يليها لأن النبي ﷺ كان يتبع الدباء من الصحفة ويأكلها^(٣).

الأدب الثاني: عدم الأكل إلا إذا أتى كبير القوم، أو أذن لهم في ذلك؛ لقول حذيفة ؓ: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يضع رسول الله ﷺ يده^(٤).

الأدب الثالث: عدم عيب الطعام لقول أبي هريرة ؓ: «ما عاب رسول الله

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، برقم ٢٧٣٤.

(٢) البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل مما يليه، برقم ٥٣٧٨.

(٣) البخاري، كتاب الأطعمة، باب من تتبع حوالى القصعة مع صاحبه إذا لم يعرف منه كراهية، برقم ٥٣٧٩.

(٤) مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، برقم ٢٠١٧.

ﷺ طعاماً قط. إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه»^(١).

الأدب الرابع: عدم النفخ في الطعام والشراب لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «نهى النبي ﷺ أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه»^(٢). وفي لفظ: «نهى عن النفخ في الطعام والشراب»^(٣). وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «لا يؤكل طعام حتى يذهب بخاره»^(٤).

الأدب الخامس: غسل اليد بعد الطعام لقوله ﷺ: «مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ، فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(٥)، ومعنى غمر أي: الدسم، والوسخ، والعلة من هذا أن الهوام، أو الجان، وذوات السموم ربما تقصده لرائحته فتؤذيه. أما حديث: «بركة الطعام في الوضوء قبله والوضوء بعده» ففي ثبوته نظر^(٦).

٦- تضمن هذا الذكر إثبات أن الرزاق من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^(٧) ومعناه المتكفل بالرزق لجميع خلقه.

(١) البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط، برقم ٥٤٠٩.

(٢) أبو داود، كتاب الأشربة، باب في النفخ في الشراب والتنفس فيه، برقم ٣٧٢٨، وصححه الألباني، في صحيح سنن أبي داود، ٣٧٢٨.

(٣) أحمد، ٢٦/٥، برقم ٢٨١٧، وابن أبي شيبة، ١٠٧/٥، برقم ٢٤١٧٩، وصححه إسناده محققو المسند، ٢٧/٥، والألباني، في إرواء الغليل، ٣٦/٧.

(٤) البيهقي في السنن الكبرى، ٢٨٠/٧، وفي شعب الإيمان له، ٩٣/٥، وحسن إسناده محققو مسند الإمام أحمد، ٢٨/٦٣٩، والألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٣٧/٧.

(٥) أخرجه أحمد، ١٦/١٣، برقم ٧٥٦٩، وأبو داود، كتاب الأطعمة، باب في غسل اليد من الطعام، برقم ٣٨٥٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٧٦/٧، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٣٨٥٢.

(٦) أبو داود، كتاب الأطعمة، باب في كراهية ذم الطعام، برقم ٣٧٦٣، الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الوضوء قبل الطعام وبعده، برقم ١٨٤٦، مسند أحمد، برقم ٢٣٧٣٣، وضعفه محققو

المسند، والمستدرک للحاکم، ١٠٧/٤، والألباني في ضعيف سنن الترمذي، برقم ٣١٢، والسلسلة الضعيفة، برقم ١٦٨، وقواه ابن التركماني في الجوهر النقي على سنن البيهقي، لابن التركماني، ٢٧٦/٧، وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ١٠٩/٣، برقم ٣٢٧٤: «قيس بن الربيع صدوق وفيه كلام لسوء حفظه لا يخرج الإسناد عن حد الحسن».

(٧) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(١)، قال العلامة السعدي رحمه الله: ورزقه لعباده نوعان:

النوع الأول: رزق عام، شمل البر والفاجر، والأولين والآخرين، وهو رزق الأبدان.
النوع الثاني: ورزق خاص، وهو رزق القلوب، وتغذيتها بالعلم والإيمان^(٢).

٧- قال المناوي رحمه الله: «وفي الحديث دليل على جواز الشبع، وردُّ على من كرهه من الصوفية، والمكروه منه ما يزيد على الاعتدال، وهو الأكل بكل البطن، حتى لا يترك للماء، ولا للنفس مساعاً، وحيث قد يتهيأ إلى التحريم»^(٣).

١٨١- (٢) «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُودَّعٍ، وَلَا مُسْتَعْنَى عَنْهُ رَبَّنَا»^(٤).
الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦١٤- لفظ أبي داود عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ؓ^(٥) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رُفِعَتِ الْمَائِدَةُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُودَّعٍ،

(١) سورة هود، الآية: ٦.

(٢) تفسير السعدي، ص ٩٤٧.

(٣) فيض القدير، ٦/ ١١٠.

(٤) البخاري، كتاب الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه، برقم ٥٤٥٨، ورقم ٥٤٥٩، وأبو داود، كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعمك، برقم ٣٨٤٩، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٤٥٦، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب ما يقال إذا فرغ من الطعام، برقم ٣٢٨٤، وسنن الدارمي، ٢/ ١٢٨٧، برقم ٢٠٦٦.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٥٢ من أحاديث الشرح.

وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا».

٦١٥- لفظ البخاري عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُودِعٍ وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا»^(١).

٦١٦- وفي لفظ آخر للبخاري، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا فَرَعَ مِنْ طَعَامِهِ - وَقَالَ مَرَّةً: إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ - قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَفَانَا وَأَزَوَانَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مَكْفُورٍ»، وَقَالَ مَرَّةً: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبَّنَا، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُودِعٍ وَلَا مُسْتَغْنَى، رَبَّنَا»^(٢).

٦١٧- ولفظ الدارمي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفُورٍ، وَلَا مُودِعٍ، وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ رَبَّنَا»^(٣).

٦١٨- ورواية للحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْهُ^(٤)، قَالَ: دَعَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ قُبَاءِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَنْطَلَقْنَا مَعَهُ، فَلَمَّا طَعِمَ وَغَسَلَ يَدَيْهِ - أَوْ قَالَ: يَدَهُ - قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ، مَنْ عَلَيْنَا فَهَدَانَا، وَأَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكُلَّ بَلَاءٍ حَسَنٍ أَبْلَانَا، الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مُودِعٍ، وَلَا مُكَافِيٍّ، وَلَا مَكْفُورٍ، وَلَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ مِنَ الطَّعَامِ، وَسَقَى مِنَ الشَّرَابِ، وَكَسَا مِنَ الْعُرْيِ، وَهَدَى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ مِنَ الْعَمَايَةِ، وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٥).

٦١٩- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ رَجُلٌ خَدَمَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَمَانِ

(١) البخاري، برقم ٥٤٥٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ٥٤٥٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) أبو داود، ٣٨٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الحاكم، ٥٤٦/١، وأخلاق النبي لأبي الشيخ، ص ٢٣٦، برقم ٦٨٠، وصححه محقق أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم.

سِينِينَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا قَرَّبَ إِلَيْهِ طَعَامُهُ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ» وَإِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وَأَسْقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ، وَهَدَيْتَ وَأَخْيَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ»^(١).

٦٢٠- عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ، وَسَقَى، وَسَوَّغَهُ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الحمد لله»: الحمد هو الوصف بالجميل، والله لفظ الجلالة علم على ذات الرب ﷻ. قال الإمام ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»^(٤)، وقال الطيبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الحمد: الثناء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»^(٥).

٢- قوله: «حمداً كثيراً»: المراد بالكثرة عدم النهاية لحمده، كما لا نهاية لنعمه، فله الحمد من قبل، ومن بعد. قال الطيبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حمداً» نصب بفعل

(١) مسند أحمد، ٢٧ / ١٤٠، برقم ١٦٥٩٥، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الدعاء بعد الأكل، نوع آخر، برقم ٦٨٩٨، وابن السنن في عمل اليوم والليلة، ٤١٦، برقم ٤٦٥، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٧٦٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣١٨ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعم، برقم ٣٨٥١، والنسائي في الكبرى، كتاب الدعاء بعد الأكل، القول بعد الشرب، برقم ٦٨٩٤، وابن السنن في عمل اليوم والليلة، ص ٢٣، برقم ٤٧٠، وصحيح ابن حبان، ٢٤ / ١٢، برقم ٥٢٢٠، وصححه إسناده النووي في الأذكار، ص ٢٩٥، ومحققو ابن حبان، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٢ / ٣٢٢، برقم ٧٠٥.

(٤) بدائع الفوائد، ٢ / ٥٣٧، وانظرها بتفصيل أكثر في شرح مفردات الحديث رقم ٢ من أحاديث المتن، في المفردة رقم ٤، ورقم ٧.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثانية من حديث المتن رقم ١٠٨.

مضمّر دل عليه الحمد، ويحتمل أن يكون بدلاً عنه جارياً على محله»^(١).

٣- قوله: «طيباً»: لأن الله طيب في إنعامه وأفعاله وأسمائه وصفاته. قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «و«طيباً» وصف له، أي خالصاً عن الرياء والشبهة»^(٢)، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «(طيباً) أي منزهاً عن سائر ما ينقصه من رياء، أو سمعة أو إخلال بإجلال»^(٣).

٤- قوله: «مباركاً فيه» أي: لا ينقطع؛ لأن البركة زيادة ونماء على الدوام. قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «مباركاً فيه» يقتضي بركة وخيراً كثيراً، تترادف أرفاده، وتتضاعف أمداده»^(٤)، وقال الزبيدي: «... ولَمَّا كَانَ الْخَيْرُ الْإِلَهِي يَصْدُرُ مِنْ حَيْثُ لَا يُحَسُّ، وَعَلَى وَجْهِهِ لَا يُحْصَى، وَلَا يُحْصَرُ، قِيلَ لِكُلِّ مَا يُشَاهَدُ مِنْهُ زِيَادَةٌ غَيْرُ مُحْسُوسَةٍ: هُوَ مُبَارَكٌ، وَفِيهِ بَرَكََّةٌ»^(٥).

٥- قوله: «غير مكفي» أي: غير محتاج إلى الطعام فيكفي لكنه يُطعم فيكفي^(٦). وقيل: غير مردود عليه إنعامه من كفأت الإناء إذا قلبته. قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا، مكفي: المكفي: المقلوب، من قولك: كفأت القدر: إذا قلبتها، والضمير راجع إلى الطعام، فالله سبحانه هو المطعم والكافي، وهو غير مطعم، ولا مكفي، فالمكفي: الإناء المقلوب للاستغناء عنه، كما قال: «غير مستغنى عنه» أو لعدمه^(٧). معناه أن الله

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩١)

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩١)

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٦/ ٢١)

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن (٣/ ٩٩١)

(٥) تاج العروس للزبيدي، ٢٧/ ٥٧، مادة (برك).

(٦) العلم الهيب ص ٤٦٦.

(٧) انظر: جامع الأصول لابن الأثير، ٤/ ٣٠٧، معالم السنن، لأبي سليمان الخطابي، ٣/ ١٠٣.

سبحانه هو المطعم والكافي وهو غير مطعم ولا مكفي كما قال سبحانه : ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾^(١) «^(٢)» .

٦- قوله: «ولا مودّع» أي: غير متروك الطلب منه، وبكسر الدال أي: أن الداعي غير تارك لدعائه والطلب منه، فقوله: «ولا مودّع» أي: غير متروك الطلب إليه، والرغبة فيما عنده، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾^(٣)، أي: ما تركك، ومعنى المتروك: المستغنى عنه^(٤).

٧- قوله: «غير مكفور»: قال الحربي: «وقوله غير مكفور: أي: غير مجحود نعم الله ﷻ فيه، بل مشكورة، غير مستور الاعتراف بها، والحمد عليها أن الضمير يعود إليه، وأن معنى قوله غير مكفي: أنه يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ كأنه على هذا من الكفاية، وإلى هذا ذهب غيره في تفسير هذا الحديث: أي: إن الله تعالى مستغن عن معين وظهير»^(٥)، وقال القاضي عياض رحمه الله: «غَيْرَ مَكْفُورٍ: غير مجحود نعمة الله فيه، بل مشكورة غير مستورة الاعتراف بها، والحمد والشكر عليها، وذهب الخطابي إلى أن المراد بهذا الدعاء كله: الباري سبحانه، وأن الضمير يعود إليه، وأن معنى قوله: «غَيْرَ مَكْفِيٍّ» أي: أنه يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ، كأنه هاهنا من الكفاية، وإلى هذا ذهب غيره في تفسير هذا الحرف، أي: أنه تعالى مستغن عن معين وظهير، أي: لا تكفر نعمتك علينا بهذا الطعام، فعلى هذا: التفسير الثاني يحتاج أن يكون قوله: «ربنا» مرفوعاً،

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤.

(٢) جامع الأصول، ٤ / ٣٠٧.

(٣) سورة الضحى، الآية: ٣.

(٤) جامع الأصول، ٤ / ٣٠٧.

(٥) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢٩٣.

أي: ربنا غير مكفي ولا مودع، ولا مستغنى عنه، وعلى التفسير الأول: يكون «ربنا» منصوباً على النداء المضاف، وحرف النداء محذوف، أي: يا ربنا، ويجوز أن يكون الكلام راجعاً إلى الحمد، كأنه قال: حمداً كثيراً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودع، ولا مستغنى عنه، أي: عن الحمد، ويكون «ربنا» منصوباً أيضاً كما سبق^(١).

٨- قوله: «ولا مستغنى عنه ربُّنا»: بالرفع أي: هو ربنا وبالنصب على المدح أو الاختصاص أو بالنصب على النداء مع حذف أداة النداء^(٢)، قال النووي رحمته: «وقوله: «ولا مودع»: أي غير متروك الطلب منه والرغبة إليه، وهو بمعنى المستغنى عنه، وينتصب ربنا على هذا بالاختصاص، أو المدح، أو بالنداء، كأنه قال: يا ربنا اسمع حمدنا، ودعاءنا، ومن رفعه قطعه وجعله خبراً، وكذا قيده الأصيلي، كأنه قال: ذلك ربُّنا: أي أنت ربنا، ويصح فيه الكسر على البدل من الاسم في قوله الحمد لله^(٣)».

٩- قوله: «كسا من العري»: قال ابن منظور رحمته: «يقال: كَسَوْتُ فلاناً أَكْسُوهُ كِسْوَةً إذا أَلْبَسْتَهُ ثوباً، أو ثياباً... يقال كَسِيَ يَكْسِي ضدَّ عَرِيَ يَغْرِي^(٤)»، «والغُرْي: خلاف اللُّبْس، عَرِيَ من ثوبه يَغْرِي غُرْياً وَغُرْيَةً، فهو عارٍ، وتَغَرَّى، ... وَرَجُلٌ غُرْيَانٌ، والجمع غُرْيَانُونَ^(٥)».

١٠- قوله: «هدى من الضلالة»: قال ابن منظور رحمته: «(من أسماء الله

(١) مطالع الأنوار على صحاح الآثار، ٣/ ٣٧٩.

(٢) تعليق الشيخ النجدي على الكلم الطيب، ص ٦٠.

(٣) الأذكار للإمام النووي، ص ٢٩٤.

(٤) لسان العرب، ١٥/ ٢٢٣، مادة (كسا).

(٥) لسان العرب، ١٥/ ٤٤، مادة (عري).

تعالى سبحانه: (الهادي) قال ابن الأثير: هو الذي بَصَّرَ عِبَادَهُ، وَعَرَّفَهُمْ طَرِيقَ معرفته حتى أَقَرُّوا بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَهَدَى كُلَّ مَخْلُوقٍ إِلَى مَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ فِي بَقَائِهِ، وَدَوَامِ وَجُودِهِ، الْهُدَى: ضِدُّ الضَّلَالِ، وَهُوَ الرِّشَادُ، ... الْهُدَى، أَي: الصِّرَاطُ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ هُوَ طَرِيقُ الْحَقِّ»^(١).

١١- قوله: «بَصَّرَ مِنَ الْعِمَايَةِ»: فِي اللِّسَانِ أَنَّ التَّبْصِيرَ التَّبْيِينَ، فَنَاقَةُ ثُمُودَ مَبْصُرَةٌ أَيْ: إِنِّهَا تُبْصِّرُهُمْ، أَيْ تَجْعَلُهُمْ بُصْرَاءَ... وَالتَّبْصِيرَةُ: الْحِجَّةُ وَالِاسْتِبْصَارُ فِي الشَّيْءِ»^(٢)، وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْأَعْمَى عَنِ الْحَقِّ: وَهُوَ الْكَافِرُ، وَالتَّبْصِيرُ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُبْصِرُ رُشْدَهُ، ... عَمِيَ فَلَانٌ عَنْ رُشْدِهِ، وَعَمِيَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لِطَرِيقِهِ... وَالْعِمَايَةُ: الْجَهَالَةُ بِالشَّيْءِ، وَعِمَايَةُ الْجَاهِلِيَّةِ: جَهَالَتُهَا»^(٣).

١٢- قوله: «وَفَضَّلَ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا»: قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٤): «ذَكَرَ لَنَا أَنَّ ذَلِكَ تَمَكَّنَهُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِأَيْدِيهِمْ، وَأَخَذَ الْأَطْعِمَةَ وَالْأَشْرِبَةَ بِهَا وَرَفَعَهَا بِهَا إِلَى أَفْوَاهِهِمْ، وَذَلِكَ غَيْرُ مَتَيْسِرٍ لْغَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ... ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾ فِي الْيَدِينَ يَأْكُلُ بِهِمَا، وَيَعْمَلُ بِهِمَا، وَمَا سِوَى الْإِنْسِ يَأْكُلُ بِغَيْرِ ذَلِكَ...»^(٥)، وَقَالَ الرَّائِغُ الْأَصْفَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْفَضْلُ: الزِّيَادَةُ عَنِ الْاِقْتِصَادِ، وَذَلِكَ ضَرْبَانِ: مَحْمُودٌ: كَفَضْلِ الْعِلْمِ، وَالْحِلْمِ، وَمَذْمُومٌ: كَفَضْلِ الْغَضَبِ عَلَى مَا يَجِبُ أَنْ

(١) لسان العرب، ١٥ / ٣٥٣، مادة (هدي).

(٢) انظر: لسان العرب، ٤ / ٦٥، مادة (بصر).

(٣) لسان العرب، ١٥ / ٩٥، مادة (عمي).

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٥) تفسير الطبري، ١٧ / ٥٠١.

يكون عليه. والفضل في المحمود أكثر استعمالاً، والفضول في المذموم، والفضل إذا استعمل لزيادة أحد الشئيين على الآخر فعلى ثلاثة أضرب: فضل من حيث الجنس، كفضل جنس الحيوان على جنس النبات، وفضل من حيث النوع، كفضل الإنسان على غيره من الحيوان... وفضل من حيث الذات، كفضل رجل على آخر، فالأولان جوهريان، لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه، وأن يستفيد الفضل، كالفرس والحصان لا يمكنهما أن يكتسبا الفضيلة التي خص بها الإنسان»^(١).

١٣- قوله: «أقنيت»: قال ابن الأثير رحمته الله: «الْقَنَا: الرِّضَا، وَأَقْنَاهُ إِذَا أَرْضَاهُ»^(٢)، ومعنى أقنيت أي: أرضيت وهذا امثال لقوله ﷺ: «لَيْسَ شُكْرُكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب حمد الله ﷻ بعد الطعام وهذا من شكر واهب النعم ﷻ وعدم جحودها، قال ابن الملقن: «أهل العلم يستحبون حمد الله تعالى عند تمام الأكل؛ أخذاً بحديث الباب وغيره، فقد روي عنه ﷺ في ذلك أنواع من الحمد والشكر»^(٤).
- ٢- على العبد أن يتأمل نعم الله في الأكلة التي يأكلها والشربة التي يشربها وكيف أنها تمر بمراحل عديدة حتى ينتفع بها العبد وكيف يتخلص الجسم مما لا فائدة منه، أما حديث: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»، وإن كان صحيح المعنى إلا أن أهل العلم ضعفوه^(٥).

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ١٩٦/٢.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١١٨/٤، مادة (قنا).

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٤٦/٢٦.

(٥) أبو داود، كتاب الأطعمة، باب ما يقول الرجل إذا طعم، برقم ٣٨٥٠، وسنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه، برقم ٣٤٥٧، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل

٣- هذه الأنواع من الأدعية لا يتعين واحد منها بل يتخير المسلم أيها شاء والأفضل له أن ينوعها عملاً بالسنة جميعها وكذا يقولها المحدث والجنب والحائض؛ لأن هذا ذكر، وكان النبي ﷺ يذكُر الله على كل أحيانه^(١).

٤- «الطيب»: من أسماء الله تعالى. قال ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً...» الحديث^(٢) وله من الحمد أطيبه أي: أطهره فحري بالمؤمن أن يتحلى بصفة الطيبة في مأكله ومشربه وأعماله وأقواله ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٣)، وقال النبي ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَحُولَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ مِْلٌ كَفَّ مِنْ دَمٍ يُهْرِيْقُهُ كَأَنَّمَا يَذْبَحُ دَجَاجَةً، كُلَّمَا تَقَدَّمَ لِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَدْخُلَ بَطْنُهُ إِلَّا طَيْبًا، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتَنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ»^(٤) وقال: «والذي نفس محمد بيده إن المؤمن كمثل النخلة أكلت طيباً ووضعت طيباً»^(٥).

٥- الدعاء المشهور على السنة بعض الناس وهو قولهم: «الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده»^(٦)، لم يثبت عن النبي ﷺ، قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

اليوم والليلة، ما يقول إذا شرب اللبن وذكر الاختلاف على علي بن زيد بن جدعان في خبر بن عباس فيه، برقم ١٠١٢٠، ومسنند أحمد، ١٧/ ٣٧٥، برقم ١١٢٧٦، وضعفه محققو المسند، والألباني في ضعيف أبي داود، برقم ٣٣٥٢، وضعيف ابن ماجه، برقم ٣٢٨٣. (١) البخاري معلقاً، كتاب الأذان، باب هل يتبع المؤذن فاه ههنا وههنا، وهل يلغظ في الأذان، قبل الحديث رقم، ٦٣٤، ومسلم موصولاً، كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، برقم ٣٧٣. (٢) مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، برقم ١٠١٥. (٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٤) المعجم الكبير للطبراني، ٢/ ١٦٠، برقم ١٦٦٢، والبيهقي في شعب الإيمان، ٧/ ٢٦٠، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني، ٤/ ٢٩٣، برقم ٢٣١٤، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٤٤٤. (٥) مصنف عبد الرزاق، ١١/ ٤٠٤، برقم ٢٠٨٥٢، والبعث والنشور للبيهقي، ص ١٠٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٢٨٨.

(٦) قال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ٣/ ٢٨٩: «رجالها ثقات، لكن محمد بن النضر لم يكن

«هذا الحديث ليس في الصحيحين، ولا في أحدهما، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث المعتمدة، ولا له إسناد معروف»^(١)، وقال أيضاً ﷺ: «المخلوق إذا أنعم عليك بنعمة أمكنك أن تكافيه بالجزاء، أو بالثناء، والله ﷻ لا يمكن أحداً من العباد أن يكافيه على إنعامه أبداً، فإن ذلك الشكر من نعمه أيضاً، أو نحو هذا من الكلام، فأين هذا من قوله في الحديث المروي عن آدم: «حمداً يوافي نعمه، ويكافيء مزيده» وقولهم: إن معناه يلاقي نعمه، فتحصل مع الحمد كأنهم أخذوه من قولهم: وافيت فلاناً بمكان كذا وكذا، إذا لاقيته فيه، ووافاني إذ لقيني، والمعنى على هذا: يلتقي حمده بنعمه، ويكون معها، وهذا ليس فيه كبير أمر، ولا فيه أن مسبب الحمد النعم وحالها، وإنما فيه اقترانه بها، وملاقاته لها اتفاقاً، ومعلوم أن النعم تلاقيها من الأمور الاتفاقية ما لا يكون سبباً في حصولها، فليس بين هذا الحديث، وبين النعم ارتباط يربط أحدهما بالآخر، بل فيه مجرد الموافقة والملاقاة التي هي أعم من الاتفاقية، والسببية معنى يكافي مزيده، وكذلك قولهم: يكافي مزيده أي: يكون كفواً لمزيده، ويقوم بشكر ما زاده الله من النعم والإحسان، وهذا يحتمل معنى صحيحاً، ومعنى فاسداً، فإن أريد أن حمد الله، والثناء عليه، وذكره أجل، وأفضل من النعم التي أنعم بها على العبد،

صاحب حديث، ولم يجع عنه شيء مسند».

(١) صيغ الحمد، للإمام ابن القيم، طبعة دار العاصمة، ص ٢٠، وقال ﷺ أيضاً في عدة الصابرين، ص ١١٤: «فهذا ليس بحديث عن رسول الله، ولا عن أحد من الصحابة، وإنما هو إسرائيلي عن آدم، ... ولا يمكن حمد العبد وشكره أن يوافي نعمة من نعم الله، فضلاً عن موافاته جميع نعمه، ولا يكون فعل العبد وحمده مكافئاً للمزيد، ولكن يحمل على وجه يصح، وهو أن الذي يستحقه الله سبحانه من الحمد حمداً يكون موافياً لنعمه، ومكافئاً لمزيده، وإن لم يقدر العبد أن يأتي به، كما إذا قال: الحمد لله ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، وعدد الرمال والتراب والحصى والقطر، وعدد أنفاس الخلائق، وعدد ما خلق الله، وما هو خالق، فهذا إخبار عما يستحقه من الحمد، لا عما يقع من العبد من الحمد» ا. هـ.

من رزقه، وعافيته، وصحته، والتوسعة عليه في دنياه، فهذا حق يشهد له قوله: «ما أنعم الله على عبد بنعمة، فقال: الحمد لله إلا كان ما أعطى أفضل مما أخذ» رواه ابن ماجه، فإن حمده لولي الحمد نعمة أخرى، هي أفضل، وأنفع له، وأجدى عائده من النعمة العاجلة؛ فإن أفضل النعم، وأجلّها على الإطلاق، نعمة معرفته تعالى، وحمده وطاعته، فإن أريد أن فعل العبد يكون كفو النعم، ومساوياً لها بحيث يكون مكافئاً للنعم عليه، وما قام به من الحمد ثمناً لنعمه، وقياماً منه بشكر ما أنعم عليه به، وتوفية له؛ فهذا من أمحل المحال؛ فإن العبد لو أقدره الله على عباده الثقلين، لم يقيم بشكر أدنى نعمة عليه»^(١).

(١) صيغ الحمد للإمام ابن القيم، ص ٢٦، وانظر: فقه الأدعية والأذكار ص ٢٤٣.

٧١- دُعَاءُ الضَّيْفِ لِصَاحِبِ الطَّعَامِ

١٨٢- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيْمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاعْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٢١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ رضي الله عنه^(٢) قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي - قَالَ - فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا، وَوُطْبَةً، فَأَكَلَ مِنْهَا، ثُمَّ أَتَى بِتَمْرٍ، فَكَانَ يَأْكُلُهُ، وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ، وَيَجْمَعُ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى - قَالَ شُعْبَةُ هُوَ ظَنِّي، وَهُوَ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلْقَاءُ النَّوَى بَيْنَ الإِصْبَعَيْنِ - ثُمَّ أَتَى بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الَّذِي عَنْ يَمِينِهِ - قَالَ - فَقَالَ أَبِي وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ: ادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيْمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاعْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»^(٣).

٦٢٢- لفظ أبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرِ - مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ - رضي الله عنه، قَالَ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي، فَتَزَلَّ عَلَيْهِ، فَقَدَّمَ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَذَكَرَ حَيْسًا أَتَاهُ بِهِ، ثُمَّ أَتَاهُ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ، فَنَاوَلَ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ، وَأَكَلَ تَمْرًا، فَجَعَلَ يُلْقِي النَّوَى عَلَى ظَهْرِ أَصْبَعَيْهِ: السَّبَابَةَ، وَالْوُسْطَى، فَلَمَّا قَامَ قَامَ أَبِي، فَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيْمَا رَزَقْتَهُمْ وَاعْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ»^(٤).

(١) مسلم، كتاب الأشربة، باب استخبابِ وَضْعِ النَّوَى خَارِجَ الثَّمْرِ، وَاسْتِخْبَابِ دُعَاءِ الضَّيْفِ لِأَهْلِ الطَّعَامِ، وَطَلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ الضَّيْفِ الصَّالِحِ، وَإِجَابَتِهِ لِذَلِكَ، برقم ٢٠٤٢، وأبو داود، كتاب الأشربة، باب في النفخ في الشراب، برقم ٣٧٢٩.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٠ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٠٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو داود، برقم ٣٧٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «اللهم بارك لهم فيما رزقتهم»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا إِلَه»، وقال السمين الحلبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «البركة: الزيادة، يقال: بارَكَ اللهُ لك، أي: زادَكَ خيراً»^(١)، وقال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلامة البركة القناعة وتوفيق الطاعة»^(٢).
- ٢- قوله: «واغفر لهم»: قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «اغفر لهم: أي: ذنوبهم»^(٣).
- ٣- قوله: «وارحمهم»: قال القاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وارحمهم بالتفضل عليهم»^(٤).
- ٤- قوله: «نزل رسول الله ﷺ علينا»: أي: جاء لنا زائراً في الله ﷻ، أو ملبياً، للدعوة، قال الفيروزآبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «النزول: الحلول. نزلهم، وبهم، وعليهم ينزل نزولاً، ومنزلاً: حلٌّ»^(٥).
- ٥- قوله: «فقرّبنا إليه طعاماً»: أي: قدمناه له، قال الجوهرى رَحِمَهُ اللَّهُ: «قُرِبَ الشيء بالضم يَقْرُبُ قُرْباً، أي: دنا... وتقرَّبَ إلى الله بشيء، أي: طلب به القُرْبَةَ عنده. وقُرْبَتُهُ تقريباً، أي: أدنيته... والمُقَرَّبُ من الخيل: الذي يُدْنَى ويُكْرَّم»^(٦).
- ٦- قوله: «ووطئة»: الحيس يجمع بين التمر والأقط المدقوق والسمن، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الوطئة، الحيس، يجمع بين التمر البزني، والأقط المدقوق، والسمن الجيد»^(٧)، بينما يرى القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقرّبنا إليه طعاماً ووطئة: كذا ضبطناه

(١) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ٣/ ٣١٦.

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣١٨.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣١٨.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣١٨.

(٦) القاموس المحيط، ص ١٣٧٢، مادة (نزل).

(٧) الصحاح في اللغة، ٢/ ٦٨، مادة (قرب).

(٨) جامع الأصول، ٧/ ٣٩٨.

على أبي بحر -بالواو، وكسر الطاء، مهموزاً-، وكان في كتاب العذري مهماً،
 وقيد في كتاب ابن عيسى: (رطبة) - بالراء، وفتح الطاء، وباء موحدة، والصواب
 من هذا كله الأول، قال ابن دريد: الوطية: التمر، يستخرج نواه، ويعجن باللبن،
 وفي كتاب البزار: «فقرنا له طعاماً ووطئة فجاءوه بحيس فأكل منه»، قال أبو
 مروان بن سراج: لعله طعاماً وطية على البدل؛ لقوله: فأكل منها، وهو خير من
 العطف، وهو طعام يتخذ من اللبن»^(١)، وأما النووي رحمته الله فيقول: «الوطبة بفتح
 الواو وإسكان الطاء المهملة بعدها باء موحدة: وهي قرية لطيفة يكون فيها
 اللبن»^(٢)، بينما ذكر في شرحه على صحيح مسلم: «الْوَطْبَةُ: الْحَيْسُ، يَجْمَعُ التَّمْرُ
 الْبَرْقَانِيَّ، وَالْأَقِطَ الْمَدْفُوقَ، وَالسَّمْنَ، وَكَذَا ضَبَطَهُ أَبُو مَسْعُودٍ الدِّمَشْقِيُّ وَأَبُو بَكْرُ
 الْبَرْقَانِيُّ وَآخَرُونَ، وَهَكَذَا هُوَ عِنْدَنَا فِي مُعْظَمِ النَّسْخِ، وَفِي بَعْضِهَا (رُطْبَةٌ) بِرَاءٍ
 مَضْمُومَةٍ، وَفَتْحِ الطَّاءِ، وَكَذَا ذَكَرَهُ الْحَمِيدِيُّ وَقَالَ: هَكَذَا جَاءَ فِيمَا رَأَيْنَاهُ مِنْ نُسْخِ
 مُسْلِمٍ (رُطْبَةٌ) بِالرَّاءِ، قَالَ: وَهُوَ تَضْحِيفٌ مِنَ الرَّاءِ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالْوَاوِ، وَهَذَا الَّذِي
 ادَّعَاهُ عَلَى نُسْخِ مُسْلِمٍ هُوَ فِيمَا رَأَاهُ هُوَ، وَإِلَّا فَأَكْثَرُهَا بِالْوَاوِ، وَكَذَا نَقَلَهُ أَبُو مَسْعُودٍ
 الْبَرْقَانِيُّ، وَالْأَكْثَرُونَ عَنْ نُسْخِ مُسْلِمٍ، وَنَقَلَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ عَنْ رِوَايَةِ بَعْضِهِمْ فِي
 مُسْلِمٍ (وُطْبَةٌ) بِفَتْحِ الْوَاوِ، وَكُسِرَ الطَّاءُ، وَبَعْدَهَا هَمْزَةٌ، وَادَّعَى أَنَّهُ الصَّوَابُ، وَهَكَذَا
 ادَّعَاهُ آخَرُونَ (وَالْوُطْبَةُ) بِالْهَمْزِ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ طَعَامٌ يُتَّخَذُ مِنَ التَّمْرِ كَالْحَيْسِ، هَذَا
 مَا ذَكَرُوهُ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَذَا كُلِّهِ، فَيُقْبَلُ مَا صَحَّحَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ، وَهُوَ صَحِيحٌ فِي
 اللُّغَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٣).

٧- قوله: «يلقي النوى بين أصبعيه» أي: يجعله بينهما لقلته ليرمي به، قال النووي

(١) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٥٢٤ / ٦.

(٢) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢٩٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٢٥ / ١٣.

رحمته: «قوله: (وَيُلْقِي النَّوَى بَيْنَ أَضْبُعَيْهِ) أَي يَجْعَلُهَا بَيْنَهُمَا لِقَلَّتِهِ، وَلَمْ يُلْقِهِ فِي إِنَاءِ الثَّمَرِ لئَلَّا يَخْتَلِطَ بِالثَّمَرِ، وَقِيلَ: كَانَ يَجْمَعُهُ عَلَى ظَهَرِ الْأَضْبُعَيْنِ ثُمَّ يَزِمِي بِهِ»^(١).

٨- قوله: «قَالَ شُعْبَةُ: هُوَ ظَنِّي، وَهُوَ فِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِقَاءُ النَّوَى» قال النووي رحمته: «مَعْنَاهُ: أَنَّ شُعْبَةَ قَالَ: الَّذِي أَظُنُّهُ أَنَّ إِقَاءَ النَّوَى مَذْكُورٌ فِي الْحَدِيثِ، فَأَشَارَ إِلَى تَرَدُّدِ فِيهِ وَشَكِّ، وَفِي الطَّرِيقِ الثَّانِي جَزَمَ بِإِثْبَاتِهِ، وَلَمْ يَشُكَّ، فَهُوَ ثَابِتٌ بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ، وَأَمَّا رِوَايَةُ الشَّكِّ فَلَا تَضُرُّ، سِوَاءَ تَقَدَّمَتْ عَلَى هَذِهِ أَوْ تَأَخَّرَتْ؛ لِأَنَّهُ تَيَقَّنَ فِي وَقْتِ وَشَكِّ فِي وَقْتٍ، فَالْيَقِينُ ثَابِتٌ، وَلَا يَمْنَعُهُ النِّسْيَانُ فِي وَقْتٍ آخَرَ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال الإمام النووي رحمته: «وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ طَلَبِ الدُّعَاءِ مِنَ الْفَاضِلِ، وَدُعَاءِ الضَّيْفِ بِتَوْسِيعَةِ الرِّزْقِ، وَالْمَغْفِرَةِ، وَالرَّحْمَةِ، وَقَدْ جَمَعَ ﷺ فِي هَذَا الدُّعَاءِ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٣).

٢- ما كان عليه رسول الله ﷺ من التواضع وتزاوره مع أصحابه.

٣- تقريب الأكل للضيف من مكارم الأخلاق، كما فعل أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام لما نزل الملائكة ضيوفاً عليه ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾^(٤) لأن ذلك أيسر لهم وهو من الإكرام القولي والعملي. كيف لا وقد قال فيه ﷺ: «كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَضَافَ الضَّيْفَ إِبْرَاهِيمُ»^(٥).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣ / ٢٢٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣ / ٢٢٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣ / ٢٢٥.

(٤) سورة الذاريات، الآية: ٢٧.

(٥) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ١ / ٤٧، وشعب الإيمان للبيهقي، ٦ / ٣٩٥، وتاريخ دمشق لابن عساكر،

٤- الأفضل للمضيف أن يقدم المأكول على المشروب، ويجمع في ذلك بين الإكرام القولي والعملي، واستحباب أن يُدار بالمشروب من جهة اليمين، ولا يتكلف في ذلك لقول سلمان رضي الله عنه لما دخل عليه رجل، فدعا له بما عنده ثم قال: «لولا أن رسول الله ﷺ نهانا، أو قال: لولا أنا نهينا أن يتكلف أحد لصاحبه لتكلفنا لك»^(١).

٥- حسن أدبه ﷺ؛ لأنه كان لا يلقي بنوى التمر في إناء التمر؛ لئلا يختلط النوى بالتمر فتعافه النفس، وهذا من باب التعليم للأمة، وهذه أيضًا هي الحكمة من نهيه ﷺ من النفخ في الشراب والطعام؛ لأن النفخ لا يخلو من بزاق وغيره الذي تستقذره النفس^(٢).

٦- استحباب أن يلتبس صاحب الطعام الدعاء من الضيفان، وعلى الضيف أن يجيبه بالدعاء له بالبركة والرحمة والمغفرة^(٣).

٧- تعلم الصحابة رضي الله عنهم من الرسول ﷺ التواضع، وإكرام الضيف عمليًا ونظرًا، يقول عبد الله بن بسر رضي الله عنه: كان للنبي ﷺ قصعة يقال لها: الغراء، يحملها أربعة رجال، فلما أضحوا وسجدوا الضحى، أتى بتلك القصعة وقد ثرد فيها، فالتفوا عليها فلما كثروا، جثا رسول الله ﷺ فقال أعرابي: ما هذه الجلسة؟ قال: «إن الله جعلني عبدًا كريماً، ولم يجعلني جباراً عنيداً»^(٤).

١٩٨/٦، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٤٥١.

(١) مسند أحمد، ٣٩/١٣٦، برقم ٢٣٧٣٣، وقال محققو المسند: «يحتمل التحسين» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٨/١٠٧: «رواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد، وأحد أسانيد الكبير رجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في الإرواء، برقم ١٩٥٧.

(٢) عون المعبود، ٥/٤٣٥، وانظر: العلم الهيب، ص ٤٧٢.

(٣) العلم الهيب، ص ٤٧٢.

(٤) أبو داود، كتاب الأطعمة، باب في الأكل من أعلى، برقم ٣٧٧٣، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٣٧٧٣.

٨- ومعنى جثا: قال الفيروز أبادي رَحِمَهُ اللهُ: «جَثَا، كَدَعَا وَرَمَى، جَثُوًّا وَجُثِيًّا، بَضْمَهُمَا: جَلَسَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، أَوْ قَامَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ»^(١).

٩- قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الغَرَاءُ: كَانَتْ الْعَرَبُ تَدْعُو السَّيِّدَ الْمِطْعَامَ جَفْنَةً؛ لِأَنَّهُ يَضَعُهَا، وَيُطْعَمُ النَّاسَ فِيهَا، فَسُمِّيَ بِاسْمِهَا، وَالْغَرَاءُ: الْبَيْضَاءُ: أَيُّ: أَنَّهَا مَمْلُوءَةٌ بِالشَّحْمِ وَالذُّهْنِ»^(٢)، وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «كَانَ لَهُ قَصْعَةٌ: بِفَتْحِ الْقَافِ، وَفِي الْمَصْبَاحِ: بِالْفَتْحِ مَعْرُوفَةٌ عَرَبِيَّةٌ، وَقِيلَ مَعْرَبَةٌ، يُقَالُ لَهَا: الْغَرَاءُ: تَأْنِيثُ الْأَعْرِ، مِنَ الْغُرَةِ: الْبَيَاضُ فِي الْوَجْهِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ»^(٣).

١٠- وفيه جواز تسمية القصعة.

(١) القاموس المحيط، ص ١٢٦٩، مادة (جثو).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٨٠، مادة (جفن).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٨٣.

٧٢- الدُّعَاءُ لِمَنْ سَقَاهُ أَوْ إِذَا أَرَادَ ذَلِكَ

١٨٣- «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٢٣- لفظ مسلم عن المقداد^(٢) قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا، فَاتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةٌ أَعْزَزَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اِحْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا»، قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ، فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيْبَهُ، وَنَزْعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَصِيْبُهُ - قَالَ - فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ - قَالَ - ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ، فَيَصْلِي، ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ، فَاتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، وَقَدْ شَرِبْتُ

(١) مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره،، برقم ٢٠٥٥. ومسند أحمد، ٣٩ / ٢٢٨، برقم ٢٣٨٠٩، وصححه محققو المسند ٣٩ / ٢٢٩.

(٢) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك الكندي البهراني الحضرمي، ويقال له: ابن الأسود الكندي، لأن أباه الأسود حالف كندة، فكان يقال له الكندي، وتزوج هناك امرأة فولدت له المقداد، وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري، فتبنى الأسود المقداد فصار يقال المقداد بن الأسود، وغلبت عليه، وأسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرأ، والمشاهد بعدها، وكان فارساً يوم بدر، وهو الذي قال: يا رسول الله إنا والله لا نقول لك كما قال أصحاب موسى لموسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هنا قاعدون﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكننا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، وبين يديك وخلفك قال فرأيت رسول الله ﷺ يشرق وجهه، وسره [البخاري، برقم ٣٩٥٢]، وروى المقداد عن النبي ﷺ أحاديث روى عنه علي، وأنس، وآخرون، مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان، وهو بن سبعين سنة. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤ / ١٤٧٨، وسير أعلام النبلاء، ١ / ٣٨٥، ترجمة رقم (٨١)، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٦ / ٢٠٢.

نَصِيْبِي، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيُثَجِّفُونَهُ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ، فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فَلَمَّا أَنْ وَعَلْتُ فِي بَطْنِي، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ - قَالَ - نَدَمَنِي الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ! مَا صَنَعْتَ؟ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ، فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ، فَتَهْلِكُ؟ فَتَذْهَبَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ! وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي، وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وَجَعَلَ لَا يَجِيئُنِي التَّوْمُ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا، وَلَمْ يَضْنَعَا مَا صَنَعْتُ - قَالَ - فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: الْآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي»، قَالَ فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَاَنْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْزُرِ أَيُّهَا أَسْمَنُ، فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ، وَإِذَا هُنَّ حُفْلٌ كُلُّهُنَّ، فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لَالٍ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ - قَالَ - فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمْ اللَّيْلَةَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْرَبْ، فَشَرِبْتُ ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوَى، وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيْتُ إِلَى الْأَرْضِ - قَالَ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِحْدَى سَوَاتِكَ يَا مُقْدَادُ!»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا، وَفَعَلْتُ كَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ، أَفَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي، فَتَوْقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا»، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَبَالِي إِذَا أَصَبْتُهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ»^(١).

٦٢٤- ولفظ أحمد عن المقداد بن الأسود، قَالَ: قَدِمْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ، فَتَعَرَّضْنَا لِلنَّاسِ فَلَمْ يُضِفْنَا أَحَدٌ، فَاَنْطَلَقَ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَعِنْدَهُ أَرْبَعُ أَعْزُرٍ، فَقَالَ لِي: «يَا مِقْدَادُ، جَزِيءُ أَلْبَانِهَا بَيْنَنَا أَرْبَاعًا» فَكُنْتُ أَجْزُهُ بَيْنَنَا أَرْبَاعًا، فَاحْتَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَتَى بَعْضَ الْأَنْصَارِ، فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ، وَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، فَلَوْ شَرِبْتُ نَصِيئَهُ، فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُمْتُ إِلَى نَصِيئِهِ فَشَرِبْتُهُ، ثُمَّ غَطَيْتُ الْقَدَحَ، فَلَمَّا فَرَعْتُ أَخَذَنِي مَا قَدَمَ وَمَا حَدَثَ، فَقُلْتُ: يَجِيءُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَائِعًا، وَلَا يَجِدُ شَيْئًا فَتَسْجِئْتُ، وَجَعَلْتُ أَحَدْتُ نَفْسِي، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ، إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ تَسْلِيمَةً يُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، وَلَا يُوقِظُ النَّائِمَ، ثُمَّ أَتَى الْقَدَحَ فَكَشَفَهُ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَاسْقِ مَنْ سَقَانِي» وَاعْتَنَمْتُ الدَّعْوَةَ، فَقُمْتُ إِلَى الشَّفْرَةِ فَأَخَذْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ الْأَعْزُرَ فَجَعَلْتُ أَجْسَهَا أَيُّهَا أَسْمَنُ، فَلَا تَمُرُّ يَدَيَّ عَلَى ضَرْعٍ وَاحِدَةٍ إِلَّا وَجَدْتُهَا حَافِلًا، فَحَلَبْتُ حَتَّى مَلَأْتُ الْقَدَحَ، ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ: «بَعْضُ سَوَاتِكَ يَا مِقْدَادُ، مَا الْخَبْرُ؟» قُلْتُ: اشْرَبْ، ثُمَّ الْخَبْرُ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، ثُمَّ نَاوَلَنِي فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «مَا الْخَبْرُ؟» فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «هَذِهِ بَرَكَهٌ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ، فَهَلَّا أَعْلَمْتَنِي حَتَّى نَسْقِيَ صَاحِبَيْنَا» فَقُلْتُ: إِذَا أَصَابْتَنِي وَإِيَّاكَ الْبَرَكَهُ، فَمَا أَبَالِي مَنْ أَخْطَأْتُ»^(١).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الجهد»: الجوع والمشقة، قال ابن الأثير رحمه الله: «الجهد، والجهد بالضم: الوُسْع والطَّاقَة، وبالفَتْح: المَشَقَّة. وَقِيلَ الْمُبَالِغَةُ وَالْغَايَةُ. وَقِيلَ هُمَا لُغْتَانِ فِي الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ، فَأَمَّا فِي الْمَشَقَّةِ وَالْغَايَةِ فَالْفَتْحُ لَا غَيْرَ... يُقَالُ: جُهِدَ الرَّجُلُ فَهُوَ مَجْهُودٌ: إِذَا وَجَدَ مَشَقَّةً، وَجُهِدَ النَّاسُ فَهُمْ مَجْهُودُونَ: إِذَا

(١) مسند أحمد، برقم ٢٣٨٠٩، وصححه محققو المسند ٣٩ / ٢٢٩، تقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

أَجْدُبُوا. فَأَمَّا أَجْهَدُ فَهُوَ مُجْهَدٌ بِالْكَسْرِ: فَمَعْنَاهُ ذُو جَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ، وَهُوَ مَنْ أَجْهَدَ دَابَّتَهُ إِذَا حَمَلَ عَلَيْهَا فِي السَّيْرِ فَوْقَ طَاقَتِهَا»^(١).

٢- قوله: «فيتحفونه»: قال ابن الأثير رحمه الله: «التحفة: الهدية والبر، وتسكن حاؤها وتفتح، والسكون أكثر»^(٢).

٣- قوله: «جزأ ألبانها»: قال ابن منظور رحمه الله: «أراد بالتجزئة أنه قسمهم... جَزَأْتُ الْمَالَ بَيْنَهُمْ وَجَزَّأْتُهُ: أَي: قَسَّمْتُهُ»^(٣).

٤- قوله: «وغلّت في بطني»: وغلّت في بطني أي: دخلت وتمكنت منه، قال ابن الأثير رحمه الله: «وغلّ الرجل يغل: إذا دخل في السحر، فاستعار الوغول لدخول اللبن البطن»^(٤)، وقال القاضي عياض رحمه الله: «الوغول: الدخول في الشيء، وإن لم يتعد فيه، وكل داخل فهو واغل، يقال منه: وغلّت أغل وغللاً ووجللاً، ولهذا قيل للدخول على الشرب من غير أن يدعى: واغل، ووجل»^(٥).

٥- قوله: «فعمدت إلى الشملة»: قال الراغب الأصفهاني رحمه الله: «العمد: قصد الشيء، والاستناد إليه، والعماد: ما يعتمد»^(٦)، والشملة: قال ابن الأثير رحمه الله: «كل مئزر من مآزر الأعراب»^(٧)، وقال القرطبي في المفهم: «والشملة: كساء صغير يشتمل به؛ أي: يلتحف به على كيفية مخصوصة»^(٨).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣٢٠، مادة (جهد).

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٩/ ٧٦.

(٣) لسان العرب، ١/ ٤٥، مادة (جزأ).

(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٩/ ٧٦.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٦/ ٥٤٥.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ١٢٢، مادة (عمد).

(٧) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٩/ ٧٦.

(٨) المفهم، للقرطبي، ٢/ ١٣٧.

٦- قوله: «فَتَسَجِّثُ»: سُجُو اللَّيْلِ تَغْطِيَّتُهُ لِلنَّهَارِ مِثْلَ مَا يُسَجَّى الرَّجُلُ بِالثَّوبِ»^(١).

٧- قوله: «حافل»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «ضرع حافل، أي: ممتلئ لبناً، والجمع حفل»^(٢).

٨- قوله: «يَحْتَلِبُوا فِيهِ»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «الْحَلْبُ: اسْتِخْرَاجُ مَا فِي الضَّرْعِ مِنَ اللَّبَنِ، يَكُونُ فِي الشَّاءِ وَالْإِبِلِ وَالْبَقَرِ، وَالْحَلْبُ: مَضْرُ حَلَبَهَا يَحْلُبُهَا وَيَحْلِبُهَا حَلَبًا وَحَلَبًا وَحِلَابًا، الْأَخِيرَةُ عَنِ الرَّجَّاجِيِّ، وَكَذَلِكَ اخْتَلَبَهَا»^(٣).

٩- قوله: «فَجَعَلْتُ أَجْسُهَا»: قال في اللسان: «جَسَسَ: الْجَسُّ: اللَّمْسُ بِالْيَدِ، وَالْمَجَسَّةُ: مَمْسَةٌ مَا تَمَسَّ. ابْنُ سَيِّدَةٍ: جَسَّهُ يَدِهِ يَجُسُّهُ جَسًّا وَاجْتَسَّهُ أَي: مَسَّهُ وَلَمَسَّهُ، وَالْمَجَسَّةُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تَقَعُ عَلَيْهِ يَدُهُ إِذَا جَسَّهُ»^(٤).

١٠- قوله: «نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا»: أي: لِإِطْعَامِنَا، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «عَرَضْتُ الْحَوْضَ عَلَى الْبَعِيرِ. وَعَرَضْتُ الْجَارِيَةَ وَالْمَتَاعَ عَلَى الْبَيْعِ عَرْضًا، وَعَرَضْتُ الْكِتَابَ، وَعَرَضْتُ الْجُنْدَ عَرْضَ الْعَيْنِ إِذَا أَمَرَزْتَهُمْ عَلَيْكَ وَنَظَرْتَ مَا حَالُهُمْ، وَقَدْ عَرَضَ الْعَارِضُ الْجُنْدَ وَاعْتَرَضُوا هُمْ»^(٥)، وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: نَتَعَرَّضُ لَهُمْ لِيُطْعَمُونَا، وَذَلِكَ لَشِدَّةِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْجُوعِ، وَالضَّعْفِ»^(٦).

١١- قوله: «فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا»: هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ عَرَضُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ كَانُوا مَقْلِينَ لَيْسَ عَنْدهُمْ شَيْءٌ يُوَاسُونَ بِهِ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «أي: يَطْعَمُنَا، وَظَاهِرُ حَالِهِمْ: أَنَّ ذَلِكَ الْإِمْتِنَاعَ مِمَّنْ تَعَرَّضُوا لَهُ، إِنَّمَا كَانَ لِأَنَّهُمْ مَا وَجَدُوا شَيْئًا يَطْعَمُونَهُمْ إِيَّاهُ، كَمَا اتَّفَقَ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ طَلَبَ جَمِيعَ بَيْوتِ نِسَائِهِ،

(١) لسان العرب، ٣٧١ / ١٤، مادة (سجى).

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٧٦ / ٩.

(٣) لسان العرب، ٣٢٧ / ١، مادة (حلب).

(٤) لسان العرب، ٣٨ / ٦، مادة (جس).

(٥) لسان العرب، ١٦٧ / ٧، مادة (عرض).

(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤٤ / ١٧.

فلم يجد عندهم شيئاً؛ فإنَّ الوقت كان شديداً عليهم»^(١).

١٢- قوله: «الجرعة»: هي الحثوة من المشروب، قال ابن منظور رحمته الله: «جرع: جَرَعَ الماءَ وَجَرَعَهُ يَجْرَعُهُ جَرْعاً، وَأَنكَرَ الْأَصْمَعِيُّ جَرَعْتُ، بِالْفَتْحِ، وَاجْتَرَعَهُ وَتَجَرَّعَهُ: بَلَعَهُ. وَقِيلَ: إِذَا تَابَعَ الْجَزْعَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى كَالْمُتَكَارِهِ قِيلَ: تَجَرَّعَهُ، ... التَّجَرُّعُ شُرْبٌ فِي عَجَلَةٍ، وَقِيلَ: هُوَ الشُّرْبُ قَلِيلاً قَلِيلاً، ... وَالْإِسْمُ الْجُرْعَةُ، وَالْجُرْعَةُ وَهِيَ حُسُوةٌ مِنْهُ، وَقِيلَ: الْجُرْعَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ، وَالْجُرْعَةُ مَا اجْتَرَعْتَهُ، الْأَخِيرَةُ لِلْمُهْلَةِ عَلَى مَا أَرَاهُ سَيِّوِيهِ فِي هَذَا النَّحْوِ، وَالْجُرْعَةُ: مِلءُ الْقَمِّ يَتَلَعُّهُ، وَجَمْعُ الْجُرْعَةِ جُرْعٌ. وَفِي حَدِيثِ الْمُقْدَادِ: «مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ»؛ قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: تُرْوَى بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، فَالْفَتْحُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُ، وَالضَّمُّ الْإِسْمُ مِنَ الشُّرْبِ الْيَسِيرِ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْحَدِيثِ»^(٢).

١٣- قوله: «فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ»: «رغوة»: هي زبد اللبن الذي يعلوه. قال النووي رحمته الله: «هِيَ زَبَدُ اللَّبَنِ الَّذِي يَغْلُوهُ، وَهِيَ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَضَمِّهَا وَكَسْرُهَا... وَازْتَعِنْتُ شَرِبْتُ الرَّغْوَةَ»^(٣).

١٤- قوله: «اللهم أطعم من أطعمني، وأسق من سقاني»: قال القرطبي رحمته الله: «يَدُلُّ عَلَى كَرَمِ أَخْلَاقِهِ، وَنَزَاهَةِ نَفْسِهِ ﷺ؛ إِذْ لَمْ يَسْأَلْ عَنْ نَصِيْبِهِ، وَلَمْ يُعْرَجْ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ دَعَا اللَّهَ تَعَالَى»^(٤).

١٥- قوله: «قَدَحَ»: قال ابن الأثير رحمته الله: «وَهُوَ الَّذِي يُؤْكَلُ فِيهِ»^(٥)، وقال

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧ / ٤٤.

(٢) لسان العرب، ٨ / ٤٦، مادة (جرع).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤ / ١٤.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧ / ٤٤.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٢٠، مادة (قدح).

الفيومي رحمته الله: «آنية معروفة، والجمع أقْدَاحٌ»^(١).

١٦- قوله: «صَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إِلَى الْأَرْضِ»: قال النووي رحمته الله: «مَعْنَاهُ أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ حُزْنٌ شَدِيدٌ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ لِكَوْنِهِ أَذْهَبَ نَصِيبَ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَعَرَّضَ لِأَذَاهُ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوَى، وَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ، فَرِحَ وَصَحِكَ حَتَّى سَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ مِنْ كَثَرَةِ ضَحِكِهِ؛ لِذَهَابِ مَا كَانَ بِهِ مِنَ الْحُزْنِ، وَانْقِلَابِهِ سُرُورًا بِشُرْبِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ لِمَنْ أَطْعَمَهُ وَسَقَاهُ، وَجَرَيَانِ ذَلِكَ عَلَى يَدِ الْمُقْدَادِ، وَظُهُورِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ، وَلِتَعَجُّبِهِ مِنْ قُبْحِ فِعْلِهِ أَوَّلًا، وَحُسْنِهِ آخِرًا»^(٢).

١٧- قوله: «إِحْدَى سَوْءَاتِكَ» أي: أنك فعلت سوءاً من الفعلات فما هي؟ فأخبره الخبر، قال القرطبي رحمته الله: «أي: هذه الحالة حالة سيئة من جملة حالاتك التي تسوء منكراً لذلك؛ لأن كثرة الضحك يميم القلب»^(٣).

١٨- قوله: «رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»: أي: إحدَثَ هَذَا اللَّبَنُ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ وَفَضْلًا، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رحمته الله: «مُعْتَرِفًا بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَشَاكِرًا لِنِعْمَتِهِ، وَمَقْرَأًا بِمَنْتِهِ، فَلَهُ الْحَمْدُ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا»^(٤)، وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ رحمته الله: «أي: إحدَثَ هَذَا اللَّبَنُ فِي غَيْرِ حِينِهِ وَعَادَتِهِ، وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»^(٥).

١٩- قوله: «رَوَى»: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رحمته الله: «بَكْسَرِ الْوَاوِ، وَتَحْرِيكِ الْيَاءِ فِي الْمَاضِي، يَرَوَى بِفَتْحِ الْوَاوِ وَسُكُونِ الْيَاءِ: فِي الشَّرْبِ، فَأَمَّا رَوَى: بِفَتْحِ الْوَاوِ فِي الْمَاضِي، وَكُسْرِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ: فَهُوَ فِي رِوَايَةِ الْأَخْبَارِ»^(٦).

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢ / ٤٩١، مادة (قدح).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤ / ١٤.

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧ / ٤٥.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧ / ٤٥.

(٥) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٦ / ٢٨٠.

(٦) المفهم، ٢ / ١٣٨.

- ٢٠- قوله: «سُجِّي بِزُرْدِ حَبْرَةٍ»: قال ابن الأثير رحمته الله: «أُيِّ عُطِّي، وَالْمُتَسَجِّي: الْمُتَغَطِّي، مِنَ اللَّيْلِ السَّاجِي، لِأَنَّهُ يُغَطِّي بِظِلَامِهِ وَسُكُونِهِ»^(١).
- ٢١- قوله: «بِالشَّفْرَةِ»: وهي آلة الذبح، قال ابن الأثير رحمته الله: «لِأَنَّهَا تُمْتَنُّ فِي قَطْعِ اللَّحْمِ وَغَيْرِهِ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب الدعاء للمحسن والخدام ولمن سيفعل خيراً^(٣).
- ٢- قال الإمام النووي رحمته الله: «فِيهِ الدُّعَاءُ لِلْمُحْسِنِ وَالْخَادِمِ، وَلِمَنْ يَفْعَلُ خَيْرًا.
- ٣- وَفِيهِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْجَلَمِ وَالْأَخْلَاقِ الْمُرْضِيَةِ، وَالْمَحَاسِنِ الْمُرْضِيَةِ، وَكَرَمِ النَّفْسِ، وَالصَّبْرِ، وَالْإِغْضَاءِ عَنْ حُقُوقِهِ؛ فَإِنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْأَلْ عَنْ نَصِيهِهِ مِنَ اللَّبَنِ»^(٤).
- ٤- قال القرطبي رحمته الله: «فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَةِ السَّلَامِ عِنْدَ دُخُولِ الْبَيْتِ، وَقَدْ اسْتَحَبَّهُ مَالِكٌ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِرَفْقٍ، وَاعْتِدَالٍ»^(٥).
- ٥- فيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ لكون الأعنز أصبحن كلهن حُفَلاً، أي: ممتلئات باللبن.
- ٦- فرحة المقداد رضي الله عنه بأن دعوة النبي ﷺ قد أصابته بعد أن رُوي النبي ﷺ من اللبن، فضحك حتى سقط على الأرض؛ لأن حزنه قد حوله الله سروراً^(٦).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٤٤، مادة (سجي).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٨٤، مادة (شفر).

(٣) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ١٤.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ١٤.

(٥) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ١٧/ ٤٤.

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤/ ٢٤٣.

٧- فيه الأدب العظيم للنبي ﷺ حيث يسلم سلاماً عند دخوله في أوقات النوم، يسمعه اليقظان، ولا يسمعه النائم، رحمة منه ﷺ، ورفقاً منه بأصحابه، فينبغي الالتزام بآدابه ﷺ

٧٣- الدُّعَاءُ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتٍ

١٨٤- «أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٢٥- لفظ أبي داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه^(٢): «أَنَ النَّبِيِّ ﷺ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ»^(٣).

٦٢٦- لفظ النسائي عَنِ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ أَهْلِ بَيْتٍ قَالَ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ»^(٤).

(١) سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام، برقم ٣٨٥٦، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا أفطر عند أهل بيت، برقم ١٠٠٥٥، وأحمد، ١٩/٢١٥، برقم ١٢١٧٧، وصححه محققو المسند، وصححه لغيره، محقق ابن ماجه، ٢/٦٣٣، كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائماً، برقم ١٧٤٧، وصحيح ابن حبان، ١٢/١٠٧، برقم ٥٢٩٦، وصححه لغيره محقق ابن حبان، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢٤٣، وابن حجر في التلخيص الحبير، ٣/٣٦٨، ورواية النسائي في مسند أبي يعلى، ٧/٢٩١، برقم ٤٣١٩، وصححه محققه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/٧٣٠، وفي صحيح ابن ماجه، برقم ١٤١٨.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) سنن أبي داود، برقم ٣٨٥٦، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٢/٧٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) النسائي في السنن الكبرى، برقم ١٠٠٥٥، وأحمد، برقم ١٢١٧٧، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦٢٧- ورواية ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: أَفْطَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ؛ فَقَالَ: «أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمْ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمْ الْمَلَائِكَةُ» ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «كان إذا أفطر عند قوم»: قال الإمام الصنعاني رحمته الله: «فيه أن هذا الدعاء بخصوصه يقال لمن يفطر عندهم لا من يضيفونه ولو مفطراً» ^(٣).

٢- قوله: «أفطر عندكم الصائمون»: دعاء من الضيف للمضيف بتحصيل الأجور جزاء على ما قدم، قال الإمام الصنعاني رحمته الله: «إخبار بمحبتهم للخير فإنه لا يضيف الصائم إلا محبة يحتمل أنه دعاء بأن لا يزال يفطر عندهم الصائمون فيتوفر أجرهم ويتسع رزقهم؛ لأنه إذا دخل الضيف على قوم دخل برزقه وخرج بذنوبهم» ^(٤).

٣- قوله: «وأكل طعامكم الأبرار»: جمع بار، وهو المطيع لله عز وجل ولرسوله ﷺ، قال الإمام الصنعاني رحمته الله: «دعاء وإخبار، وهذا موجود في حق المصطفى ﷺ؛ لأنه أبر الأبرار، فإن كان إخبار فظاهر، وإن كان دعاء فهو سؤال بأن الله يجعل إطعامهم للأبرار ليكثر أجورهم» ^(٥).

٤- قوله: «وصلت عليكم الملائكة» أي: استغفرت لكم لمغفرة ذنوبكم ورفع درجاتكم، قال الإمام الصنعاني رحمته الله: «وصلت عليكم الملائكة:

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٠ من أحاديث الشرح.

(٢) ابن ماجه، برقم ١٧٤٧، وصححه لغيره، محقق ابن ماجه، ٢/ ٦٣٣، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٤١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٤٦.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٤٥.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٣٤٥.

استغفرت لكم، وكأنه كان هذا تارة، والأولى أخرى، وقال المناوي رحمته الله: «وأراد بالملائكة الموكلين بذلك بخصوصه إن ثبت وإلا فالحفظة أو المعقبات أو رافعي الأفعال أو الكل أو بعض غير ذلك»^(١). والملائكة كما قال المناوي رحمته الله: «أي ملائكة الرحمة بالبركة والخير الإلهي»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال الإمام الصنعاني رحمته الله: «هذا كان يقوله عليه السلام لمن يفطر عنده، أو من أكل عنده طعاماً مطلقاً، وهو دعاء لهم بإجراء الخير على أيديهم من إطعام الأبرار، وما يتفرع عليه من صلاة الملائكة عليهم، وورد بصيغة الإخبار تفاؤلاً، كما قالوا: مات فلان رحمته الله على أحد احتماليه، كما عرف في علم البيان، ويحتمل أنه إخبار لهم، وليس المراد الإخبار بذلك؛ لأنهم عالمون به، ولا لازم الفائدة، فإنهم عالمون أنه عالم به، بل الثناء عليهم، وليعطف عليه ما يسبب عنه من الإخبار لهم بقوله: «وصلت عليكم الملائكة»، وفي غيره زيادة: وذكركم الله فيمن عنده»^(٣).

٢- استحباب دعاء الضيف للمضيف بهذا الدعاء الذي فيه خير وبركة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئاً»^(٤).

٣- ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من قلة ذات اليد، وخشونة العيش، فقد قدم

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٦٩.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١٣٧.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٥٩٠.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائماً، برقم ٨٠٧، وابن ماجه، كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائماً، برقم ١٧٤٦، وأحمد، ٣٦/ ١٠، برقم ٢١٦٧٦، والدارمي، ١٤/ ٢، وابن حبان، ٨/ ٢١٦، برقم ٣٤٢٩، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٤١٧، وصحيح الجامع، برقم ٦٤١٥.

سعد بن عباد ما عنده، وهو خبز وزيت، إلا أن الله قد حماهم الدنيا.

٤- عظيم تواضع النبي ﷺ حيث قبل هذا الطعام، ودعا لهم؛ لأنه من جملة نعم الله تعالى.

٥- وقد سأل رسول الله ﷺ يوماً أهله طعاماً، فقالوا: ما عندنا إلا خل فدعا به فجعل يأكل ويقول: «نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل»^(١).

٦- قال الشيخ فيصل بن عبد العزيز المبارك: «إحضار ما سهل، وأنه لا ينافي الجود، وفيه: استحباب الدعاء من الضيف عند فراغ الأكل»^(٢).

٧- قال الألباني رحمه الله: واعلم أن هذا الذكر ليس مقيداً بالصائم بعد إفطاره، بل هو مطلق؛ لأنه ليس في الحديث التصريح بأن النبي ﷺ كان صائماً، وهو دعاء لصاحب الطعام بالتوفيق حتى يفطر عنده الصائمون، وينال أجر إفطارهم، وهو بالنسبة إلينا لا يمكن أن يكون إلا دعاء كما لا يخفى^(٣).

(١) مسلم، كتاب الأشربة، باب فضيلة الخل، والتأدم به، برقم ٢٠٥١.

(٢) تطريز رياض الصالحين، ص ٧٠٥.

(٣) انظر: آداب الزفاف ص ١٧١.

٧٤- دُعَاءُ الصَّائِمِ إِذَا حَضَرَ الطَّعَامُ وَلَمْ يُفْطِرْ

١٨٥- «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ»^(١)، وَمَعْنَى فَلْيُصَلِّ، أَي: فَلْيَذْغُ.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٢٨- لفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا، فَلْيَطْعَمْ»^(٣).

٦٢٩- لفظ أبي داود عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ». قَالَ هِشَامٌ: وَالصَّلَاةُ الدُّعَاءُ^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ» أي: إلى وليمة عرس أو نحوها، قال ابن عبد البر رحمته الله: «لم يخص طعاماً من طعام»^(٥).

٢- قوله: «فليجب» أي: بالذهاب إلى من دعاه تأليفاً لقلبه وجبراً لخطره. قال ابن الملقن رحمته الله: «ولم يرخص العلماء للصائم في التخلف عن إجابة الوليمة،

(١) مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، برقم ١٤٣١، وأبو داود، كتاب الصيام، باب في الصائم يدعى إلى وليمة، برقم ٢٤٦٠، والترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في إجابة الصائم الدعوة، برقم ٧٨٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٧/ ٢٢٢، برقم ٢١٢٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ١٤٣١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو داود، برقم ٢٤٦٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢١٢٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١/ ٢٧٥.

وقال الشافعي: إذا كان المجيب مفطراً أكل، وإن كان صائماً دعا^(١).

٣- قوله: «فإن كان صائماً» أي: صيام تطوع، قال العظيم أبادي رحمته الله: «وأما الأفضل للصائم؛ فإن كان يشق على صاحب الطعام صومه استحب له الفطر، وإلا فلا، هذا إذا كان صوم تطوع؛ فإن كان صوماً واجباً حرم الفطر»^(٢).

٤- قوله: «فليصل» أي: فليدع لمن دعاه. قال القاضي عياض رحمته الله: «أي: فليدع لأرباب الطعام بالمغفرة والبركة»^(٣)، وقال الطيبي رحمته الله: «أي: ليصل ركعتين في ناحية البيت، كما فعل رسول الله ﷺ في بيت أم سليم، وقيل: فليدع لصاحب البيت بالمغفرة، والضابط عند الشافعي رحمته الله أن الضيف ينظر، فإن كان المضيف يتأذى بترك الإفطار فالأفضل الإفطار وإلا فلا»^(٤)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «فليصل: يعني فليدعو؛ لأن الصلاة هنا المراد بها الدعاء كما هو في اللغة العربية أن الصلاة هي الدعاء أما في الشرع فالصلاة هي العبادة المعروفة إلا إذا دل الدليل على أن المراد بها الدعاء فهو على ما دل عليه الدليل»^(٥).

٥- قوله: «وإن كان مفطراً فليطعم» أي: فليأكل، قال في عون المعبود «أَيُّ: فَلْيَأْكُلْ نَذْبًا، وَقِيلَ وَجُوبًا، قَالَه بَن حَجَرٍ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ يَجِبُ إِذَا كَانَ يَتَشَوَّشُ خَاطِرُ الدَّاعِي، وَيَحْصُلُ بِهِ الْمَعَادَةُ إِنْ كَانَ الصَّوْمُ نَفْلًا، وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَفْرَحُ بِأَكْلِهِ، وَلَمْ يَتَشَوَّشْ بِعَدَمِهِ، فَيُسْتَحَبُّ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرَانِ مُسْتَوَيْنَيْنِ عِنْدَهُ فَالْأَفْضَلُ أَنْ يَقُولَ إِنِّي صَائِمٌ، سَوَاءَ حَضَرَ، أَوْ لَمْ يَحْضُرْ»^(٦).

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٤ / ٥٢٦.

(٢) عون المعبود، ٧ / ٩٦.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤ / ٦٠٤.

(٤) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥ / ١٦١٨.

(٥) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٧٣٨.

(٦) عون المعبود، ٧ / ٩٥.

وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «فإنسان إذا دعي إلى الطعام وحضر، فلا يكفي الحضور، بل يأكل؛ لأن الرجل الذي دعاك لم يصنع الطعام إلا ليؤكل، فقد تكلف لك، وصنع طعاماً أكثر من طعام أهله، ودعاك إليه، فإذا قلنا لا حرج عليك إن تركت الأكل، لزم من هذا أن يبقى طعامه لم يؤكل»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- وجوب إجابة الدعوة إلا لعذر لا بد منه؛ لقوله عليه السلام: «إذا دعي أحدكم إلى الوليمة فليأتها»^(٢)، وقوله: «وأجيبوا الداعي»^(٣)، وقد جاء بلفظ: «أمرنا»^(٤)، وقوله عليه السلام: «ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله»^(٥).

٢- للمدعو أن يفطر إذا كان متطوعاً في صيامه وذلك بحسب إلحاح الداعي عليه وقد قال عليه السلام: «الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ»^(٦)، ولا يجب عليه قضاء هذا اليوم، ولكنه مستحب لقوله عليه السلام لأحد أصحابه: «أفطر وصم يوماً مكانه إن شئت»^(٧)، قال الطيبي: «الضابط عند الشافعي رحمته الله أن الضيف ينظر، فإن كان المضيف يتأذى بترك الإفطار فالأفضل الإفطار وإلا فلا»^(٨)، قال ابن الملقن رحمته الله: «وقال قوم: ترك الأكل مباح، وإن لم يصم أجاب الدعوة، وقد أجاب علي بن أبي طالب ولم يأكل،

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٧٣٨.

(٢) البخاري، كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة، برقم ٥١٧٣.

(٣) البخاري، كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة، برقم ٥١٧٤.

(٤) البخاري، كتاب النكاح، باب حق إجابة الوليمة والدعوة، برقم ٥١٧٥.

(٥) البخاري، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، برقم ٥١٧٧.

(٦) أحمد، ٤٤/٤٦٣، برقم ٢٦٨٩٣، وضعفه محققو المسند، والنسائي في السنن الكبرى، ٢/٢٤٩.

برقم ٣٣٠٢، وقال الألباني في آداب الزفاف، ص ٨٤: «صحيح الإسناد».

(٧) أخرجه البيهقي، ٢٧٩/٤، والطبراني في الأوسط، ٣/٣٠٦، برقم ٣٢٤٠، قال الحافظ ابن حجر في فتح

الباري، ٩/٢٤٨: «في إسناده راو ضعیف، لكنّه تُوَبَّح» وحسنه الألباني في الإرواء، برقم ١٩٥٢.

(٨) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٥/١٦١٨.

وقال مالك: أرى أن يجيبه في العرس وحده إن لم يأكل، أو كان صائماً^(١).

٣- من لم يفطر دعا بالبركة لصاحب الطعام لقوله ﷺ: «وإن كان صائماً فليدع بالبركة»^(٢).

٤- فيه دليل على جواز إظهار نوافل العبادة إذا دعت إلى ذلك حاجة والأصل الإخفاء.

٥- لا تلبى الدعوة التي فيها معصية لله تعالى؛ لأن ذهاب الداعي إقرار منه على هذه المعصية، إلا إذا ذهب بقصد الإنكار؛ لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن على مائدة يدار عليها بالخمر»^(٣)، ويلحق بهذا وجود التصاوير والمعازف وغير ذلك من المنكرات^(٤).

٦- قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «فيه دليل على أنه يجب على من كان صائماً أن لا يعتذر بالصوم ثم إنه قد اختلف في المراد من الصلاة فقال الجمهور المراد فلينزع لأهل الطعام بالمغفرة والبركة»^(٥).

٧- قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «وقال بعض العلماء يجب أن تجيب في دعوة الطعام في العرس وغيره إلا لسبب شرعي فإذا حضرت فإن كنت مفطراً فكل، وإن كنت صائماً فادع لصاحب الطعام، وأخبره بأنك صائم حتى لا يكون في قلبه شيء، وإن رأيت أنك إذا أفطرت وأكلت صار أطيب لقلبه، فأفطر إلا أن يكون الصوم صوم فريضة، فلا تفطر، فتبين الآن أن المسألة ثلاثة أحوال: أولاً: إذا دعاك وأنت مفطر فكل.

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملتن (٢٤/ ٥٢٧)

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، ٢٣١/١٠، برقم ١٠٥٦٣، وابن السني، ص ١٨٣، برقم ٤٩٠، وقال

الهيثمي في مجمع الزوائد، ٥٢/٤: «رجاله ثقات» وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٥٣٨.

(٣) أخرجه أحمد، ٢٧٧/١، برقم ١٢٥، والدارمي، برقم ٢٠٩٨، والنسائي في السنن الكبرى ٤/ ١٧١،

برقم ٦٧٤١، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم ١٩٤٩.

(٤) انظر: آداب الزفاف للألباني، ص ١٦١.

(٥) نيل الأوطار، ١٣/ ١٦٩.

ثانياً: إذا دعاك وأنت صائم صوم فريضة فلا تأكل ولا تفطر.
 ثالثاً: إذا دعاك وأنت صائم صوم نفل فأنت بالخيار إن شئت فأفطر وكل وإن شئت فلا تأكل، وأخبره بأنك صائم، واتبع ما هو الأصلح إذا رأيت أن من الخير أن تفطر فأفطر وكل وإلا فلزوم الصيام أولى أما البطاقات فلا تجب الإجابة فيها إلا إذا علمت أن الرجل أرسل إليك البطاقة بدعوة حقيقية لأن كثيراً من البطاقات ترسل إلى الناس من باب المجاملة ولا يهمنه حضرت أم لم تحضر لكن إذا علمت أنه يهمنه أن تحضر لكونه قريباً لك أو صديقاً لك فأجب»^(١).

٨- إذا دُعي الشخص إلى طعام وتبعه غيره استأذن من صاحب الدعوة لقول النبي ﷺ لما دعاه رجل من الأنصار ﷺ لما عرف في وجهه الجوع: «إن هذا قد تبعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت أن يرجع رجع»^(٢) فقال الرجل: لا بل قد أذنت له.

٩- تجوز الوليمة بغير لحم؛ لقول أنس رضي الله عنه: أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليالٍ يُبني عليه بصفية، فدعوت المسلمين إلى وليمة وما كان فيها من خبز ولا لحم^(٣).

١٠- لا يجوز أن يخص بالدعوة الأغنياء دون الفقراء لقول النبي ﷺ: «شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويمنعها المساكين»^(٤).

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٧٣٨.

(٢) البخاري، كتاب البيوع، باب ما قيل في اللحم والجزار، برقم ٢٠٨١.

(٣) البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات القرد، برقم ٤٢١٣.

(٤) البخاري، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، برقم ٥١٧٧.

٧٥- مَا يَقُولُ الصَّائِمُ إِذَا سَابَهُ أَحَدٌ

١٨٦- «إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٣٠- لفظ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الصَّيَّامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَزُفْتُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ، أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ - مَرَّتَيْنِ - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ، يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصَّيَّامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»^(٣).

٦٣١- ولفظ مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: «إِذَا أَضْبَحَ أَحَدُكُمْ يَوْمًا صَائِمًا، فَلَا يَزُفْتُ، وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنْ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الصوم»: قال ابن عبد البر رحمته الله: «الْإِمْسَاكُ مُطْلَقًا، وَكُلُّ مَنْ أَمْسَكَ عَنْ شَيْءٍ فَهُوَ صَائِمٌ مِنْهُ»^(٥)، والمقصود بالصيام شرعاً: الإمساك عن جميع المفطرات ابتغاء وجه الله تعالى من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.

٢- قوله: «إِنِّي صَائِمٌ»: قال أبو بكر بن العربي رحمته الله: «فيه وجهان من التأويل:

(١) البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، برقم ١٨٩٤، ومسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم، برقم ١١٥١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٨٩٤، ومسلم، برقم ١١٥١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ١١٥١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠ / ٢٤٤.

أحدهما: أَنْ تقول ذلك في نَفْسِكَ، فلا تجاوبه بِشْتَمٍ ولا غيره، الثاني: أَنْ تقولها مجاوباً له: إِنِّي صائمٌ فلا أَجَاوِبُكَ، والأوَّلُ أَوْلَى لِنَفْيِ الرِّيَاءِ^(١)

٣- وَقَوْلُهُ: «جُنَّةٌ»: قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «فَهِيَ الْوَقَايَةُ وَالسِّتْرُ عَنِ النَّارِ، وَحُسْبُكَ بِهَذَا فَضْلاً لِلصَّائِمِ»^(٢).

٤- قوله: «فلا يرفث»: أي: لا يتكلم بكلام فاحش، قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «الرفث: السخف والفحش من الكلام والجهل مثله»^(٣)، وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «فَالرَّفْثُ هُنَا الْكَلَامُ الْقَبِيحُ، وَالشَّتْمُ، وَالْخَنَاءُ، وَالْغَيْبَةُ، وَالْجَفَاءُ، وَأَنْ تُغْضِبَ صَاحِبَكَ بِمَا يَسُوؤُهُ، وَالْمِرَاءُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ كُلِّهِ»^(٤).

٥- قوله: «لا يجهل»: أي: لا يفعل أفعال أهل الجهل كالصياح والسفه ونحو ذلك، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «لَا يَجْهَلُ: قَرِيبٌ مِمَّا يُصَيِّنُنَا مِنَ الشَّتْمِ وَالسَّبَابِ وَالْقَبَاحِ»^(٥).

٦- قوله: «فإن امرؤ شاتمه»: أي: سبه^(٦)، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قيل إنه يقول بلسانه ويُسمع الذي شاتمه لعلّه ينزجر، وقيل يقوله بقلبه لينكف عن المسافهة ويحافظ على صيانة صومه، والأوَّلُ أظهر. ومعنى شاتمه: شتمه متعرضاً لمشاتمته، والله أعلم»^(٧).

٧- قوله: «أو قاتله»: نازعه أو دافعه^(٨)، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «قاتله: أي: دافعه، ونازعه، وتكون بمعنى شاتمه، ولا عنه، وقد جاء القتل بمعنى

(١) المسالك في شرح موطأ مالك، ٤/ ٢٣٧.

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٤.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ١٠٩.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٤.

(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٤.

(٦) انظر: فتح الباري، ٤/ ١٠٥.

(٧) الأذكار النووية للإمام النووي، ١/ ٢٣٨.

(٨) شرح صحيح مسلم للنووي، ٨/ ٢٧٠.

اللعن»^(١)، وقال ابن عبد البر رحمته الله: «وَأَمَّا قَوْلُهُ: فَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ، أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ " فَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَقُولَ الَّذِي يُرِيدُ مُشَاتَمَتَهُ، وَمُقَاتَلَتَهُ: إِنِّي صَائِمٌ، وَصَوْمِي يَمْنَعُنِي مِنْ مُجَاوَبَتِكَ؛ لِأَنِّي أَصُومُ صَوْمِي عَنِ الْحَنَاءِ وَالزُّورِ، وَالْمَعْنَى فِي الْمُقَاتَلَةِ: مُقَاتَلَتُهُ بِلِسَانِهِ، ... الْمَعْنَى الثَّانِي أَنَّ الصَّائِمَ يَقُولُ فِي نَفْسِهِ: إِنِّي صَائِمٌ يَا نَفْسِي، فَلَا سَبِيلَ إِلَى شِفَاءِ غَيْظِكَ بِالْمُشَاتَمَةِ، وَلَا يُغْلِنُ بِقَوْلِهِ: إِنِّي صَائِمٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الرِّيَاءِ وَاطِّلَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي لَا يَظْهَرُ، وَكَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الصَّائِمَ أَجْرُهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^(٢).

٨- قوله: «يصخب»: الصخب: الضجة والجلبة»^(٣).

٩- قوله: «الصوم لي وأنا أجزي به»: إنما خص الصوم والجزاء عليه بنفسه ﷺ، وإن كانت العبادات كلها له، قال ابن الأثير رحمته الله: «وجزاؤها منه؛ لأن جميع العبادات التي يتقرب بها العباد إلى الله ﷻ، من صلاة، وحج، وصدقة، وتبتل، واعتكاف، ودعاء، وقربان وهدي، وغير ذلك من أنواع العبادات، قد عبد المشركون بها آلهتهم، وكانوا يتخذونه من دون الله أنداداً، ولم يُسمع أن طائفة من طوائف المشركين، وفي الأزمان المتقدمة عبدت آلهتها بالصوم، ولا تقربت إليها به، ولا دانتها به، ولا عُرف الصوم في العبادات إلا من جهة الشرائع، فلذلك قال الله ﷻ: «الصوم لي» أي: لم يشاركني فيه أحد، ولا عبد به غيري، فأنا حينئذ أجزي به على قدر اختصاصه بي، وأنا أتولى الجزاء عليه بنفسي، لا أكبله إلى أحد غيري، من ملك مقرب أو غيره، وقد ذكر العلماء في معنى هذا الحديث وجوهاً من التأويل، لاتداني هذا القول، ولا تقاربه، إذ ما من قول منها

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ١٠٩.

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٦.

(٣) جامع الأصول، ٩/ ٤٥٣.

إلا وباقي العبادات تشاركه فيه»^(١).

وقال ابن عبد البر رحمته الله: «الصَّوْمُ لِي» - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - وَكُلُّ مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ فَهُوَ لَهُ، لَكِنَّهُ ظَاهِرٌ، وَالصَّوْمُ لَيْسَ بِظَاهِرٍ»^(٢).

١٠- قَوْلُهُ: «لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ»: يَغْنِي مَا يَغْتَرِيهِ فِي آخِرِ النَّهَارِ مِنَ التَّغْيِيرِ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ»^(٣)، وقال ابن الأثير رحمته الله: «ولخلوف»: خلف فم والصائم يخلف خلوفاً: إذا تغيرت ريحه من ترك الأكل والشرب، والخلفة منه»^(٤).

١١- قَوْلُهُ: «أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»: قال ابن عبد البر رحمته الله: «يُرِيدُ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ، وَأَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَكُمْ، يَحْضُهُمْ عَلَيْهِ وَيُرْغَبُهُمْ فِيهِ. وَهَذَا فِي فَضْلِ الطَّعَامِ، وَثَوَابِ الصَّائِمِ»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الصيام تدريب للنفس، وترويض لها حتى يتحقق لها مقصود الصيام، وهو تقوى الله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦).

٢- الرفث يطلق على فاحش القول وبذيء العبارة ويطلق على الجماع ومقدماته لقول الله عز وجل: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾^(٧).

٣- نهى الصائم عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة ليس مختصاً

(١) جامع الأصول، ٩/ ٤٥٤.

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٩.

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٨.

(٤) جامع الأصول، ٩/ ٤٥٣.

(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠/ ٢٤٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

بنهار رمضان فقط بل هو في كل الأوقات وإن كان ذلك يتأكد في حق الصائم.

٤- قول الصائم: «إني صائم» يكون بكلام مسموع لينزجر من يعتدي عليه بالقول أو الفعل وهذا أولى من أن يقولها في نفسه؛ لأن القول المطلق هو قول اللسان وهو ظاهر الحديث والله أعلم.

٥- قال القاضي عياض رحمته الله: «جاء هنا لفظ المشاتمة والمقاتلة، وهي لا تكون إلا من اثنين؟ فقليل: معناه هنا: إن امرؤ أراد هذا منه فليمتنع، وأيضاً فإن المفاعله قد تجيء لفعل الواحد؛ كقوله: سافر، وعالج الأمر، وعافاه الله، وأيضاً فقد يكون على وجهه، أي: إن بدا ذلك منهما فليرجع إلى نفسه، ويذكرها بصومه فتكف»^(١).

٦- قال ابن عبد البر رحمته الله: «أما الصيام في الشريعة فمعناه الإمساك عن الأكل والشرب ووطء النساء نهائراً، إذا كان تارك ذلك يريد به وجه الله، وينويه، هذا معنى الصيام في الشريعة عند جميع علماء الأمة، وأما أصله في اللغة فالإمساك مطلقاً، وكل من أمسك عن شيء فقد صام عنه، ويسمى صائماً ألا ترى قول الله ﷻ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾^(٢)، فسمى الإمساك عن الكلام صوماً، وكل ممسك عن حركة أو عمل أو طعام أو شراب فهو صائم في أصل اللسان، لكن الاسم الشرعي ما قدمت لك وهو يقضي في المعنى على الاسم اللغوي وقد ذكرنا شواهد الشعر على الاسم اللغوي في الصيام»^(٣).

٧- وقال ابن عبد البر رحمته الله: «وفي قوله: «الصَّوْمُ لِي» فَضْلٌ عَظِيمٌ لِلصَّوْمِ؛ لِأَنَّهُ لَا

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤ / ١٠٩.

(٢) سورة مريم، الآية: ٢٦.

(٣) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠ / ٢٤٨.

يُضَافُ إِلَيْهِ إِلَّا أَكْرَمَ الْأُمُورِ، وَأَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، كَمَا قَالَ: «بَيَّتُ اللَّهَ» فِي الْكُعْبَةِ^(١).

٨- وقال ابن عبد البر رحمته الله أيضاً: «الصَّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ: مَعْنَاهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الصَّوْمَ لَا يَظْهَرُ مِنْ ابْنِ آدَمَ فِي قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ، وَإِنَّمَا هُوَ نِيَّةٌ يَنْطَوِي عَلَيْهَا لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَتْ مِمَّا يَظْهَرُ، فَيَكْتُبُهَا الْحَفَظَةُ كَمَا تَكْتُبُ الذِّكْرَ وَالصَّلَاةَ وَالصَّدَقَةَ، وَسَائِرُ أَعْمَالِ الظَّاهِرِ؛ لِأَنَّ الصَّوْمَ فِي الشَّرِيعَةِ لَيْسَ هُوَ بِالْإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ دُونَ اسْتِشْعَارِ النِّيَّةِ، وَاعْتِقَادِ النِّيَّةِ بِأَنْ تَرْكُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالْجِمَاعَ ابْتِغَاءً ثَوَابِ اللَّهِ، وَرَغْبَةً فِيَمَا نَدَبَ إِلَيْهِ تَزَلُّفًا وَقُرْبَةً مِنْهُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، لَا يُرِيدُ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ ﷻ، وَمَنْ لَمْ يَنْوِ بِصَوْمِهِ أَنَّهُ لِلَّهِ ﷻ فَلَيْسَ بِصِيَامٍ؛ فَلِهَذَا قُلْنَا: إِنَّهُ لَا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الْحَفَظَةُ؛ لِأَنَّ التَّارِكَ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ لَيْسَ بِصَائِمٍ فِي الشَّرْعِ إِلَّا أَنْ يَنْوِيَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَرَضِيَهُ مِنْ تَرْكِهِ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا لِأَحَدٍ سِوَاهُ»^(٢).

٩- قال ابن القيم: فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام وصوم البطن عن الطعام والشراب، فكما أن الطعام والشراب يفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته فتصيره بمنزلة من لم يصم^(٣).

قال النبي ﷺ: «رَبُّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَرَبُّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»^(٤).

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٩ / ٥٣.

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠ / ٢٤٨.

(٣) الوابل الصيب، ص ٤٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، برقم ١٦٩٠، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب الصيام، ما ينهى عنه الصائم من قول الزور والغيبة برقم ٣٢٤٩، قال البوصيري في مصباح الزجاجة، ٦٩/٢: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٤٨٨.

٧٦- الدعاء عند رؤية باكورة الثمر

١٨٧- «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدْنَا»^(١).

الشرح:

أولاً: شرح مفردات الحديث:

٦٣٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، أَنَّهُ قَالَ : كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاءُوا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَإِذَا أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدْنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ، وَخَلِيلُكَ، وَنَبِيَّكَ، وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيَّكَ، وَإِنَّهُ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ»، قَالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلَدٍ لَهُ، فَيُعْطِيهِ ذَلِكَ الثَّمَرَ»^(٣).

٦٣٣- وفي رواية لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُؤْتَى بِأَوَّلِ الثَّمَرِ، فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثَمَارِنَا، وَفِي مَدْنَا، وَفِي صَاعِنَا بِرَكَّةٍ مَعَ بَرَكَةٍ»، ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوِلْدَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا أَخَذَهُ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ الدَّعَاءَ^(٤).

(١) مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، برقم ٤٧٣- (١٣٧٣)، ورقم ٤٧٤- (١٣٧٣)، وموطأ مالك، ٥/ ١٣٠٣، برقم (٣٣٠٣)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا دعي بأول الثمر فأخذه، برقم ١٠١٣٤، وصحيح ابن حبان، ٦٢/ ٩، برقم ٣٧٤٧، وصحيح إسناده محقق ابن حبان، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١١٩٩، وكلها بلفظ واحد.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، برقم ١٣٧٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسلم، برقم ٤٧٣- (١٣٧٣)، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «جاءوا به إلى النبي ﷺ»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «إنما كانوا يؤثرونه بذلك على أنفسهم حباً له وكرامة لوجهه المكرم؛ وطلباً للبركة فيما جدد الله عليهم من نعمة، ويرونه أولى الناس بما سيق إليهم من رزق ربهم»^(١).

٢- قوله: «أول الثمر»: أي: بعد أن يبدو صلاحه، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الثمرة: مَا يَنْتُجُهُ الشَّجَرُ»^(٢).

٣- قوله: «بمثل ما دعاك»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «يعني وارزقهم من الثمرات بأن تجلب إليهم من البلاد؛ لعلهم يشكرون النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في وادٍ يباب، ليس فيه نجم، ولا شجر، ولا ماء، لا جرم أن الله ﷻ أجاب دعوته، فجعله حرماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنه»^(٣).

٤- قوله: «إن إبراهيم»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «إبراهيم خليل الرحمن، صلوات الله عليه وسلامه هو أبو إسماعيل إبراهيم بن آزر أنزل الله تعالى عليه صحفاً... وجعل له لسان صدق في الآخرين، أي: ثناء حسناً، فليس أحد من الأمم إلا يحبه، وأكرمه بالخلعة، وبأن جعل أكثر الأنبياء من ذريته، وختم ذلك ﷺ بنينا محمد ﷺ، والآيات الكريمة في بيان أحواله معلومة»^(٤).

٥- قوله: «وخليلك»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْخَلِيلُ: الصَّدِيقُ، فَعِيلٌ بِمَعْنَى مُفَاعِلٍ، وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ خُلَّتَهُ كَانَتْ مَقْصُورَةً عَلَى حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَيْسَ فِيهَا لِغَيْرِهِ مُتَسَّعٌ وَلَا شَرِكَةٌ مِنْ مَحَابِّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٢١، مادة (ثمر).

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٤.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات، ١/ ٩٨.

وَهَذِهِ حَالُ شَرِيفَةٍ لَا يَنَالُهَا أَحَدٌ بِكَسْبٍ وَاجْتِهَادٍ، فَإِنَّ الطَّبَّاعَ غَالِبَةٌ، وَإِنَّمَا يَخْصُصُ اللَّهُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مِثْلَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ»^(١).

٦- قوله: «المكة»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمَكَّةٌ: مَعْرُوفَةٌ، الْبَلَدُ الْحَرَامُ، قِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِقِلَّةِ مَائِهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَمْتَكُونُ الْمَاءَ فِيهَا أَيَّ: يَسْتَخْرِجُونَهُ، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ مَكَّةً لِأَنَّهَا كَانَتْ تَمُكُّ مَنْ ظَلَمَ فِيهَا وَالْحَدَّ أَيَّ: تُهْلِكُهُ»^(٢).

٧- قوله: «اللهم بارك لنا»: البركة هي كثرة الشيء ونماؤه. قال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْبَرَكَةُ وَهِيَ زِيَادَةُ الْخَيْرِ وَنُمُوهُ، وَدَوَامُهُ»^(٣)، وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا» يُرِيدُ نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ، وَصَدَّقُوهُ، وَاتَّبَعُوهُ عَلَى دِينِهِ، فِي زَمَانِهِ، وَتَذَرِكُ بَرَكَةً تِلْكَ الدَّعْوَةُ فِي قَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا» كُلُّ مَنْ كَانَ حَيًّا، مَوْلُودًا فِي مُدَّتِهِ، وَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ مِنْ سَاكِنِي الْمَدِينَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٤).

٨- قوله: «في ثمرنا»: في ثمرنا أي: في أوله وآخره بجميع أنواعه،

٩- قوله: «وبارك لنا في مدينتنا» أي: المدينة النبوية، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْمَدِينَةُ: اسْمُ مَدِينَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَاصَّةً غَلَبَتْ عَلَيْهَا تَفْخِيمًا لَهَا، شَرَفَهَا اللَّهُ وَصَانَهَا»^(٥).

١٠- قوله: «وبارك لنا في صاعنا»: الصاع نوع من المكيال، وهو أربعة أمداد، قال ابن الأثير: «الصَّاعُ فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ مِكْيَالٌ يَسَعُ أَرْبَعَةَ أَمْدَادٍ. وَالْمَدُّ مُخْتَلَفٌ

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٧٢ / ٢، مادة (خل).

(٢) لسان العرب، ١٠ / ٤٩١، مادة (مك).

(٣) تحفة الأحوذى، ٩ / ٢٩٦، وتقدم في المفردة رقم ٧، من مفردات حديث المتن رقم ١٧٩.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١١ / ٢٦.

(٥) لسان العرب، ١٣ / ٤٠٢، مادة (مدن).

فيه، فَقِيلَ هُوَ رِطْلٌ وَثُلُثٌ بِالْعِرَاقِيِّ، وَبِهِ يَقُولُ الشَّافِعِيُّ وَفُقُهَاءُ الْحِجَازِ. وَقِيلَ هُوَ رِطْلَانٌ، وَبِهِ أَخَذَ أَبُو حَنِيفَةَ وَفُقُهَاءُ الْعِرَاقِ، فَيَكُونُ الصَّاعُ خَمْسَةَ أَزْطَالٍ وَثُلُثًا، أَوْ ثَمَانِيَةَ أَزْطَالٍ^(١)، والصاع أربعة أمداد، والمد ملء كفي الرجل المعتدل.

١١- قوله: «(وبارك لنا في مدنا): هو ملء كفي الرجل معتدل الكفين، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الْمُدُّ: بِالضَّمِّ فِي الْحَدِيثِ، وَهُوَ رِطْلٌ وَثُلُثٌ بِالْعِرَاقِيِّ، عِنْدَ الشَّافِعِيِّ وَأَهْلِ الْحِجَازِ، وَهُوَ رِطْلَانٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَأَهْلِ الْعِرَاقِ، وَقِيلَ: إِنَّ أَصْلَ الْمُدِّ مُقَدَّرٌ بِأَنْ يَمُدَّ الرَّجُلُ يَدَيْهِ فَيَمْلَأُ كَفَّيْهِ طَعَامًا»^(٢)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «المراد البركة في نفس المكيل بالمدينة بحيث يكفي المد فيها لمن لا يكفيه في غيرها»^(٣).

١٢- قوله: «ثم يدعو أصغر وليد»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَمَّا إِعْطَاؤُهُ ﷺ أَصْغَرَ وَلِيدٍ يَرَاهُ، فَإِنَّهُ مِنْ تَمَامِ الْمُنَاسِبَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ الْوَلَدَانِ وَبَيْنَ الْبَاكُورَةِ، وَذَلِكَ حَدَثَانِ عَهْدَهُمَا بِالْإِبْدَاعِ، فَخَصَّ بِهِ أَصْغَرَ وَلِيدٍ يَرَاهُ»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- جواز الطواف بالباكورة على الناس، والباكورة هي أول الثمرة، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي دُعَائِهِ ﷺ فِي الثَّمَرِ، وَلِلْمَدِينَةِ وَالصَّاعِ وَالْمُدِّ، وَإِعْلَامًا لَهُ ﷺ بِإِبْتِدَاءِ صَلَاحِهَا لِمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الزَّكَاةِ وَغَيْرِهَا، وَتَوْجِيهِ الْخَارِصِينَ»^(٥).

٢- عدم جواز بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها لقول ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا نهى

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٦٠).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٠٨، مادة (صوع).

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٤.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٣.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٩/ ١٤٦.

رسول الله ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها نهى البائع والمبتاع^(١).

٣- استحباب إعطاء باكورة الثمرة لأصغر وليد يحضر من الولدان؛ لكونه أكثر الحاضرين رغبة فيها، وهذا من كمال شفقة النبي ﷺ بالأطفال.

٤- فيه بيان ما كان عليه ﷺ من مكارم الأخلاق، وكَمَالِ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَمُلاَظَفَةِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ، وَخَصَّ بِهَذَا الصَّغِيرَ لِكَوْنِهِ أَرْغَبَ فِيهِ، وَأَكْثَرَ تَطَلُّعًا إِلَيْهِ، وَحِرْصًا عَلَيْهِ^(٢).

٥- قال القاضي عياض رحمه الله: «وفيه ما كان عليه ﷺ من الرفق بالصغير والكبير، ومراعاة حقوق كل صنف منهم بحسبه، ودفع هذه الطرفة للصغار؛ إذ هم أولى بذلك لشدة حرصهم على مثل ذلك، وإعجابهم به، وقيل: يحتمل أن يفعل ذلك لطلب الأجر بدفعه لمن لا ذنب له، وإدخال المسرة عليه بذلك، وتخصيصه ذلك بأصغر وليد يحضره، لما لم يكن لقلته فيه ما نقسم على الولدان رحم أصغرهم به؛ إذ هو أولى بالألطاف ولقلة صبره، وحرصه وشرهه على مثل هذا بحسب صغره، وكلما كبر تخلق بأخلاق الرجال من الصبر والحياء وسماحة النفس، وقلة الشره»^(٣).

٦- ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من تمام الأدب مع رسول الله ﷺ لأنهم كانوا يفعلون ذلك رغبة في دعائه، وإعلامًا له بابتداء صلاحها حتى يعلمهم ما يتعلق بها من الزكاة، وغيرها من الأمور.

٧- استمرار البركة في المدينة منذ عهده ﷺ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهذه البركة على قسمين:

(١) البخاري، كتاب البيوع، باب النهي للبائع أن لا يحفل الإبل، برقم ٢١٩٤.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٤٦/٩.

(٣) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، للقاضي عياض، ٢٥٥/٤.

أ- بركة دينية وهي متمثلة في كون المدينة قبله لطلب العلم الشرعي.

ب- بركة دنيوية وهي متمثلة في الكيل فإنها كيل مبارك أكثر من غيره.

٨- قال الطيبي رحمته الله: «في إعطائه الوليد الثمر، بيان مكارم أخلاقه ﷺ، وكمال الشفقة، والرحمة، وملاطفة الكبار والصغار، وخص به الصغير؛ لكونه أرغب وأكثر تطلعاً إليه، وحرصاً عليه»^(١).

٩- قال الباجي رحمته الله: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا» يُرِيدُ أَخْذَهُ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ وَيَدْعُو لَهُمْ فِيهِ، ثُمَّ دَعَا لَهُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي مَدِينَتِهِمْ يُرِيدُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَرَافِقِهَا وَمَنَافِعِهَا»^(٢).

١٠- وقال أيضاً: «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ وَإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ» يُرِيدُ إِظْهَارَ وَسِيلَتِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَذَكَرَ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ كَمَا أَنْعَمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ قَالَ وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ دَعَا لِمَكَّةَ يُرِيدُ ﷺ قَوْلُهُ ﷺ: «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ»^(٣)»^(٤).

١١- وقال الباجي رحمته الله أيضاً: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَإِنِّي أَذْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ بِهِ لِمَكَّةَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ»... وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَيْضًا دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِأَمْرِ آخِرَتِهِمْ، وَعَلِمَ هُوَ ﷺ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَبِمِثْلِهِ مَعَهُ، فَيَعُودُ إِلَى مِثْلِ مَا قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ ﷺ دَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ فِي ثَمَرَاتِهِمْ بِبَرَكَةٍ قَدْ أَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ فِيهِ، وَأَنَّهُ ﷺ دَعَا لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي ثَمَرَاتِهِمْ أَيْضًا بِمِثْلِ ذَلِكَ وَمِثْلِهِ مَعَهُ، فَلَا

(١) شرح المشكاة للطبيي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ٢٠٥٣.

(٢) المتقى شرح الموطأ، ٧/ ١٨٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٤) المتقى شرح الموطأ، ٧/ ١٨٨.

يَكُونُ هَذَا دَلِيلًا عَلَى فَضْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى مَكَّةَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْبَرَكَةَ فِي ثِمَارِهِمْ مِثْلُ الْبَرَكَةِ فِي ثِمَارِ مَكَّةَ، إِمَّا لِقُرْبِ تَنَاوُلِهَا، أَوْ لِكَثْرَتِهَا، أَوْ لِفَضْلِهَا، أَوْ لِلْبَرَكَةِ فِي الْأَقْتِيَاتِ بِهَا، أَوْ لِيُوصَلَ مَنْ يَقْتَاتُ بِهَا مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مِثْلِي مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ مَنْ يَقْتَاتُ فِي مَكَّةَ بِثِمَارِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(١).

١٢- قال الطيبي رحمته الله: «وإنما لم يذكر الخلة لنفسه - مع أنه أيضًا خليل الله تعالى، على ما دل عليه قوله ﷺ في باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه: «وقد اتخذ الله صاحبكم خليلًا»^(٢) رعاية للأدب في ترك المساواة بين نفسه وبين آبائه وأجداده الكرام. أقول [القائل الطيبي]: لو صرح به لقل: عبدك وحيبك، وفي عدم تصريحه به مع رعاية الأدب تنبيه على تنويهه، وجلالة شأنه، وأنه أرفع درجة، وأعظم قدرًا»^(٣).

١٣- وقال ابن عبد البر رحمته الله: «صَرَفُ الدُّعَاءِ بِالْبَرَكَةِ إِلَى مَا يُكَالُ بِالْمِكْيَالِ وَالصَّاعِ وَالْمِدِّ مِنْ كُلِّ مَا يُكَالُ، وَهَذَا مِنْ فَصِيحِ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَأَنْ يُسَمَّى الشَّيْءُ بِاسْمِ مَا قَرَبَ مِنْهُ، وَلَوْ لَمْ تَكُنِ الْبَرَكَةُ فِي كُلِّ مَا يُكَالُ، وَكَانَتْ فِي الْمِكْيَالِ لَمْ تَكُنْ فِي ذَلِكَ مَنَفَعَةً، وَلَا فَائِدَةً، بَلْ لَوْ رُفِعَتِ الْبَرَكَةُ مِنَ الْمِكَالِ، فَكَانَتْ فِي الْمِكْيَالِ كَانَتْ مُصِيبَةً، وَهَذَا مُحَالٌ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ، وَقَدْ جَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْعَوْ بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ»^(٤).

١٤- وقال أيضًا: «وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْفَاقَ بِالْكَئِيلِ أَفْضَلُ مِنْهُ بِغَيْرِ الْكَئِيلِ»^(٥).

(١) المتقى شرح الموطأ للباجي، ٧ / ١٨٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم ٢٣٨٣.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ٢٠٥٣.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠ / ٢٦.

(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٠ / ٢٦.

- ١٥- من ثمار دعوة النبي ﷺ بالبركة للمدينة ما يأتي:
- أ- إخباره ﷺ: «أن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»^(١)، ومعنى يأرز أي: ينضم ويجتمع.
- ب- هلكة من يكيد لها لقوله ﷺ: «لا يكيد لأهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء»^(٢) ومعنى انماع أي: ذاب.
- ج- لا يدخلها الدجال ولا الطاعون، لقوله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»^(٣).
- د- قول النبي ﷺ: «لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً»^(٤) ومعنى لأواء أي: شدتها.

(١) البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، برقم ١٨٧٦.

(٢) البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب إثم من كاد أهل المدينة، برقم ١٨٧٧.

(٣) البخاري، أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، برقم ١٨٨٠. وكذلك مكة لا يدخلها الدجال لقوله ﷺ: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة...» البخاري، برقم ١٨٨١.

(٤) مسلم، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة، والصبر على لأوائها، برقم ١٣٧٧.

٧٧- دُعَاءُ الْعَطَاسِ

١٨٨- (١) «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بِالْكُم»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٣٤- لفظ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بِالْكُم»^(٣).

٦٣٥- ورواية الترمذي عَنْ أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه^(٤)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلْيَقُلِ الَّذِي يَرُدُّ عَلَيْهِ، يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَلْيَقُلْ هُوَ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بِالْكُم»^(٥).

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب إذا عطس كيف يشمت، برقم ٦٢٢٤، وأبو داود، كتاب الأدب، باب كيف تشميت العطاس، برقم ٥٠٣٣، والترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء كيف تشميت العطاس، برقم ٢٧٤١، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب تشميت العطاس، برقم ٣٧١٥، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٩٣٤، وأحمد، ٢/ ٢٧٥، برقم ٩٧٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح..

(٣) البخاري، برقم ٦٢٢٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣١٨ من أحاديث الشرح.

(٥) الترمذي، برقم ٢٧٤١، وجود العلامة الألباني إسناده في المشكاة، برقم ٤٣٣٩، وصححه في صحيح الترمذي، ٣/ ٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦٣٦- ورواية ابن ماجه عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام ^(١) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيُرَدِّ عَلَيْهِ مِنْ حَوْلِهِ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَلْيُرَدِّ عَلَيْهِمْ: يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصْلِحْ بِالْكُمِ» ^(٢).

٦٣٧- ورواية البخاري في الأدب المفرد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ^(٣) قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلْيَقُلْ مَنْ يَرُدُّ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَلْيَقُلْ هُوَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ» ^(٤).

٦٣٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ^(٥) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «التَّشَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرَدِّ مَا اسْتَطَاعَ فَإِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا قَالَ: هَا، ضَحَكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ» ^(٦).

٦٣٩- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ^(٧) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ» ^(٨).

٦٤٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّشَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَحَقُّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُسَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّشَاؤُبُ، فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيُرَدِّ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ» ^(٩).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) ابن ماجه، برقم ٣٧١٥، وصححه العلامة الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣٧٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١٢ من أحاديث الشرح..

(٤) الأدب المفرد، برقم ٩٣٤، وأحمد، ٢/ ٢٧٥، برقم ٩٧٢، وحسنه لغيره محققو المسند، والعلامة الألباني في صحيح الأدب المفرد موقوفاً برقم ٩٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح..

(٦) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٨٩.

(٧) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١ من أحاديث الشرح..

(٨) مسلم، كتاب الزهد والرفاق، باب تسميت العاطس وكراهة التثاؤب، برقم ٢٩٩٥.

(٩) البخاري، كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس، وما يكره من التثاؤب، برقم ٦٢٢٣.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «إذا عطس أحدكم»: أي: منكم يا أمة الإسلام، قال ابن منظور رحمته الله: «عَطَسَ الرَّجُلُ يَعْطُسُ، بِالْكَسْرِ، وَيَعْطُسُ، ... يَكُونُ مَعَ خِفَّةِ الْبَدَنِ، وَانْفِتَاحِ الْمَسَامِ، وَتَيَسُّيرِ الْحَرَكَاتِ، وَالتَّثَاوُبِ بِخِلَافِهِ، وَسَبَبُ هَذِهِ الْأَوْصَافِ تَخْفِيفُ الْغِذَاءِ وَالْإِقْلَالُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالْمَعْطُسُ وَالْمَغْطَسُ: الْأَنْفُ لِأَنَّ الْعُطَاسَ مِنْهُ يَخْرُجُ»^(١)، وقال الطيبي رحمته الله: «التَّثَاوُبُ بِالْهَمْزَةِ: التَّنَفُّسُ الَّذِي يَنْفَتَحُ مِنْهُ الْفَمُ، وَهُوَ إِنَّمَا يَنْشَأُ مِنَ الْاِمْتَلَاءِ وَثَقُلِ النَّفْسِ، وَلِدَوْرَةِ الْحَوَاسِ، وَيَوْرَثُ الْغَفْلَةَ وَالْكَسَلَ، وَسَوْءُ الْفَهْمِ، وَلِذَلِكَ كَرِهَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَحْبَبَهُ الشَّيْطَانُ، وَضَحِكَ مِنْهُ، وَالْعُطَاسُ لَمَّا كَانَ سَبَباً لَخِفَةِ الدِّمَاغِ، وَاسْتِفْرَاغِ الْفَضْلَاتِ عَنْهُ، وَصَفَاءِ الرُّوحِ، وَتَقْوِيَةِ الْحَوَاسِ، كَانَ أَمْرُهُ بِالْعَكْسِ»^(٢).

٢- قوله: «فليقل الحمد لله»: على هذه النعمة، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»^(٣).

وقال الطيبي رحمته الله: «الحمد: الشاء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدينية ما لا يحصى»^(٤).

وقال النووي رحمته الله: «(وَقَوْلُهُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ): فِيهِ إِسْتِجَابُ حَمْدِ اللَّهِ عِنْدَ تَجَدُّدِ النِّعَمِ، وَخُضُوعِ مَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَتَوَقَّعُ خُضُوعَهُ، وَانْدِفَاعِ مَا كَانَ يَخَافُ وَقُوعَهُ»^(٥).

(١) لسان العرب، ٦/ ١٤٢.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٠٧٧.

(٣) بدائع الفوائد، ٢/ ٥٣٧، وانظرها بتفصيل أكثر في شرح مفردات الحديث رقم ٢ من أحاديث المتن، في المفردة رقم ٤، والمفردة رقم ٧.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثانية من حديث المتن رقم ١٠٨.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٣/ ١٨٢.

٣- قوله: «ولَيْقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ»: قال ابن حجر رحمته الله: «هُوَ شَكٌّ مِنَ الرَّاوي، وَكَذَا وَقَعَ لِلْأَكْثَرِ مِنْ رِوَايَةِ عَاصِمِ بْنِ عَلِيٍّ «فَلَيْقُلْ لَهُ أَخُوهُ»، وَلَمْ يَشْكُ وَالْمُرَادُ بِالْأَخُوَّةِ أَخُوَّةُ الْإِسْلَامِ»^(١).

٤- قوله: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ»: دعاء بالرحمة وتبشير له كقولك: «طهور إن شاء الله». قال ابن حجر رحمته الله: قوله: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ»: قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ رحمته الله: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ دُعَاءٌ بِالرَّحْمَةِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ إِخْبَارًا عَلَى طَرِيقِ الْبَشَارَةِ، كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «طَهُورُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٢)، أَي: هِيَ طَهْرٌ لَكَ؛ فَكَأَنَّ الْمُشَمَّتَ بَشَّرَ الْعَاطِسَ بِحُصُولِ الرَّحْمَةِ لَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ بِسَبَبِ حُصُولِهَا لَهُ فِي الْحَالِ لِكَوْنِهَا دَفَعَتْ مَا يَضُرُّهُ، قَالَ: وَهَذَا يَنْبَنِي عَلَى قَاعِدَةٍ، وَهِيَ أَنَّ اللَّفْظَ إِذَا أُريدَ بِهِ مَعْنَاهُ لَمْ يَنْصَرَفْ لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أُريدَ بِهِ مَعْنَى يَحْتَمِلُهُ انْصَرَفَ إِلَيْهِ، وَإِنْ أُطْلِقَ انْصَرَفَ إِلَى الْغَالِبِ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَحْضِرِ الْقَائِلُ الْمَعْنَى الْغَالِبَ، وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: ذَهَبَ إِلَى هَذَا قَوْمٌ فَقَالُوا: يَقُولُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، يَخُصُّهُ بِالْدُّعَاءِ وَحْدَهُ، وَقَدْ أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي (الشُّعْبِ)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ مِنْ طَرِيقِ خَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه رَفَعَهُ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَطَسَ، فَأَلْهَمَهُ رَبُّهُ أَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ»^(٣)،^(٤) وَقَالَ الْمَنَاوِي رحمته الله: «فَمَعْنَى رَحِمَكَ اللَّهُ: أَعْطَاكَ رَحْمَةً تَرْجِعُ بِهَا إِلَى حَالِكَ الْأَوَّلِ أَوْ يَرْجِعُ بِهَا كُلُّ عَضْوٍ إِلَى سَمْتِهِ»^(٥).

٥- قوله: «يَهْدِيكُمْ اللَّهُ»: أي: يَدُلُّكَ عَلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ سَيِّدِ

(١) فتح الباري، ١٠ / ٦٠٨.

(٢) انظر الحديث، رقم ١٤٧، من أحاديث المتن.

(٣) ابن حبان، ٦ / ٤٢١، برقم ٢٠٨٠، وحسنه محققه، والبيهقي، ٧ / ٢٣، وابن عساكر ٧ / ٣٨٤،

(٤) فتح الباري، ١٠ / ٦٠٨.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١ / ١٦٣.

المرسلين ﷺ، قال المناوي رحمه الله: «يهديكُم الله ويصلح بالكم: أي حالكم، واختير الجمع ورُجِّح، واعتُرض بأن الدعاء بالهداية للمسلم تحصيل الحاصل، وهو محال، ومُنْع بأنه ليس المراد بالدعاء، وبالهداية ما متلبس به من الإيمان، بل معرفة تفاصيل أجزائه، وإعانتة على أعماله، وكل مؤمن يحتاج إلى ذلك في كل طرفة عين، ومن ثمَّ أمر الله أن نسأله الهداية في كل ركعة من الصلاة»^(١).

٦- قوله: «يصلح بالكم» أي: حالكم وأموركم وذلك بصلاح القلب واستقامة الجوارح على طاعة الله ﷻ، واتباع رسوله محمد ﷺ، قال القاري رحمه الله: «أي: شأنكم، وحالكم؛ لأنه إذا دعا له بالرحمة شرع في حقه دعاء بالخير له، تأليفاً للقلوب، ولفظ العموم خرج مخرج الغالب؛ فإن العاطس قلما يخلو عند عطاسه عن أصحابه، أو هو إشارة إلى تعظيمه واحترامه في الدعاء، أو إلى أمة محمد كلهم»^(٢)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «أي يصلح شأنكم فتدعو له بالهداية وإصلاح الشأن»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- العطاس من النعم التي تستوجب الحمد وذلك لأمرين:
الأمر الأول: أنه يخرج الأبخرة المحتقنة في الدماغ والتي لو بقيت لأحدثت أدواء عسيرة.
- الأمر الثاني: بقاء الأعضاء على هيئتها والتتامها بعد هذه الزلزلة القوية التي حدثت للبدن^(٤).

٢- تشميت العاطس حق متبادل بين أهل الإسلام لقول النبي ﷺ: «حق

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٥١٧.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/ ٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٨٨١.

(٤) انظر زاد المعاد لابن القيم، ٢/ ٣٤٨، ٣٤٩.

المسلم على المسلم ست» وفيه: «وإذا عطس وحمد الله فيشمته»^(١). ومفهومه أنه لا يشمت إلا من حمد الله وعلى كل من سمعه أن يشمته لقول النبي ﷺ: «وإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول: يرحمك الله»^(٢).

٣- قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ الْقَاضِي: وَالْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ أَنَّهُ فَرَضَ كِفَايَةً، قَالَ: وَبِهِ قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَرَدِّ السَّلَامِ، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَأَصْحَابِهِ، وَآخَرِينَ أَنَّهُ سُنَّةٌ وَأَدَبٌ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، وَيَحْمِلُونَ الْحَدِيثَ عَلَى النَّدْبِ وَالْأَدَبِ كَقَوْلِهِ ﷺ: «حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ»^(٣).

٤- قَالَ الْقَاضِي: وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي كَيْفِيَّةِ الْحَمْدِ وَالرَّدِّ، وَاخْتَلَفَتْ فِيهِ الْأَثَارُ، فَقِيلَ: يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَقِيلَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقِيلَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: هُوَ مُخْتَارٌ بَيْنَ هَذَا كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ»^(٤).

٥- العطاس من الأمور التي يحبها الله، وذلك لما فيه من النفع، والخير، ولما يترتب عليه من الحمد له، والثناء عليه، ودعائه ﷻ، وهذا بخلاف التثاؤب الذي هو من الشيطان. قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْعَطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ»^(٥).

(١) أخرجه مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، برقم ٢١٦٢، بلفظ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ» قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَسَمِعْتُهُ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُذِّهِ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» وأحمد في المسند، ١٤ / ٤٣٩، برقم ٨٨٤٥.

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب إذا تشاءب فليضع يده على فيه، برقم ٦٢٢٦.

(٣) البخاري، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، برقم ٨٩٧، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الطب والسواك يوم الجمعة، برقم ٨٤٩.

(٤) شرح النووي على مسلم، ١٨ / ١٢١.

(٥) البخاري، كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب، برقم ٦٢٢٣.

٦- يسن للعاطس خفض الصوت حتى لا يزعج من حوله؛ لقول أبي هريرة رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده، أو ثوبه، على فيه، وخفض، أو غض صوته»^(١).

٧- قال ابن دقيق العيد رحمته الله: «ظاهر الحديث أَنَّ السُّنَّةَ لَا تَتَأَدَّى إِلَّا بِالْمُخَاطَبَةِ، وَأَمَّا مَا اعْتَادَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلرَّئِيسِ: يَرْحَمُ اللَّهُ سَيِّدَنَا، فَخِلَافُ السُّنَّةِ، وَبَلَّغَنِي عَنْ بَعْضِ الْفُضَلَاءِ أَنَّهُ شَمَّتَ رَئِيسًا فَقَالَ لَهُ: يَرْحَمَكَ اللَّهُ يَا سَيِّدَنَا، فَجَمَعَ الْأَمْرَيْنِ، وَهُوَ حَسَنٌ»^(٢).

٨- التسميت ثلاث مرات، وما زاد فهو زكام، ويقال لصاحبه: «الرجل مزكوم» لقوله ﷺ: «شمت أخاك ثلاثاً فما زاد إنما هو نزلة أو زكام»^(٣)، قال ابن القيم رحمته الله: وقوله: «الرجل مزكوم»^(٤)، تنبيه على الدعاء له بالعافية؛ لأن الزكمة علة، فعلى صاحبها أن يتداركها، ولا يهملها، فيصعب أمرها، فكلامه كله حكمة، ورحمة، وعلم، وهدى^(٥).

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «وَفِي الْبَابِ حَدِيثٌ آخَرُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَرْفَعُهُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيُسَمِّتْهُ جَلِيسُهُ فَإِنْ زَادَ عَلَى الثَّلَاثَةِ فَهُوَ مَزْكُومٌ، وَلَا تُسَمِّتُهُ بَعْدَ الثَّلَاثِ»، وَهَذَا الْحَدِيثُ هُوَ حَدِيثُ أَبِي دَاوُدَ^(٦) الَّذِي قَالَ فِيهِ: رَوَاهُ أَبُو

(١) مسند أحمد، ١٥/ ٤١٢، برقم ٩٦٦٢، وأبو داود، كتاب الأدب، باب كيف تسميت العاطس، برقم ٥٠٣٢، وقوى إسناده محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٧٥٥.

(٢) فتح الباري، ١٠/ ٦٠٩.

(٣) الدعاء للطبراني، ص ٥٥٦، برقم ٢٠٠٠، والدليمي في الفردوس بمأثور الخطاب، ٢/ ٣٥٥، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٧١٥.

(٤) مسلم، كتاب الزهد والرفائق، باب تسميت العاطس وكراهة التثاؤب، برقم ٢٩٩٣.

(٥) زاد المعاد، ٢/ ٤٤١.

(٦) أبو داود، كتاب الأدب، باب كيف تسميت العاطس، برقم ٥٠٣٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٣٣٠.

نعيم، عَنْ مُوسَى بْنِ قَيْسٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجَلَانَ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ، فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ بِهِ زُكَامٌ، فَهُوَ أَوْلَى أَنْ يُدْعَى لَهُ مِمَّنْ لَا عِلَّةَ بِهِ؟ قِيلَ: يُدْعَى لَهُ كَمَا يُدْعَى لِلْمَرِيضِ، وَمَنْ بِهِ دَاءٌ وَوَجَعٌ، وَأَمَّا سُنَّةُ الْعُطَاسِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَهُوَ نِعْمَةٌ، وَيَدُلُّ عَلَى خِفَةِ الْبَدَنِ، وَخُرُوجِ الْأَبْخَرَةِ الْمُحْتَقِنَةِ، فَإِنَّمَا يَكُونُ إِلَى تَمَامِ الثَّلَاثِ وَمَا زَادَ عَلَيْهَا يُدْعَى لِصَاحِبِهِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «الرَّجُلُ مَزْكُومٌ» تَنْبِيْهُ عَلَى الدُّعَاءِ لَهُ بِالْعَافِيَةِ؛ لِأَنَّ الزُّكْمَةَ عِلَّةٌ، وَفِيهِ اغْتِدَارٌ مِنْ تَرْكِ تَشْمِيْتِهِ بَعْدَ الثَّلَاثِ، وَفِيهِ تَنْبِيْهُ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْعِلَّةِ لِيَتَذَكَّرَهَا، وَلَا يَهْمِلَهَا، فَيَضَعُ أَمْرَهَا، فَكَلَامُهُ ﷺ كُلُّهُ حِكْمَةٌ وَرَحْمَةٌ، وَعِلْمٌ وَهُدًى»^(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «الثَّالِثُ الْمَزْكُومُ إِذَا تَكَرَّرَ مِنْهُ الْعُطَاسُ فَزَادَ عَلَى الثَّلَاثِ؛ فَإِنَّ ظَاهِرَ الْأَمْرِ بِالتَّشْمِيْتِ يَشْمَلُ مَنْ عَطَسَ وَاحِدَةً أَوْ أَكْثَرَ، لَكِنْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَجَلَانَ عَنْ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «يُسَمِّيْتُهُ وَاحِدَةً وَثْنَيْنِ وَثَلَاثًا، وَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ زُكَامٌ»^(٢)، هَكَذَا أَخْرَجَهُ مَوْفُوفًا مِنْ رِوَايَةِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ عَنْهُ... وَسَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَعَطَسَ عِنْدَهُ رَجُلٌ فَقَالَ لَهُ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ»، ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّجُلُ مَزْكُومٌ»، هَذَا لَفْظُ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ، وَأَمَّا أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ فَقَالَا: قَالَ سَلَمَةُ: «عَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا شَاهِدٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ»، ثُمَّ عَطَسَ الثَّانِيَةَ، أَوِ الثَّلَاثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «يَرْحَمُكَ اللَّهُ، هَذَا رَجُلٌ مَزْكُومٌ» انْتَهَى... وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ مَشْرُوعِيَّةُ تَشْمِيْتِ الْعَاطِسِ مَا لَمْ يَزِدْ عَلَى ثَلَاثٍ إِذَا حَمَدَ اللَّهُ، سِوَا تَتَابَعِ عُطَاسِهِ أَمْ لَا، فَلَوْ تَتَابَعَ وَلَمْ يَحْمَدْ لِغَلْبَةِ الْعُطَاسِ عَلَيْهِ، ثُمَّ كَرَّرَ الْحَمْدَ بَعْدَ الْعُطَاسِ، فَهَلْ يُسَمِّيْتُ بَعْدَ الْحَمْدِ؟ فِيهِ نَظَرٌ، وَظَاهِرُ الْخَبَرِ نَعَمْ. ثُمَّ حَكَى

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢/ ٤٠٣.

(٢) الأدب المفرد للبخاري، برقم ٩٣٩، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٧٢٢.

النَّوَوِيُّ عَنْ ابْنِ الْعَرَبِيِّ أَنَّ الْعُلَمَاءَ اخْتَلَفُوا: هَلْ يَقُولُ لِمَنْ تَتَابَعَ عَطَاسُهُ أَنْتَ مَزْكُومٌ فِي الثَّانِيَةِ، أَوِ الثَّالِثَةِ، أَوِ الرَّابِعَةِ؟ عَلَى أَقْوَالٍ، وَالصَّحِيحُ فِي الثَّالِثَةِ، قَالَ: وَمَعْنَاهُ إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يُشَمَّتُ بَعْدَهَا؛ لِأَنَّ الَّذِي بِكَ مَرَضٌ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَطَاسِ الْمَحْمُودِ النَّاشِئُ عَنِ خِفَّةِ الْبَدَنِ، كَمَا سَيَأْتِي تَقْرِيرُهُ فِي الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ، قَالَ: فَإِنْ قِيلَ فَإِذَا كَانَ مَرَضًا فَيَنْبَغِي أَنْ يُشَمَّتَ بِطَرِيقِ الْأُولَى؛ لِأَنَّهُ أَحْوَجُ إِلَى الدُّعَاءِ مِنْ غَيْرِهِ، قُلْنَا: نَعَمْ، لَكِنْ يُدْعَى لَهُ بِدُعَاءٍ يُلَاقِيهِ لَا بِالدُّعَاءِ الْمَشْرُوعِ لِلْعَاطِسِ، بَلْ مِنْ جِنْسِ دُعَاءِ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ بِالْعَافِيَةِ، وَذَكَرَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ عَنْ بَعْضِ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ: يُكْرَرُ التَّشْمِيتُ إِذَا تَكَرَّرَ الْعَطَاسُ، إِلَّا أَنْ يُعْرَفَ أَنَّهُ مَزْكُومٌ فَيَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ، قَالَ: وَتَقْرِيرُهُ أَنَّ الْعُمُومَ يَقْتَضِي التَّكْرَارَ إِلَّا فِي مَوْضِعِ الْعِلَّةِ، وَهُوَ الزُّكَامُ، قَالَ وَعِنْدَ هَذَا يَسْقُطُ الْأَمْرُ بِالتَّشْمِيتِ عِنْدَ الْعِلْمِ بِالزُّكَامِ؛ لِأَنَّ التَّعْلِيلَ بِهِ يَقْتَضِي أَنْ لَا يُشَمَّتَ مَنْ عِلِمَ أَنَّ بِهِ زُكَامًا أَصْلًا، وَتَعَقُّبُهُ بِأَنَّ الْمَذْكُورَ هُوَ الْعِلَّةُ دُونَ التَّعْلِيلِ، وَلَيْسَ الْمُعْلَلُ هُوَ مُطْلَقُ التَّرْكِ لِيَعْمَ الْحُكْمَ عَلَيْهِ بِعُمُومِ عِلَّتِهِ، بَلِ الْمُعْلَلُ هُوَ التَّرْكِ بَعْدَ التَّكْرِيرِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَا يَلْزَمُ تَكَرُّرُ التَّشْمِيتِ؛ لِأَنَّهُ مَزْكُومٌ، قَالَ: وَيَتَأَيَّدُ بِمُنَاسَبَةِ الْمَشَقَّةِ النَّاشِئَةِ عَنِ التَّكْرَارِ»^(١).

وقال الإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «فلا يشرع تشميته، بل يُدْعَى له بالعافية، حكى النووي عن ابن العربي أنه اختلف هل يقال لمن تتابع عطاسه أنت مزكوم في الثانية، أو الثالثة، أو الرابعة، الصحيح في الثالثة»^(٢).

٩- قال الحافظ في الفتح: قال القزاز: التشميت: التبريك، والعرب تقول شتمته إذا دعا له بالبركة، وشمته عليه إذا برك عليه، وقيل: هو من الشماتة، وهو فرح الشخص بما يسوء عدوه، وقيل: هو من الشوامت جمع شامته،

(١) فتح الباري، ١٠/ ٦٠٤.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٥١٦.

وهي القائمة يقال: لا ترك الله لك شامته^(١).

١٠- قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: والعطاس يدل على الخفة والنشاط؛ ولذلك كان محبوباً إلى الله، وشرع للعاطس أن يقول الحمد لله، سواء كان في الصلاة، أو خارج الصلاة، أما إن عطس في الخلاء، فلا يحمد بلسانه ولكن يحمد بقلبه^(٢).

١١- على العاطس والمشتت أن يلتزما بما جاء به الشرع من الأذكار الصحيحة فللعاطس أن يقول: «الحمد لله»^(٣)، وله أن يقول: «الحمد لله على كل حال»^(٤)، وله أن يقول: «الحمد لله رب العالمين»^(٥).

١٢- قال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللهُ: ومن فوائد التشميت تحصيل المودة والتأليف بين المسلمين وتأديب العاطس بكسر النفس عن الكبر والحمل على التواضع لما في ذكر الرحمة من الإشعار بالذنب الذي لا يُعرف عنه أكثر المكلفين^(٦).

١٣- قال الزرقاني رَحِمَهُ اللهُ: «رجح الجمع بين الدعاء بالرحمة ويهديكم الله، إلخ، واعترض بأن الدعاء بالهداية للمسلم تحصيل الحاصل، وهو محال، ومنع بأنه ليس المراد الدعاء بالهداية للإيمان المتلبس به، بل معرفة تفاصيل أجزائه، وإعانتته على أعماله، وكل مؤمن يحتاج ذلك في كل طرفة عين، ومن ثم أمره الله ﷻ أن يسأل الهداية في كل ركعة من الصلاة: إهدنا الصراط المستقيم»^(٧).

١٤- خلاف التنوع في ألفاظ دعاء العطاس، ثبت ثلاثة أنواع للمسلم أن

(١) انظر: فتح الباري، ١٠ / ٧٠٢.

(٢) شرح رياض الصالحين شرح الحديث رقم (٨٧٩)، وانظر: صحيح مسلم، برقم (١١٩٩).

(٣) البخاري، برقم ٦٢٢٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) صحيح الترمذي، برقم ٢٢٠٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٩٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) فتح الباري، ١٠ / ٧٠٣.

(٧) شرح الزرقاني، ٤ / ٤٦٧.

ينوع بينها، وهي على النحو الآتي:

النوع الأول: الحمد لله^(١)، وإذا قيل له: يرحمك الله، قال: يهديكم الله، ويصلح بالكم.

النوع الثاني: الحمد لله رب العالمين^(٢)، وإذا قيل له: يرحمك الله، قال: يغفر الله لي ولكم.

النوع الثالث: الحمد لله على كل حال^(٣)، وإذا قيل له: يرحمك الله، قال: يهديكم الله، ويصلح بالكم.

١٥- الثاؤب لا يحبه الله؛ لأنه غالباً لا يكون إلا مع ثقل البدن وامتلأته وميله إلى الكسل وله آداب نبوية مباركة منها:

أ- رده ما استطاع مع عدم قول: «ها».

ب- عدم فتح فمه أثناء الثاؤب.

ج- يجعل يده على فمه، حتى لا يدخل الشيطان ولا يضحك.

(١) البخاري، برقم ٦٢٢٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٩٣٤/ وأحمد، برقم ٩٧٢، وحسنه غيره محققو المسند، والألباني في صحيح الأدب المفرد موقوفاً، برقم ٩٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ٢٧٤١، وجود إسناده الألباني في تخريجه للمشكاة، برقم ٤٣٣٩، وصححه في صحيح الترمذي، ٣/ ٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٧٨ - مَا يُقَالُ لِلْكَافِرِ إِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ

١٨٩- (٢) «يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِالْكُفْمِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٤١- عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢)، قَالَ: كَانَتْ الْيَهُودُ يَتَعَاطِسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجَاءً أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ: «يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بِالْكُفْمِ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يتعاطسون»: قال ابن منظور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْعُطَاسُ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ خِفَّةِ الْبَدَنِ وَانْفِتَاحِ الْمَسَامِ، وَتَيَسُّيرِ الْحَرَكَاتِ، وَالْمَعْطَسُ وَالْمَعْطَسُ: الْأَنْفُ لِأَنَّ الْعُطَاسَ مِنْهُ يَخْرُجُ»^(٤)، وقال الطيبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَعَلَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ، لَكِنْ مَنَعَهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ إِمَّا التَّقَالِيدُ وَإِمَّا حُبَّ الرِّيَاسَةِ، وَعَرَفُوا أَنَّ ذَلِكَ مَذْمُومٌ فَتَحَرَّوْا أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَيُزِيلَ عَنْهُمْ ذَلِكَ بَبَرَكَةِ دَعَائِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ»^(٥)، وقال ابن علان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الظَّاهِرُ أَنَّ التَّفَاعُلَ فِيهِ لِلتَّكْلُفِ: أَيُّ يَظْهَرُونَ

(١) الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء كيف تشمت العاطس، برقم ٢٧٤١، وأبو داود، كتاب الأدب، باب كيف يشمت الذمي، برقم ٥٠٣٨، والبخاري في الأدب المفرد، ص ٣٢٣، برقم ٩٤٠، وأحمد، ٣٢/ ٣٥٦، برقم ١٩٦٨٥، وصححه محققو المسند، والنووي في الأذكار، ص ٣٤١، وقال: «روينا في سنن أبي داود، والترمذي، وغيرهما، بالأسانيد الصحيحة» وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٥/ ١١٩، برقم ١٢٧٧، وفي صحيح الأدب المفرد، برقم ٩٤٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ١ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٢٧٤١، وأبو داود، برقم ٥٠٤٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم ١٢٧٧، وصحيح الأدب المفرد، برقم ٩٤٠.

(٤) لسان العرب، ٦/ ١٤٢، وتقدم في شرح المفردة الأولى من شرح مفردات الحديث رقم ١٨٨ من أحاديث المتن.

(٥) شرح المشكاة للطبيي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٠٧٩.

العطاس بالإتيان بصوت يشبهه أو يتسببون له بنحو كشف الرأس»^(١)، وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «يتعاطسون يعني يتكلفون العطاس من أجل أن يقول لهم يرحمكم الله لأنهم يعلمون أنه نبي وأن دعاءه بالرحمة قد ينفعهم ولكنه لا ينفعهم لأن الكفار لو دعوت لهم بالرحمة لا ينفعهم ذلك»^(٢).

٢- قوله: «أن يقول لهم يرحمكم الله»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «لتعود عليهم بركة دعائه بها فإنهم كانوا يعلمون باطناً نبوته ورسالته، وإن أنكرو ظاهراً حسداً وعناداً»^(٣).

٣- قوله: «فيقول لهم»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «من مزيد فضله ولا يحرمهم بركة حضرته وثمرة الجلوس بين يديه»^(٤).

٤- قوله: «يهديكم الله»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «أي يدلکم على الهدى لتهدتوا، ولو أراد يوصلکم إلى الهدى لآمنوا واهتدوا»^(٥).

٥- قوله: «يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بِالْكُمُ»: قال العظيم أباדי رَحِمَهُ اللهُ: «أَيُّ وَلَا يَقُولُ لَهُمْ يَرْحَمُكُمُ اللهُ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ مُخْتَصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ بَلْ يَدْعُو لَهُمْ بِمَا يُصْلِحُ بِالْهُمُ مِنَ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ لِلْإِيمَانِ»^(٦)، وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ: «قَوْلُهُ: (كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطِسُونَ): أَيُّ: يَطْلُبُونَ الْعَطْسَةَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ (يَرْجُونَ) أَيُّ: يَتَمَنَّوْنَ بِهَذَا السَّبَبِ (فَيَقُولُ): أَيُّ: النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ عَطَاسِهِمْ، وَحَمْدِهِمْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ، وَيُصْلِحُ بِالْكُمُ، وَلَا يَقُولُ: لَهُمْ يَرْحَمُكُمُ اللهُ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ مُخْتَصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ، بَلْ يَدْعُو لَهُمْ بِمَا يُصْلِحُ بِالْهُمُ مِنَ الْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْإِيمَانِ»^(٧)، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «(ويصلح بالكم) أي: ما يهتم به

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٧٨ / ٦.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٢٣٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٧٨ / ٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٧٨ / ٦.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١٧٨ / ٦.

(٦) عون المعبود، ٢٥٧ / ١٣.

(٧) تحفة الأحوذى، ١٠ / ٨.

من أمر الدين، وذلك بأن يرشدهم إلى الإسلام، ويزينه لهم، ويوفقهم له»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- جواز الدعاء لغير المسلمين بأن يهديهم الله إلى دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

٢- قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «قال ابن دقيق العيد رحمته الله: إذا نظرنا إلى قول من قال من أهل اللغة إنَّ التَّشْمِيتَ الدُّعَاءُ بِالْخَيْرِ دَخَلَ الْكُفَّارُ فِي عُمُومِ الْأَمْرِ بِالتَّشْمِيتِ ، وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى مَنْ خَصَّ التَّشْمِيتَ بِالرَّحْمَةِ لَمْ يَدْخُلُوا، قَالَ: وَلَعَلَّ مَنْ خَصَّ التَّشْمِيتَ بِالدُّعَاءِ بِالرَّحْمَةِ بَنَاهُ عَلَى الْغَالِبِ لِأَنَّهُ تَقْيِيدٌ لَوْضَعِ اللَّفْظِ فِي اللَّغَةِ قُلْتُ [القائل ابن حجر]: وَهَذَا الْبَحْثُ أَنْشَأَهُ مِنْ حَيْثُ اللَّغَةُ ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ فَحَدِيثُ أَبِي مُوسَى دَالٌّ عَلَى أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ فِي مُطْلَقِ الْأَمْرِ بِالتَّشْمِيتِ ، لَكِنْ لَهُمْ تَشْمِيتٌ مَخْصُوصٌ وَهُوَ الدُّعَاءُ لَهُمْ بِالْهُدَايَةِ وَإِصْلَاحِ الْبَالِ وَهُوَ الشَّانُ وَلَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ ، بِخِلَافِ تَشْمِيتِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الدُّعَاءِ بِالرَّحْمَةِ بِخِلَافِ الْكُفَّارِ»^(٢).

٣- رحمة النبي ﷺ بكل الخلق مصداقاً لقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

٤- مكر اليهود بتحاييلهم بالتعاطس أمام النبي ﷺ، كما جاء في أول الحديث، طمعاً منهم في دعوته لهم بالرحمة؛ لأنهم يعرفون صدقه وإنما امتنع النبي ﷺ عن ذلك؛ لأن الرحمة خاصة باتباع دينه وملته.

٥- اليهود يتكلفون العطاس من أجل أن يقول لهم النبي ﷺ: يرحمكم الله؛ لأنهم يعلمون أنه نبي، وأن دعاءه بالرحمة قد ينفعهم، ولكنه لا ينفعهم؛ لأن الكفار لو دعوت لهم بالرحمة لا ينفعهم ذلك، ولا يحل لك أن تدعو

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ١٧٨.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١٠/ ٦٠٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

لهم بالرحمة إذا ماتوا، ولا بالمغفرة لقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(١)، فإن قيل أليس إبراهيم استغفر لأبيه وإبراهيم على الحنيفة وعلى التوحيد، والجواب يتضح في قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^(٢)»^(٣).

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين شرح الحديث رقم ٢٣٨.

٧٩- الدعاء للمتزوج

١٩٠- «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

- ٦٤٢- لفظ أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه^(٢) أن النبي ﷺ كان إذا رفقاً الإنسان إذا تزوج قال: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ»^(٣).
- ٦٤٣- ورواية البخاري عن أنس رضي الله عنه^(٤) أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة قال: «مَا هَذَا؟» قَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، أَوْلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(٥).
- ٦٤٤- ورواية أحمد أن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه^(٦) تزوج امرأة من بني جشم،

(١) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي: أبو داود، كتاب النكاح، باب ما يقال للمتزوج، برقم ٢١٣٠، والترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء فيما يقال للمتزوج، برقم ١٠٩١، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب تهنة النكاح، برقم ١٩٠٥، ورواية عن أنس في البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمتزوج، برقم ٦٣٨٦، ورقم ٥١٥٥، ومثله في النسائي في السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة، برقم ١٠٠٩٠، وعن عقيل بن أبي طالب في مسند أحمد، ٣/ ٢٦١، برقم ١٧٣٩، وصححه لغيره محققو المسند، وصحح الألباني روايات السنن في: صحيح أبي داود، برقم ١٨٥٠، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٢٩، وفي آداب الزفاف، ص ١٠٢.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث المتن.

(٣) أبو داود، برقم ٢١٣٠، والترمذي، برقم ١٠٩١، وابن ماجه، برقم ١٩٠٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٨٥٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث المتن.

(٥) البخاري، برقم ٦٣٨٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي يكنى أبا يزيد صحابي أسلم متأخراً قبل الحديبية، وشهد غزوة مؤتة، قدم عقيل البصرة ثم الكوفة ثم أتى الشام وتوفي في خلافة معاوية، وله دار بالمدينة المذكورة، كان عقيل قد أخرج إلى بدر مكرهاً ففداه عمه العباس، وكان ممن ثبت يوم حنين، وكان

فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ، فَقَالُوا: بِالرِّفَاءِ وَالْبَيْنِ، فَقَالَ: لَا تَقُولُوا ذَلِكَ، قَالُوا: فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا يَزِيدَ؟ قَالَ: «قُولُوا: بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ، وَبَارَكَ عَلَيْكُمْ» إِنَّا كَذَلِكَ كُنَّا نُؤْمِرُ^(١).

٦٤٥- عَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لِعَلِيِّ رضي الله عنه: عِنْدَكَ فَاطِمَةُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا حَاجَةُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتُ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا، وَأَهْلًا» لَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا، خَرَجَ عَلَيَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عَلَى أَوْلَئِكَ الرَّهْطِ مِنَ الْأَنْصَارِ يَنْتَظِرُونَهُ، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مَا أَذْرِي، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لِي: «مَرْحَبًا، وَأَهْلًا» فَقَالُوا: يَكْفِيكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِحْدَاهُمَا، أَعْطَاكَ الْأَهْلَ وَالْمَرْحَبَ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بَعْدَمَا زَوَّجَهُ، قَالَ: «يَا عَلِيُّ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلْعُرُوسِ مِنْ وَلِيمَةٍ» قَالَ سَعْدُ رضي الله عنه: عِنْدِي كَبْشٌ، وَجَمَعَ لَهُ رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَصُوعًا مِنْ ذُرَّةٍ، فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةَ الْبِنَاءِ، قَالَ: «لَا تُحْدِثُ شَيْئًا حَتَّى تَلْقَانِي» فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ أَفْرَغَهُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا، وَبَارِكْ لَهُمَا فِي بَنَائِهِمَا»^(٢).

٦٤٦- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَنِي أُمِّي فَأَدَخَلَتْنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَ: عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ»^(٣).

٦٤٧- عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: هَلَكَ أَبِي، وَتَرَكَ سَبْعَ أَوْ تِسْعَ بَنَاتٍ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَزَوَّجْتَ يَا جَابِرُ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِكْرًا أَمْ ثِيًّا؟» قُلْتُ: ثِيًّا، قَالَ: «هَلَّا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ، أَوْ تَضَاحِكُهَا وَتَضَاحِكُكَ؟» قُلْتُ: هَلَكَ أَبِي فَتَرَكَ

عالمًا بأنساب قريش، وكان أسرع الناس جواباً وأحضرهم مراجعة في القول، وأبلغهم في ذلك، قيل: مات في خلافة معاوية، والصحيح أنه مات في أول خلافة يزيد قبل الحرية. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٣/ ١٠٧٨، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٤/ ٥٣١.

(١) مسند أحمد، برقم ١٧٣٩، وصححه لغيره محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ٢/ ٢٠، برقم ١١٥٣، حسنه الألباني في آداب الزفاف، ص ١٧٤.

(٣) البخاري، كتاب النكاح، باب الدعاء للنساء اللاتي يهدين العروس وللعروس، برقم ٥١٥٦.

سَبَّعَ أَوْ تَسَعَ بَنَاتٍ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَجِئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَتَزَوَّجْتُ امْرَأَةً تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ ﷺ: «فَبَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «رفأً»: الرفاء هو الالتئام والإنفاق والبركة والنماء^(٢)، قال ابن الأثير رحمه الله: «الرِّفَاءُ: الْإِلْتِمَامُ وَالْإِنْفَاقُ وَالْبَرَكَةُ وَالنَّمَاءُ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ رَفَأْتُ الثَّوبَ رَفْأً وَرَفَوْتُهُ رَفْوًا. وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهُ كَرَاهِيَةً؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ، وَلِهَذَا سُئِلَ فِيهِ غَيْرُهُ»^(٣)، وقال الطيبي رحمه الله: «إذا رفأ: إذا الأولى شرطية، والثانية ظرفية، وقوله: «قال: بارك الله» جواب الشرط. وإنما أتى بقوله: «رفأً» وقيده بالظرف؛ ليؤذن بأن الترفية محترز عنها، وأنها منسوخة بما قاله الرسول ﷺ، والترفية أن يقال للمتزوج: بالرفاء والبنين، و«الرِّفَاءُ» بالكسر والمد: الالتئام والاتفاق، من رفأت الثوب إذا أصلحته، وقيل السكون والطمأنينة من قولهم: رفوت الرجل، إذا أسكته، ثم استعير للدعاء للمتزوج، وإن لم يكن بهذا اللفظ، والمعنى أنه إذا أراد الدعاء للمتزوج دعا له بالبركة، ويدل قولهم في جاهليتهم: «بالرفاء والبنين» بقوله هذا؛ لأنه أتم نفعاً، وأكثر عائدة، ولما في الأول من التنفير عن البنات، والباعث على وأدها»^(٤).

٢- قوله: «قال» أي: قال النبي ﷺ مهتئاً وداعياً.

٣- قوله: «بارك الله لك» أي: في زوجك، وولدك، ومالك، وعمرك، وقال الطيبي رحمه الله: «لأنه المدعو أصالة، أي: بارك لك في هذا الأمر»^(٥).

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمتزوج، برقم ٦٣٨٧.

(٢) عون المعبود، ٣ / ٣٧٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٢٤٠، مادة (رفأ).

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٦.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٦.

٤- قوله: «بارك عليك» أي: زادك من خيره وجوده وإحسانه، قال الصنعاني رحمته الله: «وبارك عليك: جعل البركة كائنة عليك عامرة لك حتى تعلوك، وأفرد لأن المدعو له أصالة الرجل»^(١).

٥- قوله: «وجمع بينكما في خير»^(٢) أي: في الدنيا والآخرة، قال المناوي رحمته الله: «وبارك عليك: أي أدخل عليك البركة في مؤنتها، ويسرها لك، وأعاد العامل لزيادة الابتهاج»^(٣). قال الصنعاني رحمته الله: «وجمع بينكما: ثناء لأن بالجمع يحصل المطلوب، وهو التناسل. (في خير) يشمل أحوالها كلها، قال الزمخشري: معناه: أنه كان يضع الدعاء بالبركة موضع الترفية المنهي عنها، واختلف في علة النهي عن ذلك اللفظ فقل؛ لأنه لا حمد فيه، ولا ثناء، ولا ذكر لله، وقيل: لما فيه من الإشارة إلى بغض البنات لتخصيص البنين، وقيل: غير ذلك»^(٤).

٦- قوله: «أولم ولو بشاة»: أي اتخذ وليمة، ومن ذهب إلي إيجابها أخذ بظاهر الأمر، وهو محمول على الندب عند الأكثر»^(٥)، وقال الطيبي رحمته الله: «(الوليمة): هي الطعام الذي يصنع عند العرس، (المغرب): الوليمة اسم لكل طعام، والعرس في الأصل: اسم من الإعراس، ثم سمي به الوليمة، ويؤنث ويذكر»^(٦).

٧- قوله: «أثر صفرة»: قال ابن منظور رحمته الله: «الصفرة من الألوان: معروفة تكون في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبلها... والأصفران: الذهب والزعفران، وقيل الورد والذهب، وأهلك النساء الأصفران: الذهب

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٠٣.

(٢) وفي رواية: [على خير]، آداب الزفاف، ص ١٧٥.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٤٠٦.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٠٣.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٥.

(٦) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٤.

وَالزَّعْفَرَانُ، وَيُقَالُ: الْوَرَسُ وَالزَّعْفَرَانُ. وَالصَّفْرَاءُ: الذَّهَبُ لِلْوَنَاهَا»^(١)، وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «والمُرَاد بِالصَّفْرَةِ سُفْرَةُ الْخُلُقِ وَالْخُلُقُ طِيبُ يُصْنَعُ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَغَيْرِهِ»^(٢)، وقال السيوطي رحمته الله: «معناه: أنه تعلق به أثر من الزعفران، أو غيره من طيب العروس، ولم يقصده، ولا تعمّد التزعفر، فقد ثبت النهي عن التزعفر للرجال، وقيل إنه يرخص في ذلك للشاب أيام عرسه»^(٣).

٨- قوله: «ما هذا»: قال الطيبي رحمته الله: «ما هذا؟: يريد به السؤال عن سببه؛ ولذلك أجاب بما أجاب، ويحتمل أن يكون المراد به الإنكار؛ فإنه كان نهى عن التضمخ بالخلوق، فأجاب عنه بأنه ليس من تضمخه، بل هو شيء علق به من مخالطة العروس»^(٤).

٩- قوله: «على وزن نواة من ذهب»: قال الطيبي رحمته الله: «أي على مقدار خمسة دراهم وزناً من الذهب، يعني ثلاثة مثاقيل ونصفاً ذهباً، وقيل معناه على ذهب تساوي قيمته خمسة دراهم، وهو لا يساعده اللفظ. وقيل: المراد بالنواة نواة التمر»^(٥)، وقال السيوطي رحمته الله: «على وزن نواة: هي اسم لمقدار كان معروفاً عندهم، فُسِّرَتْ بخمسة دراهم، وقيل ثلاثة دراهم وثلاث، وقيل نواة التمر أي: وزنها»^(٦).

ثانياً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية التهئة للمتزوج بما صح عن النبي صلّى الله عليه وآله.

(١) لسان العرب، ٤/ ٤٦٠، مادة (صفر).

(٢) فتح الباري، ٩/ ٢٣٣.

(٣) الديباج على مسلم، للسيوطي، ٤/ ٣٣.

(٤) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٤.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٥.

(٦) الديباج على مسلم، للسيوطي، ٤/ ٣٣.

٢- قال المناوي رحمته الله: «وكانت عادة العرب إذا تزوج أحدهم قالوا له: بالرفاء والبنين، فنهى عن ذلك، وأبدله بالدعاء المذكور، قال النووي رحمته الله: ويكره أن يقال بالرفاء والبنين لهذا الحديث، ويظهر أن التسري كالتزوج، وأن المرأة كالرجل لكنه أكد لما لزمه من المؤنة فتخصيص التزوج والرجل غالبي وزاد في رواية وجمع بينكما في خير»^(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «اِخْتَلَفَ فِي عِلَّةِ التَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لِأَنَّهُ لَا حَمْدَ فِيهِ وَلَا ثَنَاءَ وَلَا ذِكْرَ لِلَّهِ، وَقِيلَ لِأَنَّهُ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى بُغْضِ الْبَنَاتِ لِتَخْصِصِ الْبَنِينَ بِالذِّكْرِ»^(٢).

قال الطيبي رحمته الله: «دعا لهما، وعدَّاه (على) لمعنى الدرور عليه بالذراري والنسل؛ لأنه المطلوب بالتزوج، وآخر حسن المعاشرة والموافقة، والاستمتاع، تنبيهاً على أن المطلوب الأولي هو النسل، وهذا تابع له»^(٣).

٣- هدم النبي ﷺ لعادات الجاهلية من قولهم: «بالرفاء والبنين»؛ لأن قولهم هذا متضمن للدعاء بالولد، والتنفير من البنات، وكان هذا من الدافع لو أد البنات.

٤- الإسلام دين مبارك وقد شرع الدعاء بالبركة في جميع شؤون الحياة ولا تكون البركة إلا من الله، قال النبي ﷺ: «البركة من الله»^(٤).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٤٠٦.

(٢) فتح الباري، ٩/ ٢٢٢.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٦.

(٤) صحيح البخاري، برقم ٥٦٣٩، وفيه قصة، وهو بلفظ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ حَضَرَتِ الْعَصْرُ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ غَيْرَ فَضْلَةٍ، فَجُعِلَ فِي إِنْاءٍ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ بِهِ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ، وَفَرَّجَ أَصَابِعَهُ، ثُمَّ قَالَ: «خَيَّ عَلَى أَهْلِ الْوُضُوءِ، الْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَتَفَجَّرُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَتَوَضَّأَ النَّاسُ وَشَرَبُوا، فَجَعَلْتُ لَا أَلُو مَا جَعَلْتُ فِي بَطْنِي مِنْهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ بَرَكَةٌ فَلْتُ لِعَبَائِرٍ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَلْفَا وَأَرْبَعُ مِائَةٍ.

٨٠- دُعَاءُ الْمُتَزَوِّجِ وَشِرَاءِ الدَّابَّةِ

١٩١- إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً، أَوْ إِذَا اشْتَرَى خَادِمًا فَلْيَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٤٨- لفظ أبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه^(٢) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَزَوَّجَ أَحَدُكُمْ امْرَأَةً، أَوْ اشْتَرَى خَادِمًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَإِذَا اشْتَرَى بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذِرْوَةِ سَنَامِهِ، وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ: زَادَ أَبُو سَعِيدٍ: «ثُمَّ لْيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ». فِي الْمَرْأَةِ وَالْخَادِمِ^(٣).

٦٤٩- لفظ ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا اشْتَرَى أَحَدُكُمْ الْجَارِيَةَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، وَإِذَا

(١) أبو داود، كتاب النكاح، باب في جامع النكاح، برقم ٢١٦٠، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله، برقم ١٩١٨، وصححه النووي في الأذكار، ص ٣٥٣، وحسن إسناده الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٨٧٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٢١٦٠، وحسن إسناده الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٨٧٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

اشْتَرَى أَحَدُكُمْ بَعِيرًا فَلْيَأْخُذْ بِذُرْوَةِ سَنَامِهِ، وَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ، وَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «إذا تزوج أحدكم امرأة»: «قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: وإذا تزوج رجل امرأة فأحب له أول ما يراها أن يأخذ بناصيتها، ويدعو باليمن والبركة»^(٢)، قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «فينبغي هذا الدعاء عند شراء الرقيق والدابة وعند التزوج جمعاً بين الروايات»^(٣).

٢- قوله: «أو اشترى خادماً»: أي: جارية أو رقيقاً، قال العظيم أبادي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: جارية، أو رقيقاً، وَهُوَ يَشْمَلُ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى، فَيَكُونُ تَأْيِثُ الضَّمِيرِ فيما سَيَأْتِي بِاعْتِبَارِ النَّسَمَةِ، أَوِ النَّفْسِ»^(٤).

٣- قوله: «فليقل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا» أي: خير ذاتها. قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ: «الخير: ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضده: الشر. قيل: والخير ضربان: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال... وخير وشر مقيدان، وهو أن يكون خيراً لواحد شراً لآخر، كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد، وشرّاً لعمر»^(٥).

٤- قوله: «وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ»: أي: خَلَقْتَهَا وَطَبَعْتَهَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْبِهِيَّةِ^(٦).

٥- قوله: «وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه»: قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ:

(١) ابن ماجه، كتاب النكاح، برقم ١٩١٨، وصححه النووي في الأذكار، ص ٣٥٣، وحسن إسناده الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٨٧٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) المجموع، ٤١٥ / ١٦.

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٧٢.

(٤) عون المعبود، ١٨٣ / ٦.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ٣٢٧، مادة (خير).

(٦) عون المعبود، ١٣٩ / ٦.

«استعاذة من شر ذلك الذي يحبه الشيطان ويأمر به ويحث عليه»^(١).

٦- قوله: «بذروة سنامه» أي: بأعلاه، والسنام هو أعلى موضع في ظهر البعير. قال الزرقاني رحمته الله في شرحه على الموطأ: «(فَلْيَأْخُذْ) عِنْدَ تَسْلِيمِهِ (بِذِرْوَةِ) بِكَسْرِ الدَّالِ الْمُعْجَمَةِ وَتَضُمُّ، أَيُّ: أَعْلَى (سَنَامِهِ)، أَيُّ: يَقْبِضُ عَلَيْهِ يَمِينِهِ، وَالْأُولَى الْيَمِينُ، أَوِ الْمُرَادُ فَلْيَرْكَبْهُ»^(٢).

٧- قوله: «ثُمَّ لِيَأْخُذْ بِنَاصِيَتِهَا»: قال العظيم أبادي رحمته الله: «وَهِيَ الشَّعْرُ الْكَائِنُ فِي مُقَدِّمِ الرَّأْسِ»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب قول الرجل هذا الدعاء عند البناء بزوجه مع وضع يده عند مقدمة رأسها؛ لما جاء في الحديث: «ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة في المرأة والخادم»^(٤) والناصية هي منبت الشعر في مقدم الرأس وفي رواية: «وليسم الله سبحانه»^(٥).

٢- في الحديث دليل على أن الله سبحانه هو خالق الخير والشر، خلافاً لمن يقول - من المعتزلة وغيرهم - بأن الشر ليس من خلقه تبارك وتعالى، وليس في كون الله خالقاً للشر ما ينافي كماله تعالى؛ بل هو من كماله تبارك وتعالى^(٦)، كخلقه لإبليس؛ لحكمة بيان الطائع من العاصي، وكذلك خلقه للنار التي أعدها للكافرين؛ فله الحكمة البالغة.

٣- خير المرأة يكون بحسن عشرتها لزوجها، وحفظه في فراشه، وماله،

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣٦٣.

(٢) شرح الزرقاني، ٣/ ٢٤٩.

(٣) عون المعبود، ٦/ ١٣٩.

(٤) أبو داود، برقم ٢١٦٠، وحسنه الألباني في آداب الزفاف ص ٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) السنن الكبرى للبيهقي، ٧/ ١٤٨، وحسنه الألباني في آداب الزفاف ص ٩٣.

(٦) آداب الزفاف للألباني ص ٩٣.

والإحسان إلى أرحامه، وحسن التربية وفق ضوابط الشرع؛ فإن كان عكس ذلك فهي شؤم على أي مكانٍ حلت فيه، قال النبي ﷺ: «إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ»^(١)، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «هُوَ فِي مَعْنَى الْإِسْتِثْنَاءِ مِنَ الطَّيْرَةِ، أَيْ: الطَّيْرَةِ مَنْهِيَةٍ عَنْهَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ دَارٌ يُكْرَهُ سُكْنَاهَا، أَوْ امْرَأَةٌ يُكْرَهُ ضَحْبَتُهَا، أَوْ فَرَسٌ، أَوْ خَادِمٌ، فَلْيُفَارِقِ الْجَمِيعَ بِالْبَيْعِ وَنَحْوِهِ، وَطَلَاقِ الْمَرْأَةِ، وَقَالَ آخَرُونَ: شُؤْمُ الدَّارِ: ضَيْقُهَا، وَشُؤْمُ جِيرَانِهَا، وَأَذَاهُمْ، وَشُؤْمُ الْمَرْأَةِ: عَدَمُ وَلَادَتِهَا، وَسَلَاطَةُ لِسَانِهَا، وَتَعَرُّضُهَا لِلزَّيْبِ، وَشُؤْمُ الْفَرَسِ: أَنْ لَا يُغْزَى عَلَيْهَا. وَقِيلَ: جِرَانُهَا، وَغَلَاءُ ثَمَنِهَا، وَشُؤْمُ الْخَادِمِ: سُوءُ خُلُقِهِ، وَقِلَّةُ تَعَهُدِهِ لِمَا فُوضَ إِلَيْهِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالشُّؤْمِ هُنَا عَدَمُ الْمُوَافَقَةِ، وَاعْتَرَضَ بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ بِحَدِيثِ «لَا طَيْرَةَ» عَلَى هَذَا، فَأَجَابَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَغَيْرُهُ بِأَنَّ هَذَا مَحْضُوصٌ مِنْ حَدِيثٍ «لَا طَيْرَةَ إِلَّا فِي هَذِهِ الثَّلَاثَةِ»، قَالَ الْقَاضِي: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الْجَامِعُ لِهَذِهِ الْفُصُولِ السَّابِقَةِ فِي الْأَحَادِيثِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامُ:

أَحَدُهَا: مَا لَمْ يَقَعْ الضَّرَرُ بِهِ، وَلَا اطَّرَدَتْ عَادَةٌ خَاصَّةٌ وَلَا عَامَّةٌ، فَهَذَا لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ، وَأَنْكَرَ الشَّرْعُ الْإِلْتِفَاتَ إِلَيْهِ، وَهُوَ الطَّيْرَةُ .

وَالثَّانِي: مَا يَقَعُ عِنْدَهُ الضَّرَرُ عُمُومًا لَا يَخْصُهُ، وَنَادِرًا لَا مُتَكَرِّرًا، كَالْوَبَاءِ، فَلَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ .

وَالثَّالِثُ: مَا يَخْصُ، وَلَا يَغْمُ، كَالدَّارِ، وَالْفَرَسِ، وَالْمَرْأَةِ، فَهَذَا يُبَاحُ الْفِرَارُ مِنْهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٢).

٤- يقال هذا الدعاء أيضًا عند شراء الخادم؛ لأنه إذا كان سيئًا؛ فإنه ينغص على صاحب البيت عيشه، ويدخل الشيطان بينهما، وأما البعير أو السيارة^(٣)؛ فإنه يأخذ

(١) البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، برقم ٥٠٩٤.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢١٨ / ١٤.

(٣) به قال الألباني. آداب الزفاف ص ٩٣.

بذروة سنامه، ويدعو بهذا الدعاء طردًا للشيطان، لأن ذروة البعير هي مجلس الشيطان لقول النبي ﷺ: «على ذروة كل بعير شيطان، فامتهنوهن بالركوب»^(١) وفي رواية: «على ظهر كل بعير شيطان، فإذا ركبتوها فسموا الله»^(٢).

٥- استحب بعض السلف للزوج والزوجة أن يصليا ركعتين معًا قبل الدخول؛ لقول أبي سعيد مولى أبي أسيد: تزوجت وأنا مملوك، فدعوت نفرًا من أصحاب النبي ﷺ فعلموني: إذا دخل عليك أهلك فصل ركعتين، ثم سل الله من خير ما دخل عليك، وتعوذ به من شره، ثم شأنك وشأن أهلك^(٣).

٦- قال الزرقاني في شرح الموطأ: «يفيد استحباب البسمة مع الاستعاذة، ويحتمل أن الأمر بها لما في الإبل من العزّ، والفخر، والخيلاء، فهو استعاذة من شر ذلك الذي يحبه الشيطان، ويأمر به ويحث عليه»^(٤).

(١) أخرجه ابن خزيمة، برقم ٢٥٤٧، والحاكم، ١/ ٤٤٤، وصححه الألباني في تعليقه على صحيح ابن خزيمة، وفي صحيح الجامع، برقم ٤٠٣٠.

(٢) أخرجه أحمد، ٤٢٦/٢٥، برقم ١٦٠٣٩، وابن خزيمة، برقم ٢٥٤٦، وابن حبان، ٦/ ٤١١، برقم ٢٦٩٤، والحاكم، ١/ ٤٤٤، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٤٠٣١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، ٣/ ٥٦٠، برقم ١٧١٥٣، وصححه إسناده الألباني في آداب الزفاف، ص ٩٤.

(٤) شرح الزرقاني، ٣/ ٢١٣.

٨١- الدعاء قبل إتيان الزوجة

١٩٢- «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٥٠- لفظ البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ^(٢). يَتْلُغُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ»^(٣).

٦٥١- وللبخاري أيضاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: جَنِّبِنِي الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنِي؛ فَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ، وَلَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ»^(٤).

٦٥٢- ولفظ ثالث للبخاري أيضاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا؛ فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرُ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»^(٥).

٦٥٣- ولفظ النسائي في الكبرى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَتْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ

(١) البخاري، كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال وعند الوقاع، برقم ١٤١، وكتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٨٣، وكتاب النكاح، باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله، برقم ٥١٦٥، ومسلم، كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع، برقم ١٤٣٤، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عشرة النساء، ما يقول إذا أتاهن، برقم ٩٠٣٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٤١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ٣٢٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) البخاري، برقم ٥١٦٥، ومسلم، برقم ١٤٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ قَالَ حِينَ يُوَاقِعُ أَهْلَهُ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لو أن أحدهم»: أي: من المسلمين لقوله ﷺ في رواية البخاري: «لو أن أحدكم» والخطاب موجه للصحابة ﷺ ولمن جاء بعدهم من الأمة.

٢- قوله: «إذا أتى أهله» أي: للجماع، قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله إذا أتى أهله أي: جامعها، وهو كناية عن الجماع»^(٢).

٣- قوله: «يواقع أهله»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَاقَعَ الْأُمُورَ مُوَاقَعَةً وَوَقَاعًا: دَانَاهَا؛ ... وَالْوِقَاعُ: مُوَاقَعَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، إِذَا بَاضَعَهَا وَخَالَطَهَا، وَوَقَعَ الْمَرْأَةُ وَوَقَعَ عَلَيْهَا: جَامَعَهَا»^(٣).

٤- قوله: «قال: بسم الله»: أي: نبداً عملنا هذا، أو ابتداء عملنا هذا باسم الله، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: من قدره باسم، تقديره: باسم الله ابتدائي، ومن قدره بالفعل أمراً، وخبراً نحو: أبدأ بسم الله أو ابتدأت بسم الله، ... فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر»^(٤).

٥- قوله: «اللهم جنبنا الشيطان»: أي: أبعدنا، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَجَنَّبَ الشَّيْءَ وَتَجَنَّبَهُ وَجَانَّبَهُ وَتَجَانَّبَهُ وَاجْتَنَّبَهُ: بَعُدَ عَنْهُ. وَجَنَّبَهُ الشَّيْءَ وَجَنَّبَهُ إِلَيْهِ وَجَنَّبَهُ يَجْنِبُهُ وَأَجْنَبَهُ: نَحَاهُ عَنْهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ إِخْبَارًا عَنْ

(١) النسائي في السنن الكبرى، برقم ٩٠٣٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٧ / ٧٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٤ / ٩٢).

(٣) لسان العرب، ٨ / ٤٠٥، مادة (وقع).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١ / ١٢١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثانية من مفردات الحديث رقم ١٨ من أحاديث المتن.

إِبْرَاهِيمَ، عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(١)؛ أَي: نَجِّنِي^(٢).

٦- قوله: «وجنب الشيطان ما رزقتنا»: أَي: من الأولاد والبنات، قال ابن الملقن رحمته الله: «وقوله: (ما رزقتنا): أَي: شيئاً رزقتنا؛ لأن المشهور أن (ما): لما لا يعقل، (ومن): لمن يعقل، وإذا كانت ما بمعنى شيء، وقعت على من يعقل وما لا يعقل»^(٣). قوله: «ففضي بينهما ولد»: قال الجكني الشنقيطي رحمته الله: «وقوله: (ففضي بينهما) بالثنية، وهي أصوب، ... وقوله: (ولد) أَي: ذكرًا كان أو أنثى»^(٤).

٧- قوله: «لم يضره شيطان أبداً»: أَي: لا يصرعه وقد جاء في لفظ: «لم يسلط عليه»^(٥)، قال ابن الملقن رحمته الله: «ومعنى (لم يضره): لا يكون له عليه سلطان ببركة اسمه جل وعز، بل يكون من جملة العباد المحفوظين، واختار الشيخ تقي الدين القشيري في شرح العمدة أن المراد: لم يضره في بدنه، وإن كان يحتمل الدّين أيضاً، لكن يبعده انتفاء العصمة، وقال الداودي: لم يضره بأن يفتنه بالكفر»^(٦)، وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «واختلَفَ فِي الضَّرَرِ الْمَنْفِيِّ بَعْدَ الْإِتِّفَاقِ عَلَى مَا نَقَلَ عِيَاضُ عَلَى عَدَمِ الْحَمَلِ عَلَى الْعُمُومِ فِي أَنْوَاعِ الضَّرَرِ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا فِي الْحَمَلِ عَلَى عُمُومِ الْأَحْوَالِ مِنْ صِغَةِ النَّفْيِ مَعَ التَّأْيِيدِ... ثُمَّ اخْتَلَفُوا فَقِيلَ: الْمَعْنَى لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ بَرَكَةِ التَّسْمِيَةِ، بَلْ يَكُونُ مِنْ جُمْلَةِ

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٥.

(٢) لسان العرب، ١/ ٢٧٨، مادة (جنب).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٩/ ٣٣٣.

(٤) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، ٤/ ٢٣٧.

(٥) البخاري، برقم ٣٢٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٤/ ٨٠.

العباد الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(١)، وَيُؤَيِّدُهُ مُرْسَلُ الْحَسَنِ الْمَذْكُورِ، وَقِيلَ الْمُرَادُ لَمْ يُطْعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَهُوَ بَعِيدٌ لِمُنَابَذَتِهِ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ، وَلَيْسَ تَخْصِيصُهُ بِأَوَّلَى مِنْ تَخْصِيصِ هَذَا، وَقِيلَ الْمُرَادُ لَمْ يَصْرَعُهُ، وَقِيلَ لَمْ يَضُرَّهُ فِي بَدَنِهِ، وَقَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: يَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَضُرَّهُ فِي دِينِهِ أَيْضًا، وَلَكِنْ يُبْعِدُهُ انْتِفَاءُ الْعِصْمَةِ، وَتُعَقَّبُ بِأَنَّ اخْتِصَاصَ مَنْ خُصَّ بِالْعِصْمَةِ بِطَرِيقِ الْوُجُوبِ لَا بِطَرِيقِ الْجَوَازِ، فَلَا مَانِعَ أَنْ يُوجَدَ مَنْ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ مَعْصِيَةٌ عَمْدًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ وَاجِبًا لَهُ، وَقَالَ الدَّوْدِيُّ: مَعْنَى (لَمْ يَضُرَّهُ): أَي: لَمْ يَفْتِنَهُ عَنْ دِينِهِ إِلَى الْكُفْرِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ عِصْمَتَهُ مِنْهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَقِيلَ: لَمْ يَضُرَّهُ بِمُشَارَكَةِ أَبِيهِ فِي جَمَاعِ أُمِّهِ، كَمَا جَاءَ عَنْ مُجَاهِدٍ: «أَنَّ الَّذِي يُجَامِعُ وَلَا يُسَمِّي يَلْتَفُّ الشَّيْطَانُ عَلَى إِحْلِيلِهِ فَيُجَامِعُ مَعَهُ»، وَلَعَلَّ هَذَا أَقْرَبُ الْأَجَوِبَةِ، وَيَتَأَيَّدُ الْحَمْلُ عَلَى الْأَوَّلِ بِأَنَّ الْكَثِيرَ مِمَّنْ يَعْرِفُ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ يَذْهَلُ عَنْهُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْمُوَاقَعَةِ، وَالْقَلِيلُ الَّذِي قَدْ يَسْتَحْضِرُهُ وَيَفْعَلُهُ لَا يَقَعُ مَعَهُ الْحَمْلُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ نَادِرًا لَمْ يَبْعُدُ^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب التسمية والدعاء والمحافظة على ذلك حتى في حال الملاذ كالوقوع.
- ٢- عدم الغفلة عن ذكر الله حتى لا يكون ممن قال الله فيهم: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ...﴾^(٣).

٣- العبد المسلم لربه يأتي أهله بنية صالحة، منها أن يعف نفسه وأهله عن الحرام، وأن يرزقه الله الولد ليكون عوناً له على طاعة ربه، وأن يحسن تربيته

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٢) فتح الباري، ٩/ ٢٢٩.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٦٤.

ليكون داعياً إلى الله، ويكون امتداداً لعمله الصالح بعد الموت؛ لقول النبي ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

٤- قال القاضي عياض رحمته الله: «قيل لهذا الضر: هو ألا يُصرع ذلك المولود، وقيل: لا يطعن فيه الشيطان عند ولادته، كما جاء في الحديث، ولم يحمله أحد على العموم في جميع الضرر والوسوسة والإغواء»^(٢).

٥- قال ابن الملقن رحمته الله: «الحث على المحافظة على تسميته، ودعائه في كل حال لم ينه الشرع عنه، حتى في حال ملاذ الإنسان»^(٣).

٦- قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وفيه الاعتصام بذكر الله، ودُعائه من الشيطان، والتبرُّك باسمه، والاستعاذة به من جميع الأسواء، وفيه الاستشعار بأنه الميسر لذلك العمل، والمعين عليه، وفيه إشارة إلى أن الشيطان مُلَازِم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله، وفيه رد على منع المحدث أن يذكر الله، ويخدش فيه الرواية المتقدمة «إذا أراد أن يأتي» وهو نظير ما وقع من القول عند الخلاء»^(٤).

٧- يجوز للرجل أن يأتي أهله في قبلها من أي جهة شاء مقبلة أو مدبرة لقوله تعالى: «نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شَتْمٌ»^(٥)، وفي رواية: «أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة»^(٦)، ولا يجوز له أن يأتيها في دبرها بأي

(١) مسلم، برقم كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم ١٦٣١.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/ ٦١٠.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٤/ ٨١.

(٤) فتح الباري، ٩/ ٢٢٩.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

(٦) مسند أحمد، ٤/ ٤٣٤، برقم ٢٧٠٣، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة البقرة، برقم

حال من الأحوال، فإن فعل ذلك فقد عمل عملاً كبيراً خبيثاً: وهو عمل قوم لوط، والعياذ بالله ﷻ.

٨- يستحب للزوج عند معاودة الجماع أن يتوضأ لقوله ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ»^(١)، وفي رواية: «فإنه أنشط للعود»^(٢) والغسل أفضل لقوله ﷺ: «هذا أزكى وأطيب وأطهر»^(٣).

٩- إذا دخل بأهله في شوال فلا حرج إذا تيسر له ذلك لقول عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأني نساء النبي ﷺ كان أحظى عنده مني^(٤).

١٠- يستحب له أن يولم صبيحة بنائه ويسلم على أقاربه ويدعوا لهم وأن يقابلوه بالمثل؛ لأن النبي ﷺ «أَوَلَمَ حِينَ بَنَى بِزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَأَشْبَعَ النَّاسَ خُبْزًا وَلَحْمًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى حُجْرِ أُمّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ صَبِيحَةَ بِنَائِهِ، فَيَسْلِمُ عَلَيْهِنَّ، وَيُسَلِّمْنَ عَلَيْهِ، وَيَدْعُو لَهُنَّ، وَيَدْعُونَ لَهُ»^(٥).

٢٩٨٠، والنسائي في السنن الكبرى، برقم ٨٩٧٧، ورقم ١١٠٤٠، كتاب التفسير، سورة البقرة، وحسنه محققو المسند، ٤/ ٤٣٥، والألباني في آداب الزفاف، ص ١٠٣.

(١) مسلم، برقم ٣٠٨.

(٢) أخرجه ابن حبان، ١٢/ ٤، برقم ١٢١١، والحاكم، ٢٥٤/ ١، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والبيهقي، وابن خزيمة، ١/ ١٤٥، برقم ٢٢١، وصححه محقق ابن خزيمة، ١/ ١٤٥، ومحقق ابن حبان، والألباني في آداب الزفاف، ص ١٠٧.

(٣) مسند أحمد، ٣٩/ ٢٨٨، برقم ٢٣٨٦٢، وأبو داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء لمن أراد أن يعود، رقم ٢١٩، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب فيمن يغتسل عند كل واحدة غسلًا، برقم ٥٩٠، والنسائي في السنن الكبرى، برقم ٩٠٣٥، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٢١٦، وفي آداب الزفاف، ص ١٠٨.

(٤) مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب التزوج والتزويج في شوال، واستحباب الدخول فيه، برقم ١٤٢٣.

(٥) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾، برقم ٤٧٩٤.

٨٢- دَعَاءُ الْغَضَبِ

١٩٣- «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٥٤- لفظ البخاري عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ^(٢) قَالَ كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ، فَأَحَدُهُمَا أَحْمَرٌ وَجْهُهُ، وَانْتَفَحَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ» فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ؟^(٣).

٦٥٥- ولفظ آخر للبخاري، ومسلم عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغَضَّبًا، قَدْ أَحْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ^(٤).

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٨٢، وكتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم ٦١١٥، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، برقم ٢٦١٠.

(٢) سليمان بن صرد الخزاعي ﷺ قال الحافظ في الفتح: «يقال كان اسمه يسار فغيره النبي ﷺ» كان خيراً فاضلاً له دين وعبادة، قال الذهبي رحمه الله: «كان ديناً عابداً» خرج في جيش تابوا إلى الله من خذلانهم الحسين الشهيد، وساروا للطلب بدمه، وسموا جيش التوابين، وقد قتل على يد أهل الشام برأس عين سنة خمس وستين، وله ثلاث وسبعون سنة. انظر: الاستيعاب، ٢/ ٦٥٠، وأسد الغابة، ٢/ ٢٩٧، ترجمة رقم ٣٠٢٢، وسير أعلام النبلاء، ٣/ ٣٩٤، ترجمة ٦١، وفتح الباري، ١٠/ ٥٤٣.

(٣) البخاري، برقم ٣٢٨٢، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ٦١١٥، ومسلم، برقم ٢٦١٠، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦٥٦- عن أبي الأسود عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: كَانَ يَسْقِي عَلَى حَوْضٍ لَهُ، فَجَاءَ قَوْمٌ فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُورِدُ عَلَى أَبِي ذَرٍّ، وَيَحْتَسِبُ شَعْرَاتٍ مِنْ رَأْسِهِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، فَجَاءَ الرَّجُلُ فَأَوْرَدَ عَلَيْهِ الْحَوْضَ فَدَقَّهُ، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ قَائِمًا فَجَلَسَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لِمَ جَلَسْتَ، ثُمَّ اضْطَجَعْتَ؟ قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا: «إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيُضْطَجِعْ» ^(٢).

٦٥٧- عَنْ عَطِيَّةٍ - وَقَدْ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - ^(٣)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ» ^(٤).

٦٥٨- عَنْ مُعَاذِ الْجَهَنِيِّ رضي الله عنه ^(٥) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْخُورِ مَا شَاءَ» ^(٦).

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) مسند أحمد، ٣٥ / ٢٧٨، برقم ٢١٣٤٨، وأبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، برقم ٤٧٨٢، ورقم ٤٧٨٣، وابن حبان، برقم ٥٦٨٨، وصححه محققو المسند، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٨ / ٢٠٧، برقم ٥٦٥٩.

(٣) عطية بن عروة، وقيل ابن قيس السعدي، صحابي معروف، له أحاديث، نزل الشام، كان ممن كلّم النبي ﷺ في سبي هوازن. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣ / ١٠٧٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤ / ٤٢٢.

(٤) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، برقم ٤٧٨٤، وأحمد، ٢٩ / ٥٠٥، برقم ١٧٩٨٥، وجود إسناده الزين العراقي في تخریج أحاديث الإحياء، ٢ / ٨٤٦: «ولأحمد بإسناد جيد» وقال البنا رحمته الله في الفتح الرباني شرح مسند أحمد، ٥٠ / ٦٥: «وسكت عنه أبو داود، والمنذري، وحسنه الحافظ السيوطي» وقال صاحب شرح زاد المستقنع للحمد، ٢ / ٧٩: «والحديث لا بأس به» وقال الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز رحمته الله: «إسناده جيد». وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، برقم ٥٨٢.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٦ من أحاديث الشرح.

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً، برقم ٤٧٧٧، والترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب حدثنا عبد بن حميد، برقم ٢٤٩٣، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحلم، برقم

٦٥٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»
فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»^(١).

٦٦٠- عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،
أَوْصِنِي؟ قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا
قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «يستبان، واستب» قال ابن منظور رحمته الله: «السَّبُّ: الشُّتْمُ... والشُّبَّةُ:
العارُ؛ وَيُقَالُ: صَارَ هَذَا الْأَمْرُ سُبَّةً عَلَيْهِمْ، بِالضَّمِّ، أَي: عَارًا يُسَبُّ بِهِ...
وَالْتَسَابُ: التَّشَاتُمُ. وَتَسَابَوْا: تَشَاتَمُوا. وَسَابَهُ مُسَابَةً وَسِبَابًا: شَاتَمَهُ. وَالسَّيْبُ
وَالسَّبُّ: الَّذِي يُسَابُكَ... وَرَجُلٌ سَبٌّ: كَثِيرُ السَّبَابِ، وَرَجُلٌ مَسَبٌّ، بِكَسْرِ
الْمِيمِ: كَثِيرُ السَّبَابِ. وَرَجُلٌ سُبَّةٌ أَي: يُسَبُّهُ النَّاسُ؛ وَسُبَّةٌ أَي: يُسَبُّ النَّاسُ»^(٣).

٢- قوله: «احمر وجهه» أي: من شدة الانفعال، فثار الدم في جسده، قال ابن
منصور رحمته الله: «يُقَالُ: حَمَرَ فُلَانٌ عَلَيَّ يَحْمُرُ حَمَرًا إِذَا تَحَرَّقَ عَلَيْكَ غَضَبًا وَغَيْظًا»^(٤).

٣- قوله: «تنتفخ أوداجه»: جمع ودج، وهو ما أحاط من العنق من الودج
التي يقطعها الذابح، قال ابن منظور رحمته الله: «الْوَدَجُ: عِزْقٌ مُتَّصِلٌ... وَالْوِدَاجُ عِزْقٌ
فِي الْعُنُقِ، وَالْوَدَجَانِ عِزْقَانِ مُتَّصِلَانِ مِنَ الرَّأْسِ إِلَى السَّخْرِ، وَالْجَمْعُ أَوْدَاجٌ؛

١٨٦٤، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٥٢٢.

(١) البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، برقم ٦١١٦.

(٢) مسند أحمد، ٣٨/٢٣٦، برقم ٢٣١٧١، وصححه محققو المسند، ٣٨/٢٣٧، وهو في مصنف

عبد الرزاق، برقم ٢٠٢٨٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٧٤٦، وأصله

عند البخاري كما تقدم، برقم ٦١١٦.

(٣) لسان العرب، ١/٤٥٦، مادة (سب).

(٤) لسان العرب، ٤/٢١٣، مادة (حمر).

وَهِيَ غُرُوقٌ تَكْتَنِفُ الْحُلُقُومَ... وَالْوَرِيدَانِ بِجَنْبِ الْوَدَجَيْنِ، فَالْوَدَجَانِ مِنَ الْجَدَاوِلِ الَّتِي تَجْرِي فِيهَا الدِّمَاءُ، وَالْوَرِيدَانِ النَّبْضُ وَالنَّفْسُ^(١).

٤- قوله: «إني لأعلم كلمة»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «المراد منها معناها اللغوي، وهي الجمل المفيدة لو قالها بصدق ويقين، ويحتمل أنه علم أن ذلك الرجل لو قالها مطلقاً»^(٢).

٥- قوله: «ما يجد»: قال العيني رَحِمَهُ اللهُ: «من وجد، يجد وجداً، وموجدة: إذا غضب، ووجد وجداناً إذا لقي ما يطلبه»^(٣).

٦- قوله: «لذهب عنه ما يجد»: من شدة الغضب ببركة الكلمات، وتأثير همته الشريفة في ذلك عنه»^(٤).

٧- قوله: «أعوذ بالله»: أعذته بالله أعينه، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك، فإن ذلك سوء أتخاشى من تعاطيه^(٥)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «فإن المُسْتَعَاذَ مِنْهُ نَوْعَانِ: فَنَوْعٌ مُوجُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ ضَرَرِهِ الَّذِي لَمْ يُوْجَدْ بَعْدُ، وَنَوْعٌ مَفْقُودٌ يُسْتَعَاذُ مِنْ وُجُودِهِ؛ فَإِنَّ نَفْسَ وَجُودِهِ ضَرَرٌ، مِثَالُ الْأَوَّلِ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، وَمِثْلُ الثَّانِي: التَّعَوُّذُ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ»^(٦).

٨- قوله: «من الشيطان الرجيم»: الشيطان: من الشطن: البعد، أي: بُعد عن الخير، أو من الحبل الطويل، كأنه طال في الشر، أو من شاط يشيط إذا هلك،

(١) لسان العرب، ٢/ ٣٩٧، مادة (ودج).

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ٢٣٢.

(٣) عمدة القاري، لبدر الدين العيني، ١٥/ ١٧٦.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/ ٢٣٢.

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٣٦.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، ١٨/ ٢٨٨، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثالثة من مفردات حديث المتن رقم ١٧.

أو من استشاط غضباً إذا احتدّ في غضبه، والتهب، والأول أصح^(١)، وقال ابن علان رحمته الله: «الشيطان: العاتي المتمرد، من شاط احترق، أو من شطن بعد، والرجيم فعيل بمعنى مفعول: أي المبعد من رحمة الله»^(٢).

٩- قوله: «إني لست بمجنون»: قال النووي: يحتمل أن قائل هذه الكلمة كان من المنافقين، أو من جفاة الأعراب^(٣)، وقال ابن علان رحمته الله: «وقوله: إني لست بمجنون: إما أن يكون منافقاً، أو نفر من كلام أصحابه دون كلام رسول الله ﷺ»^(٤).

١٠- قوله: «هل بي جنون»: قال العيني رحمته الله: «هذا كلام من لم يتفقه في دين الله، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة جفاة الأعراب. والاستعاذة من الشيطان تذهب الغضب، وهو أقوى السلاح على دفع كيده»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الغضب والانفعال من نزغات الشيطان وبهما يخرج المسلم عن حد الاعتدال، فيتكلم بالباطل، ويفعل المذموم، ولا علاج له إلا أن يتعوذ بالله من الشيطان صادقاً في ذلك.

٢- قال الطيبي رحمته الله: «قول الرجل هذا، قول من لم يتفقه في دين الله تعالى، ولم يتهذب بأنوار الشريعة المكرمة، وتوهم أن الاستعاذة مختصة بالجنون، ولم يعلم أن الغضب من نزغات الشيطان؛ ولهذا يخرج به الإنسان عن اعتدال حاله،

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة

رقم ٧ من الحديث الأول من أحاديث المتن في المقدمة في فضل الذكر.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١ / ٢٣٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٦ / ٣٧٨.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٨ / ٤٨٨.

(٥) عمدة القاري، لبدر الدين العيني ١٥ / ١٧٦.

ويتكلم بالباطل، ويفعل المذموم»^(١).

٣- من تمام إيمان العبد أن يكون غضبه لله وقد كان ﷺ لا يغضب لنفسه قط، وكان غضبه إذا انتهك حدٌ من حدود الله تعالى.

٤- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَأَمَرَ سُبْحَانَهُ بِالْإِسْتِعَاذَةِ عِنْدَ طَلَبِ الْعَبْدِ الْخَيْرَ لئَلَّا يَغْوَهُ الشَّيْطَانُ عَنْهُ؛ وَعِنْدَ مَا يَعْزِضُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ لِيُدْفَعَهُ عَنْهُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْعَبْدِ لِلْحَسَنَاتِ؛ وَعِنْدَ مَا يَأْمُرُهُ الشَّيْطَانُ بِالسَّيِّئَاتِ... فَأَمَرَ بِالْإِسْتِعَاذَةِ عِنْدَ مَا يَطْلُبُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَهُ فِي شَرٍّ، أَوْ يَمْنَعَهُ مِنْ خَيْرٍ؛ كَمَا يَفْعَلُ الْعَدُوُّ مَعَ عَدُوِّهِ، وَكَلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَعْظَمَ رَغْبَةً فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، وَأَقْدَرَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ، بِحَيْثُ تَكُونُ قُوَّتُهُ عَلَى ذَلِكَ أَقْوَى، وَرَغْبَتُهُ وَإِرَادَتُهُ فِي ذَلِكَ أَتَمَّ؛ كَانَ مَا يَحْصُلُ لَهُ إِنْ سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ أَعْظَمَ؛ وَكَانَ مَا يَفْتَنُّ بِهِ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ أَعْظَمَ»^(٢).

٥- قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «المشروع للإنسان إذا غضب أن يحبس نفسه، وأن يصبر، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن يتوضأ فإن الوضوء يطفىء الغضب، وإن كان قائماً فليقعد، وإن كان قاعداً فليضطجع، وإن خاف خرج من المكان الذي هو فيه حتى لا ينفذ غضبه فيندم بعد ذلك والله الموفق»^(٣).

٦- قال الشيخ ابن مبارك: «في هذا الحديث: أن الشيطان هو الذي يثير الغضب ويشعل النار، وأن دواءه الاستعاذة»^(٤).

٧- لعلاج الغضب أنواع على النحو الآتي:

أ- من أسباب السلامة من اللجاج والخصومات كظم الغيظ، والابتعاد عن

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٧/ ٢٨٤.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٤٦.

(٤) تطريز رياض الصالحين، ص ٥٠.

الغضب وأسبابه، وعلاج الغضب بالأدوية المشروعة يكون بطريقتين:

ب- الطريقة الأولى: الوقاية، ومعلوم أن الوقاية خير من العلاج، وتحصل الوقاية من الغضب قبل وقوعه باجتناّب أسبابه والابتعاد عنها، ومن هذه الأسباب التي ينبغي لكل مسلم أن يطهّر نفسه منها: الكبر، والإعجاب بالنفس، والافتخار، والثّيب، والحرص المذموم، والمزاح في غير مناسبة، أو الهزل، أو ما شابه ذلك^(١).

ج- الطريقة الثانية: العلاج إذا وقع الغضب، وينحصر في أربعة أنواع على النحو الآتي:

النوع الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)، وقوله ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤) لحديث سليمان بن صرد، قال: استبّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسب صاحبه مغضباً، قد احمر وجهه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال: إني لست بمجنون^(٥).

النوع الثاني: الوضوء^(٦)؛ لحديث عطية ؓ، قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من

(١) انظر: الدعائم الخلقية والقوانين الشرعية لصبحي محمصاني، ص ٢٢٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧.

(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٦.

(٥) البخاري، برقم ٦١١٥، ومسلم، برقم ٢٦١٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) انظر: سنن أبي داود ٢٤٩/٤، وتهذيب السنن، ١٦٥/٧-١٦٨، وعون المعبود، ١٤١/١٣، وقال

الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمته: ((إسناده جيد)).

الشیطان وإن الشیطان خلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فلیتوضأ»^(١).
النوع الثالث: تغییر الحالة التي عليها الغضبان، بالجلوس، أو الاضطجاع، أو الخروج، أو الإمساك عن الكلام، أو غیر ذلك؛ لحديث أبي ذر رضی الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فلیجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فلیضطجع»^(٢).

النوع الرابع: استحضار ما ورد في فضل كظم الغیظ من الثواب، وما ورد في عاقبة الغضب من الخذلان العاجل والآجل، قال النبي ﷺ: «من كظم غیظاً وهو قادر على أن ینفذه دعاه الله ﻻ یسمع له وﻻ یجیب له علی رؤوس الخلائق یوم القيامة حتی یخیره من الحور ما شاء»^(٣).



(١) أبو داود، کتاب الأدب، باب ما یقال عند الغضب، برقم ٤٧٨٤، وأحمد، برقم ١٧٩٨٥، وجود إسناده الزین العراقي في تخريج أحادیث الإحياء، ٢/ ٨٤٦: والشیخ عبد العزیز بن عبد الله بن باز رحمته الله، وتقدم تخريجه.

(٢) مسند أحمد، ٣٥/ ٢٧٨، برقم ٢١٣٤٨، وأبو داود، کتاب الأدب، باب ما یقال عند الغضب، برقم ٤٧٨٢، ورقم ٤٧٨٣، وابن حبان، برقم ٥٦٨٨، وصححه محققو المسند، والألبانی في التعليقات الحسان علی صحيح ابن حبان، ٨/ ٢٠٧، برقم ٥٦٥٩.

(٣) أخرجه أبو داود، کتاب الأدب، باب من كظم غیظاً، برقم ٤٧٧٧، والترمذي، کتاب البر والصلة، باب في كظم الغیظ، برقم ٢٠٢١، وفي کتاب صفة القيامة والرقائق، برقم ٢٤٩٣، وقال في الموضعين: «هذا حديث حسن غریب»، وابن ماجه، کتاب الزهد، باب الحلم، برقم ٤١٨٦، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقیق سنن أبي داود، ٧/ ١٥٧، والألبانی في صحيح ابن ماجه، ٢/ ٤٠٧.

٨٣- دُعَاءُ مَنْ رَأَى مُبْتَلًى

١٩٤- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٦١- لفظ الترمذي: عَنْ عُمَرَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوْفِي مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ، كَأَنَّا مَا كَانَ مَا عَاشَ»^(٣).

٦٦٢- لفظ آخر للترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ الْبَلَاءُ»^(٥).

٦٦٣- ولفظ ابن ماجه عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه^(٦)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا رأى مبتلى، برقم ٣٤٣١، ورقم ٣٤٣٢، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به الرجل إذا نظر إلى أهل البلاء، برقم ٣٨٩٢، وحسن الألباني رواية الترمذي الأولى، وصحح الرواية الثانية في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٢٨، و٢٧٢٩، وحسن رواية ابن ماجه في صحيح ابن ماجه، برقم ٣١٤٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح..

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٣١، وحسنه في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٢٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح..

(٥) الترمذي، برقم ٣٤٣٢، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح..

كثير ممن خلق تفضيلاً، عوفي من ذلك البلاء، كائناً ما كان»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «من فجئه»: قال ابن الأثير رحمته الله: «فجئه الأمر، وفجأه فجاءة بالضّم والمَدِّ، وفجأه مفاجأة إذا جاءه بغتة من غير تقدّم سبب»^(٢).

٢- قوله: «مبتلى، صاحب بلاء»: إما بأمراض، وأسقام، وأوجاع، أو بعيب في الخلقة، وهذا بلاء دنيوي، أو مبتلى في دينه بشبهة، أو بدعة، أو معصية، قال القاري رحمته الله: «مبتلى أي في أمر بدني كبرص وقصر فاحش أو طول مفرط أو عمى أو عرج أو اعوجاج يد ونحوها أو ديني بنحو فسق، وظلم، وبدعة، وكفر وغيرها»^(٣)، وقال المباركفوري رحمته الله: «أي في الدين، والدُّنيا، والقلب، والقلب إلا عوفي من ذلك البلاء، أي: لم يرَ أحدٌ صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني إلخ إلا عوفي من ذلك البلاء»^(٤).

٣- قوله: «فقال»: عقب رؤيته يقوله في نفسه، أو بحيث لا يسمعه، كما يأتي لئلا يكون شامئاً به»^(٥).

٤- قوله: «الحمد لله»: الحمد هو الوصف بالجميل، والله لفظ الجلالة علم على ذات الرب سبحانه. قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «الحمد، هو: الإخبار بمحاسن المحمود على وجه المحبة له»^(٦)، وقال الطيبي رحمته الله: «الحمد: الثناء

(١) ابن ماجه، برقم ٣٨٩٢، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٣١٤٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤١٢، مادة (فجأ).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨/ ٣١٩.

(٤) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٧٥، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من شرح مفردات حديث المتن رقم ٨٣، والمفردة رقم ١٢ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٨١.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٥٦.

(٦) بدائع الفوائد، ٢/ ٥٣٧، وانظرها بتفصيل أكثر في شرح مفردات الحديث رقم ٢ من أحاديث المتن، في المفردة رقم ٤، ورقم ٧.

على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدنيوية ما لا يحصى»^(١).

٥- قوله: «الذي عافاني» أي: قدر لي العافية، قال المباركفوري رحمته الله: «الْعَافِيَةُ أَوْسَعُ مِنَ الْبَلِيَّةِ لِأَنَّهَا مَطْنَةُ الْجَزَعِ وَالْفِتْنَةِ وَحَيْثُ تَكُونُ مِحْنَةٌ أَيْ مِحْنَةٌ، وَالْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ كَمَا وَرَدَ»^(٢).

٦- قوله: «مما ابتلاك به»: قال الطيبي رحمته الله: «هذا الخطاب فيه إشعار بأن المبتلى لم يكن مريضاً، أو ناقصاً في خلقه، بل كان عاصياً متخلعاً، خليع العذار، ولذلك خاطبه بقوله: «مما ابتلاك»، ولو كان المراد به المريض، لم يحسن الخطاب»^(٣).

٧- قوله: «وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً»: أي: على هؤلاء المبتلون فلم يجعلني منهم، فقوله: «وفضلني على كثير ممن خلق»: قال الطبري رحمته الله: «ذكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها ورفعها بها إلى أفواههم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق...»^(٤)، وقال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «الفضل: الزيادة عن الاقتصاد، وذلك ضربان: محمود: كفضل العلم، والحلم، ومذموم: كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه، والفضل في المحمود أكثر استعمالاً»^(٥)، وقال المباركفوري رحمته الله: «أَيُّ: فِي الدِّينِ، وَالدُّنْيَا، وَالْقَلْبِ، وَالْقَالِبِ إِلَّا عُوفِي مِنْ

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الثانية من حديث المتن رقم ١٠٨.

(٢) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٧٥.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٨.

(٤) تفسير الطبري، ١٧/ ٥٠١.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢/ ١٩٦، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١٢ من شرح مفردات حديث المتن رقم ١٨١.

ذَلِكَ الْبَلَاءِ، أَيْ: لَمْ يَرِ أَحَدٌ صَاحِبَ بَلَاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي...
إِلْخِ إِلَّا عُوفِي مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ»^(١).

٨- قوله: «كَائِنًا مَا كَانَ»: أَيْ: حَالُ كَوْنِ ذَلِكَ الْبَلَاءِ أَيْ: بَلَاءٌ كَانَ مَا عَاشَ
أَيْ: مُدَّةَ بَقَائِهِ فِي الدُّنْيَا»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قائل هذا الذكر مخلصاً من قلبه، موقناً بصدق قائله، يتحقق له الموعود
بعدم إصابته بذلك البلاء طيلة حياته.

٢- من الحكمة والفتنة أن يقول المعافى هذا الدعاء بصوت منخفض لا
يسمعه المبتلى؛ لئلا يتألم قلبه، إلا إذا كان قائماً على معصية، مصرّاً عليها،
فيسمعه رجاءً أن ينزجر إذا كان في ذلك مصلحة، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قال
العلماء من أصحابنا وغيرهم: ينبغي أن يقول هذا الذكر سِرّاً بحيث يُسْمَعُ
نَفْسَهُ، وَلَا يُسْمَعُهُ الْمَبْتَلَى؛ لئلا يتألم قلبه بذلك، إلا أن تكون بليته معصية، فلا
بأس أن يُسْمَعَهُ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَخَفْ مِنْ ذَلِكَ مَفْسَدَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٣).

٣- قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «ويسمع صاحب البلاء الديني إذ أراد زجره، ويرجو
انزجاره، وكان الشبلي إذا رأى أحداً من أرباب الدنيا دعا بهذا الدعاء،
وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً، أي: في الدين والدنيا والقلب
والقلب إلا لم يصبه ذلك البلاء كائناً ما كان، أي: حال كون ذلك البلاء أي
شيء كان»^(٤).

(١) تحفة الأحوذى، ٩ / ٢٧٥.

(٢) تحفة الأحوذى، ٩ / ٢٧٥.

(٣) الأذكار، للإمام النووي، ص ٣٧٦.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٣٢٠.

٤- على المعافى ألا يركن إلى ما هو فيه من خير، بل يسأل الله دوام العافية؛ لأن الأيام دول، وعليه ألا يشمت بمبتلى، فهو لا يؤمن أن يبتلى بمثله، قال إبراهيم النخعي رحمته الله: «إني لأرى الشيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلم فيه إلا مخافة أن أبتلى بمثله»^(١).

٥- قال القاري رحمته الله: «رؤية الصالحين والفاسقين بمنزلة سماع آيات الوعد والوعيد فينبغي أن يطلب في الأول ويستعذ في الثاني»^(٢).

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٣٢٠.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٣ / ٥٤.

التخاف من المسلم

بشرح حصن المسلم
من أذكار الكتاب والسنة

تأليف الفقير إلى الله تعالى
وسعيد بن علي بن وهف القحطاني

٨٤ - مَا يُقَالُ فِي الْمَجْلِسِ

١٩٥- «عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةٌ مَرَّةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٦٤- لفظ الترمذي عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه ^(٢) قَالَ: كَانَ يُعَدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةٌ مَرَّةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقُومَ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ»^(٣).

٦٦٥- لفظ أبي داود عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةً مَرَّةً: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^(٤).

٦٦٦- لفظ أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ قَاعِدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» حَتَّى عَدَّ الْعَادُّ بِيَدِهِ مِائَةً مَرَّةً^(٥).

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقال إذا قام من المجلس، برقم ٣٤٣٤، وأبو داود، كتاب الوتر، باب في الاستغفار، برقم ١٥١٥، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل التسييح، برقم ٣٨١٤، ومسنند أحمد، ٩/ ٣٩٩، برقم ٥٥٦٤، وصححه لغيره محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٣، وصحيح ابن ماجه، ٢/ ٣٢١، وصحيح أبي داود، برقم ٢٧٣١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٣٤، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٥٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو داود، برقم ١٥١٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٧٣١. وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسند أحمد، برقم ٥٥٦٤، وصححه لغيره محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «كان يعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة»: قال ابن فارس رحمه الله: «فالعَدُّ: إحصاء الشيء، تقول: عددت الشيء أعدته عدّاً، فأنا عادٌّ، والشيء معدود، والعديد: الكثرة، وفلانٌ في عداد الصّالحين، أي يُعدُّ معهم، والعَدَد: مقدار ما يُعدُّ، ويقال: ما أكثرَ عديدَ بني فلان وعددهم. وإنهم ليتعادُّون ويتعدَّدون على عشرة آلاف، أي: يزيدون عليها»^(١)، قال الطيبي رحمه الله: «المعنى: كنا نكثر أن نعد لرسول الله ﷺ قول: «رب اغفر لي» مائة مرة»^(٢).

٢- قوله: «رب اغفر لي»: أي: أطلب منك المغفرة وهي الصفح عن الذنوب وتبديلها إلى حسنات. قال ابن الجوزي رحمه الله: «الغفران: تغطية الذنب بالعفو عنه، والغفر: الستر، وغَفَرَ الخَزُّ والصوفُ ما علا فوق الثوب منها...»^(٣)، وقال الإمام النووي رحمه الله: «ومعنى سؤاله ﷺ المغفرة، مع أنه مغفور له، أنه يسأل ذلك تواضعاً، وخضوعاً، وإشفاقاً، وإجلالاً؛ وليقتدى به في أصل الدعاء، والخضوع، وحسن التضرع في هذا الدعاء المعين»^(٤).

٣- قوله: «وتب علي» أي: وفقني لتوبة نصوح تقبلها مني، وتَجُبُّ بها ما مضى من الذنوب. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والتَّوبَةُ تَرَكُ الذَّنْبَ عَلَى أَحَدِ الْأَوْجِهَةِ. وفي الشرع تَرَكُ الذَّنْبَ لِتُجِبِهِ، والتَّوْبَةُ عَلَى فِعْلِهِ، والعزم على عَدَمِ الْعُودِ، وَرَدَّ الْمَظْلَمَةِ إِنْ كَانَتْ أَوْ طَلَبَ الْبِرَاءَةَ مِنْ صَاحِبِهَا، وَهِيَ أَبْلَغُ ضُرُوبِ الْإِعْتِذَارِ، لِأَنَّ الْمُعْتَذِرَ إِذَا قَالَ لَا أَفْعَلْ فَلَا يَقَعُ الْمَوْقِعُ عِنْدَ مَنْ اعْتَذَرَ لَهُ

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ٤/ ٢٩، مادة (عدد).

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٥٥.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ص ٢.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ٦/ ٥٦، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٩ من شرح مفردات الحديث رقم ٧٩ من أحاديث المتن.

لِقِيَامِ احْتِمَالِ أَنَّهُ فَعَلَ لَا سِيَّما إِنْ ثَبَتَ ذَلِكَ عِنْدَهُ عَنْهُ ، أَوْ يَقُولُ فَعَلْتُ لِأَجْلِ كَذَا وَيَذْكُرُ شَيْئًا يُقِيمُ عُذْرَهُ وَهُوَ فَوْقَ الْأَوَّلِ ، أَوْ يَقُولُ فَعَلْتُ وَلَكِنْ أَسَأْتُ وَقَدْ أَقْلَعْتُ وَهَذَا أَعْلَاهُ انْتَهَى مِنْ كَلَامِ الرَّاعِبِ مُلَخَّصًا، وَقَالَ : الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمَفْهِمِ: اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ الْمَشَايخ فِيهَا، فَقَائِلٌ يَقُولُ إِنَّهَا النَّدَمُ، وَآخَرٌ يَقُولُ إِنَّهَا الْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ، وَآخَرٌ يَقُولُ الْإِقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ وَهُوَ أَكْمَلُهَا غَيْرُ أَنَّهُ مَعَ مَا فِيهِ غَيْرُ مَانِعٍ وَلَا جَامِعٍ، أَمَّا أَوَّلًا فَلِأَنَّهُ قَدْ يَجْمَعُ الثَّلَاثَةَ، وَلَا يَكُونُ تَأْيِيبًا شَرْعًا، إِذْ قَدْ يَفْعَلُ ذَلِكَ شُحًا عَلَى مَالِهِ، أَوْ لِثَلَاثَةِ تَغْيِيرِهِ النَّاسَ بِهِ، وَلَا تَصِحُّ التَّوْبَةُ الشَّرْعِيَّةُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ، وَمَنْ تَرَكَ الذَّنْبَ لِغَيْرِ اللَّهِ لَا يَكُونُ تَأْيِيبًا اتِّفَاقًا، وَأَمَّا ثَانِيًا فَلِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهُ مَنْ زَنَى مَثَلًا ثُمَّ جُبَّ ذَكَرَهُ فَإِنَّهُ لَا يَتَأَتَّى مِنْهُ غَيْرُ النَّدَمِ عَلَى مَا مَضَى»^(١).

٤- قوله: «إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ»: أَي: الَّذِي يَتُوبُ عَلَى عِبْدِهِ وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُ كُلَّمَا تَكَرَّرَتِ التَّوْبَةُ تَكَرَّرَ الْقَبُولُ^(٢). قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ قَالَ الْحَلِيمِيُّ فِي تَفْسِيرِ التَّوَابِ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى: أَنَّهُ الْعَائِدُ عَلَى عِبْدِهِ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، كُلَّمَا رَجَعَ لِطَاعَتِهِ، وَنَدِمَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، فَلَا يُحِيطُ عَنْهُ مَا قَدَّمَهُ مِنْ خَيْرٍ، وَلَا يَحْرِمُهُ مَا وَعَدَ بِهِ الطَّائِعُ مِنَ الْإِحْسَانِ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: التَّوَابُ الَّذِي يَعُودُ إِلَى الْقَبُولِ كُلَّمَا عَادَ الْعَبْدُ إِلَى الذَّنْبِ وَتَابَ»^(٣).

٥- قوله: «الْغُفُورُ»: الَّذِي يَكْثُرُ السِّرُّ عَلَى الْمَذْنِبِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَزِيدُ عَفْوَهُ عَلَى مُوَاخَذَتِهِ^(٤). قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: «الْغُفُورُ الْغَفَّارُ: ... السَّائِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ... وَأَصْلُ الْغَفْرِ: التَّغْطِيَةُ، وَالسِّرُّ، غَفَرَ اللَّهُ

(١) فتح الباري، ١١/ ١٠٣.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي، ص ٩٠.

(٣) فتح الباري، ١١/ ١٠٤.

(٤) البيهقي في الأسماء والصفات، ص ٥٥.

ذُنُوبُهُ: أَي: سَتَرَهَا... وَقَدْ غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غَفْرًا: سَتَرَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ؛ ... وَمِنْهُ: غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا... وَالْغَفْرُ، وَالْمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَةُ عَلَى الذُّنُوبِ، وَالْعَفْوُ عَنْهَا»^(١).

٦- قوله: «إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ»: قَالَ الطَّبْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَائِدُ عَلَى عِبَادِكَ بِالْفَضْلِ، وَالْمُتَفَضِّلُ عَلَيْهِمْ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ، الرَّحِيمُ بِهِمْ، الْمُسْتَنْقَذُ مِنْ تَشَاءِ مِنْهُمْ بِرَحْمَتِكَ مِنْ هَلَكْتِهِ، الْمُنْجِي مِنْ تَرِيدِ نَجَاتِهِ مِنْهُمْ بِرَأْفَتِكَ مِنْ سَخَطِكَ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ اسْتَشْكَلَ وَقُوعَ الْإِسْتِغْفَارِ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مَعْصُومٌ، وَالْإِسْتِغْفَارُ يَسْتَدْعِي وَقُوعَ مَعْصِيَةٍ. وَأَجِيبَ بِعِدَّةِ أَجَوِبَةٍ: مِنْهَا مَا تَقَدَّمَ فِي تَفْسِيرِ الْغَيْنِ.

وَمِنْهَا قَوْلُ ابْنِ الْجَوَازِيِّ: هَفَوَاتِ الطَّبَاعِ الْبَشَرِيَّةُ لَا يَسْلَمُ مِنْهَا أَحَدٌ، وَالْأَنْبِيَاءُ وَإِنْ عُصِمُوا مِنَ الْكِبَائِرِ فَلَمْ يُعْصَمُوا مِنَ الصَّغَائِرِ. كَذَا قَالَ، وَهُوَ مُفَرَّعٌ عَلَى خِلَافِ الْمُخْتَارِ، وَالرَّاجِحُ عِصْمَتُهُمْ مِنَ الصَّغَائِرِ أَيْضًا.

وَمِنْهَا قَوْلُ ابْنِ بَطَّالٍ: الْأَنْبِيَاءُ أَشَدَّ النَّاسِ اجْتِهَادًا فِي الْعِبَادَةِ لِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمَعْرِفَةِ، فَهُمْ دَائِبُونَ فِي شُكْرِهِ مُعْتَرِفُونَ لَهُ بِالتَّقْصِيرِ انْتَهَى».

وَمُحْصَلُ جَوَابِهِ أَنَّ الْإِسْتِغْفَارَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي آدَاءِ الْحَقِّ الَّذِي يَجِبُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لاشْتِغَالِهِ بِالْأُمُورِ الْمُبَاحَةِ مِنْ أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ أَوْ جَمَاعٍ أَوْ نَوْمٍ أَوْ رَاحَةٍ، أَوْ لِمُخَاطَبَةِ النَّاسِ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمْ، وَمُحَازَبَةِ عَدُوِّهِمْ تَارَةً وَمُدَارَاتِهِ أُخْرَى، وَتَأْلِيفِ الْمُؤَلَّفَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْجُبُهُ عَنِ

(١) لسان العرب، ٥/ ٢٥، مادة (غفر)، وتقدم في شرح المفردة الثانية من ألفاظ الحديث رقم ٤٨ من أحاديث المتن.

(٢) تفسير الطبري، ٣/ ٨٢.

الاشتغال بِذِكْرِ الله وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ وَمُشَاهَدَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ ، فَيَرَى ذَلِكَ ذَنْبًا بِالنِّسْبَةِ
إِلَى الْمَقَامِ الْعَلِيِّ وَهُوَ الْحُضُورُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ .
وَمِنْهَا أَنَّ اسْتِغْفَارَهُ تَشْرِيعٌ لِأُمَّتِهِ ، أَوْ مِنْ ذُنُوبِ الْأُمَّةِ فَهُوَ كَالشَّفَاعَةِ
لَهُمْ»^(١)^(٢).

(١) فتح الباري، ١١ / ١٠١.

(٢) [انظر طرفاً مما يتعلق بالتوبة: الحديث رقم ١٤، ورقم ٩٦، ورقم ٢٤٨، و٢٤٩، و٢٥٠].

٨٥ - كَفَّارَةُ الْمَجْلِسِ

١٩٦- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٦٧- لفظ الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»^(٣).

٦٦٨- رواية أبي داود عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه^(٤) قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بِأَخْرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ

(١) أصحاب السنن: أبو داود، كتاب الأدب، باب في كفارة المجلس، برقم ٤٨٥٨، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس، برقم ٣٤٣٣، والنسائي، كتاب السهو، نوع آخر من الذكر والدعاء بعد التسليم، برقم ١٣٤٤، وصححه الألباني في الروض النضير، برقم ٣٠٥، وفي صحيح الترمذي، برقم ٢٧٣٠، وفي صحيح النسائي، برقم ١٣٤٤، ومسنند أحمد، ٣٣ / ٤٧، برقم ١٩٨١٢، وصححه لغيره محققو المسند، وأحمد أيضاً ٤١ / ٣٤، برقم ٢٤٤٨٦، وصححه محققو المسند، والنسائي في الكبرى، عمل اليوم والليلة، ما ختم به القرآن، برقم ١٠١٤٠، وصححه الدكتور فاروق حمادة في تحقيقه لعمل اليوم والليلة للنسائي، ص ٢٧٣، وكحقيقو المسند، ٤١ / ٣٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٣٣، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٣٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أبو بركة الأسلمي رضي الله عنه، اشتهر بكيته، وأصح ما قيل في اسمه: فضلة بن عبيد الأسلمي، كان إسلامه قديماً وشهد فتح خيبر وفتح مكة وحنينا، وشهد مع علي قتل الخوارج بالنهروان، نزل البصرة، ومات فيها بعد ولاية ابن زياد، وقبل موت معاوية سنة ستين، وقيل بل مات سنة أربع وستين. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٤ / ١٦١٠، والإصابة في تمييز الصحابة، ٦ / ٤٣٣.

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى؟ قَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»^(١).

٦٦٩- لفظ أحمد عن أبي بزة الأسلمي رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ بِأَخْرَةٍ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَجْلِسِ، فَأَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَقُولُ الْآنَ كَلَامًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا خَلَا؟ قَالَ: «هَذَا كَفَّارَةٌ مَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ»^(٢).

٦٧٠- وفي لفظ آخر لأحمد عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا، أَوْ صَلَّى، تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: «إِنْ تَكَلَّمْتَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمْتَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ، وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ اللَّهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»^(٣).

٦٧١- ورواية النسائي عن عائشة رضي الله عنها^(٤) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا، أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ فَقَالَ: «إِنْ تَكَلَّمْتَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمْتَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٥).

٦٧٢- وفي السنن الكبرى للنسائي عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: مَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا قَطُّ، وَلَا تَلَا قُرْآنًا، وَلَا صَلَّى صَلَاةً، إِلَّا خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْكَ مَا تَجْلِسُ مَجْلِسًا، وَلَا تَتْلُو قُرْآنًا، وَلَا تُصَلِّي صَلَاةً، إِلَّا خَتَمْتَ بِهِؤَلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ قَالَ خَيْرًا

(١) أبو داود، برقم ٤٨٥٨، وصححه الألباني في الروض النضير، برقم ٣٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسند أحمد، برقم ١٩٨١٢، وصححه لغيره محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسند أحمد، برقم ٢٤٤٨٦، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٥) النسائي، برقم ١٣٤٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ١٣٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

خُتِمَ لَهُ طَابِعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ، وَمَنْ قَالَ شَرًّا كُنَّ لَهُ كَفَّارَةٌ: سُبْحَانَكَ، وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لغظه»: هو اللغو من القول والذي لا طائل منه مع صوت وجلبة، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «لغظه: الرديء من الكلام، والقيح»^(٢).

٢- قوله: «قبل أن يقوم من مجلسه» أي: في نهاية هذا المجلس عند إرادة القيام، قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أي لا يفارقه»^(٣).

٣- قوله: «سبحانك» أي: أنزهك عن كل عيب ونقص فلك الكمال المطلق، قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «قدَّم تنزيه الرب تعالى عن كل نقص، ثم الحمد والشهادة بالتوحيد، ونفي الشريك، ثم طلب الاستغفار تقديماً للوسائل على المطالب»^(٤).

٤- قوله: «اللَّهُمَّ»: «بِمَعْنَى: يَا اللَّهُ ...»^(٥)

٥- قوله: «وبحمدك»: أي: أحمدك حمداً يليق بجلالك، قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ: التَّنْزِيحُ: وَقَوْلُهُمْ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَضْدَرِّ، يُقَالُ: سَبَّحْتَ اللَّهَ تَسْبِيحًا وَسُبْحَانًا، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَعْنَاهُ: بَرَاءَةٌ وَتَنْزِيهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَصِفَةٍ لِلْمُحَدَّثِ، قَالُوا: وَقَوْلُهُ: وَبِحَمْدِكَ أَيُّ: وَبِحَمْدِكَ سَبِّحْتُكَ، وَمَعْنَاهُ: بِتَوْفِيقِكَ لِي، وَهَذَا يَنْبَغِي وَفَضْلُكَ عَلَيَّ سَبِّحْتُكَ، لَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي، فَفِيهِ

(١) النسائي في الكبرى، برقم ١٠١٤٠، وصححه الدكتور فاروق حمادة في تحقيقه لعمل اليوم والليلة للنسائي، ص ٢٧٣، ومحققو المسند، ٣٤ / ٤١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) جامع الأصول، ٢٧٧ / ٤.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢٤٠ / ٥.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ١٤٨ / ٨.

(٥) لسان العرب، ١٣ / ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم في حديث المتن رقم ١، المفردة رقم ٦.

شُكِرَ اللهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَالْإِعْتِرَافِ بِهَا، وَالتَّفْوِيزِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّ كُلَّ الْأَفْعَالِ لَهُ، وَاللهُ أَعْلَمُ»^(١).

٦- قوله: «أشهد أن لا إله إلا أنت»: قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «مَعْنَاهُ: أَعْلَمُ وَأُبَيِّنُ، ... وَإِنَّمَا حَقِيقَةُ الشَّهَادَةِ هُوَ تَيَقُّنُ الشَّيْءِ وَتَحَقُّقُهُ مِنْ شَهَادَةِ الشَّيْءِ أَيُّ: حُضُورِهِ»^(٢).

٧- قوله: «أستغفرك وأتوب إليك»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «والاستغفار: طلب المغفرة، (والتوبة): الرجوع من الذنب والإخلاص في الترك، والندم على الفأث»^(٣).

٨- قوله: «كفر الله ما كان في مجلسه ذلك» أي: ستر، وغفر ما أَلَمَ فيه من الذنوب عدا الكبائر، ومظالم العباد، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الكفارة: الخصلة التي تمحو الذنوب، وهي المرة الواحدة من التكفير: التغطية للشيء»^(٤)، فإن الكبائر لا بد لها من توبة، ومظالم العباد لا بد من ردّها، واستسماحهم، وعفوهم.

٩- قوله: «كان طابعاً»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الطابع: الخاتم، يريد أنه يختم عليها»^(٥).

١٠- قوله: «بأخرة»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «هو بهمزة مقصورة مفتوحة وبفتح الخاء، ومعناه: في آخر الأمر»^(٦).

١١- قوله: «كلمات»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «وهو يحتمل وجهين، إما أن لا يُضْمَرُ شيء فتكون الكلمات هي الجملتان الشرطيتان، واسم «كان» فيهما مبهم، ويفسره قوله: «سبحانك اللهم»، وإما أن يقدر: فما فائدة الكلمات؟ فعلى هذا «الكلمات» هي قوله: «سبحانك اللهم»، والمضمر في «كان»

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤/ ٢٠١.

(٢) عون المعبود مع حاشية ابن القيم، ٢/ ١٢٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ١ من حديث المتن رقم ١٣.

(٣) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ١/ ٥٣٦، وتقدم في المفردة رقم ٢٥ من حديث المتن رقم ٢٩.

(٤) جامع الأصول، ٤/ ٢٧٨.

(٥) جامع الأصول، ٤/ ١٥٨.

(٦) الأذكار النووية للإمام النووي، ١/ ٣٧١.

راجع إليه، ففي الكلام تقديم وتأخير، وهذا الوجه أحسن بحسب المعنى، وإن كان اللفظ يساعد الأول»^(١)، وقال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: عند انتهاء لفظ ذلك المجلس، وإرادة القيام منه»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الدعاء الذي يُعرَفُ بكفارة المجلس، ومحله كما قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كان رسول الله ﷺ يقول بآخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس...^(٣)، والقصد من قوله طلب المغفرة عما وقع فيه من ذلك وقد جاء في الحديث الآخر أن النبي ﷺ بيّن أن الإنسان إن تكلم في مجلسه بخير كان هذا الذكر طابعاً عليه إلى يوم القيامة، وإن تكلم بغير الخير كان كفارة له^(٤)، ومعنى طابع أي: خاتم يحفظ به العمل إلى يوم القيامة.

٢- على المسلم أن يراقب ربه في جميع أحواله وأن يعرف أن لسانه عدو له يورده المهالك إذا استخدمه في مساخط الله، قال الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(٥).

٣- على المسلم العاقل أن يعمر وقته بما ينفعه يوم القيامة من ذكر لله وما ولاه قال النبي ﷺ: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه، ولم يصلوا على نبيهم فيه إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم» والترة النقص وهي بمعنى الحسرة^(٦).

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٩.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥ / ٥١.

(٣) أبو داود، برقم ٤٨٥٨، وصححه الألباني في الروض النضر، برقم ٣٠٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) انظر: رواية النسائي، برقم ١٣٤٤، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

(٥) سورة ق، الآية: ١٨.

(٦) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، برقم ٣٣٨٠، وصححه

٤- قال ابن عبد البر رحمته الله: وروي عن جماعة من أهل العلم بتأويل القرآن أن هذا الذكر هو معنى قوله ﷺ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾^(١)، منهم: مجاهد وغيره، قال عطاء: إن كنت أحسنت ازددت إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفارة^(٢).

٥- ذكر الصنعاني رحمته الله عن القاضي عياض رحمته الله أنه قال: «كان السلف يواظبون عليه، ويقولون: ذلك كفارة المجلس، وظاهره أنه يغفر له كل شيء كان فيه حتى الغيبة والنميمة، ويحتمل أنه أريد غير حقوق المخلوقين؛ فإنه قد علم خروجها من إطلاقات الغفران، وغير الكبائر فإنها لا تكفر إلا بالتوبة، إلا أن يصحب هذا القول ندم وعزم على عدم العود، فهو توبة، وفيه دليل على أن الاستغفار وإن لم يصحبه أجزأ التوبة يؤجر فاعله، ويحتمل أنه أريد هنا لا يقولهن تائباً»^(٣).

٦- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «من آداب المجالس: أن الإنسان إذا جلس مجلساً فكثر فيه لغطه؛ فإنه يكفره، أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، قبل أن يقوم من مجلسه؛ فإذا قال ذلك فإن هذا يمحو ما كان منه من لغط، وعليه فيستحب أن يختم المجلس الذي كثر فيه اللغط بهذا الدعاء: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، ومما ينبغي في المجالس أيضاً أن تكون واسعة؛ فإن سعة المجالس من خير المجالس، كما قال ﷺ: «خير المجالس أوسعها»^(٤)؛ لأنها إذا كانت واسعة حملت أناساً

الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٧٤، رقم ٨.

(١) سورة الطور، الآية: ٤٨.

(٢) بهجة المجالس، ٥٣/١.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٥٠٦.

(٤) مسند أحمد، ٢١٨/ ١٧، برقم ١١١٣٧، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات». والبخاري في الأدب المفرد، برقم ١١٣٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٨٧٠.

كثيرين، وصار فيها انشراح، وسعة صدر، وهذا على حسب الحال، قد يكون بعض الناس حجر بيته ضيقة، لكن إذا أمكنت السعة فهو أحسن؛ لأنه يحمل أناساً كثيرين؛ ولأنه أشرح للصدر»^(١).

٧- وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ أَيْضاً: «...وفيه دليل على أنه ينبغي للإنسان ألا يفوت عليه مجلساً ولا مضطجعاً إلا يذكر الله حتى يكون ممن قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾»^(٢)»^(٣).

(١) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٨٣٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٩١.

(٣) شرح رياض الصالحين، للعلامة ابن عثيمين، شرح الحديث رقم ٨٣٧.

٨٦ - الدَّعَاءُ لِمَنْ قَالَ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ

١٩٧- «وَلَكَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث

٦٧٣- لفظ أحمد عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَكَلْتُ مَعَهُ مِنْ طَعَامِهِ، فَقُلْتُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقُلْتُ: أَسْتَغْفِرُ لَكَ؟ قَالَ شُعْبَةُ: أَوْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ، قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكُمْ» وَقَرَأَ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٣)، ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى نُغْصِ كَتِفِهِ الْأَيْمَنِ، أَوْ كَتِفِهِ الْأَيْسَرِ شُعْبَةُ الَّذِي يَشُكُّ، فَإِذَا هُوَ كَهَيْئَةِ الْجُمُعِ عَلَيْهِ، الثَّالِيلُ^(٤).

٦٧٤- ولفظ الترمذي والنسائي عن عبد الله بن سرجس قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ

(١) أحمد، ٣٤ / ٣٧٥، برقم ٢٠٧٧٨، والشمال المحمدية للترمذي، ص ٤٦، والنسائي في عمل اليوم والليلة، ص ٢١٨، برقم ٤٢١، تحقيق الدكتور فاروق حمادة، وهو في الكبرى، برقم ١٠٢٥٥، وصحح إسناده الهلالي في عجلة الممتني، ١ / ٤١٢، ومحققو المسند، ٣٤ / ٣٧٥، وصحح العلامة الألباني رواية الترمذي في مختصر السائل، برقم ٢٠، وأصل القصة في صحيح مسلم، برقم ٢٣٤٦، ولفظه: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَكَلْتُ مَعَهُ خُبْزًا وَلَحْمًا - أَوْ قَالَ ثَرِيدًا - قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفِرُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ قَالَ ثُمَّ دُرْتُ خَلْفَهُ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ التُّبُورَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عِنْدَ نَاقِصِ كَتِفِهِ الْيُسْرَى جُمُعًا عَلَيْهِ خِيَلَانٌ كَأَمْثَالِ الثَّالِيلِ.

(٢) عبد الله بن سرجس رضي الله عنه: الصَّحَابِيُّ، الْمُعَمَّرُ، نَزِيلُ الْبَصْرَةِ، مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي مَخْرُومٍ، وَصَحَّ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَغْفَرَ لَهُ، وَهُوَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثٌ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ وَرَوَى أَيْضًا عَنْ عَمْرٍو وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَرَوَى عَنْهُ قَتَادَةُ وَعَاصِمُ الْأَحُولِ وَغَيْرُهُمَا، مَاتَ فِي دَوْلَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ سَنَةَ نَيْفٍ وَثَمَانِينَ بِالْبَصْرَةِ. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٣ / ٩١٦، وسير أعلام النبلاء، ٣ / ٤٢٦، ترجمة رقم (٧٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤ / ١٠٦.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٤) أحمد، برقم ٢٠٧٧٨، وصحح محققو المسند، ٣٤ / ٣٧٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

اللَّهُ ﷻ وَهُوَ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَذُرْتُ هَكَذَا مِنْ خَلْفِهِ، فَعَرَفَ الَّذِي أُرِيدُ، فَأَلْقَى الرِّدَاءَ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَأَيْتُ مَوْضِعَ الْخَاتَمِ عَلَى كَتِفَيْهِ مِثْلَ الْجُمُعِ حَوْلَهَا خِيْلَانٌ كَأَنَّهَا ثَالِيلٌ، فَرَجَعْتُ حَتَّى اسْتَقْبَلْتُهُ، فَقُلْتُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَلَكُ»، فَقَالَ الْقَوْمُ: أَسْتَغْفِرُ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ نَعَمْ وَلَكُمْ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(١) «^(٢)».

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «فأكلت من طعامه»: جاء عند مسلم أنه أكل خبزاً ولحماً، أو قال: ثريداً^(٣).
- ٢- قوله: «غفر الله لك يا رسول الله»: إنما قال ذلك طمعاً في أن يدعو له وقد ظفر بما أراد.
- ٣- قوله: «ولكم» أي: لعموم الآية المذكورة فكل أهل الإيمان داخلون فيها.
- ٤- قوله: «نغض الكتف»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «طرف العظم العريض الذي في أعلى طرفه»^(٤).
- ٥- قوله: «الخيْلَان»: جمع خال، وهو الشامة، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْخَالُ: الَّذِي يَكُونُ فِي الْجَسَدِ... شَامَةٌ سَوْدَاءُ فِي الْبَدَنِ، وَقِيلَ: هِيَ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِيهِ، وَالْجَمْعُ خِيْلَانٌ... وَفِي صِفَةِ خَاتَمِ النَّبَوَّةِ: «عَلَيْهِ خِيْلَانٌ» هُوَ جَمْعُ خَالٍ وَهِيَ الشَّامَةُ فِي الْجَسَدِ»^(٥).

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) الشماثل المحمدية للترمذي، ص ٤٦، والنسائي في السنن الكبرى، برقم ١٠٢٥٥، وصحح إسناده الهلالي في عجالة المتمني، ١/ ٤١٢، وصحح العلامة الألباني رواية الترمذي في مختصر الشماثل، برقم ٢٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسلم، برقم ٢٦٤٣، وفيه أنه رأى خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ، وتقدم في تخريج حديث المتن.

(٤) جامع الأصول، ١١/ ٢٤١.

(٥) لسان العرب، ١١/ ٢٢٩، مادة (خيل).

٦- قوله: «والثآليل»: قال ابن منظور رحمته الله: «الثآليل: جَمْعُ ثُلُولٍ، وَهُوَ الْحَبَّةُ تَظْهَرُ فِي الْجِلْدِ كَالْحِمَّةِ فَمَا دُونَهَا، وَالثُّلُولُ: حَلَمَةُ الثَّدي»^(١)، وقال القاري رحمته الله: «ثآليل: بِمُثَلَّثَةٍ، هَمْزَةٌ مَمْدُودَةٌ عَلَى زِنَةِ قَنَادِيلٍ، وَهُوَ جَمْعُ ثُلُولٍ، وَهِيَ الْحَبَّةُ الَّتِي تَظْهَرُ فِي الْجِلْدِ مِثْلَ الْحُمَصَةِ فَمَا دُونَهَا»^(٢).

٧- قوله: «الجمع»: قال الحميدي: لعله عنى جُمع الكف، وهو أن يجمع الرجل أصابعه ويعطفها إلى باطن الكف»^(٣).

٨- قوله: «فَرَجَعْتُ»: أَي: مِنْ خَلْفِهِ دَائِرًا»^(٤).

٩- قوله: «حَتَّى اسْتَقْبَلْتُهُ»: أَي: وَقَفْتُ أَوْ قَعَدْتُ مُسْتَقْبِلًا لَهُ»^(٥).

١٠- قوله: «فَقُلْتُ: غفر الله لك»: شُكْرًا لِلإِقَائِهِ الرِّدَاءِ حَتَّى رَأَيْتُ الْخَاتَمَ»^(٦).

١١- قوله: «فَقَالَ: وَلَكَ»: أَي: وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ بِالْخُصُوصِ أَيْضًا حَيْثُ اسْتَغْفَرْتُ لِي أَوْ سَعَيْتَ لِرُؤْيَا خَاتَمِي، أَوْ آمَنْتَ بِي، وَانْقَدْتُ لِي، وَقِيلَ: هَذَا مِنْ مُقَابَلَةِ الْإِحْسَانِ بِالْإِحْسَانِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ دُعَاءَهُ أَفْضَلُ مِنْ دُعَائِهِ حَقِيقَةً وَإِنْ كَانَ دُونَهُ ضُورَةً»^(٧).

١٢- قوله: «فَقَالَ الْقَوْمُ»: أَي: الَّذِينَ يُحَدِّثُهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَرْجَسٍ، وَقَائِلُ هَذَا الْكَلَامِ هُوَ عَاصِمُ الْأَحْوَلِ، أَوْ الْمُرَادُ أَصْحَابُهُ عليهم السلام، وَقَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ هُوَ

(١) لسان العرب، ١١ / ٨١، مادة (ثأل).

(٢) جمع الوسائل في شرح السمائل، ص ٨٨.

(٣) جامع الأصول، ١١ / ٢٤١.

(٤) جمع الوسائل في شرح السمائل، ص ٨٨.

(٥) جمع الوسائل في شرح السمائل، ص ٨٨.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

عَبْدُ اللَّهِ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ الْمُتَبَادِرُ»^(١).

ثالثاً: ما استفاد من الحديث:

- ١- ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من المحبة الصادقة للرسول ﷺ والحرص على صحبته ودعائه لهم.
- ٢- حرص النبي ﷺ على إكرام أصحابه والدعاء لهم، وبيان تمام تواضعه، وتبسطه معهم، وهو في أعلى مقامات الخشية، والعبودية لربه ﷻ.
- ٣- فيه منقبة عظيمة لعبد الله بن سرجس رضي الله عنه حيث دعا له النبي ﷺ بالمغفرة وهو مجاب الدعوة^(٢).

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: شرح حصن المسلم لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٥٦٧.

٨٧ - الدُّعَاءُ لِمَنْ صَنَعَ إِلَيْكَ مَعْرُوفًا

١٩٨- «جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٧٥- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «أسدى معروفاً»: قال ابن الأثير رحمته الله: «أسدى وأولى بمعنى: أعطى...»^(٤).
- ٢- قوله: «معروفاً»: قال ابن الأثير رحمته الله: «المعروف: صفة لمحذوف: أي شيئاً معروفاً، والمراد به: الجميل، والبر، والإحسان في القول والعمل»^(٥).
- ٣- قوله: «من صنع إليه معروف»: إما بالفعل أو بالقول، قال ابن منظور رحمته الله:

(١) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الثناء بالمعروف، برقم ٢٠٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٢٤٤، وفي صحيح الترمذي، ٢/ ٢٠٠، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقال لمن صنع إليه معروف، برقم ١٠٠٠٨، وقال ابن الأثير في جامع الأصول، ٢/ ٥٦١: «وفي رواية قال: «مَنْ أَوْلَى مَعْرُوفًا- أو قال: أسدي إليه معروف، فقال للذي أسداه إليه: جزاك الله خيراً، فقد أبلغ في الثناء» وقال العلامة الألباني في صحيح التهذيب والترغيب، ١/ ٢٣٥ وصححه: «وفي رواية: «من أولى معروفاً، أو أسدي إليه معروف، فقال للذي أسداه: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء». رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب، قال الحافظ: وقد أسقط من بعض نسخ الترمذي.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٥٥٢ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٢٠٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٢٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) جامع الأصول، ٢/ ٥٦١.

(٥) جامع الأصول، ٢/ ٥٦٢.

«وَالصَّنْعُ: الرِّزْقُ، وَالصَّنْعُ - بِالضَّم -: مَصْدَرُ قَوْلِكَ: صَنَعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفاً، تَقُولُ صَنَعَ إِلَيْهِ غُرْفاً صُنْعاً، وَاضْطَنَعَهُ، كِلَاهُمَا قَدَّمَهُ، وَصَنَعَ بِهِ صَنِيعاً قَبِيحاً أَيْ: فَعَلَ، وَالصَّنِيعَةُ مَا اضْطُنِعَ مِنْ خَيْرٍ، وَالصَّنِيعَةُ مَا أُعْطِيَتْهُ وَأُسْدِيَتْهُ مِنْ مَعْرُوفٍ، أَوْ يَدٍ إِلَى إِنْسَانٍ تَضَطَّنَعَهُ بِهَا، وَجَمَعَهَا الصَّنَائِعُ»^(١).

٤- قوله: «جزاك الله خيراً»: قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «أَي: قَضَى لَكَ خَيْراً وَأَثَابَكَ عَلَيْهِ: يَعْني أَطْلَبُ مِنَ اللهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ»^(٢).

٥- قوله: «أبلغ في الثناء»: أَي: بِالْغِى فِي الشُّكْرِ، قَالَ الْمَنَاوِي رَحِمَهُ اللهُ: «أَي: بِالْغِى فِيهِ، وَبَذَلَ جُهْدَهُ فِي مَكْافَاتِهِ عَلَيْهِ بِذِكْرِهِ بِالْجَمِيلِ، وَطَلَبَهُ لَهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى الْأَجْرَ الْجَزِيلَ، فَإِنْ ضَمَّ لِذَلِكَ مَعْرُوفاً مِنْ جِنْسِ الْمَفْعُولِ مَعَهُ، كَانَ أَكْمَلَ، هَذَا مَا يَقْتَضِيهِ هَذَا الْخَبَرُ، لَكِنْ يَأْتِي فِي آخِرِ مَا يَصْرَحُ بِأَنْ الْاِكْتِفَاءَ بِالْدَعَاءِ إِنَّمَا هُوَ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْ مَكْافَاتِهِ بِمِثْلِ مَا فَعَلَ مَعَهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «اشتمل على الدعاء والثناء لأن طلب الجزاء من الله يدل على أنه قد أسدى إليه إنعاماً، وأنه قد اعترف به وطلب من الله تعالى أن يكافئه؛ لأنه ليس في قدرته مكافأته، ونكر الخير لإفادة التعظيم فقد أبلغ في الثناء»^(٤).

٢- الحث على شكر من أحسن إلى الشخص، وهذا لا ينافي شكر الله ﷻ لقوله ﷻ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»^(٥)؛ لِأَنَّ الَّذِي يَشْكُرُ النَّاسَ مِنْ

(١) لسان العرب، ٨ / ٢٠٨، مادة (صنع).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١ / ٥٢٦.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١ / ٥٢٦.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢ / ١٥٨.

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، برقم ١٩٥٥، ومسنند

أحمد، ١٢ / ٤٧٢، برقم ٧٥٠٤، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٥٤١.

باب أولى أن يشكر رب الناس فهو صاحب الإحسان كله، قال الله ﷻ: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾^(١).

٣- المسلم مدعو إلى مقابلة السيئة بالحسنة أو بسيئة مثلها لقوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢)، فما بالك بمن أحسن إليك؟ قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(٣)، وقال النبي ﷺ: «ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»^(٤).

٤- في الحديث الآخر عن ابن عمر رضي الله عنهما^(٥)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَكَمُ بِاللَّهِ فَأَعْطَوْهُ، وَمَنْ اسْتَعَاذَكُمُ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ أَتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ، وَمَنْ اسْتَجَارَكُمْ فَأَجِيرُوهُ»^(٦).

٥- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «إذا صنع إليك إنسان معروفاً بمال، أو مساعدة، أو علم، أو جاه يعني توجه لك أو غير ذلك؛ فإن النبي ﷺ أمر أن تكافئ صانع المعروف، فقال: «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه»، والمكافأة

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٤) أبو داود، كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله، ولفظه كاملاً: «عن عبد الله بن عمر، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ» وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١٧٦٢.

(٥) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٦) أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرجل يستعيز من الرجل، برقم ٥١٠٩، ومسند أحمد، ٩/ ٢٦٦، برقم ٥٣٦٥، وصححه محققو المسند.

تكون بحسب الحال من الناس، من تكون مكافأته أن تعطيه مثل ما أعطاك أو أكثر، ومن الناس من تكون مكافأته أن تدعو له، ولا يرضى أن تكافئه بمال؛ فإن الإنسان الكبير الذي عنده أموال كثيرة، وله جاه وشرف في قومه، إذا أهدى إليك شيئاً فأعطيته مثل ما أهدى إليك، رأى في ذلك قصوراً في حقه، لكن مثل هذا ادع الله له؛ فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه، ومن ذلك أن تقول له: «جزاك الله خيراً» إذا أعطاك شيئاً، أو نفعلك بشيء، فقل له: جزاك الله خيراً، فقد أبلغت في الشناء؛ وذلك لأن الله تعالى إذا جزاه خيراً، كان ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة»^(١).

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، شرح الحديث رقم ١٤٩٨.

٨٨ - مَا يَعِصُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الدَّجَالِ

١٩٩- «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ»^(١)، وَالْاِسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَتِهِ عَقِبَ الشَّهَادَةِ الْآخِرَةِ مِنْ كُلِّ صَلَاةٍ^(٢).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٧٦- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه^(٣)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ». وفي رواية: «مَنْ آخَرَ الْكَهْفِ»^(٤).

٦٧٧- وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها^(٥)، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا، وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثِمِ وَالْمَغْرَمِ» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»^(٦).

٦٧٨- وَلَفِظَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ، عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» قَالَ حَجَّاجٌ: «مَنْ قَرَأَ

(١) مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، برقم ٨٠٩، ومسنَد أحمد، ٤٥/ ٥٠٨، برقم ٢٧٥١٦، وصححه محققو المسند، ٤٥/ ٥٠٩. وصحيح ابن حبان، ٣/ ٦٦، وصححه إسناده محققه، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢/ ١٨٣.

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، برقم ٨٣٢، واللفظ له، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يُستعاذ منه في الصلاة، برقم ٥٨٩.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤ من أحاديث الشرح.

(٤) مسلم، برقم ٨٠٩، وفي رواية: من آخر الكهف، برقم ٨٠٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٦) البخاري، برقم ٨٣٢، ومسلم، برقم ٥٨٩، وتقدمت ترجمته في حديث المتن.

الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ»^(١).

٦٧٩- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَمَا أَنْزَلَتْ، ثُمَّ أَدْرَكَ الدَّجَالَ لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَانَ لَهُ نُورًا مِنْ حَيْثُ قَرَأَهَا مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ»^(٢).

٦٨٠- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ الثُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»^(٣).

٦٨١- وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه^(٤)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلَقَ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَالِ»^(٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف»: قال القاضي

(١) مسند أحمد، برقم ٢٧٥١٦، وصححه محققو المسند، ٤٥ / ٥٠٩. وصحيح ابن حبان، ٣ / ٦٦، وصححه إسناده محققه، والألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢ / ١٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر ثوبان فيما يجير من الدجال، برقم ١٠٧٩٠، والحاكم، ٤ / ٥١١، وشعب الإيمان للبيهقي، ٣ / ١١٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١ / ٢٣٩: «رجاله رجال الصحيح» وقال ابن الملقن في البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير للرافعي، ٢ / ٢٩٢: «وَرَأَيْتُ فِي عِلَلِ الدَّارِقُطِيِّ أَنْ وَقَفَ هَذَا الْحَدِيثُ هُوَ الصُّوَابُ، وَعَنِ النَّسَائِيِّ أَنْ رَفَعَهُ خَطَأً، وَأَنَّ الصُّوَابَ وَقَفَهُ، وَلَكَ أَنْ تَقُولَ: أَيْ ذَلِيلٌ عَلَى صَوَابِ رِوَايَةِ الْوَقْفِ، وَخَطَأُ رِوَايَةِ الرَّفْعِ، وَرِوَاةُ هَذِهِ هُمْ رِوَاةُ هَذِهِ؟ وَالْحَقُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، الَّذِي لَا يَتَضَحَّ غَيْرُهُ أَنَّ رِوَايَةَ الرَّفْعِ ضَرِيحَةٌ ضَحِيحَةٌ كَمَا قَرَّرْنَا».

(٣) رواه الحاكم، ٢ / ٣٦٨، والبيهقي، ٣ / ٢٤٩، وصححه الألباني في صحيح التريغ والتريهيب، ١ / ١٨٠، وقال: «رواه النسائي، والبيهقي مرفوعاً، والحاكم مرفوعاً، وموقوفاً أيضاً، وقال: صحيح الإسناد».

(٤) عمران بن حصين الخزاعي الكعبي، يكنى أبا نجيد، أسلم عام خير، وغزا عدة غزوات واستقضي على البصرة، فأقام قاضياً يسيراً، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، قال عنه مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: من أفضل من نزل البصرة من أصحاب رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، سكن البصرة، ومات بها سنة ثنتين وخمسين في خلافة معاوية.

انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣ / ١٢٠٨، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤ / ٥٨٤.

(٥) مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال، برقم ٢٩٤٦.

عياض رحمته: «لما في قصة أصاب الكهف من العجب والآيات، فمن علمهما لا يستغرب أمر الدجال، ولا فتن به، أو يكون هذا من خصائص الله لمن حفظ ذلك»^(١)، وقال القرطبي رحمته: «سورة الكهف لما في قصة أصحاب الكهف من العجائب والآيات، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال، ولم يَهْلُهُ ذلك، فلا يفتن به من فتنه»^(٢).

٢- قوله: «(من آخر سورة الكهف): قال القرطبي رحمته: «(من آخر سورة الكهف: وقيل: لما في قوله: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ وما بعدها، فيه من التنبيه على أمر الدجال، والتنبيه على المفتونين، والأخسرين أعمالاً، وفي آخر الآيات من ذكر التوحيد، وأن لا يشرك بالله أحداً»^(٣).

٣- قوله: «(عصم): بصيغة المجهول أي: وقى وحفظ من شره وفتنه العظيمة. قال الحافظ ابن حجر: «وَمَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ حَمَاهُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْهَلَاكِ، أَوْ مَا يَجُرُّ إِلَيْهِ، يُقَالُ: عَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَكْرُوهِ: وَقَاهُ، وَحَفِظَهُ»^(٤).

٤- قوله: «(من الدجال): قال ابن الأثير رحمته: «وَهُوَ الَّذِي يَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَدَّعِي الْأُلُوهِيَّةَ، وَفَعَّالٌ مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ، أَيْ: يَكْثُرُ مِنْهُ الْكَذِبُ وَالتَّلْبِيسُ»^(٥)، وقال ابن الجوزي رحمته: «والدجال: الكذاب وقد اشتهر عند الإطلاق بالذي يخرج في آخر الزمان»^(٦)، وقال النووي رحمته: «الدجال عدو

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ١٧٧.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٧/ ٧١.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٣/ ١٧٧، وقد استوفيت الكلام حول الفتنة والفتن في شرح المفردة رقم

٤، ورقم ٥ في شرح مفردات حديث المتن رقم ٥٦، والمفردة رقم ٥ من حديث المتن رقم ٦٠.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ٥٠١، وتقدم في شرح المفردة الخامسة من حديث المتن رقم ٢١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ١٠٢ مادة (دجل).

(٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٤١٧.

الله: وهو المسيح الكذاب، سمي دجالاً لتمويهه، والدجل: التمويه، والتغطية، يقال: دجل فلان إذا موّه، ودجل الحق: غطّاه بباطله... وسمي دجالاً لكذبه، وكل كذاب دجال، وجمعه دجالون»^(١).

٥- قوله: «المسيح الدجال»: قال الباجي رحمته الله: «وُسَمِيَ الدَّجَالُ مَسِيحًا؛ لِأَنَّهُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْجَوْهَرِيُّ سُمِّيَ ابْنُ مَرْيَمَ مَسِيحًا؛ لِأَنَّهُ مَسَحَ بِالْبَرَكَةِ حِينَ وُلِدَ وَسُمِّيَ الدَّجَالُ مَسِيحًا بِالتَّخْفِيفِ مِنْ سِيَاخَتِهِ وَبِالثَّقِيلِ؛ لِأَنَّهُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ»^(٢).

٦- قوله: «فِتْنَةُ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»: قال الشوكاني رحمته الله: «قَالَ الْعُلَمَاءُ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْفِتْنَةُ: الْإِمْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْقَتْلِ وَالْإِحْرَاقِ وَالتَّهْمَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ»^(٣).

٧- قوله: «المأثم»: قال ابن منظور رحمته الله: «الْإِثْمُ: الذَّنْبُ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَعْمَلَ مَا لَا يَحِلُّ لَهُ... وَتَأْتُمُ الرَّجُلُ: تَابَ مِنَ الْإِثْمِ، وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ، وَأُثِمَ فُلَانٌ بِالْكَسْرِ يَأْتُمُ إِثْمًا، وَمَأْتَمًا، أَي: وَقَعَ فِي الْإِثْمِ، فَهُوَ آثِمٌ، وَأُثِمَ»^(٤).

٨- قوله: «المغرم»: قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «فإن المأثم يوجب خسارة الآخرة، والمغرم يوجب خسارة الدنيا»^(٥)، وقال العلامة ابن حجر رحمته الله: «وَالْمَغْرَمُ: أَي: الدَّيْنُ، ... وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ اسْتَعَاذَ ﷺ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ رحمته الله: «الْمَغْرَمُ: الْغُرْمُ»^(٦).

٩- قوله: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»: قال

(١) تهذيب الأسماء واللغات، ١ / ١٨٤.

(٢) المتقنى شرح الموطأ، ٧ / ٢٣١.

(٣) نيل الأوطار، ٦ / ٣١٣.

(٤) لسان العرب، ١ / ٢٣، مادة (أثم)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من شرح مفردات حديث المتن رقم ٥٦.

(٥) الفوائد، ص ٥٩.

(٦) فتح الباري، ٢ / ٣١٩. وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من شرح مفردات حديث المتن رقم ٥٦.

القاضي عياض رحمته الله: «تفسيره الحديث الذي بعده، وفيه: «أمر أكبر من الدجال»، فهو كبر الشأن، وعظم الفتنة، لا كبر الجسم، هذا الأظهر، وقد يحتمل أنه يشير إلى عظم الجسم»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- فضل قراءة فواتح سورة الكهف^(٢) للنجاة من فتنة الدجال والمراد بالفواتح حفظ العشر آيات الأول. قال النووي: والسبب في ذلك ما في أولها من العجائب والآيات فمن تدبرها لم يفتن بالدجال، وفي رواية: «من آخر الكهف»^(٣) أي: من قوله: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾^(٤).

٢- قال القرطبي رحمته الله في سبب عصمة من حفظ هذه الآيات: «سورة الكهف لما في قصة أصحاب الكهف من العجائب والآيات، فمن علمها لم يستغرب أمر الدجال، ولم يهله ذلك، فلا يفتن به من فتنته، فيكون معنى هذا الحديث: أن من قرأ هذه الآيات، وتدبرها، ووقف على معناها؛ حذر فآمن من ذلك، وقيل: هذا من خصائص هذه السورة كلها، فمن قرأها كلها عصم من الدجال، وعلى هذا تجتمع رواية من روى: «من أول سورة الكهف»، ورواية من روى: «من آخرها»، ويكون ذكر العشر على جهة الاستدراج في حفظها كلها... فإنه يهون الصبر على فتن الدجال بما يظهر من جنته وناره، وتنعيمه وتعذيبه، ثم ذمه تعالى لمن اعتقد الولد؛ يفهم منه: أن من ادعى الإلهية أولى بالذم، وهو الدجال، ثم قضية أصحاب الكهف؛ فيها عبر تناسب العصمة من الفتن، وذلك أن الله تعالى

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٨/ ٥٠٤.

(٢) حديث قراءة فواتح الكهف عند مسلم (٧٢٩٩).

(٣) مسلم، برقم ٨٠٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) سورة الكهف، الآية: ١٠٢.

حكى عنهم أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَتِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾^(١)، فهؤلاء قوم ابتلوا فصبروا، وسألوا إصلاح أحوالهم، فأصلحت لهم، وهذا تعليم لكل مدعوٍ إلى الشرك^(٢).

٣- عظم فتنه الدجال لمواظبة النبي ﷺ على التعوذ من فتنته عقب التشهد الأخير من كل صلاة.

٤- قد يقول قائل لماذا لم يذكر الدجال في القرآن مع أنه أعظم الفتن؟

والجواب ذكره أهل العلم بقولهم:

أ- أنه مذكور ضمن الآيات التي ذكرت في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾^(٣)، وهذه الآيات هي الدجال وطلوع الشمس من مغربها والدابة^(٤).

ب- أن القرآن ذكر نزول عيسى عليه السلام وهو الذي يقتل الدجال فاكتفى بذكر مسيح الهدى عن ذكر مسيح الضلالة.

ج- أنه مذكور في قوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾^(٥)، ويدخل في الناس هنا الدجال وهذا من إطلاق الكل على البعض.

د- أن القرآن لم يذكر الدجال احتقاراً له؛ لأنه يدعي الربوبية أما ذكر فرعون وقد ادعى الربوبية والألوهية؛ لأن أمره قد انتهى بخلاف الدجال^(٦).

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٢/ ٤٣٩.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٤) مسلم، برقم ٢٩٠١، وفيه ذكر هذه الآيات بغير هذا الترتيب.

(٥) سورة غافر، الآية: ٥٧.

(٦) انظر: أشراط الساعة ليويسف الوائيل، ص ٣٦٤.

٨٩ - الدعاء لمن قال: إني أحبك في الله

٢٠٠- «أحبك الذي أحببتني له»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٨٢- لفظ أبي داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه^(٢): أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فمرَّ به رجلٌ، فقال: يا رسول الله ﷺ، إني لأحبُّ هذا، فقال له النبي ﷺ: «أَعَلِمْتَهُ؟» قال: لا، قال: «أَعَلِمْتَهُ» قال: فَلَحِقَهُ، فقال: إني أُحِبُّكَ في الله، فقال: أُحِبُّكَ الذي أَحَبَّبْتَنِي له»^(٣).

٦٨٣- رواية البخاري في الأدب المفرد عن مُجَاهِدٍ قَالَ: لَقِينِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، قَالَ: أَمَا إِنِّي أُحِبُّكَ ، قَالَ: أُحِبُّكَ الَّذِي أَحَبَّبْتَنِي لَهُ، فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ أَحَبُّهُ» مَا أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ يَعْزِضُ عَلَيَّ الْخُطْبَةَ قَالَ: أَمَا إِنَّ عِنْدَنَا جَارِيَةً، أَمَا إِنَّهَا عَوْرَاءٌ»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الرجل يحب الرجل على خير يراه، برقم ٥١٢٥، وأحمد، ٤١٨ / ١٩، برقم ١٢٤٣٠، والبخاري في الأدب المفرد، ص ١٩١، برقم ٥٤٣، وعبد الرزاق في المصنف، ٢٠٠ / ١١، برقم ٢٠٣١٩، والبيهقي في شعب الإيمان، ٤٨٩ / ٦، والطبراني في الأوسط، ٢٢٧ / ٣، والمقدسي في المختارة، ٢ / ٢٤١، وقال: «إسناده صحيح» وصحح إسناده الإمام النووي في رياض الصالحين، ص ٤٧٧، ومحققو مسند الإمام أحمد، ٤١٨ / ١٩، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٩٦٥ / ٣، وصحح رواية الأدب المفرد، برقم ٤٢١، وحسن رواية عبد الرزاق في السلسلة الصحيحة، ٥٦ / ١٣، برقم ٣٢٥٣.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٥١٢٥، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٩٦٥ / ٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري في الأدب المفرد، برقم ٥٤٣، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٤٢١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦٨٤- ولفظ عبد الرزاق عن أنس بن مالك ؓ قال: مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعِنْدَهُ نَاسٌ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ عِنْدَهُ: إِنِّي لِأَحِبُّ هَذَا لِلَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعَلِمْتَهُ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَقُمْ إِلَيْهِ فَأَعْلِمْهُ» فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَعْلَمَهُ، فَقَالَ: أَحَبُّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ، قَالَ: ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ، وَلَكَ مَا احْتَسَبْتَ»^(١).

٦٨٥- عن أبي ذرٍ ؓ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ، فَلْيَأْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ لِلَّهِ»^(٢).

عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ حِمَصَ، فَإِذَا فِيهِ نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ كَهْلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا فِيهِمْ شَابٌّ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ، بَرَّاقُ الثَّنَائَا سَاكِتٌ، فَإِذَا امْتَرَى الْقَوْمُ فِي شَيْءٍ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ فَسَأَلُوهُ، فَقُلْتُ لِجَلِيسٍ لِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ^(٣)، فَوَقَعَ لَهُ فِي نَفْسِي حُبٌّ، فَكُنْتُ مَعَهُمْ حَتَّى تَفَرَّقُوا، ثُمَّ هَجَرْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ قَائِمٌ يُصَلِّي إِلَى سَارِيَةٍ، فَسَكَتَ لَا يُكَلِّمُنِي، فَصَلَّيْتُ، ثُمَّ جَلَسْتُ فَاحْتَبَيْتُ بِرِدَائِي، ثُمَّ جَلَسَ فَسَكَتَ لَا يُكَلِّمُنِي، وَسَكَتُ لَا أَكَلِّمُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ، قَالَ: فِيمَ تُحِبُّنِي؟ قَالَ: قُلْتُ: فِي اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَخَذَ بِحُبُوتِي، فَجَرَّنِي إِلَيْهِ هُنَيْئَةً، ثُمَّ قَالَ: أَبَشِّرْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ»، قَالَ: فَخَرَجْتُ

(١) أخرجه وعبد الرزاق في المصنف، برقم ٢٠٣١٩، والمقدسي في المختارة، ٢/ ٢٤١، وقال: «إسناده صحيح» وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ١٣/ ٥٦، برقم ٣٢٥٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسند أحمد، ٣٥/ ٢٢٠، برقم ٢١٢٩٤، وابن المبارك في الزهد، برقم ٧١٢، وضعفه محققو المسند، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٠/ ٥٠٠: «رواه أحمد وإسناده حسن»

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٧٩٧، وفي صحيح الجامع، برقم ٢٨١.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث الخامس من أحاديث الشرح في المقدمة، في فضل الذكر.

فَلَقِيتُ عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ رضي الله عنه ^(١)، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْوَلِيدِ، لَا أُحَدِّثُكَ بِمَا حَدَّثَنِي مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فِي الْمُتَحَابِّينَ؟ قَالَ: فَأَنَا أُحَدِّثُكَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَرْفَعُهُ إِلَى الرَّبِّ ﷻ قَالَ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ» ^(٢).

٦٨٦- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» ^(٣).

٦٨٧- ولفظ مسلم عن أنس رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ» ^(٤).

٦٨٨- وفي لفظ آخر لمسلم عن أنس رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ» ^(٥).

٦٨٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٩ من أحاديث الشرح.

(٢) الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الحب في الله، برقم ٢٣٩٠، مسند أحمد، ٣٦/٣٩٩، برقم ٢٢٠٨٠، واللفظ له، وصححه محققو المسند، ٣٦/٣٤٠، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٠١٩.

(٣) البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، برقم ١٦.

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٦٧- (٤٣).

(٥) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، برقم ٦٨- (٤٣).

الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «إني لأحب هذا»: أي في الله؛ وذلك لكونه طائعاً لربه ﷻ، قال ابن علان رحمه الله: كان الداعي إلى التأكيد التردد الناشئ مما يدل عليه حاله»^(٢).

٢- قوله: «أعلمته؟»: أي: هل أخبرته بذلك؟ قال الإمام البغوي رحمه الله: «ومعنى الإعلام: هو الحث على التودد والتآلف، وذلك أنه إذا أخبره، استمال بذلك قلبه، واجتلب به وده، وفيه أنه إذا علم أنه محب له، قبل نصحه فيما دله عليه من رشده، ولم يرد قوله فيما دعاه إليه من صلاح خفي عليه باطنه»^(٣).

٣- قوله: «فلحقه»: أي: تبعه، قال ابن منظور رحمه الله: «لحق: اللحق واللُّحق والإلحاق: الإدراك، لِحَقَّ الشيء، وَالْحَقَّةُ، وَكَذَلِكَ لِحَقَّ بِهِ، وَالْحَقَّ لِحَاقًا، بِالْفَتْحِ، أَي: أَذْرَكَ... وَفِي الْقُتُوبِ: «إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكَافِرِينَ مُلْحِقٌ» بِمَعْنَى لَاحِقٌ»^(٤).

٤- قوله: «أحبك الذي أحببني له»: أي: لأجله، وهذا دعاء وليس إخبار، قال الطيبي رحمه الله: «دعاء له، أخرج مخرج الماضي تحقيقاً له، وحرصاً على وقوعه»^(٥)، وقال المناوي رحمه الله: «إني أحبك لله: أي: لا لغيره، من إحسان أو غيره؛ فإنه أبقى للألفة، وأثبت للمودة، وبه يتزايد الحب ويتضاعف، وتجتمع الكلمة، وينتظم

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، برقم ٦٦٠، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، برقم ١٠٣١.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٨٨ / ٤.

(٣) شرح السنة، للإمام البغوي، ٦٧ / ١٣.

(٤) لسان العرب، ١٠ / ٣٢٧، مادة (لحق).

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠ / ٣٢٠٥.

الشمّل بين المسلمين، وتزول المفاصد والضغائن، وهذا من محاسن الشريعة»^(١).

٥- قوله: «فليخبره أنه يحبه»: قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «بأن يقول له: إني أحبك»^(٢)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «الحث على التودد والتألف، وذلك أنه إذا أخبر أنه يحبه استمال قلبه بذلك، واجتلب به وده، وفيه أنه إذا علم أنه محب له واد، قَبِلَ نصَحَه، ولم يردّ عليه قوله في عيب إن أخبره به»^(٣).

٦- قوله: «ولك ما احتسبت»: و: «ما اكتسبت»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «كلا اللفظين قريب من الآخر في المعنى المراد منه، أقول [القائل هو الطيبي]: وذلك لأن معنى اكتسب: كسب كسباً يعتدّ به، ولا يرد عليه بسبب الرياء والسمعة، وهذا هو معنى الاحتساب؛ لأن الافتعال للاعتمال، الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العد، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: احتسبه؛ لأن له حينئذ أن يعتد عمله، فجعل في حال مباشرة الفعل كأنه معتد به، والحسبة: اسم من الاحتساب، كالعدة من الاعتداد»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب إخبار المسلم لأخيه المسلم عن محبته له في الله ويستحب أن يذهب له إلى بيته.

٢- رباط العقيدة الصحيحة وطاعة الله ورسوله ﷺ أساس المحبة في الله، وقد عظم الله من شأن هذا الأمر، كما تقدم في الأحاديث.

٣- قال ابن مبارك: «[فيه] دليل على استحباب إظهار المحبة في الله،

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣١٩.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣١٩.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٢٠٥.

(٤) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠/ ٣٢٠٥.

والدعاء لفاعل الخير مثل عمله»^(١).

٣- للمحبة في الله حلاوة يجد العبد بها حلاوة الإيمان في قلبه كما أخبر بذلك الصادق المصدوق عليه السلام، ويكفي في ذلك أنهما من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

٤- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «من السنة إذا أحببت شخصاً أن تقول: إني أحبك، وذلك لما في هذه الكلمة من إلقاء المحبة في قلبه؛ لأن الإنسان إذا علم أنك تحبه أحبك، مع أن القلوب لها تعارف وتآلف، وإن لم تنطق الألسن، وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّخَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»^(٢)، لكن إذا قال الإنسان بلسانه، فإن هذا يزيده محبة في القلب»^(٣).

٥- أعظم من يحب في الله هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وإخوانه من النبيين عليهم الصلاة والسلام، ثم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم؛ لقول الله صلى الله عليه وسلم: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ»^(٤)، فهذه صفات عظيمة توجب لهم المحبة في الله، فمن كرههم، وعاداهم فلا إيمان عنده، ولا أمان له، والآيات والأحاديث في فضلهم كثيرة جداً صلى الله عليه وسلم^(٥).

(١) تطريز رياض الصالحين، ص ٢٥٩.

(٢) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب الأرواح جنود مجندة، برقم ٦٣٣٣، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة، برقم ٢٦٣٨.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٣٨٥.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٥) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٥٧٣.

٩٠ - الدعاء لمن عرض عليك ماله

٢٠١- «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٩٠- لفظ البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه^(٢) قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ، فَأَخَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَفَاسْمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَأَزْوَجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُونِي عَلَى الشُّوقِ، فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقِطًا وَسَمْنًا، فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ، فَمَكَّنْتُنَا يَسِيرًا، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضُرُّ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَهْمِمْ!» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: «مَا سَقَتْ إِلَيْهَا؟» قَالَ: نَوَاءٌ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ وَزَنَ نَوَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: «أَوَّلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(٣).

٦٩١- ولفظ ثانٍ للبخاري: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه^(٤) قَالَ: لَمَّا

(١) البخاري، كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٠٢﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾، برقم ٢٠٤٩، وكتاب مناقب الأنصار، باب إichاء النبي ﷺ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، برقم ٣٧٨٠، وكتاب مناقب الأنصار، باب كَيْفَ أَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، برقم ٣٩٣٧، وكتاب النكاح، باب قول الرجل لأخيه: انظر أي زوجتي شئت حتى أنزل لك عنها، برقم ٥٠٧٢، وكتاب النكاح، باب الوليمة ولو بشاة، برقم ٥١٦٧، والقصة في صحيح مسلم، برقم ١٤٢٧، ومسند الشافعي، ص ٢٤٦، برقم ١٢١١، وصححها ابن الأثير في الشافعي في شرح مسند الشافعي، ٤/ ٤٣٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٢٠٤٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) عبد الرحمن بن عوف: أبو محمد القرشي، الزهري، حرم الخمر في الجاهلية، وأسلم قبل أن

قَدِمُوا الْمَدِينَةَ أَخَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ، فَاَنْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطْلِقَهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ، فَدَلَّوْهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الْعُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَهَيْمُ؟» قَالَ: تَزَوَّجْتُ، قَالَ: «كَمْ سَقْتِ إِلَيْهَا؟»، قَالَ: نَوَاءً مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ وَزَنَ نَوَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ، شَكَ ابْنُ رَاهِيمٍ»^(١).

٦٩٢- ولفظ ثالث للبخاري: عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ، فَأَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ، فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَرَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَيَّامٍ، وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَهَيْمُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ!» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: «فَمَا سَقْتِ فِيهَا؟» فَقَالَ: وَزَنَ نَوَاءً مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَّلِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(٢).

٦٩٣- ولفظ آخر للبخاري: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَأَخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، وَعِنْدَ الْأَنْصَارِيِّ

يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وأخذ العشرة، وأخذ البسطة أهل الشورى، وأخذ السابقين البذريتين، وهو أخذ الثمانية الذين باذروا إلى الإسلام، وقد كان ﷺ شديد الإحسان إلى زوجات النبي ﷺ بعد وفاته، فباع حديقة كانت له بأربع مائة ألف، فقسمها عليهن رضي الله عنهن [الترمذي، برقم ٣٧٥٠، وحسنه الألباني في المشكاة برقم ٦١٢١]، مات عبد الرحمن ﷺ في سنة اثنتين وثلاثين وعمره خمس وسبعون سنة، ودفن بالبقيع. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٢/ ٨٤٤، وسير أعلام النبلاء، ترجمة رقم (٤)، والإصابة في تمييز الصحابة، ٤/ ٣٤٦.

(١) البخاري، برقم ٣٧٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ٣٩٣٧، تقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

أَمْرَاتَانِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، ذُلُونِي عَلَى الشُّوقِ، فَأَتَى الشُّوقَ فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ، وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ، فَرَأَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضُرٌّ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ: «مَهَيْمَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ!» فَقَالَ: تَزَوَّجْتُ أَنْصَارِيَّةً، قَالَ: «فَمَا سُقَّتْ إِلَيْهَا؟» قَالَ: وَزَنَ نَوَاقِ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: «أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(١).

٦٩٤- ولفظ آخر للبخاري: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، نَزَلَ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ، فَتَزَلَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ: أَقَاسِمُكَ مَالِي، وَأَنْزِلْ لَكَ عَنْ إِحْدَى أَمْرَاتِي، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، فَخَرَجَ إِلَى الشُّوقِ، فَبَاعَ وَاشْتَرَى، فَأَصَابَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ فَتَزَوَّجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(٢).

٦٩٥- ولفظ الشافعي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ أَشْهَمَ النَّاسَ الْمَنَازِلَ، فَطَارَ سَهْمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَلَى سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: تَعَالَ حَتَّى أَقَاسِمَكَ مَالِي، وَأَنْزِلْ لَكَ عَنْ أَيِّ أَمْرَاتِي شِئْتَ، وَأَكْفِيكَ الْعَمَلَ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، ذُلُونِي عَلَى الشُّوقِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَأَصَابَ شَيْئًا، فَحَطَبَ امْرَأَةً فَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟» قَالَ: عَلَى نَوَاقِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»^(٣).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لما قدم المدينة»: أي مهاجرًا من مكة إلى الله ورسوله ﷺ. قال ابن حزم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثم قدم المدينة ابن عبيد الله، فنزل هو وصهيب بن سنان، على

(١) البخاري، برقم ٥٠٧٢، تقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) البخاري، برقم ٥٠٧٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) مسند الشافعي، برقم ١٢١١، وصححه ابن الأثير في الشافعي في شرح مسند الشافعي، ٤/ ٤٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

خبيب ابن إسافن في بني الحارث بن الخزرج بالسنع ، ويقال: بل نزل عبد الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع في بني الحارث بن الخزرج»^(١).

٢- قوله: «آخى»: قال ابن الملن رحمته الله: «والمؤاخاة: مفاعلة من الأخوة، ومعناها: أن يتعاقد الرجلان على التناصر والمواساة حتى يصيرا كالأخوين نسباً»^(٢).

٣- قوله: «وكان ذا غنى»: قال ابن الملن رحمته الله: «أي: المال، وكانوا يستكثرون منه للمواساة، ونعم الغبط عليه»^(٣).

٤- قوله: «وأزوجك»: يريد إحدى زوجتيه، جاء عند البخاري «ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقهما حتى إذا حلت تزوجتها»^(٤)، وكان هذا قبل نزول آية الحجاب واستقرار الشريعة.

٥- قوله: «بارك الله لك في أهلك ومالك»: أي: زادك نماءً في مالك وجعل البركة في أهلك وولدك، أي: في زوجك، وولدك، ومالك، وعمرك، وقال الطيبي رحمته الله: «لأنه المدعو أصالة، أي: بارك لك في هذا الأمر»^(٥).

٦- قوله: «دلوني على السوق»: يريد ليخرج إليها ويكسب فيها ويبيع ويشترى»^(٦).

٧- قوله: «سوق بني قينقاع»: قال ابن الملن رحمته الله: «مثلث النون، شعب من يهود المدينة، أضيف إليهم السوق، أجلاهم رسول الله ﷺ كانوا أرادوا أن

(١) جوامع السيرة، ص ٨٨.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملن، ٢٤ / ١٤.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملن، ٢٤ / ١٤.

(٤) البخاري، برقم ٣٧٨١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٩٠٦ / ٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من

مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.

(٦) الشافي في شرح مسند الشافعي، ٤ / ٤٣٦.

يلقوا عليه رحي»^(١).

٨- قوله: «مَهْيَم»: قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ما أمرك؟ كلمة يمانية»^(٢)، وقال ابن بطلال رَحِمَهُ اللهُ: «كلمة موضوعة للاستفهام، ومعناها ما شأنك وما أمرك؟»^(٣)، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «كلمة يمانية، بمعنى، ما أمرك، وما شأنك؟»^(٤).

٩- قوله: «أولم ولو بشاة»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: اتخذ وليمة»^(٥)، وقال رَحِمَهُ اللهُ: «الوليمة هي الطعام الذي يصنع عند العرس...»^(٦)، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «أولم الرجل على زوجته: إذا عمل للعرس طعاما»^(٧).

١٠- قوله: «أثر صفرة»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «الْصُّفْرَةُ مِنَ الْأَلْوَانِ: مَعْرُوفَةٌ تَكُونُ فِي الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ»^(٨)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «والمُرَادُ بِالصُّفْرَةِ سُفْرَةُ الْخُلُقِ وَالْخُلُقُ طِيبٌ يُصْنَعُ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَغَيْرِهِ»^(٩)، وقال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: «معناه: أنه تعلق به أثر من الزعفران، أو غيره من طيب العروس»^(١٠).

١١- قوله: «على وزن نواة من ذهب»: قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: على مقدار خمسة دراهم وزناً من الذهب، يعني ثلاثة مثاقيل ونصفاً ذهباً، وقيل معناه على

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٨٢ / ٢٠.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٨٢ / ٢٠.

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطلال، ١٦٧ / ٧.

(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ١٣ / ٧.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢٣١٥ / ٧.

(٦) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٢٣١٤ / ٧. وتقدم في شرح المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.

(٧) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ١٤ / ٧.

(٨) لسان العرب، ٤ / ٤٦٠، مادة (صفر).

(٩) فتح الباري، ٢٣٣ / ٩.

(١٠) الديباج على مسلم، للسيوطي، ٣٣ / ٤. وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.

ذهب تساوي قيمته خمسة دراهم»^(١)، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «وزن نواة: النواة: اسم لما وزنه خمسة دراهم...، وقيل: إنه إنما تزوجها على ذهب قيمته خمسة دراهم، أن ذلك الذهب كان مقدار نواة، ويجوز أن يكون أراد وزن نواة»^(٢)، وقال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ: «على وزن نواة: هي اسم لمقدار كان معروفاً عندهم، فُسِّرَتْ بخمسة دراهم، وقيل ثلاثة دراهم وثلاث، وقيل نواة التمر أي: وزنها»^(٣).

١٢- قوله: «وضر»: قال ابن الأثر رَحِمَهُ اللهُ: «الوضر: أثر من خلوق، أو طيب، ولطخ منه، وذلك من عادة العرس إذا بنى بأهله، والوضر: الوسخ، واللوث، ويكون الوضر من الصفرة والحمرة والطيب»^(٤).

١٣- قوله: «أسهم الناس المنازل»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: أقرع بينهم، تقول ساهمت فلاناً أي: قارعته...، واستهموا: اقترعوا، فكان معنى «أسهم الناس» أي: حملهم على المساهمة، وجعل لهم في المنازل سهماً، وذلك أن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وهاجر المسلمون إليه، لم يكن لهم بها منازل يسكنونها، ويأوون إليها، فاستهم الأنصار فيما بينهم أن يسكنوهم في منازلهم معهم، فاقترعوا على المهاجرين، فوقع كل واحد من المهاجرين عند أنصاري، فكان عبد الرحمن بن عوف من المهاجرين في سهم سعد بن الربيع الأنصاري»^(٥).

١٤- قوله: «فطار سهم عبد الرحمن»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: خرج؛ تقول: اقتسموا داراً فطار سهم فلان كيت وكيت، أي: خرج وجرى فيها

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢٣١٥. وتقدم في شرح المفردة رقم ٧ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول (١٣/ ٧)

(٣) الديباج على صحيح مسلم، للسيوطي، ٤/ ٣٣.

(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول (١٣/ ٧)

(٥) الشافعي في شرح مسند الشافعي (٤/ ٤٣٥)

سهمه، قال الأزهري: العرب تقول: أطرت المال، وطيرته بين القوم، فطار لكل منهم سهم. أي: صار له وخرج بسهمه»^(١).

١٥- وقوله: «فأصاب شيئاً»: قال ابن الأثير رحمته الله: «أي: ربح، وجعل له كسب»^(٢).

١٦- قوله: «أنزل لك عن أي امرأتين شئت»: قال ابن الأثير رحمته الله: «أي: أطلقها لأجلك فتنكحها، فكني عن الطلاق بالنزول؛ لأنه بعقد نكاحها مستعل عليها، متمكن منها، فإذا طلقها فقد نزل عنها بزوال سبب الاستعلاء»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب قول هذا الدعاء لمن عرض على أخيه المساعدة بالمال أو ما يقوم مقامه من مسكن أو مركب أو غير ذلك.

٢- ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من التضحية والفداء لدين الله وترك الأوطان والأهل والضيعات لنصرة الإسلام.

٣- فيه منقبة كبيرة لسعد بن الربيع في إثارة عبد الرحمن بن عوف على نفسه لما ذكر وما كان عليه ابن عوف من التعفف والرغبة في أن يكسب من عمل يده. قال ابن التين: وقد كان هذا القول من سعد قبل أن يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار أن يكفوا المهاجرين عن العمل ويعطوهم نصف الثمرة^(٤).

٤- ما كان للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في صدر الدعوة من أثر عظيم في تقوية أواصر الإيمان والأخوة في الله.

٥- قال ابن الملقن رحمته الله: «فيه: تنزه الرجل عما يبذل له، ويعرض عليه من

(١) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ٤/ ٤٣٦.

(٢) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ٤/ ٤٣٦.

(٣) الشافعي في شرح مسند الشافعي، ٤/ ٤٣٦.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ٤/ ٣٤٥.

المال وغيره، والأخذ بالشدة على نفسه في أمر معاشه»^(١).

٦- وقال أيضاً: وفيه: أن العيش من متجر أو صناعة أولى بنزاهة الأخلاق من العيش من الصدقات والهبة وشبهها، وفيه: مباشرة الفضلاء للتجارات بأنفسهم، وتصرفهم في الأسواق في معاشهم، وليس ذلك بنقص لهم»^(٢).

٧- وقال ابن بطال رحمته الله: «في هذا الحديث ما كان عليه الصدر الأول من هذه الأمة من الإيثار على أنفسهم، وبذل النفس لإخوانهم، كما وصفهم الله في كتابه... وفيه: المواعدة بطلاق امرأة لمن يحب أن يتزوجها، وفيه تنزه الرجل عما يبذل له، ويعرض عليه من المال وغيره، والأخذ بالشدة على نفسه في أمر معاشه، وفيه: أن العيش من [تجارة] أو صناعة أولى بنزاهة الأخلاق من العيش من الصدقات والهبات وشبهها، وفيه: مباشرة الفضلاء للتجارات بأنفسهم وتصرفهم في الأسواق في معاشهم وليس ذلك نقص لهم، وفيه: سؤال الرجل عن من تزوج وما نقد ليعينه الناس على وليمته ومؤنته»^(٣).

٨- قال ابن الملقن رحمته الله: «وفي حديث عبد الرحمن: استحباب الذبح في الولائم لمن وجد ذلك، وفيه: أن الوليمة قد تكون بعد البناء؛ لأن قوله: «أُولِمَ وَلَوْ بِشَاةٍ» كان بعد البناء، وروى أشهب عن مالك أنه لا بأس بالوليمة بعد البناء، وإنما معنى الوليمة اشتهار النكاح، وإعلانه إذ قد تهلك البينة، قاله ربيعة ومالك، فكيفما وقع به الاشتهار جاز النكاح»^(٤).

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٤ / ١٩٦.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٤ / ١٩٧.

(٣) شرح صحيح البخاري، لابن بطال، ٧ / ١٦٧.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٤ / ٥١٥.

٩١ - الدُّعَاءُ لِمَنْ أَقْرَضَ عِنْدَ الْقَضَاءِ

٢٠٢- «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ: الْحَمْدُ، وَالْأَدَاءُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٦٩٦- لفظ النسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رُبَيْعَةَ رضي الله عنه ^(٢) قَالَ: اسْتَقْرَضَ مِنِّي النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَجَاءَهُ مَالٌ فَدَفَعَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ: الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ»^(٣).

٦٩٧- ولفظ ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رُبَيْعَةَ الْمَخْزُومِيِّ ^(٤) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَسَلَفَ مِنْهُ حِينَ غَزَا حُتَيْنًا ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا قَدِمَ قَضَاهَا إِيَّاهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْوَفَاءُ وَالْحَمْدُ»^(٥).

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب البيوع، الاستقراض، برقم ٦٢٨٠، وعمل اليوم والليلة، ما يقول إذا أقرض، برقم ١٠٢٠٤، وفي السنن (المجتبى) للنسائي، كتاب البيوع، الاستقراض، برقم ٤٦٨٣، وابن ماجه، كتاب الصدقات، باب حسن القضاء، برقم ٢٤٢٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٥٥/٢، وفي إرواء الغليل، برقم ١٣٨٨.

(٢) عبد الله بن ربيعة بن فرقد السلمي، كوفي، روى عنه عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال الحكم: له صحبة، وغيره ينفي ذلك، ويقولون حديثه مرسل، وذكر إسماعيل بن إسحاق عن علي بن المديني قال: عبد الله بن ربيعة السلمي له صحبة، توفي بعد الثمانين للهجرة. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٨٩٧/٣، وسير أعلام النبلاء، ٥٠٤/٣، ترجمة رقم ١١٦، والإصابة في تمييز الصحابة، ٧٩/٤.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم ٦٢٨٠، وصححه الألباني في إرواء الغليل، برقم ١٣٨٨،

(٤) عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، كان عبد الله من أشرف قريش في الجاهلية أسلم يوم الفتح وكان من أحسن قريش وجها يعد في أهل المدينة ومخرج حديثه عنهم من حديثه عن النبي ﷺ أنه قال إنما جزاء السلف: الحمد والوفاء، ويقولون إنه لم يرو عنه غير ابنه إبراهيم الاستيعاب، ٨٩٦/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ٧٩/٤.

(٥) أخرجه ابن ماجه، برقم ٢٤٢٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٥٥/٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦٩٨- عَنْ ابْنِ خُذَيْفَةَ، هُوَ عِمْرَانُ رحمته الله، عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ رحمته الله، قَالَ: كَانَتْ تَدَّانُ دَيْنًا، فَقَالَ لَهَا بَعْضُ أَهْلِهَا: لَا تَفْعَلِي، وَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: بَلَى، إِنِّي سَمِعْتُ نَبِيَّ وَخَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدَّانُ دَيْنًا، يَغْلَمَ اللَّهُ مِنْهُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَدَاءَهُ، إِلَّا أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا»^(١).

٦٩٩- وعن ضَهَبِ بْنِ الْخَيْرِ رحمته الله، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ تَدَّيَنَ دَيْنًا، وَهُوَ مُجْمَعٌ أَنْ لَا يُؤْفِيَهُ إِلَّاهُ، لَقِيَ اللَّهَ سَارِقًا»^(٢).

٧٠٠- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رحمته الله، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «استقرض»: أي: أخذ مني قرضاً حسناً على سبيل السلف، قال الزبيدي: «والقرض: الاسم، وهو ما يتجاذى به الناس بينهم ويتقاضونه وجمعه قروض... وفي الصحاح: القرض: ما تُعْطِيهِ من المالِ لثَقْضَاهُ»^(٤).

٢- قوله: «فدفعه لي»: أي: رد لي ما أقرضته، قال الزبيدي رحمته الله: «دَفَعَهُ وَدَفَعَ إِلَيْهِ شَيْئًا، وَدَفَعَ عَنْهُ الْأَذَى وَالشَّرَّ... وَإِذَا غَدِيَ الدَّفْعُ بِ(إِلَى) اقْتَضَى مَعْنَى الْأَمَانَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾»^(٥).

٣- قوله: «بارك الله لك في أهلك ومالك»: البركة الزيادة والنماء، قال

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الصدقات، باب من أدان ديناً وهو ينوي قضاءه، برقم ٢٤٠٨، والطبراني في الكبير، ٢٤/٢٤، برقم ٦١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٩٥٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه، باب الصدقات، باب من أدان ديناً لم ينو قضاءه، برقم ٢٤١٠، قال البوصيري، ٦٤/٣: «هذا إسناد حسن» والضياء المقدسي في المختارة، ٧٠/٨، وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ٣٧٢/٢: «إسناده متصل، لا بأس به» وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١٦٦/٢، برقم ١٨٠٢.

(٣) البخاري، كتاب الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، برقم ٢٣٨٧.

(٤) تاج العروس، ص ٤٧١١، مادة (قرض).

(٥) تاج العروس، ص ٥٢٠٨، مادة (دفع).

العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «... وإذا أنزل الله البركة لشخص فيما أعطاه، صار القليل منه كثيراً، وإذا نزلت البركة صار الكثير قليلاً، وكم من إنسان يجعل الله على يديه من الخير في أيام قليلة ما لا يجعل على يد غيره في أيام كثيرة؟، وكم من إنسان يكون المال عنده قليلاً، لكنه متنعم في بيته، قد بارك الله له في ماله، ولا تكون البركة عند شخص آخر أكثر منه مالا؟»^(١)، فقله: بارك الله لك: أي: بارك الله لك في زوجك، وولدك، ومالك، وعمرك، وقال الطيبي رحمته الله: «لأنه المدعو أصالة، أي: بارك لك في هذا الأمر»^(٢).

٤- قوله: «إنما جزاء»: «فإن قلت: هذا يوهم أن الزيادة على الدين غير جائزة؛ لأن (إنما) تثبت الحكم للمذكور، وتنفيه عما سواه، قلت: هو على سبيل الوجوب؛ لأن شكر المنعم وأداء حقه واجب، والزيادة فضل»^(٣).

٥- قوله: «السلف»: قال ابن الأثير رحمته الله: «القرض الذي لا منفعة فيه للمقرض غير الأجر والشكر، وعلى المقرض رده كما أخذه، والعرب تسمى القرض سلفاً»^(٤).

٦- قوله: «الحمد»: أي: حمد الله على التوفيق للسداد، ثم شكر من أقرضني، قال الصنعاني رحمته الله: «الحمد لمن أقرض أي: الشاء عليه»^(٥).

٧- قوله: «والأداء»: أي: إعطاء المال، وردّه إلى صاحبه، وعدم

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٤/ ٢٦، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ١١٦.

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢١٨٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ١٩٠.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٩٠، مادة (سلف).

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ١٩١.

مماطلته»^(١)، قال الفيومي رَحِمَهُ اللهُ: «أَدَّى الأمانةَ إلى أهلها تأديةً، إذا أوصلها، والاسم: الأداء»^(٢)، وقال الراغب الأصفهاني: «الأداء: دفع الحق دفعة وتوفيته، كأداء الخراج والجزية وأداء الأمانة»^(٣).

٨- قوله: «والوفاء»: قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «والوفاء بإعطاء ما أقرضه إياه وافيةً، قال الغزالي: يستحب للمدين عند قضاء الدين أن يحمد المقضي بأن يقول له: بارك الله لك في أهلك ومالك»^(٤).

٩- قوله: «غزا حنيناً»: قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «حنين: واد بين مكة والطائف وراء عرفات، بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً»^(٥)، وأما غزو النبي ﷺ لحنين فقال الكناني رَحِمَهُ اللهُ: «وفي السنة الثامنة غزوة الفتح في شهر رمضان، ثم غزوة رسول الله ﷺ حُنيناً في شوال في اثني عشر ألفاً من المسلمين: عشرة آلاف من أهالي المدينة، وألفين من أهل مكة»^(٦).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- ما كان عليه رسول الله ﷺ من الاهتمام بمصالح الأمة؛ لأنه اقترض هذه الأموال لإنجاز ما يعود بالنفع على المسلمين.

٢- قال الزبيدي رَحِمَهُ اللهُ: «القرض: ما تُعطيه من المال لتقضاه، وقال أبو إسحاق النحوي في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ الله قرضاً حسناً﴾»^(٧) قال: معنى

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤ / ١٩١.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ٩، مادة (أدى).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ٢٢.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ٤ / ١٩١.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات، ٣ / ٨٦.

(٦) المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ، ص ٣٧.

(٧) سورة القرة، الآية: ٢٥٤.

الْقَرْضُ: البلاءُ الْحَسَنُ، تقولُ العربُ: لَكَ عِنْدِي قَرْضٌ حَسَنٌ، وَقَرْضٌ سَيِّئٌ، وَأَصْلُ الْقَرْضِ: مَا يُعْطِيهِ الرَّجُلُ أَوْ يَفْعَلُهُ لِيُجَازِيَ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ ﷻ لَا يَسْتَقْرِضُ مِنْ عَوَزٍ، وَلَكِنَّهُ يَبْلُو عِبَادَهُ، فَالْقَرْضُ كَمَا وَصَفْنَا، قَالَ: وَهُوَ فِي الْآيَةِ اسْمٌ لِكُلِّ مَا يُلْتَمَسُ عَلَيْهِ الْجَزَاءُ، وَلَوْ كَانَ مُصَدَّرًا لَكَانَ إِقْرَاضًا^(١).

٣- القرض الحسن من مفاخر هذه الشريعة الغراء، ولا يكون حسنًا إلا إذا كان من حلال، ويعطيه صاحبه عن طيب نفس، راجيًا الثواب من الله بتفريج كربته أخيه المسلم، أما القروض الربوية فهي شؤم في الدنيا والآخرة.

٤- الواجب على من يقترض أن يحسن نيته، فيأخذ بنية الأداء في الموعد المحدد له، وعكس ذلك قوله ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ تَدِينُ دَيْنًا وَهُوَ مُجْمَعٌ أَنْ لَا يُوْفِيهِ إِيَّاهُ، لَقِيَ اللَّهَ سَارِقًا»^(٢) ومعنى مجمع أي: عازم.

٥- يجوز الزيادة عند رد الدين شريطة عدم اشتراط ذلك عند أخذ الدين لقول جابر رضي الله عنه: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «صَلِّ رَكْعَتَيْنِ» وَكَانَ لِي عَلَيْهِ دَيْنٌ فَقَضَانِي وَزَادَنِي^(٣).

٦- قال الطيبي رحمه الله: «إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ: فَإِنْ قُلْتَ: هَذَا يَوْهَمُ أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى الدِّينِ غَيْرُ جَائِزَةٍ؛ لِأَنَّ «إِنَّمَا» تَثْبُتُ الْحُكْمَ لِلْمَذْكُورِ، وَتَنْفِيهِ عَمَّا سِوَاهُ، قُلْتَ: هُوَ عَلَى سَبِيلِ الْوَجُوبِ؛ لِأَنَّ شُكْرَ الْمُنْعَمِ، وَأَدَاءَ حَقِّهِ وَاجِبَانِ، وَالزِّيَادَةُ فَضْلٌ»^(٤).

٧- حث الشرع الحنيف على إنظار المعسر، والصبر عليه؛ بل وإسقاط دينه لقوله ﷻ: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ

(١) تاج العروس، ص ٤٧١١، مادة (قرض).

(٢) ابن ماجه، برقم ٢٤١٠، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ١٨٠٢، وتقديم تخريجه في أحاديث ألفاظ المتن.

(٣) البخاري، كتاب الاستقراض، باب حسن القضاء، برقم ٢٣٩٤.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٧/ ٢١٨٢.

لَكُمْ^(١) وقال النبي ﷺ: «من أحب أن يظله الله في ظله، فلينظر معسرًا أو ليضع عنه»^(٢)، وقوله ﷺ: «من أنظر معسرًا كان له بكل يوم صدقة ومن أنظره بعد حله كان له مثله في كل يوم صدقة»^(٣).

٨- فإذا طلبه يطلبه في رفق ولين لقول النبي ﷺ: «مَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيُطْلَبْهُ فِي عَفَافٍ، وَافٍ أَوْ غَيْرِ وَافٍ»^(٤)، ومعنى في عفاف أي: لا يقع أثناء طلبه في أي محرم قولي أو فعلي، وقوله: «وافٍ أو غير وافي» أي: وفاه المدين أم لم يوفّه دينه.



(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٠.

(٢) مسند أحمد/ ٢٤ / ٢٧٨، برقم ١٥٥٢٠، وابن ماجه، كتاب الصدقات، باب إنظار المعسر، برقم ٢٤١٩، والبيهقي في السنن الكبرى، ٢٧/٦-٢٨، والطبراني في الكبير، ١٩ / ٣٧٦، وصححه محققو السند، ٢٤ / ٢٧٨، والألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٤١٠.

(٣) ابن ماجه، كتاب الصدقات، كتاب الصدقات، باب إنظار المعسر، برقم ٢٤١٨، وأحمد، ٦٩/٣٨، برقم ٢٢٩٧٠، والحاكم، ٢/٣٤، والبيهقي، ٥/٣٥٧، وصححه لغيره محققو المسند، ٦٩ / ٣٨، وصححه الألباني في الصحيحة، برقم ٨٦.

(٤) رواه ابن ماجه، كتاب الصدقات، باب حسن المطالبة وأخذ الحق في عفاف، برقم ٢٤٢١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٤١٢، وفي التعليق الرغيب، ٢٠/٣.

٩٢ - دُعَاءُ الْخَوْفِ مِنَ الشَّرِكِ

٢٠٣- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٠١- لفظ البخاري في الأدب المفرد قال معقل بن يسار: انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا أبا بكر، للشرك فيكم أخفى من ديب النمل»، فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلهاً آخر؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، للشرك أخفى من ديب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره؟ قال: قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»^(٢).

٧٠٢- ولفظ الحكيم الترمذي عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال أبو بكر رضي الله عنه، وشهد به على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ذكر الشرك فقال: «هو أخفى من ديب النمل، وسأدلك على شيء إذا فعلت أذهب عنك صغار الشرك وكباره، تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك فيما أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»^(٣).

(١) أحمد، ٣٨٣/٣٢، برقم ١٩٦٠٦، والأدب المفرد للبخاري، برقم ٧١٦، ونوادير الأصول في أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي، ١/٤، وضعفه محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٧١٦، وفي صحيح الجامع، برقم ٣٧٣١، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ١/١٩٩.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢١٤ من أحاديث الشرح.

(٣) الأدب المفرد للبخاري، برقم ٧١٦، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٧١٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) نوادر الأصول في أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي، ١/٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع،

٧٠٣- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قال: قلنا: بلى، فقال: «الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي، فيزيّن صلاته، لما يرى من نظر رجل»^(١).

٧٠٤- ولفظ أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كنا نتناوب رسول الله ﷺ، فنبئت عنده تكون له الحاجة، أو يطرفه أمر من الليل، فيبعثنا فيكثر الْمُحْتَسِبُونَ، وأهل الثوب، فكنا نتحدث، فخرج علينا رسول الله ﷺ من الليل فقال: «ما هذه التجوى؟ ألم أنهكم عن التجوى؟» قال: قلنا نتوب إلى الله يا نبي الله، إنما كنا في ذكر المسيح فرقا منه، فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي؟» قال: قلنا: بلى، قال: «الشرك الخفي: أن يقوم الرجل يعمل لِمَكَانٍ رَجُلٍ»^(٢).

٧٠٥- وفي لفظ آخر لأحمد عن سعد بن عبيدة، قال: جلست أنا ومحمد الكندي إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ثم قمت من عنده، فجلست إلى سعيد بن المسيب، قال: فجاء صاحبي وقد اضرَّ وجهه، وتغيَّر لونه، فقال: فم إلي، قلت: ألم أكن جالسا معك الساعة؟ فقال سعيد: فم إلى صاحبك، قال: فقمت إليه، فقال: ألم تسمع إلى ما قال ابن عمر؟ قلت: وما قال؟ قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، أعلي جناح أن أخلف بالكعبة؟ قال: ولم تخلف بالكعبة؟ إذا خلفت بالكعبة فاخلف برَبِّ الكعبة، فإن عمر كان إذا

=

برقم ٣٧٣١، وصحيح الترغيب والترهيب، ١٩/١، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، برقم ٤٢٠٤، قال البوصيري، ٢٣٧/٤: «هذا إسناده حسن» محسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٢٦٠٧.

(٢) أخرجه أحمد، ١٧/٣٥٤، برقم ١١٢٥٢، والحكيم الترمذي، ٢٢٨/٢، والحاكم وصححه، ٣٦٥/٤، وضعفه محققو المسند، ١٧/٣٥٥، وحسنه الألباني في المشكاة، برقم ٥٣٣٣.

حَلَفَ قَالَ: كَلَّا وَأَبِي، فَحَلَفَ بِهَا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحْلِفَ بِأَبِيكَ، وَلَا بِغَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١).

٧٠٦- ولفظ الترمذي عَنْ سَعْدِ بْنِ عُيَيْدَةَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَا وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَا يُحْلِفُ بِغَيْرِ اللَّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ، أَوْ أَشْرَكَ»^(٢).

٧٠٧- وفي لفظ لأحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يُحْلِفُ: وَأَبِي، فَتَنَاهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٣).

٧٠٨- وعن بُرَيْدَةَ بن الخصيب رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا»^(٤).

٧٠٩- وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشِئْتُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي وَاللَّهِ عِدْلًا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَخُدْهُ»^(٥).

٧١٠- ولفظ البخاري في الأدب المفرد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، قَالَ: «جَعَلْتُ لِلَّهِ نِدًّا؟ مَا شَاءَ اللَّهُ وَخُدْهُ»^(٦).

(١) مسند أحمد، ٢٧٥ / ٩، برقم ٥٣٧٥، وضعفه محققو المسند، ٢٧٦ / ٩، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٢٠٤.

(٢) الترمذي، كتاب الإيمان والنذور، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، برقم ١٥٣٥، والحاكم، ٦٥ / ١، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٢٠٤.

(٣) مسند أحمد، ٥٠٣ / ٨، برقم ٤٩٠٤، ومصنف عبد الرزاق، ٤٦٧ / ٨، برقم ١٥٩٢٦، والمستدرک، ٥٢ / ١، وصححه، وقال محققو المسند: «رجاله ثقات» والألباني في السلسلة الصحيحة، ٦٩ / ٥، برقم ٢٠٤٢.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الإيمان والنذور، باب كراهية الحلف بالأمانة، برقم ٣٢٥٣، والبيهقي في السنن، ٣٠ / ١٠، وصححه النووي في الأذكار، ص ٤٥٧، وشعيب الأرنؤوط في تحقيق سنن أبي داود، ١٥٦ / ٥، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٢٩٥٤.

(٥) مسند أحمد، ٣٣٩ / ٣، برقم ١٨٣٩، وصححه لغيره محققو المسند، المعجم الكبير، ٢٤٤ / ١٢، برقم ١٣٠٠٥، الأدب المفرد، ص ٢٧٤، برقم ٧٨٣، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ١٣٧.

(٦) الأدب المفرد للبخاري، ص ٢٧٤، برقم ٧٨٣، والمعجم الكبير للطبراني، ٢٤٤ / ١٢، برقم ١٣٠٠٥، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ١٣٧.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ»: قال ابن منظور رحمته الله: «الانْطَلَاقُ: الذَّهَابُ، وَيُقَالُ: انْطَلَقَ بِهِ، عَلَى مَا لَمْ يَسْمَ فَاعِلُهُ»^(١).

٢- قوله: «الشرك فيكم»: أي: الشرك الأصغر والخطاب لأمة الإسلام، قال المناوي رحمته الله: «الشرك فيكم: أيها الأمة»^(٢)، وقال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «الشرك شركان: شرك يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله، وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كان صاحبه يعتقد أنه سبحانه لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، والشرك الأول نوعان:

أحدهما: شرك التعطيل، وهو أقبح أنواع الشرك، كشرك فرعون إذ قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال تعالى مخبراً عنه أنه قال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾^(٣)، والشرك والتعطيل متلازمان، فكل مشرك معطل، وكل معطل مشرك، لكن لا يستلزم أصل التعطيل، بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته، ولكن عطل حق التوحيد، وأصل الشرك وقاعدته التي ترجع إليها هو التعطيل...

النوع الثاني: شرك من جعل معه إلهاً آخر، ولم يعطل أسماءه، وربوبيته، وصفاته، كشرك النصارى الذي جعلوه ثلاثة، فجعلوا المسيح إلهاً، وأمه إلهاً، ومن هذا شرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور،

(١) لسان العرب، ١٠ / ٢٣٠، مادة (طلق).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤ / ٢٢٨).

(٣) سورة غافر، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.

وحوادث الشر إلى الظلمة»^(١).

٣- قوله: «أخفى من ديبب النمل»: أي: في حركته ومشيه على الأرض فإنه لا يسمع له صوت ولا يشعر أحد بحركته، وقد جاء في رواية: «الشرك في أمتي أخفى من ديبب النمل على الصفا»^(٢). قال الصنعاني رحمته الله: «خفاؤه عن نظر الناظرين إليه أو خفاؤه عن من يقصده من الفاعلين»^(٣).

٤- قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»: قال ابن الملقن رحمته الله إنه قسم للتأكيد^(٤)، وقال ابن العربي رحمته الله: «فإنما هو ليتعلم الخلق التصرف في ذلك بذكر الله بجميع صفاته العُلا، وأسمائه الحُسنى»^(٥)، وقال الصنعاني رحمته الله: «فوالذي نفسي: أي: روعي، بيده: في قبضته، يقبضه متى شاء، ويرسله متى شاء، وكان هذا قسمه ﷺ، والإقسام هنا ليس لرد إنكار المخاطب، بل لعظمة شأن الخبر، وتحقيق صدقه، وحقيقته ونشاط المخبر في إخباره، وأما إطلاق اليد على الله، فهو إطلاق قرآني: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٦) ونحوه»^(٧).

٥- قوله: «اللهم إني أعوذ بك»: التعويذ الدعاء إلى الله بأن يجير ويحفظ، واللجوء إلى الله، واللواذ به، والعوذ: الالتجاء، كالعياذ، والمعاذ، ...، ومعاذ الله أي: أعوذ بالله معاذاً، وكذا: معاذة الله»^(٨)، وقال المناوي رحمته الله: «وذلك لأنه لا يدفع عنك

(١) الجواب الكافي، ص ٩٠.

(٢) الحكيم الترمذي، ١٠٥/٤، وأخرجه الحاكم، ٣١٩/٢، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٣٧٣٠.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٥٣٨/٦.

(٤) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٣٠/١٣.

(٥) المسالك في شرح موطأ مالك، ٣٠٨/٦.

(٦) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٧) التنوير شرح الجامع الصغير، ٣٤٢/١.

(٨) انظر: القاموس المحيط، ص: ٤٢٨، مادة (عوذ)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ١ من

مفردات حديث المتن رقم ١٤٦.

إلا من ولي خلقك، فإذا تعودت به أعاذك؛ لأنه لا يخيب من التجأ إليه، وقصر نظر قلبه عليه، وإنما أرشد إلى هذا التعوذ لئلا يتساهل الإنسان في الركون إلى الأسباب، ويرتبك فيها حتى لا يرى التكوين والتدويم، إلا رؤية الإيمان بالغيب، فلا يزال يضيع الأمر ويهمله حتى تحل العقدة منه عقلة الإيمان، فيكفر وهو لا يشعر، فأرشده إلى الاستعاذة بربه؛ ليشرق نور اليقين على قلبه»^(١).

٦- قوله: «أن أشرك بك»: أي: أجعل معك شريكاً في أي قول أو عمل، أو اعتماد، أو إرادة.

٧- قوله: «وأنا أعلم»: أي: بما أفعله من هذا الجرم الكبير.

٨- قوله: «وأستغفرك لما لا أعلم»: أي: إن كنت أفعال شيئاً وهو من الشرك الخفي وأنا لا أعلمه، فإني أطلب منك المغفرة، قال الصنعاني رحمته الله: «وأستغفرك لما لا أعلم: فيه أنه يستغفر عن المعاصي التي لا يعلمها العبد، وأنه قد يؤخذ بما لا يعلمه لتفريطه في التحرز عنه»^(٢).

٩- قوله: «صغار الشرك وكباره»: قال الصنعاني رحمته الله: «صغار الشرك: أي: خفيه، وكباره: أي جليته»^(٣)، وقال المناوي رحمته الله: «قال الحكيم: صغار الشرك كقوله: ما شاء الله وشئت، وكباره كالرياء»^(٤).

١٠- قوله: «وشَهِدَ بِهِ»: قال ابن منظور رحمته الله: «والشَّهادة خَبَرٌ قاطِعٌ تقولُ مِنْهُ: شَهِدَ الرجلُ عَلَى كَذَا، وَرُبَّمَا قَالُوا شَهِدَ الرجلُ، بِسُكُونِ الهَاءِ لِلتَّخْفِيفِ»^(٥).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٢٩.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٥٣٨.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٥٣٨.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٢٨.

(٥) لسان العرب، ٣/ ٢٣٩، مادة (شهد).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- من كمال التوحيد الواجب الخوف من الشرك الأصغر؛ لأن من تجرأ على الوقوع فيه يخشى عليه أن يُجر إلى الشرك الأكبر، عياداً بالله من ذلك.
- ٢- خوف النبي ﷺ على أمته من الوقوع في الشرك الأصغر.
- ٣- الشرك الأصغر له صور أخرى، فمن ذلك الحلف بغير الله، والحلف بالنبي ﷺ، أو بالكعبة، أو بالآباء والأمهات، ورحمة فلان، وشرف فلان، وغير ذلك من هذه الصور الشركية.
- ٤- وجوب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة: القولية، والعملية، ونفي العبادة عن كل ما سواه؛ لقوله ﷺ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(١)، وهذا هو توحيد الألوهية الذي ضده الشرك بقسميه الأكبر والأصغر، أما الشرك الأكبر فهو اتخاذ ند مع الله يدعوه ويرجوه ويخافه وهذا لا يغفره الله أبداً لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).
- وأما الشرك الأصغر فضابطه أنه هو كل شرك لم يصل إلى حد الأكبر بمعنى أنه كل قول أو فعل يكون وسيلة إلى الشرك الأكبر عياداً بالله من ذلك، والضابط لتعريف الشرك الأكبر: هو صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله، وأما الشرك الأصغر: فهو كل وسيلة: قولية، أو فعلية، أو إرادية توصل إلى الشرك الأكبر، والشرك الأكبر أيضاً: هو أن تجعل لله نداً وهو خلقك، والأصغر أيضاً هو كل ما أطلق عليه الشارع في النصوص الشرك، ولكن لم يصل إلى رتبة العبادة.
- ٥- الصحابة رضي الله عنهم أكمل الأمة إيماناً بعد النبي ﷺ، وهم الذين اكتحلت عيونهم برؤيته، وبلغوا عنه الوحي بعد ما حفظوه، ورغم ذلك خاف عليهم

(١) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٦.

من الشرك، فما بالك بمن دونهم بمسافات شاسعة، ولا سيما أن النصوص الثابتة عن النبي ﷺ قد أخبرت بوقوع الشرك الأكبر في هذه الآية خاصة في آخر الزمان، فمن ذلك قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس، حول ذي الخلصة»^(١)، قال النووي: وهو بيت صنم ببلاد دوس.

٦- قال المناوي رحمه الله: «ولذلك عجز عن الوقوف على غوائله أي: الشرك الخفي سماسة العلماء، فضلاً عن عامة العباد، وهو من أواخر غوائل النفس، وبواطن مكايدها، وإنما يتلى به العلماء والعباد المشمرون عن ساق الجد؛ لسلوك سبيل الآخرة؛ فإنهم مهما نهروا أنفسهم، وجاهدوها، وفطموها عن الشهوات، وصانوها عن الشبهات، وحملوها بالقهر على أصناف العبادات، عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة، الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى الظاهر بالخير، وإظهار العمل والعلم، فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ونظرهم إليه بعين الوقار والتعظيم، فنازعت إلى إظهار الطاعة، وتوصلت إلى اطلاع الخلق، ولم تقنع باطلاع الخالق، وفرحت بحمد الناس، ولم تقنع بحمد الله، وعلمت أنهم إذا عرفوا تركه للشهوات، وتوقيه للشبهات، وتحمله مشقات العبادات، أطلقوا ألسنتهم بالمدح والثناء، وبالغوا في الإعزاز، ونظروا إليه بعين الاحترام، وتبركوا بلبقائه، ورغبوا في بركته ودعائه، وفاتحوه بالسلام والخدمة، وقدموه في المجالس والمحافل، وتصاغروا له، فأصاب النفس في ذلك لذة هي من أعظم اللذات، وشهوة هي أغلب الشهوات، فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات، واستلانت خشونة المواظبة على العبادات؛ لإدراكها في الباطن لذة اللذات، وشهوة الشهوات، فهو يظن أن

(١) مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، برقم ٢٩٠٦.

حياته بالله وبعبادته المرضية، وإنما حياته لهذه الشهوة الخفية التي يعمى^(١) عن دزكها إلا العقول النافذة القوية، ويرى أنه يخلص في طاعة رب العالمين، وقد أثبت اسمه في جريدة المنافقين^(٢).

٧- من ثمرات الخوف من الشرك:

- ١- معرفته حتى لا يقع فيه.
- ٢- الاستقامة على الطاعة والمجاهدة على الأخلاق الفاضلة.
- ٣- كثرة الاستغفار.
- ٤- العناية بما يكمل التوحيد.
- ٥- الحذر من ذرائع الشرك ومواطنه ومخالطة أهله^(٣).

(١) هكذا وجدته في الأصل، والمعنى والله أعلم: أن العقول النافذة القوية لا تعمى عن درك هذه الشهوة الخفية.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٢٨.

(٣) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح الشيخ/ عبد الله القصير، ص ٤١.

٩٣ - الدعاء لمن قال: بارك الله فيك

٢٠٤ - «وَفِيكَ بَارَكَ اللَّهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧١١- لفظ النسائي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٢) قَالَتْ: أَهْدَيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَاةً فَقَالَ: «اقْسِمِيهَا»، قَالَ: وَكَأَنْتَ عَائِشَةُ إِذَا رَجَعْتَ الْخَادِمُ قَالَتْ: مَا قَالُوا لَكَ؟ تَقُولُ مَا يَقُولُونَ يَقُولُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ، فَتَقُولُ عَائِشَةُ: وَفِيهِمْ بَارَكَ اللَّهُ، تَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِثْلَ مَا قَالُوا، وَيَبْقَى أَجْرُنَا لَنَا»^(٣).

٧١٢- ورواية البخاري في الأدب المفرد عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٤) قَالَ: «لَوْ قَالَ لِي فِرْعَوْنُ: بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، قُلْتُ: وَفِيكَ، وَفِرْعَوْنُ قَدْ مَاتَ»^(٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أهديت»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْهَدِيَّةُ: مَا أُتِحَفَتْ بِهِ، يُقَالُ:

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، عمل اليوم والليلة، ما يقول لمن أهدي له، برقم ١٠٣٥، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٢٤٤، برقم ٢٧٨، وجود إسناده الألباني في الكلم الطيب، ص ١٧٤. ورواية في الأدب المفرد، ص ٣٨١، ومصنف ابن أبي شيبة، ٥ / ٢٥٥، برقم ٢٥٨٢٥، والمعجم الكبير للطبراني، ١٠ / ٢٦٢، برقم ١٠٦٠٩، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١ / ٣٢٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ٨ / ١٨٢: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ٢٦٧.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، برقم ١٠٣٥، وعمل اليوم والليلة لابن السني، برقم ٢٧٨، وجود إسناده الألباني في الكلم الطيب، ص ١٧٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣٣ من أحاديث الشرح.

(٥) الأدب المفرد، ص ٣٨١، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ٢٦٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

أَهْدَيْتُ لَهُ وَإِلَيْهِ... ، وَالْجَمْعُ هَذَا، وَهَذَاوَي»^(١).

٢- قوله: «اقسميها»: أي: اجعليها أجزاءً ووزعي على الفقراء والجيران واتركي لنا جزءاً منها، قال ابن منظور رحمته الله: «وَقَسَمَهُ: جَزَّاهُ، وَهِيَ الْقِسْمَةُ، وَالْقِسْمُ، بِالْكَسْرِ: النَّصِيبُ وَالْحَظُّ، وَالْجَمْعُ أَقْسَامٌ...، يُقَالُ: هَذَا قِسْمُكَ وَهَذَا قِسْمِي... يُقَالُ: قَسَمْتُ الشَّيْءَ بَيْنَ الشُّرَكَاءِ، وَأَعْطَيْتُ كُلَّ شَرِيكِ مَقْسَمَهُ، وَقَسَمَهُ، وَقَسِيمَهُ»^(٢).

٣- قوله: «رجعت»: قال الفيومي رحمته الله: «رَجَعَ مِنْ سَفَرِهِ، وَعَنِ الْأَمْرِ يَرْجِعُ رَجْعًا، وَرُجُوعًا... هُوَ نَقِيضُ الزَّهَابِ، وَيَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ فِي اللُّغَةِ الْفَصْحَى، فَيُقَالُ: رَجَعْتُهُ عَنِ الشَّيْءِ، وَإِلَيْهِ، رَجَعْتُ الْكَلَامَ وَغَيْرَهُ أَي: رَدَدْتَهُ»^(٣).

٤- قوله: «الخادم»: أي: الجارية التي تخدمها، والخادم يطلق على الذكر والأنثى، قال ابن منظور رحمته الله: «الْخَادِمُ: وَاحِدُ الْخَدَمِ، غُلَامًا كَانَ أَوْ جَارِيَةً... وَتَخَدَّمْتُ خَادِمًا أَي: اتَّخَذْتُ. وَلَا بُدَّ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ أَنْ يَخْتَدِمَ أَي يَخْدُمُ نَفْسَهُ...، الْخَادِمُ: وَاحِدُ الْخَدَمِ، وَيَقْعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى لِإِجْرَائِهِ مُجْرَى الْأَسْمَاءِ غَيْرِ الْمَأْخُوذَةِ مِنَ الْأَفْعَالِ: كَخَائِضٍ وَعَاتِقٍ»^(٤).

٥- قوله: «بارك الله»: البركة الزيادة والنماء، قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «... وإذا أنزل الله البركة لشخص فيما أعطاه، صار القليل منه كثيراً، وإذا نزع البركة صار الكثير قليلاً، وكم من إنسان يجعل الله على يديه من الخير في أيام قليلة ما لا يجعل على يد غيره في أيام كثيرة؟، وكم من إنسان يكون المال عنده قليلاً، لكنه متنعم في

(١) لسان العرب، ٣٥٧ / ١٥، مادة (هدي).

(٢) لسان العرب، ٤٧٨ / ١٢، مادة (قسم).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ٢٢٠ / ١، مادة (رجع).

(٤) لسان العرب، ١٦٦ / ١٢، مادة (خدم).

بيته، قد بارك الله له في ماله، ولا تكون البركة عند شخص آخر أكثر منه مالا^(١).

٦- قوله: «وفيك بارك»: نرد عليهم مثل ما قالوا: أي: بالدعاء لهم كما دعوا لنا، قال الفيومي رحمته الله: «ورَدَدْتُ عليه قوله، ورَدَدْتُ إليه جوابه أي: رجعت، وأرسلت، ومنه رَدَدْتُ عليه الوديعة، ورَدَدْتُه إلى منزله، فَارْتَدَّ إليه، وَتَرَدَّدْتُ إلى فلان رجعت إليه مرة بعد أخرى»^(٢).

٧- قوله: «أجرنا»: أي: أجر إكرامنا لهم وودنا إياهم، قال ابن منظور رحمته الله: «أَجَرَهُ يُؤْجِرُهُ إِذَا أَثَابَهُ وَأَعْطَاهُ الْأَجْرَ وَالْجَزَاءَ، وَكَذَلِكَ أَجَرَهُ يَأْجُرُهُ وَيَأْجِرُهُ... قِيلَ: هُوَ الذِّكْرُ الْحَسَنُ...، الْأَجْرُ الْكَرِيمُ: الْجَنَّةُ»^(٣).

٨- قوله: «فرعون»: قال الزبيدي رحمته الله: «فرعون: لقب كل من ملك مصر... أو كل عاتٍ متمرد: فرعون، والجمع فراعنة... وتفرعن الرجل: تخلق بخلق الفراعنة، والفراعنة: الدهاء، والنكر، والكبر والتجبر»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قبول النبي ﷺ للهدية خلافاً للصدقة؛ فإنها لا تحل له، وكان ﷺ إذا أتى بطعام سأل عنه؛ فإن قيل هدية أكل منها، وإن قيل صدقة لم يأكل منها^(٥)، والحكمة في ذلك أنه كما قال ﷺ: «إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد»^(٦)، ومعنى أوساخ الناس أنها تطهير

(١) الشرح الممتع على زاد المستنقع، ٢٦/٤، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ١١٦.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١/ ٢٢٤، مادة (رد).

(٣) لسان العرب، ١٠/ ٤، مادة (أجر).

(٤) تاج العروس، ٥٠٥/ ٣٥، مادة (فرعن).

(٥) مسلم، كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ، وعلى آله، وهم بنو هاشم، وبنو

المطلب دون غيرهم، برقم ١٠٦٩.

(٦) مسلم، كتاب الزكاة، باب ترك استعمال آل النبي ﷺ على الصدقة، برقم ١٠٧٢.

لأموالهم، وأنفسهم، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(١)، قال النووي: فهي كغسالة الأوساخ.

٢- استحباب الإهداء إلى الجيران، والفقراء تأليفاً للقلوب، وإشاعة للتراحم بين الناس.

٣- استحباب الدعاء ممن أهدى إليه إلى من أهداه مكافأة له على حسن فعله.

٤- المسلم يقصد بأفعاله وأقواله وجه الله، ولا يفعل شيئاً من ذلك رياءً وسمعة حتى لا يضيع أجره عند الله تعالى^(٢).

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٣.

(٢) انظر: شرح حصن المسلم، لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٥٨٣.

٩٤ - دَعَاءُ كَرَاهِيَةِ الطَّيْرَةِ

٢٠٥- «اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧١٣- لفظ الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(٣).

٧١٤- ولفظ ابن السني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه^(٤) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُسْلِمُ مَنْ أَرْجَعَتْهُ الطَّيْرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ»، قَالُوا: وَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: «اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(٥).

٧١٥- وحديث البزار عن بريدة رضي الله عنه^(٦) قَالَ: ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

(١) أحمد، ١١/٦٢٣، برقم ٧٠٤٥، والمعجم الكبير للطبراني، ١٤/٣٥، برقم ١٤٦٢٢، وابن السني، برقم ٢٩٢، ومسند البزار، ١٠/٣٧٥، برقم ٤٣٧٩، والجامع في الحديث، لابن وهب، ص ٥٦٥، وصححه محقق ابن السني، ص ٣٤٤، وحسنه محققو المسند، ١١/٦٢٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٣/٥٤، برقم ١٠٦٥، أما الفأل فكان يعجب النبي ﷺ، ولهذا سمع من رجل كلمة طيبة فأعجبته فقال: «أخذنا فآلك من فيك» أبو داود، برقم ٣٧١٩، وأحمد، برقم ٩٠٤٠، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/٣٦٣، عند أبي الشيخ في أخلاق النبي ﷺ، ص ٢٧٠.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أحمد، برقم ٧٠٤٥، والمعجم الكبير للطبراني، ١٤/٣٥، برقم ١٤٦٢٢، وحسنه محققو المسند، ١١/٦٢٣، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٥) ابن السني، برقم ٢٩٢، وصححه محقق ابن السني، ص ٣٤٤، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣٢ من أحاديث الشرح.

فَقَالَ: «مَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، وَلَا بُدَّ» فَكَانَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَلَا بُدَّ»، أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ كَذَا، «فَلْيُقِلْ: اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»^(١).

٧١٦- ولفظ ابن وهب سأل كعب الأحبار عبد الله بن عمرو رضي الله عنه^(٢)

فقال: هل تطير؟ فقال: نعم، قال: فكيف تقول إذا تطيرت؟ قال: أقول: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك، ولا قوة إلا بك، فقال كعب: أنت أفقه العرب، وإنها لكذلك في التوراة»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الطيرة»: قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «وتطير فلان، واطير: أصله التفاؤل بالطير، ثم يستعمل في كل ما يتفاءل به ويتشاءم، قالوا: إنا تطيرنا بكم»^(٤)، ولذلك قيل: «لا طير إلا طيرك»، هذا حديث، وليس قيلاً»^(٥).

٢- قوله: «من ردته الطير»: قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «قال أبو عبيدة في الغريب: أراد لا تزجروها، ولا تلتفتوا إليها، أقروها على مواضعها التي جعلها الله لها، ولا تتعدوا ذلك إلى غيره، أي: أنها لا تضر، ولا تنفع، وقال غيره: المعنى أقروها على أمكنتها؛ فإنهم كانوا في الجاهلية إذا أراد أحدهم سفرًا، أو أمراً من الأمور، أثار الطير من أوكارها لينظر أي وجه تسلك، وإلى ناحية تطير؛ فإن خرجت ذات اليمين خرج لسفره، ومضى

(١) مسند البزار، برقم ٤٣٧٩، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الجامع في الحديث، لابن وهب، ص ٥٦٥، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٠٦٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) سورة يس، الآية ١٨.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٣٩/٢، مادة (طير).

لأمره، وإن أخذت ذات الشمال رجع ولم يمض فأمرهم أن يقروها في أمكنتها، وأبطل فعلهم ذلك، ونهاهم عنه كما أبطل الاستقسام بالأزلام»^(١)، وقال الصنعاني رحمته الله: «من ردته: منعه «الطيرة»: التطير والتشاؤم بأي أمر، «عن حاجته» التي يريد بها «فقد أشرك» بالله لا اعتقاده أن لله شريكاً في تقدير الخير والشر، وكأنه خرج مخرج الزجر»^(٢).

٣- قوله: «اللَّهُمَّ»: «اللَّهُمَّ بِمَعْنَى: يَا إِلَهَ، ... الْمِيمَ فِي آخِرِ الْكَلِمَةِ بِمَنْزِلَةِ يَا فِي أُولِهَا، وَالضَّمَّةُ الَّتِي هِيَ فِي الْهَاءِ هِيَ ضَمَّةُ الْإِسْمِ الْمُنَادَى الْمُفْرَدِ»^(٣).

٤- قوله: «اللَّهُم لا طير إلا طيرك»: أي: الطير خلق من خلق الله، لا يضر، ولا ينفع، بل هو محتاج إلى رزق الله ورحمته، قال المناوي رحمته الله: «فقد أشرك بالله تعالى؛ لا اعتقاده أن لله شريكاً في تقدير الخير والشر ﴿تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ غُلُوبًا كَبِيرًا﴾»^(٤)، وهذا وارد على منهج الزجر والتهويل»^(٥).

٥- قوله: «ولا خير إلا خيرك»: أي: أن الخير كله بيد الله وحده، فهو النافع الضار، قال الزرقاني رحمته الله في شرح الموطأ: «لا خير إلا خيرك، فإنه بيدك دون غيرك»^(٦).

٦- قوله: «ولا إله غيرك»: أي: لا معبود بحق إلا أنت، فأنت المتصرف وحدك في الكون، ولا يحدث فيه إلا ما تريد، قال الزرقاني رحمته الله: «ولا إله

(١) مفتاح دار السعادة، ٢/ ٢٣٥.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ١٠/ ٢٣٤.

(٣) لسان العرب، ١٣/ ٤٧٠، مادة (أله)، وتقدم شرحه في شرح مفردات حديث المتن رقم ١، في شرح المفردة، رقم ٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية ٤.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦/ ١٧٦.

(٦) شرح الزرقاني، ٤/ ٤٠٢.

غيرك يرجى لكشف الضر، وإجابة الدعاء، والإعانة على الشكر»^(١)، وقال العلامة سليمان بن عبد الوهاب رحمته الله: «لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢)، مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٣). فصح أن معنى الإله هو المعبود؛ ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «قولوا لا إله إلا الله» قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾^(٤)، وقال قوم هود: ﴿أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾^(٥)، وهو إنما دعاهم إلى «لا إله إلا الله»، فهذا هو معنى لا إله إلا الله، وهو عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت، وإيمان بالله، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذها إلهًا وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا، وهذا يفهمه المخاطب من هذا النفي والإثبات، كما إذا رأيت رجلاً يستفتي، أو يستشهد من ليس أهلاً لذلك، ويدع مَنْ هو أهل له، فتقول: هذا ليس بمفتٍ ولا شاهد، المفتي فلان،

(١) شرح الزرقاني، ٤ / ٤٠٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة ص، الآية: ٥، والحديث أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص، برقم

٣٢٣٢، والمقدسي في الأحاديث المختارة، ٤ / ٢٢٩، ووافق على تحسين الترمذي، وضعفه

الألباني في ضعيف الترمذي، ١ / ٤٠٨، برقم ٦٣٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٧٠.

والشاهد فلان، فإن هذا أمر منه ونهي. وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تأله القلب لله بالحب والخضوع والانقياد له وحده لا شريك له، فيجب إفراد الله تعالى بها، كالدعاء والخوف والمحبة، والتوكل والإنابة، والتوبة، والذبح، والنذر، والسجود، وجميع أنواع العبادة فيجب صرف جميع ذلك لله وحده لا شريك له، فمن صرف شيئاً مما لا يصلح إلا لله من العبادات لغير الله، فهو مشرك ولو نطق ب: لا إله إلا الله، إذ لم يعمل بما تقتضيه من التوحيد والإخلاص»^(١).

٧- قوله: «ولا قوة»: قال العلامة ابن رجب رحمته الله: «لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة، وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات والصبر على المقدورات كلها في الدنيا، وعند الموت...»^(٢).

٨- قوله: «أفقه العرب»: قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «الفقه: هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم... والفقه: العلم بأحكام الشريعة، يقال: فقه الرجل فقاها: إذا صار فقيهاً، وفقه أي: فهم فقهاً، وفقهه أي: فهمه، وتفقه: إذا طلبه فتخصص به. قال تعالى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾»^(٣) ^(٤).

٩- قوله: «التوراة»: قال العلامة الفوزان: «التوراة: التي أنزلها الله على موسى عليه السلام»^(٥).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- التطير من العادات الجاهلية المذمومة وهي امتداد لما كان عليه أئمة

(١) تيسير العزيز الحميد، ص ٥٢.

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ١٩٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤، من حديث المتن رقم ١٦.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٢٢.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ٢٠١، مادة (فقه).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية، لصالح الفوزان، ص ٤٤.

الكفر والضلال من قوم فرعون والمشركين. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ يَظْهَرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾^(١).

٢- أصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية إذا أراد أحدهم أن يخرج لسفر أو نحوه أتى بالطير فإذا طار يميناً تفاءل وخرج وسماه السانح وإذا طار يساراً تشاءم ورجع وسماه البارح وقد كان ينكره بعض عقلائهم بقوله:

الزجر والطير والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أقفال

٣- ومما يؤسف له في هذه الأزمته أن بعض الناس يطالعون ما يسمى بـ «حظك اليوم» اعتماداً على خرافات وخزعبلات فيما يسمونه بالأبراج وكذلك قراءة الفناجين.

٤- الطيرة قسمان:

القسم الأول: أن يعتقد أن ما تطير به يستقل في جلب النفع أو جلب الضرر وأنها تفعل بذاتها فهذا شرك في الربوبية لكونه اعتقد خالقاً مدبراً مع الله تعالى وشرك في الألوهية لأنه تعلق قلبه بغير الله خوفاً ورجاءً فيما لا يقدر عليه إلا الله.

القسم الثاني: أن يعتقد أنها سبب للخير أو الشر أو علامة عليه والله هو الفاعل، فهذا من الشرك الأصغر لأنه جعل ما ليس سبباً - لا شرعاً ولا قدرًا - سبباً وكذلك جعله علامة على ما يخاف أو يرجو من دون حجة شرعية أو حسية^(٢).

٥- المسلم الصادق يتوكل على الله تعالى ولا يلتفت إلى وساوس الشيطان ولا يسترسل معه في هذه الوساس. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ

(١) الأعراف: ١٣١.

(٢) المفيد على كتاب التوحيد، للعلامة ابن عثيمين، ص ١٧٦.

أُولِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^(١)، قال ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «وما منا إلا - يعني يتشاءم - ولكن يذهب الله بالتوكل»^(٢).

٦- الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بعلمه وليس فيه تعلق القلب بغير الله بل هو حسن ظن بالله ولذلك استثنى من الطيرة لمضادته لها. وصفته: أن يعزم العبد على أمر مشروع أو عقد من العقود أو حالة من الأحوال المهمة، ثم يرى في تلك الحالة ما يسره أو يسمع كلاماً يسره مثل: يا غانم، أو يا رابح فيتفاءل ويزداد طمعه في حصول مقصوده^(٣)، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «لا طيرة وخيرها الفأل» قال: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»^(٤).

٧- قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله: «هذا الذي جعله الله سبحانه في طباع الناس، وغرائزهم من الإعجاب بالأسماء الحسنة، والألفاظ المحبوبة، وهو نظير ما جعل في غرائزهم من الإعجاب بالمناظر الأنيقة، والرياض المنورة، والمياه الصافية، والألوان الحسنة، والروائح الطيبة، والمطاعم المستلذة، وذلك أمر لا يمكن دفعه، ولا يحدّ القلب عنه انصرافاً، فهو ينفع المؤمن، ويسرّ نفسه، وينشطها ولا يضرها في إيمانها، وتوحيدها، وأخبر ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها، فقال: «لا طيرة، وخيرها الفأل» فأبطل الطيرة، وأخبر أن الفأل منها، ولكنه خيرها، ففصل بين الفأل والطيرة؛ لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما، ومضرة الآخر، ونظير هذا منعه من الرقاء بالشرك، وإذنه في الرقية إذا لم تكن شركاً؛ لما

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٢) الأدب المفرد، ص ٣١٣، برقم ٩٠٩، وصححه الألباني في الأدب المفرد، برقم ٩٠٩.

(٣) انظر: المفيد على كتاب التوحيد، ص ١٧٨.

(٤) البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، برقم ٥٧٥٥.

فيها من المنفعة الخالية عن المفسد»^(١).

٨- وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أيضاً: «واعلم أن التطير إنما يضّر من أشفق منه وخاف، وأما من لم يبال به، ولم يعبأ به شيئاً لم يضره البتة، ولا سيما إن قال عند رؤية ما يتطير به، أو سماعه: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك»^(٢)، «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»^(٣)، فالطيرة باب من الشرك، وإلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته يكبر ويعظم شأنها على من أتبعها نفسه، واشتغل بها، وأكثر العناية بها، وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها، ولا ألقى إليها باله، ولا شغل بها نفسه وفكره، واعلم أن من كان معتنياً بها قائلاً بها، كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدر فتحت له أبواب الوسوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه؛ فإذا سمع سفرجلًا^(٤)، أو أهدي إليه تطير به، وقال: سفر، وجلاء، وإذا رأى ياسميناً، أو سمع اسمه تطير به، وقال: يأس، ومين، وإذا رأى سوسنة، أو سمعها قال: سوء يبقى سنة، وإذا خرج من داره فاستقبله أعور، أو أشلّ، أو أعمى، أو

(١) مفتاح دار السعادة، ٢/ ٢٤٥.

(٢) مسند أحمد، ١١/ ٦٢٣، برقم ٧٠٤٥، ومسند البزار، ٢/ ١٣٧، برقم ٤٣٧٩، والمعجم الكبير للطبراني،

١٤/ ٣٥، برقم ١٤٦٢٢، وحسنه محققو المسند، وصححه الألباني في إصلاح المساجد، ص ١١٦.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الطيرة، برقم ٣٩٢٩، وحسنه لغيره شعيب الأرناؤوط في

تحقيق سنن أبي داود، ٦/ ٦٢، والبيهقي، ٨/ ١٣٩، وابن أبي شيبة، ٥/ ٣١٠، برقم ٢٦٣٩٢، وقال

الزوين العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، ٢/ ١٣٤: «ورجاله ثقات» وضعفه الألباني

في ضعيف الجامع الصغير، برقم ٨٨٨.

(٤) السَّفْرَجَل: ثمر مغزوف، وإجلته سَفْرَجَلَة، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ. انظر: لسان العرب، ١١/ ٣٣٨، مادة: سفرجل.

صاحب آفة تطير به، وتشاءم بيومه»^(١).

٩- قال المناوي رحمته الله: «فينبغي لمن طرقت الطيرة أن يسأل الله تعالى الخير، ويستعيذ به من الشر، ويمضي في حاجته متوكلاً عليه»^(٢).

(١) مفتاح دار السعادة، ٢/ ٢٣٠.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦/ ١٧٦.

٩٥ - دَعَاءُ الرُّكُوبِ

٢٠٦- «بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»، «الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧١٧- لفظ أبي داود عَنْ عَلِيٍّ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣)، وَأَتَيْتُ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ^(٤)، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ

(١) أبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يقول إذا ركب، برقم ٢٦٠٢، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا ركب الناقة، برقم ٣٤٤٦، والسنن الكبرى للنسائي، عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا وضع رجله في الركاب، برقم ١٠٣٣٦، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢٧٦، والمستدرک علی الصحیحین، للحاکم، وصححه، ووافقه الذهبي، ٢/ ٩٨، صحيح ابن حبان، ٦/ ٤١٤، برقم ٢٦٩٨، وصححه محقق ابن حبان والألباني في التعليقات الحسان، ٤/ ٣٣١، وصحح الألباني رواية أبي داود في صحيح أبي داود، برقم ٢٣٤٢، ورواية الترمذي في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٤٢. والأيتان من سورة الزخرف، ١٣- ١٤.

(٢) أبو المغيرة الكوفي، وثقه ابن معين وغيره وهو من علماء التابعين، [يزوي عن: علي، وابن عمر، روى عنه: سعيد بن عبيدة، وسلمة بن كهيل. انظر: الثقات لابن حبان، ٢/ ٣٦٠، وتقريب التهذيب، لابن حجر، ٣/ ١٧٩].

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٤) سورة الزخرف، الأيتان: ١٣- ١٤.

قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. ثُمَّ ضَحِكَ فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَّ كَمَا فَعَلْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي»^(١).

٧١٨- ولفظ الترمذي عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»^(٢)، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ثَلَاثًا، اللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا، سُبْحَانَكَ إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ. فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ»^(٣).

٧١٩- ولفظ النسائي عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْأَسَدِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا أُتِيَ بِدَابَّةٍ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»^(٤)، ثُمَّ كَبَّرَ ثَلَاثًا، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي،

(١) أبو داود، برقم ٢٦٠٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٣٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣ - ١٤.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٤٦، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٤٢، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣ - ١٤.

فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمًا مِثْلَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ اسْتَضَحَكَ، فَقُلْتُ: مِمَّا اسْتَضَحَكَتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَعْجَبُ رَبَّنَا مِنْ قَوْلِ عَبْدِهِ: سُبْحَانَكَ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ»^(١).

٧٢٠- ولفظ الحاكم في المستدرک عن عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ رِدْفًا لِعَلِيِّ ﷺ، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ثَلَاثًا، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ثَلَاثًا، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(٢) الْآيَةُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ثُمَّ مَالَ إِلَى أَحَدِ شِقَيقَيْهِ، فَضَحِكَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا يُضْحِكُكَ؟ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا صَنَعْتُ، فَسَأَلْتُهُ كَمَا سَأَلْتَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ إِلَى الْعَبْدِ إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، قَالَ: عَبْدِي عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ، وَيُعَاقِبُ»^(٣).

٧٢١- ولفظ ابن حبان عن عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ الْأَسَدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَكِبَ عَلِيُّ ﷺ دَابَّةً، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا، وَحَمَلَنَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَرَزَقَنَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَفَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَهُ تَفْضِيلًا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾^(٤)، ثُمَّ كَبَّرَ ثَلَاثًا،

(١) السنن الكبرى للنسائي، برقم ١٠٣٣٦، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢٧٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

(٣) المستدرک على الصحيحين، للحاكم، وصححه، ووافقه الذهبي، ٩٨ / ٢، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢٧٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣ - ١٤.

ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ، ثُمَّ قَالَ: فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ هَذَا، وَأَنَا رَدُّهُ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «في الركاب»: أي: في محل الركوب. قال ابن الأثير رحمه الله: «الرِّكَابُ: وَهِيَ الرِّوَا حِلُّ مِنَ الْإِبِلِ، وَقِيلَ جُمِعَ رَكُوبٌ، وَهُوَ مَا يُرَكَبُ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، فَعُولٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَالرَّكُوبَةُ أَخْصَصُ مِنْهُ»^(٢).

٢- قوله: «بسم الله»: أي: أركب باسم الله متميناً به راجياً السلامة منه ﷺ^(٣)، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «تقديره: باسم الله ابتدائي، ... أو أبدأ بيسم الله أو ابتدأت بيسم الله، فكلاهما صحيح ... فالمشروع ذكر اسم الله في كل أمر، تبركاً، وتيمناً، واستعانة على الإتمام والتقبل»^(٤).

٣- قوله: «الحمد لله»: أي: على هذه النعمة خاصة وعلى النعم التي نتقلب فيها عامة، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «يعني أنه جعل لنا ما نركب لنستقر على الظهور، فلم يجعله صعباً نزرأ، لا يستوي الإنسان على ظهره، ولا يستقره، بل هو يستقر على ظهره، وهذا مشاهد في السيارات، والسفن، والطائرات، والإبل الذلول، وما أشبه ذلك»^(٥).

٤- قوله: «سبحان الذي سخر لنا هذا»: أي تنزهه وتقدهس من أقدرنا على ركوبه، والتحكم فيه، قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: سبحان: تدل على التنزيه:

(١) صحيح ابن حبان، برقم ٢٦٩٨، وصححه محقق ابن حبان والألباني في التعليقات الحسان، ٣٣١ / ٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٢٥٦، مادة (ركب).

(٣) عند الترمذي أنها تقال ثلاث مرات.

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١ / ١٢١.

(٥) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٧٢.

يعني تنزيه الله ﷻ عن الحاجة، وعن النقص، فكأن الإنسان يشعر إذا ركب على هذه الفلك والأنعام أنه محتاج إليه، يستعين به على حاجاته، فيسبح الله ﷻ الذي هو مستغن عن كل خلقه، فكان التسبيح في هذا المقام أنسب، مع أنه جاء في السنة أنه يحمد الله^(١)، وقال ابن الجوزي رحمه الله: «سخر: بمعنى ذلل لنا هذا المركوب، نجري به حيث نشاء»^(٢).

٥- قوله: «وما كنا له مقرنين»: أي: وما كنا لذلك الركوب بمطيقين، ولا ضابطين لتسخيره، لولا معونة الله ﷻ، قال الطيبي رحمه الله: «مقرنين: مطيقين مقتدرين، من أقرن له: أطاقه، وقوي عليه، وهو اعتراف بعجزه، وأن تمكنه من الركوب عليه بإقدار الله تعالى، وتسخيره إياه»^(٣).

٦- قوله: «وإنا إلى ربنا لمنقلبون»: أي لصاترون إليه بعد الموت ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(٤). قال الطيبي رحمه الله: «ومنقلبون: راجعون إليه، وفيه تنبيه على أن السفر الأعظم الذي بصده، وهو الرجوع إلى الله تعالى، فهو أهم بأن يهتم به، ويشغل بالاستعداد له قبل نزوله»^(٥)، وقال البجيرمي رحمه الله: «﴿وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ راجعون إلى الدار الآخرة، فينبغي لمن اتصل به سبب من أسباب الموت أن يكون حاملاً له على التوبة والإقبال على الله في ركوبه ومسيره»^(٦).

٧- قوله: «الله أكبر» أي: أكبر من كل كبير فهو ﷻ كبير الشأن، كبير القدر،

(١) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٧٤.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٦٨٢.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٩٢.

(٤) سورة النجم، الآية: ٤٢.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٩٢.

(٦) تحفة الحبيب على شرح الخطيب (حاشية البجيرمي على الخطيب)، لسليمان بن محمد بن عمر البجيزمي المصري الشافعي، ٢ / ٢٨٨.

كبير عن مشابهة أحد من خلقه، وقال ابن الأثير رحمته الله: «معناه: الله الكبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء»^(١).

٨- قوله: «(يعجب)»: أي: عجباً يليق به عليه السلام، فهي صفة كسائر الصفات معلومة المعنى مجهولة الكيفية تؤمن بها كما جاءت.

٩- لا أعلم في السنة دعاء مخصوص صحيح لركوب البحر وأما خبر: «أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا أن يقولوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾»^(٢)، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾»^(٣) فلا أعلم أن أحداً من أهل العلم صححه^(٤).

١٠- قوله: «شهدت»: قال ابن علان رحمته الله: «أي: حضرت»^(٥).

١١- قوله: «أتى بدابته» قال ابن علان رحمته الله: «وعند الترمذي بدابة بالتونين، والدابة في أصل اللغة ما يدب على وجه الأرض، ثم خصها العُزف بذات الأربع، قال في المصباح: وتخصيص الفرس، والبغل، والحمار بالدابة عند الإطلاق عرف طارئ»^(٦).

١٢- قوله: «سبحانك اللهم»: قال ابن علان رحمته الله: «بالنصب على المفعولية المطلقة بعامل لا يظهر وجوباً: أي: أقدسك تقديساً مطلقاً، لأن كل ما لا يليق به تعالى، فهو مقدس عنه، [وكذلك] سائر سمات الحوادث»^(٧).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٥٢ / ٤، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٤١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٤) أخرجه ابن السني، ص ١٨٧، والطبراني في الكبير، ١٢ / ١٢٤، برقم ١٢٦٦١، وفي الأوسط، ١٨٤ / ٦، برقم ٦١٣٦، وأبو يعلى، ١٥٢ / ١٢، برقم ٦٧٨١، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٣٢ / ١٠، و١٣٢ / ١٠، وذكر الألباني في ضعيف الجامع، برقم ١٢٤٨ أنه موضوع.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٢٩٣.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٢٩٣.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٢٩٤.

١٣- قوله: «إني ظلمت نفسي»: قال ابن علان رحمته الله: «إني ظلمت نفسي بعدم القيام بحقك لشهود التقصير في شكر هذه النعمة العظمى، ولو بغفلة، أو خطرة، أو نظرة»^(١).

١٤- قوله: «فاغفر لي»: قال ابن علان رحمته الله: «أي: استر ذنوبي بعدم المؤاخذة بالعقاب عليها»^(٢).

١٥- قوله: «إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»: قال ابن علان رحمته الله: «استئناف بياني كالتعليل لسؤال الغفران، وفيه إشارة بالاعتراف بتقصيره مع إنعام الله وتكثيره»^(٣).

١٦- قوله: «يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت»: قال ابن علان رحمته الله: «لما لم يظهر ما يتعجب منه مما ينشأ عنه الضحك، استفهمه عن سببه، وقدم ندائه على سؤاله كما هو الأدب في الخطاب، وفي رواية للترمذي في «شمائله» «فقلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين»^(٤)، وتقديم المسؤول عنه على ندائه لأنه أهم حيثئذ؛ لأن النداء لأجله، وفي قوله يا أمير المؤمنين إيماء إلى أن القصة جرت منه أيام خلافته»^(٥).

١٧- قوله: «قال: رأيت النبي ﷺ صنع كما صنعت»: قال ابن علان رحمته الله: «أي: أبصرت النبي ﷺ صنع كما صنعت من الركوب والذكر في أماكنه»^(٦).

١٨- قوله: «إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي يعلم» قال ابن علان رحمته الله: «جملة حالية من فاعل قال: أي: قال ذلك عالماً غير غافل أنه لا يغفر الذنوب غيري»^(٧).

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.

(٤) شمائل الترمذي، ص ٢٦٤، برقم ٢٣١، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، ص ١٢٣، برقم ١٩٨.

(٥) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٤.

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب قول هذا الذكر عند ركوب أي مركب دابة أو سيارة أو طائرة أو غير ذلك من وسائل النقل ويكون قول: «بسم الله» عند وضع الرجل في الركاب أما عند الاستقرار في وسيلة النقل فيقال هذا الدعاء.

٢- بيان عظيم فضل الله على خلقه ورحمته بهم بتسخير هذه الدواب وغيرها لهم كما قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾^(١).

٣- قال ابن علان رحمه الله: «ثلاث مرات: في التكرير إشعار بعظم جلال الله سبحانه، وأن العبد لا يقدر الله حق قدره، وهو مأمور بالدأب في طاعته حسب استطاعته، وقيل في حكمة التكرير ثلاثاً: إن الأول لحصول النعمة، والثاني لدفع النعمة، والثالث لعموم المنحة... الله أكبر ثلاث مرات: والتكرير للمبالغة في ذلك، أو الأول إيماء إلى الكبرياء والعظمة في الذات، والثاني الكبرياء والعظمة في الصفات»^(٢).

٤- اشتمل هذا الدعاء على جملة من العلوم منها:

أ - قول العبد: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(٣) دليل على تنزيه الله عن النقص والحاجة فكان قائل هذا الذكر يعلم ضعفه وعجزه وحاجته فكان التسبيح في هذا المقام مناسب جداً.

ب - تأسي الصحابة رضي الله عنهم بأفعال الرسول ﷺ وإشاعة ذلك العلم بين الناس

(١) سورة يس، الآيات: ٧١ - ٧٣.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٢٩٣.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

دليل عملي على صدق الاتباع.

٥- صفة التعجب لله ﷻ هي من صفات الأفعال، والتي تصدر عن حكمة يعلمها ﷻ، وتدل على أمور تقتضيها، وصفة الله تليق به، لا يشبه فيها أحداً من خلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

أ - صفة التعجب قد تدل على محبة الله للفعل الذي هو محل التعجب كما في هذا الحديث.

ب - قد يدل على التعجب على بغض الله للفعل الذي هو محل التعجب كما في قوله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾^(٢).

ج - قد يدل على عدم حسن الحكم مثل قوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾^(٣).

د - قد يدل أحياناً على حسن المنع كقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾^(٤).

٦- وإذا كان التعجب في حق الإنسان منشأ غرابة الفعل وأنه حدث على وجه يثير العجب والاستغراب حيث فوجئ الإنسان بالفعل الذي هو محل التعجب، فإن الله منزّه عن كل هذه المعاني ولا ترد في حقه لوازم تعجب الإنسان^(٥) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٦).

٧- قال ماجد البنكانية: «وقوله ﷻ: «سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الصافات، الآية: ١٢، وقرأها ابن مسعود بالضم.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.

(٥) انظر: شرح رياض الصالحين للهلالى حديث رقم (١٨٤٠).

(٦) سورة الشورى، الآية: ١١.

له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون» فيه الثناء على الله بتسخيره للمركوبات، التي تحمل الأثقال، والنفوس إلى البلاد النائية، والأقطار الشاسعة، واعتراف بنعمة الله بالمركوبات.

٨- وهذا يدخل فيه المركوبات: من الإبل، ومن السفن البحرية، والبرية، والهوائية. فكلها تدخل في هذا.

٩- ولهذا قال نوح عليه السلام للراكبين معه في السفينة: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾^(١).

١٠- فهذه المراكب، كلها وأسبابها، وما به تتم وتكمل، كله من نعم الله وتسخيره، يجب على العباد الاعتراف لله بنعمته فيها، وخصوصاً وقت مباشرتها.

١١- وفيه: تذكر الحالة التي لولا الباري لما حصلت، وذلت في قوله: ﴿وما كنا له مقرنين﴾ أي مطيقين، لو رَدَّ الأمر إلى حولنا وقوتنا، لكننا أضعف شيء علماء، وقدرة وإرادة، ولكنه تعالى سخر الحيوانات، وعلم الإنسان صنعة المركوبات، كما امتن الله في تيسير صناعة الدروع الواقعية»^(٢).

(١) سورة هود، الآية: ٤١.

(٢) إتحاف الأطهار بفضل الدعاء وصحيح الأذكار وفوائدهما، لماجد البنكانية، ص ٥٢.

٩٦- دُعَاءُ السَّفَرِ

٢٠٧- «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾» اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَىٰ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَىٰ، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ «وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «أَيُّونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٢٢- لفظ مسلم عن عَلِيِّ الْأَزْدِيِّ، أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما^(٢) عَلَّمَهُمْ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَىٰ سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَىٰ، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَىٰ، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ

(١) مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب لسفر الحج أو غيره، برقم ١٣٤٢، ورقم ١٣٤٣، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يقول الرجل إذا سافر، برقم ٢٥٩٩، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء ما يقول إذا ركب الناقة، برقم ٣٤٤٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

الْمُنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيُونَ تَأْتِيُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»^(١).

٧٢٣- ولفظ أبي داود أَنَّ عَلِيًّا الْأَزْدِيَّ أَخْبَرَهُ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنه عَلَّمَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، اللَّهُمَّ اطْوِ لَنَا الْبُعْدَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ». وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيُونَ تَأْتِيُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ». وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَجُيُوشُهُ إِذَا عَلَوْا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا، فَوُضِعَتِ الصَّلَاةُ عَلَى ذَلِكَ»^(٢).

٧٢٤- ولفظ الترمذي عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا سَافَرَ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ كَبَّرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي سَفَرِي هَذَا مِنَ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا الْمَسِيرَ، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَ الْأَرْضِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ اضْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا، وَاخْلُفْنَا فِي أَهْلِنَا»، وَكَانَ يَقُولُ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ: «آيُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَأْتِيُونَ، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»^(٣).

(١) مسلم، برقم ١٣٤٢، ورقم ١٣٤٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) أبو داود، برقم ٢٥٩٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٧/ ٣٥١، برقم ٢٣٣٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٤٧، وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٣/ ١٥٧، برقم ٢٧٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٧٢٥- وفي رواية لمسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّدُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَأَبَةِ الْمُتَقَلِّبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الْكُونِ، وَدَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ» ^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «الله أكبر» أي: أكبر من كل كبير فهو عظيم كبير الشأن، كبير القدر، كبير عن مشابهة أحد من خلقه، وقال ابن الأثير رحمته الله: «معناه الله الكبير، وقال النحويون: معناه الله أكبر من كل شيء» ^(٣).

٢- قوله: «سبحان الذي سخر لنا هذا»: قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: سبحان: تدل على التنزيه: يعني تنزيه الله عظيم عن الحاجة، وعن النقص ^(٤)، وقال ابن الجوزي رحمته الله: «سَخَّرَ: بمعنى ذَلَّلَ لنا هذا المركوب، نجري به حيث نشاء» ^(٥).

٣- قوله: «وما كنا له مقرنين»: قال الطيبي رحمته الله: «مقرنين: مطيقين مقتدرين، ... وهو اعتراف بعجزه، وأن تمكنه من الركوب عليه بإقدار الله تعالى، وتسخيره إياه» ^(٦).

٤- قوله: «وإننا إلى ربنا لمقلبون»: قال الطيبي رحمته الله: «ومقلبون: راجعون إليه،

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦٧٣ من أحاديث الشرح.

(٢) مسلم، برقم ١٣٤٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٥٢ / ٤، مادة (كبر)، وتقدم في شرح المفردة رقم ٨ من مفردات حديث المتن رقم ٢.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٧٤.

(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٦٨٢، وتقدم شرحها مستوفى في المفردة رقم ٤ من حديث المتن ٢٠٦.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٨٩٢ / ٦. وتقدم شرحها مستوفى في المفردة رقم ٥ من حديث المتن ٢٠٦.

وفيه تنبيه على أن السفر الأعظم الذي بصدده، وهو الرجوع إلى الله تعالى^(١).

٥- قوله: «اللهم إني نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى»: البر فعل الطاعات والتقوى ترك المعاصي والذنوب^(٢)، قال الإمام ابن رجب رحمته الله: «فقد يكون المراد بالبر: معاملة الخلق بالإحسان، وبالتقوى: معاملة الحق بفعل طاعته، واجتناب محرماته، وقد يكون أريد بالبر: فعل الواجبات، وبالتقوى: اجتناب المحرمات»^(٣)، وقال ابن علان رحمته الله: «البر - بكسر الموحدة - أي: الخير، والفضل، أو عمل الطاعة، وعليه فعطف قوله: «والتقوى» من عطف العام على الخاص إن أريد بها الكف عن المخالفة، وفعل الطاعة، وإن أريد بها الكف عن المعصية، فهو من عطف المغاير، وسؤال ذلك فيه؛ لأن السفر مظنة ترك البر والتقوى إلا بتأييد من الله سبحانه»^(٤).

٦- قوله: «ومن العمل ما ترضى»: أي: بكونه خالصاً صواباً، كقوله: ﴿لِيُنَلِّوْكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٥). قال ابن علان رحمته الله: «ومن العمل ما ترضى أي ما تحبه وتقبله»^(٦).

٧- قوله: «اللهم هون علينا سفرنا هذا»: أي: يسره لنا، قال ابن علان رحمته الله: «اللهم هون علينا سفرنا: أي: مشقته، أو المشقة فيه، ووصفه بقوله: «هذا» لما تقدم»^(٧).

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢، وتقدم شرحها مستوفى في المفردة رقم ٦ من حديث المتن ٢٠٦.

(٢) فقه الأدعية والأذكار ص ٢٦٥، وقال: هذا عند اجتماعهما أما إذا انفردا فإن كل كلمة لها معنى آخر.

(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي، ١/ ٣٨٢.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٨٩.

(٥) سورة الملك، الآية: ٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٨٩.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٨٩.

٨- قوله: «واطو عنا بعده»: أي قصر لنا مسافته، قال الطيبي رحمته الله: «عبارة عن تيسير السير بمنح القوة له، ولمركوبه، وأن لا يرى ما يزعجه ويوقعه في التعب»^(١)، وقال ابن علان رحمته الله: «واطو: بوصل الهمزة: أي: أزل، أو ادفع عنا بعده أي: حقيقةً أو حكماً»^(٢).

٩- قوله: «الصاحب في السفر»: المراد بالصحبة هي المعية الخاصة التي يترتب عليها: الحفظ، والرعاية، والعون، والتوفيق»، قال الطيبي رحمته الله: «الصاحب هو الملازم، وأراد ذلك مصاحبة الله إياه بالعناية والحفظ، والاستئناس بذكره، والدفاع لما ينوبه من النوائب»^(٣)، وقال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «الصاحب في السفر يعني تصحبي في سفري، تيسره علي: تسهله علي»^(٤).

١٠- قوله: «والخليفة في الأهل»: أي: عليك وحدك المعتمد في حفظ أهلي بعدما بذلت لهم أسباب الحفظ من توفير مسكن وملبس ومال، قال الطيبي رحمته الله: «هو الذي ينوب عن المستخلف، يعني أنت الذي أرجوه وأعتمد عليه في سفري، وفي غيبتني عن أهلي، بأن يكون معيني وحافظي، وأن يلم شعثهم، ويداوي سقمهم، ويحفظ عليهم دينهم وأمانتهم»^(٥)، وقال ابن علان رحمته الله: «والخليفة: أي: المعتمد عليه، والمفوض إليه حضوراً وغيبة في الأهل، ولا يطلق عليه كل من الصاحب والخليفة من غير قيد... الخليفة: هو الذي ينوب عن المستخلف عنه، والمعنى: أنت الذي أرجوه، وأعتمد عليه في غيبتني عن أهلي أن يلم شعثهم، ويداوي سقيمهم، ويحفظ

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٨٩.

(٣) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٣.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٧٢.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٣.

عليهم دينهم وأمانتهم»^(١).

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «الخلافة في الأهل من بعدي تحوطهم برعايتك، وعنايتك، فهو جل وعلا مع الإنسان في سفره، وخليفته في أهله؛ لأنه جل وعلا بكل شيء محيط، والله الموفق»^(٢).

١١- قوله: «اللهم إني أعوذ»: قال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «أي: اعتصم»^(٣)، وقال أيضاً: «المراد الاستعاذة من كل منظر يعقب النظر إليه الكآبة فهو من قبيل إضافة المسبب إلى السبب»^(٤).

١٢- قوله: «وعشاء السفر»: أي: مشقته وعناءه، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «الوَعْشاء - بفتح الواو، وإسكان العين، وبالثاء المثلثة، وبالمدّ: هي الشدّة، وعشاء السفر: تعبهُ ومشقته وشدته»^(٥)، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ: «شدته ومشقته، وأصله من الوَعْث، وهو الدَّهْش، وهو الرمل الرقيق، والمشي فيه يشتد على صاحبه، فجعله مثلاً لكل ما يشق على صاحبه»^(٦).

١٣- قوله: «وكآبة المنظر»: أي: سوء الحال الذي يترتب عليه الهم والحزن، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «والكآبة - بفتح الكاف وبالمدّ: هو تغَيُّر النفس من حزن ونحوه»^(٧)، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «كآبة المنظر الكآبة: الحزن»^(٨)، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «الكآبة تغير النفس بالانكسار من شدة الوهم

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٢٨٩.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٧٢.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٢٨٩.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٢٩٠.

(٥) جامع الأصول، ٤ / ٢٨٤.

(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤ / ٤٥٢.

(٧) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢٧٨.

(٨) جامع الأصول، ٤ / ٢٨٤.

والحزن، وقيل المراد منه الاستعاذة من كل منظر تعقبه الكآبة عند النظر إليه»^(١).

١٤- قوله: «سوء المنقلب»: أي: الرجوع من السفر فأجد ما يحزنني في أهل أو مال أو غير ذلك، قال الطيبي رحمته الله: «أي: ينقلب إلى وطنه، فيلقى ما يكتئب منه من أمر أصابه في سفره، أو ما تقدم عليه، مثل أن يعود غير مقضي الحاجة، أو أصابت ماله آفة، أو يقدم على أهله فيجدهم مرضى، أو قد فقد بعضهم»^(٢).

١٥- قوله: «في المال والأهل»: قال ابن علان رحمته الله: «المراد بالأهل أهل البيت من الزوجة والخدم والحشم. قال ميرك: استعاذ من أن ينقلب إلى وطنه فيلقى ما يكتئب به من سوء أصابه في سفره كأن يرجع غير مقضي الحوائج، أو يصيب ماله آفة، أو كأن يقدم أهله فيجدهم مرضى أو يفقد بعضهم، قال في «الحرز»: أو يرى بعضهم على المعصية»^(٣).

١٦- قوله: «آيئون»: أي: نحن آيئون من آب إذا رجع والمراد راجعون سالمين غانمين»، قال ابن عبد البر رحمته الله: «وَمَعْنَى آيُئُونَ: رَاجِعُونَ»^(٤).

١٧- قوله: «تائبون»: أي: من كل ذنب وخطيئة، قال ابن عبد البر رحمته الله: «وَمَعْنَى تَائِبُونَ: أَيْ: مِنَ الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ عَائِدُونَ، بِمَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَرَضِيَهُ مِنْهُمْ»^(٥).

١٨- قوله: «عابدون»: أي مخلصين العبادة لله وحده، فهو المستحق لها، قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى»^(٦).

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٣.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٣.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٢٩٠.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٧.

(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٧.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ٥٧، مادة (عبد).

١٩- قوله: «لربنا حامدون»: أي: على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ما ظهر منها وما بطن، قال ابن عبد البر رحمته الله: «حَامِدُونَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ»^(١)، وقال ابن علان رحمته الله: «ففيه مقابلة النعم الإلهية بالخدم على قدر الطاقة، والبداءة بالإياب إلى الله تعالى من المخالفة لأنها كالتخلية بالمعجزة، ثم التوجه إلى صالح العمل، ثم حمد الله على التوفيق له وتيسيره»^(٢).

٢٠- قوله: «الحور بعد الكور»: قال الطيبي رحمته الله: «أي: من النقصان بعد الزيادة، وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل: من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم، وأصله من نقض العمامة بعد لفها»^(٣).

٢١- قوله: «والحور بعد الكون»: وقال النووي رحمته الله: «ورواية النون أكثر، وهي التي في أكثر أصول صحيح مسلم، بل هي المشهورة فيها»^(٤)، وقال الطيبي رحمته الله: «والكون: الحصول على حالة جميلة، يريد التراجع بعد الإقبال»^(٥)، وقال الشيخ مبارك: «(من الحور بعد الكون) استعاذة من الهبوط بعد الرفعة، لأن السفر مظنة التفريط والظلم. ورواية الرّاء استعاذة من النقض بعد الإبرام»^(٦).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب قول هذا الدعاء عند بداية السفر بعد الاستواء على المركب لقول الراوي «إن الرسول ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبير ثلاثاً ثم قال: (...).»
- ٢- استحباب قول هذا الدعاء عند الرجوع من السفر مع الزيادة التي في آخر

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣٠٧.

(٣) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٣.

(٤) الأذكار النووية للإمام النووي، ص ٢٧٨.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٤.

(٦) تطريز رياض الصالحين، ص ٥٧٠.

الحديث لأن العودة سالماً نعمة كبرى توجب الحمد.

٣- قال الإمام النووي رحمته الله: «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ: اسْتِخْبَابُ هَذَا الذِّكْرِ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْأَسْفَارِ كُلِّهَا ، وَقَدْ جَاءَتْ فِيهِ أَذْكَارٌ كَثِيرَةٌ»^(١).

٤- السفر وإن توفرت فيه وسائل الراحة فهو كما قال النبي ﷺ: «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدهم طعامه وشرابه ونومه»^(٢) وقد شرع لنا التعوذ مما يسوء المسافر جملة وكان من دعائه أيضاً أنه يتعوذ عند سفره من «الخور بعد الكور ودعوة المظلوم»^(٣) والمعنى: الرجوع من الإيمان إلى الكفر أو من الزيادة إلى النقص.

٥- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «وإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ: هذه الجملة جملة عظيمة، كأن الإنسان لما ركب مسافراً على هذه الذلول، أو الفلك كأنه يتذكر السفر الأخير من هذه الدنيا، وهو سفر الإنسان إلى الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَام إذا مات، وحمله الناس على أعناقهم»^(٤).

٦- الجزء الأخير من الدعاء وهو قوله: «آيُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» يسن للمسلم قوله وتكراره إذا قارب على العودة إلى بلده لقول أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ لما أشرف على المدينة قال: «آيُونَ» فلم يزل يقولها حتى دخل المدينة^(٥).

٧- قال الطيبي رحمته الله: «وفيه تنبيه على أن السفر الأعظم الذي بصدده، وهو الرجوع إلى الله تعالى، فهو أهم بأن يهتم به، ويشغل بالاستعداد له قبل نزوله»^(٦).

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٤٩٦.

(٢) البخاري، كتاب العمرة، باب السفر قطعة من العذاب، برقم ١٨٠٤.

(٣) مسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، برقم ١٣٤٣.

(٤) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٧٢.

(٥) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يقول إذا رجع من الغزو، برقم ٣٠٨٥.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٢.

٨- يستحب للمسافر أن يكثر من الدعاء أثناء سفره، وأن يتحلل من المظالم قبل سفره، قال النبي ﷺ: «ثلاث دعوات مستجابات، لا شك فيهن: دعوة الوالد على ولده ودعوة المسافر ودعوة المظلوم»^(١).

٩- يستحب للمسافر إذا قدم من سفره أن يصلي ركعتين؛ لأن النبي ﷺ كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين^(٢) وتكون هذه الصلاة قبل دخوله على أهله وهي من السنن التي يغفل عنها كثير من الناس.

١٠- قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: «كيف نبههم بالسفر الحسي على السفر إليه، وجمع لهم بين السفرين، كما جمع لهم الزادين في قوله ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٣) فجمع لهم بين زاد سفرهم، وزاد معادهم، وكما جمع بين اللباسين في قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾^(٤) فذكر سبحانه زينة ظواهرهم وبواطنهم، ونبههم بالحسي على المعنوي، وفهم هذا القدر زائد على فهم مجرد اللفظ، ووضعه في أصل اللسان، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله»^(٥).

(١) أخرجه أحمد، ٢٤٣ / ١٤، برقم ٨٥٨١، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء بظهر الغيب، برقم ١٥٣٦، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما ذكر في دعوة المسافر، برقم ٣٤٤٨، وحسنه لغيره محققو المسند، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣١٣٢.

(٢) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الصلاة إذا قدم من سفر، برقم ٣٠٨٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٥) إعلام الموقعين، ١ / ٢٢٧.

١١- المتدبر لهذه النعم حينما يركب وسيلة للسفر يتذكر سفر الآخرة لأن الإنسان في هذه الدار مسافر إلى ربه، قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾^(١)، ولذلك جاء في الآية: ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

* * *

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

٩٧- دُعَاءُ دُخُولِ الْقَرْيَةِ أَوْ الْبَلَدَةِ

٢٠٨- «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٢٦- لفظ الحاكم أَنَّ كَعْبًا^(٢) حَدَّثَهُ، أَنَّ صُهِيبًا^(٣) صَاحِبَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَرَ قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا ذَرَيْنَ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، وَخَيْرَ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ أَهْلِهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا»^(٤).

(١) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١٠٠/٢، وابن السني، برقم ٥٢٤، والسنن الكبرى للنسائي، كتاب السير، الدعاء عند رؤية القرية التي يريد دخولها، برقم ٨٨٢٦، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٨/٧٣، وحسنه، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب، برقم ١٧٩، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار، ١٥٤/٥، قال العلامة ابن باز رحمته الله: «ورواه النسائي بإسناد حسن». انظر: تحفة الأخيار، ص ٣٧.

(٢) كعب بن ماته الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأجر، قرأ الكتب، وأسلم في خلافة عمر بن الخطاب، ثقة من الثانية، مخضرم كان من أهل اليمن، فسكن الشام، مات في آخر خلافة عثمان وقد زاد على المائة، سنة أربع وثلاثين. انظر: مشاهير علماء الأمصار، ص ١١٨، وتقريب التهذيب، ٣/٣٨٣.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣١، من أحاديث الشرح.

(٤) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١٠٠/٢، وحسنه الحافظ في تخريج الأذكار، ١٥٤/٥، وصححه الألباني في الكلم الطيب، برقم ١٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٧٢٧- ولفظ النسائي عن مَالِكٍ^(١)، «أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ قِرَاءَةَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ يُؤْتِمُّ النَّاسَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ دَارِ أَبِي جَهْمٍ، وَقَالَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ: وَالَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى؛ لَأَنَّ صُحَيْبًا حَدَّثَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَرَى قَرْيَةً يُرِيدُ دُخُولَهَا، إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا ذَرَيْنِ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرِ أَهْلِهَا، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا»، وَحَلَفَ كَعْبٌ بِالَّذِي فَلَقَ الْبَحْرَ لِمُوسَى؛ لَأَنَّهَا كَانَتْ دَعَوَاتِ دَاوُدَ ﷺ حِينَ يَرَى الْعَدُوَّ»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «قرية»: اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس من المساكن والأبنية وقد تطلق على المدن لقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾^(٣) قيل هي أنطاكية، وسميت مكة أم القرى أي: أم المدن، وقال ابن الأثير رحمته الله: «والقرية مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْأَبْنِيَةِ: الضياع، وَقَدْ تُطْلَقُ عَلَى الْمُدُنِ»^(٤)، وقال الفيروزآبادي رحمته الله: «القرية يفتح ويكسر: المصر الجامع، والنسبة: قرئي، وقروي جمع: قري»^(٥).

(١) مالك بن أبي عامر: حليف عثمان بن عبيد الله التيمي القرشي، من أهل المدينة، كنيته أبو أنس، وهو جد مالك بن أنس، يروي عن عمر، وعثمان، وطلحة، روى عنه سليمان بن يسار، وابنه نافع بن مالك، وكان فيمن فرض له عثمان، وهو حليف بني تيم، ثقة من الثانية مات سنة أربع وسبعين على الصحيح. انظر: الثقات لابن حبان، ٢٦ / ٣، وتقريب التهذيب، ٧٠ / ٤.

(٢) السنن الكبرى للنسائي، برقم ٨٨٢٦، والأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٧٣ / ٨، وحسنه، والعلامة ابن باز رحمته الله في تحفة الأخيار، ص ٣٧.

(٣) سورة يس، الآية: ١٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥٦ / ٤، مادة (قري).

(٥) القاموس المحيط، ص ١٧٠٦، مادة (قري).

٢- قوله: «اللهم رب السموات السبع»: قال ابن الأثير رحمته الله: «الرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْمَالِكِ، وَالسَّيِّدِ، وَالْمُدَبِّرِ، وَالْمُرَبِّي، وَالْقَيِّمِ، وَالْمُنْعِمِ، وَلَا يُطْلَقُ غَيْرَ مُضَافٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِ أَضِيفَ، فَيُقَالُ رَبُّ كَذَا»^(١)، وإن الله رب كل شيء، ومالكة، والسموات جعلهن سبعاً، قال ابن جرير رحمته الله: «إن ربكم الذي له عبادة كل شيء، ولا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السموات السبع»^(٢).

٣- قوله: «وما أظللن»: من الإظلال: أي: ما ارتفعت عليه وعلت وكانت له كالظلة، قال ابن الأثير رحمته الله: «وَالظِّلُّ: الْفَيْءُ الْحَاصِلُ مِنَ الْحَاجِزِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الشَّمْسِ أَيْ: شَيْءٍ كَانَ. وَقِيلَ: هُوَ مَخْصُوصٌ بِمَا كَانَ مِنْهُ إِلَى زَوَالِ الشَّمْسِ، وَمَا كَانَ بَعْدَهُ فَهُوَ الْفَيْءُ»^(٣).

٤- قوله: «ورب الأرضين السبع»: قال ابن جرير رحمته الله: «إن ربكم الذي له عبادة كل شيء، ولا تنبغي العبادة إلا له، هو الذي خلق السموات السبع، والأرضين السبع في ستة أيام، وانفرد بخلقهما بغير شريك، ولا ظهير»^(٤).

٥- قوله: «وما أقللن»: من الإقلال والمراد ما حملته على ظهرها من الناس والدواب والأشجار وغير ذلك، قال ابن الأثير رحمته الله: «أَقْلَلُ الشَّيْءَ يُقْلَهُ، وَاسْتَقْلَهُ يَسْتَقْلُهُ إِذَا رَفَعَهُ وَحَمَلَهُ»^(٥)، وقال الزبيدي رحمته الله: «مَنْ: مَلَكٌ، وَجِنٌّ، وَإِنْسٌ، وَشَيْطَانٌ، وَوَحْشٌ، وَسَبْعٌ، وَطَيْرٌ: أَوَّلُهُمْ، وَآخِرُهُمْ بَحِثْ لَا يَشُدُّ مِنْهُمْ أَحَدٌ»^(٦).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٧٩ / ٢، مادة (رب).

(٢) تفسير الطبري، ١٨ / ١٥، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ١٠٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٥٩ / ٣، مادة (ظل).

(٤) تفسير الطبري، ١٨ / ١٥، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٢ من حديث المتن رقم ١٠٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٠٤ / ٤، مادة (قل).

(٦) إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٤٥٢ / ٢.

٦- قوله: «ورب الشياطين»: الشيطان: من الشطن: البعد، أي بُعد عن الخير... كأنه طال في الشر^(١)، وقال ابن علان رحمته الله: «الشيطان: العاتي المتمرد، من شاط احترق، أو من شطن بعد»^(٢).

٧- قوله: «وما أضللن»: من الإضلال وهو الإغواء والصد عن سبيل الله، قال ابن الأثير رحمته الله: «وَأَضَلَّتْهُ إِذَا ضَيَّعَتْهُ، وَضَلَّ النَّاسِي إِذَا غَابَ عَنْهُ حِفْظُ الشَّيْءِ. وَيُقَالُ: أَضَلَّكَ الشَّيْءُ إِذَا وَجَدْتَهُ ضَالًّا، كَمَا تَقُولُ: أَحْمَدْتُهُ، وَأَبْخَلْتُهُ إِذَا وَجَدْتَهُ مَحْمُودًا وَبَخِيلًا... وَمِنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى قَوْمَهُ فَأَضَلَّهُمْ أَيْ: وَجَدَهُمْ ضَالًّا غَيْرَ مُهْتَدِينَ إِلَى الْحَقِّ»^(٣)، وقال الزبيدي رحمته الله: «أضللن: أي: أغوين»^(٤).

٨- قوله: «ورب الرياح»: قال الفيومي رحمته الله: «الرَّيْحُ: الْهَوَاءُ الْمُسَخَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... وَالْجَمْعُ أَرْوَاحٌ وَرِيَّاحٌ»^(٥).

٩- قوله: «وما ذرين»: أي: أطارته كقوله تعالى: ﴿فَأُصْبِحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾^(٦) يقال: ذرته الرياح وأذرته وتذره^(٧)، وقال ابن الأثير رحمته الله: «ذَرَتْهُ الرِّيحُ، وَأَذَرَتْهُ تَذْرُوهُ، وَتَذَرِيهِ: إِذَا أَطَارَتْهُ. وَمِنْهُ تَذَرِيَةُ الطَّعَامِ»^(٨).

١٠- قوله: «أسألك» أي: أتوسل إليك، وأدعوك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «سؤال الله، والتوسل إليه بامثال أمره، واجتناب نهيه، وفعل ما يحبه»^(٩).

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢ / ٤٧٤، مادة (شطن)، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٧ من الحديث رقم ١ من أحاديث المتن في المقدمة في فضل الذكر.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١ / ٢٣٢، وتقدم في المفردة رقم ٨ من حديث المتن رقم ١٩٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (ضلل).

(٤) إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٦ / ٤٠٥.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ١ / ٢٤٤، مادة (روح).

(٦) سورة الكهف، الآية: ٤٥.

(٧) فقه الأدعية والأذكار، ص ٢٧١.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ١٥٩)، مادة (ذر).

(٩) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢ / ٣٢٢، وتقدم في شرح المفردة الثالثة من

- ١١- قوله: «خير هذه القرية»: أي: السلامة فيها والعود من وبائها ووحمها.
- ١٢- قوله: «وخير أهلها»: أي: الاجتماع مع الصالحين والعلماء والتعارف بهم.
- ١٣- قوله: «وخير ما فيها»: أي: من العلم، والحكمة، والأمور الراجعة إلى المنافع الدينية والدنيوية.
- ١٤- قوله: «وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها»: قال المناوي رحمته الله: «أي: شَرَّ مَا اسْتَقَرَّ مِنَ الْأَوْصَافِ، وَالْأَحْوَالِ الْخَاصَّةِ بِهَا، وَشَرَّ مَا فِيهَا: أَي: شَرَّ مَا وَقَعَ فِيهَا، وَسِيقَ إِلَيْهَا»^(١).
- ١٥- قوله: «فَلَقَّ الْبَحْرَ لِمُوسَى»: قال ابن منظور رحمته الله: «الْفَلَقُ: الشَّقُّ، وَالْفَلَقُ مَصْدَرُ فَلَقَهُ يَفْلُقُهُ فَلْقًا شَقًّا، وَالتَّفْلِيقُ مِثْلُهُ، وَفَلَقَهُ فَاَنْفَلَقَ وَتَفَلَّقَ، وَالْفَلَقُ: مَا تَفَلَّقَ مِنْهُ...، الْفُلُوقُ: الشُّقُوقُ، وَاحِدُهَا فَلَقٌ، مُحَرَّكٌ؛ ... وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ أَرَادَ فَاَنْفَرَقَ الْبَحْرُ، فَصَارَ كَالْجِبَالِ الْعِظَامِ وَصَارُوا فِي قَرَارِهِ»^(٢).
- ١٦- قوله: «موسى ...»: من أنبياء بني إسرائيل، وهو نبي الله ورسوله، وصفيه، وكليمه، والآيات في فضله، وتكريم الله تعالى، والثناء عليه، وأنواع مكارمه معلومة»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- بيان عظيم قدرة الله عز وجل والتي لو تأملها العبد من خلال كلمات هذا الذكر المبارك لوقر في قلبه تعظيم الرب، ولما تجرأ على معصيته.

=

مفردات حديث المتن رقم ١٧٧.

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير، ٢ / ٢٤٨.

(٢) لسان العرب، ١٠ / ٣٠٩، مادة (فلق).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، ٢ / ١١٨.

٢- مشروعية التوسل إلى الله ﷻ بربوبيته بهذه المخلوقات الدالة على إحاطته بالكون كله العلوي منه، والسفلي، وأنه لا تخفى عليه خافية، وأنه قد أحاط بكل شيء علماً.

٣- اللجوء إلى الله ﷻ حصن يتحصن به المسلم في جميع أحواله حضراً وسفراً لعموم قول الله ﷻ: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١).

٤- الحث على رفقة أهل الفضل والديانة لأنهم يذكرون العبد بربه وهم عون له على طاعة الله، وقد قال النبي ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي»^(٢).

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

(٢) أخرجه أحمد، ٤٣٧ / ١٧، برقم ١١٣٣٧، وأبو داود، برقم ٤٨٣٢، والترمذي، برقم ٢٣٩٥، وقال: «حسن صحيح» وحسنه محققو المسند، ٤٣٧ / ١٧، والعلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣٠٣٦.

٩٨ - دُعَاءُ دُخُولِ السُّوقِ

٢٠٩- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٢٨- لفظ الترمذي عَنْ عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»^(٣).

٧٢٩- ورواية أخرى للترمذي أيضاً عَنْ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي السُّوقِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ،

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا دخلت السوق، برقم ٣٤٢٨، ورقم ٣٤٢٩، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب الأسواق ودخولها، برقم ٢٣٣٥، وأحمد ١/ ٤١٠، برقم ٣٢٧، والحاكم، ٥٣٨/١، وصححه، وقواه عدد من العلماء، كالإمام البغوي، في شرح السنة، ٥/ ١٣٢، والنووي، في المجموع، ٤/ ٦٥٢، والمنذري في الترغيب والترهيب، ٢/ ٣٣٧، وابن القيم في حاشيته على سنن أبي داود، ١٣/ ٢٨٥، والزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ٢/ ١٣٣، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ١٨١٧، وفي صحيح الترمذي، برقم ٢٧٢٦. وتكلم فيه عدد من العلماء، كالحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/ ٢٠٦ حيث قال: «في سننه لين» وضعفه محققو المسند، ١/ ٤١١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦١ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٢٨، وقواه الإمام النووي في المجموع، ٤/ ٦٥٢، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، برقم ٢٧٢٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»^(١).

٧٣٠- عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَا تَكُونَنَّ إِنْ اسْتَطَعْتَ، أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصَبُ رَأْيَتُهُ، قَالَ: وَأُنَبِّئُكَ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَى نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَ: فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ: قَالَتْ: هَذَا دِخْيَةٌ، قَالَ: فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَيُّمُ اللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ - يُخْبِرُ خَبَرَنَا، أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ»^(٢).

٧٣١- عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَفِيهَا بَاضُ الشَّيْطَانِ وَفَرَحٌ»^(٣).

٧٣٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ أَسْوَاقُهَا»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «من دخل السوق» قال الطيبي رحمته الله: «إنما خص السوق بالذكر؛ لأنه مكان الاشتغال عن الله، وعن ذكره بالبيع والشراء، فمن ذكر الله تعالى فيه دخل في زمرة من قيل في حقه: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾»^(٥) ^(٦).

(١) الترمذي، برقم ٣٤٢٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، برقم ٢٤٥١.

(٣) المعجم الكبير، ٦/ ٢٤٨، برقم ٦١١٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٤/ ٧٧: «فيه القاسم بن يزيد، فإن كان هو الجرمي، فهو ثقة، وبقيّة رجاله رجال الصحيح» وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ٧/ ٣٧٩، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة، ١٤/ ١١٨٠، تحت الرقم ٧٠٧٣.

(٤) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد، برقم ٦٧١.

(٥) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٩.

٢- قوله: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له»: أي: هو المنفرد بالخلق والرزق والملك والتدبير فلا منازع له في ملكه، وهو المتفرد باستحقاق العبودية بحق، وقال العلامة سليمان بن عبد الوهاب رحمته الله: «لا معبود بحق إلا إله واحد، وهو الله وحده لا شريك له... فصح أن معنى الإله هو المعبود... فهذا هو معنى لا إله إلا الله، وهو عبادة الله، وترك عبادة ما سواه، وهو الكفر بالطاغوت، وإيمان بالله، فتضمنت هذه الكلمة العظيمة أن ما سوى الله ليس بإله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذها إلهًا وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهًا»^(١).

٣- قوله: «لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ»: أي: جميع الممالك بيده العلوية والسفلية كلها تحت قبضته ولا يقع فيها شيء إلا على وفق تقديره وإرادته، قال الباجي رحمته الله: «لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ، لِأَنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْجِنْسِ، فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ، وَجُعِلَ جَمِيعُ الْحَمْدِ لِلَّهِ تعالى؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ، وَإِنَّمَا يُحْمَدُ غَيْرُهُ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُحْمَدَ»^(٢).

٤- قوله: «يحيي ويميت»: أي: هو المنفرد بالإحياء والإماتة فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب إلا بإذنه^(٣) قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤)، قال الطبري رحمته الله: «يحيي ما يشاء من

(١) تيسير العزيز الحميد، ص ٥٢، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٦ من حديث المتن رقم ٢٠٥.

(٢) المتقى، شرح الموطأ للباجي، ٣ / ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١٥٢.

(٣) تفسير السعدي، ص ٧٤٢.

(٤) سورة غافر، الآية: ٦٨.

الخلق، بأن يوجد كيف يشاء، وذلك بأن يحدث من النطفة الميتة حيواناً، بنفخ الروح فيها من بعد تارات يقلبها فيها، ونحو ذلك من الأشياء، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد الحياة، بعد بلوغه أجله فيفنيه»^(١).

٥- قوله: «وهو حي لا يموت»: أي: لا تعتريه هذه الآفات الدالة على العجز والنقص فهو منزّه عن ذلك لأنه هو خالق الموت والحياة، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «وهو حي لا يموت»: ينفي عن الله تعالى ما ينسب إلى المخلوقين»^(٢)، وقال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: «معنى ذلك عندي: أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التي لا فناء لها، ولا انقطاع، ونفى عنها ما هو حال بكل ذي حياة من خلقه: من الفناء، وانقطاع الحياة عند مجيء أجله، فأخبر عباده أنه المستوجب على خلقه العبادة، والألوهة، والحي الذي لا يموت، ولا يبيد، كما يموت كل من اتخذ من دونه ربّاً، ويبيد كل من ادعى من دونه إلهاً، واحتج على خلقه بأن من كان يبيد فيزول، ويموت فيفنى، فلا يكون إلهاً يستوجب أن يعبد دون الإله الذي لا يبيد ولا يموت، وأن الإله، هو الدائم الذي لا يموت، ولا يبيد، ولا يفنى، وذلك الله الذي لا إله إلا هو»^(٣).

٦- قوله: «بيده الخير»: أي: والشر أيضاً، إنما قال ذلك تأدباً مع ربه رَحِمَهُ اللهُ، فهو خالق الخير والشر، وكل أفعاله لها حكم بالغة، قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: بيده الخير» أي: أن هذه الأشياء التي يطلبونها من الخير في يده، وهو على كل شيء قدير»^(٤)، لكن الشر لا ينسب إليه لقول النبي ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ لأنه لا يأتي منه إلا خير، والشر المحض الذي لا خير فيه لا ينسب إلى الله رَحِمَهُ اللهُ،

(١) تفسير الطبري، ٢٣ / ١٦٥.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٩٩.

(٣) تفسير الطبري، ٦ / ١٥٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٠ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٩٩.

وقال ابن رجب رحمته الله: «إنه سبحانه الغني بذاته عمن سواه، وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته، وأفعاله، فملكه ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على أي وجه كان، ومن الناس من قال إن إيجاده لخلقه على هذا الوجه الموجود أكمل من إيجاده على غيره، وهو خير من وجوده على غيره، وما فيه من الشر فهو شر إضافي نسبي بالنسبة إلى بعض الأشياء دون بعض، وليس شراً مطلقاً بحيث يكون عدمه خيراً من وجوده من كل وجه، بل وجوده خير من عدمه»^(١).

٧- قوله: «وهو على كل شيء قدير»: قال ابن جرير: «وهو على إحيائكم بعد مماتكم، وعقابكم على إشراككم به الأوثان وغير ذلك مما أراد بكم، وبغيركم قادر»^(٢)، ... وقال الإمام ابن القيم رحمته الله: «كل يوم هو في شأن: يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويفك عانياً، وينصر مظلوماً، ويقصم ظالماً، ويرحم مسكيناً، ويغيث ملهوفاً، ويسوق الأقدار إلى مواقيتها، ويجريها على نظامها، ويقدم ما يشاء تقديمه، ويؤخر ما يشاء تأخير، فأزمنة الأمور كلها بيده، ومدار تدبير الممالك كلها عليه، وهذا مقصود الدعوة، وزبدة الرسالة»^(٣).

٨- قوله: «وهو على كل شيء قدير»: أي: له القدرة المطلقة؛ فإذا أراد شيئاً أنفذه، لا راد لحكمه، ولا معقب لأمره ﷻ.

٩- قوله: «كتب الله له ألف ألف حسنة»: قال ابن الأثير رحمته الله: «يُقَالُ: كَتَبَ يَكْتُبُ كِتَاباً وَكِتَابَةً. ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ الْمَكْتُوبُ، وَمِنْهُ ... «كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ» أَيْ: فَرَضَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ»^(٤)، وقال الإمام النووي رحمته الله: «الْحَسَنَةُ فِي الدُّنْيَا أَنَّهَا:

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ص ٢٢٨، وتقدم في شرح المفردة رقم ١١ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.

(٢) تفسير الطبري، ١٥ / ٢٣٢.

(٣) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، ٣ / ٣٤٩، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ١٤٧، مادة (كتب).

الْعِبَادَةِ، وَالْعَافِيَةِ، وَفِي الْآخِرَةِ: الْجَنَّةُ، وَالْمَغْفِرَةُ، وَقِيلَ: الْحَسَنَةُ تَعْمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ^(١)، وألف ألف حسنة تساوي بالأعداد في وقتنا الحاضر مليون حسنة.

١٠- قوله: «ومحا ألف ألف سيئة»: قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «مَحَا الشَّيْءَ يَمْحُوهُ، وَيَمْحَاهُ مَحْوًا، وَمَحْيًا: أَذْهَبَ أَثَرَهُ... الْمَحْوُ لِكُلِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ أَثَرُهُ، تَقُولُ: أَنَا أَمْحُوهُ وَأَمْحَاهُ، وَطِيءٌ تَقُولُ مَحْيْتُهُ مَحْيًا وَمَحْوًا»^(٢)، وقال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «محاها من صحائفه، أو غفرها، وأغفلها حتى كأن لم يكن، والمراد بها من الصغائر؛ لما تقرر عندهم من أن الكبائر لا يمحوها إلا التوبة»^(٣)، وألف ألف سيئة تساوي في أعدادنا الحالية مليون سيئة.

١١- قوله: «ورفع له ألف ألف درجة» قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ: «ورفع في الجنة، والدرجة رتبة من رتب الإثابة، أو مرقاة حقيقة يصعد عليها غرف الجنة، فرفع الدرجة كناية عن رفع غرفته»^(٤).

١٢- قوله: «بنى الله له بيتاً في الجنة»: قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ اللهُ: «والبناء: اسم لما يبنى بناء»^(٥)، وقال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «بنى الله له: إسناد البناء إليه سبحانه مجاز، وأبرز الفاعل تعظيماً وافتخاراً... وبيتاً في الجنة متعلق ببنى، وفيه أن فاعل ذلك يدخل الجنة؛ إذ القصد ببنائه له إسكانه إياه»^(٦).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب قول هذا الذكر المبارك عند دخول السوق، وبيان سعة فضل

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧ / ١٤.

(٢) لسان العرب، ١٥ / ٢٧١، مادة (محو).

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ١ / ٢٩٠.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، ١ / ٢٩٠.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، ١ / ١٢٠، مادة (بنى).

(٦) فيض القدير، ٦ / ٩٥.

الله، وكرمه على قائله، فقد جاء في نهاية الحديث: «كتب له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وبني له بيتًا في الجنة» ولا حرج على فضل الله.

٢- الحكمة في قول هذا الذكر أن أهل الأسواق قد شغلوا بالتجارة، والمكاسب الدنيوية، والتي يكون معظمها مبني على أيمان كاذبة، فجاء قائل هذا الذكر معظمًا لربه، مثنيًا عليه بجميل صفاته، فأنعم الله عليه بمثل هذا الجزاء العظيم.

٣- إثبات اسم «الحي» لله ﷻ، وإثبات صفة الحياة له تبارك وتعالى وهي من الصفات الذاتية، وحياته أكمل حياة، وأتمها ليس كحياة أحد من المخلوقين، فهو حي لا يموت، قيوم لا ينام^(١).

٤- «القدير» من أسماء الله الحسنی، ومعناه تام القدرة، لا يلبس قدرته عجز بأي وجه من الوجوه. قال ابن القيم:

وهو القدير وليس يعجزه إذا ما رام شيئاً قط ذو سلطان^(٢)

٥- جاء في بعض طرق هذا الحديث قول أحد رواته: فقدمت خرسان فأتيت قتيبة بن مسلم^(٣) فقلت: أتيتك بهدية، فحدثته بالحديث، فكان يركب في موكبه حتى يأتي السوق فيقول هذا الذكر ثم ينصرف^(٤).

(١) راجع الحديث رقم ٧١ من أحاديث متن هذا الكتاب، المفردة رقم ١، ورقم ٢، ورقم ٣.

(٢) النونية، ٢١٨/٢.

(٣) قتيبة بن مسلم الباهلي: بطل مغوار، تابعي، ثقة، مات في زمن المأمون ٢١٧، انظر: سير أعلام النبلاء، ٤/ ٤١٠، برقم ١٦٠.

(٤) الحاكم في المستدرك على الصحيحين، ٥٣٨/١، وقال بعده: «هَذَا حَدِيثٌ لَهُ طُرُقٌ كَثِيرَةٌ، تُجْمَعُ، وَفِي أَكْثَرِهَا عَنْ أَبِي يَحْيَى عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ قَهْرْمَانِ آلِ الزُّبَيْرِ عَنْ سَالِمٍ، وَأَبُو يَحْيَى هَذَا لَيْسَ مِنْ شَرْطِ هَذَا الْكِتَابِ، فَأَمَّا أَزْهَرُ بُنَى سَنَانٍ فَإِنَّهُ مِنْ زُهَادِ الْبُصْرِيِّينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ وَمَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ زَيْدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ الْمُخَرَّجِ حَدِيثُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ سَالِمٍ» وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٦- وفيه ما كان عليه الأمراء من محبة السنة وإشاعتها بين الناس.

٧- قال الشيخ العارف أبو عبد الله الحكيم الترمذي: إن أهل السوق قد افترض العدو منهم حرصهم، وشحهم، فنصب كرسيه، وركز رايته، وبث جنوده، ورغبهم في هذا الفاني، فصيرها عدة وسلاحاً لفتنته بين مططف في كيل، وطايش في ميزان، ومنفق السلعة بالحلف الكذب، وحمل عليهم حملة، فهزمهم إلى المكاسب الردية، وإضاعة الصلاة، ومنع الحقوق؛ فما داموا في هذه الغفلة، فهم على خطر من نزول العذاب، فالذاكر فيما بينهم يرد غضب الله، ويهزم جند الشيطان، ويتدارك بدفع ما حث عليهم بتلك الأفعال، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(١) فيدفع بالذاكرين عن أهل الغفلة، وفي تلك الكلمات نسخ لأفعال أهل السوق»^(٢).

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥١، وانظر: كتاب نوادر الأصول للحكيم الترمذي، ١٦١ / ٢.

(٢) شرح المشكاة للطيب: الكاشف عن حقائق السنن، ١٨٩٩ / ٦.

٩٩ - الدَّعَاءُ إِذَا تَعَسَ الْمَرْكُوبُ

٢١٠- «بِسْمِ اللَّهِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٣٣- لفظ أبي داود عَنْ رَجُلٍ^(٢)، قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَثَرْتُ دَابَّتَهُ، فَقُلْتُ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: «لَا تَقُلْ تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب حدثنا مسدد، برقم ٤٩٨٢، والنسائي في الكبرى، عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا عثرت دابته، برقم ١٠٣٨٨، ومسند أحمد، ٣٤ / ١٩٨، برقم ٢٠٥٩١، وأخرجه الحاكم، ٢٩٢ / ٤، وصححه ووافقه الذهبي، وعبد الرزاق في المصنف، برقم ٢٠٨٩٩، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٥٨، وأبو يعلى في المعجم، ٨٣ / ١، برقم ٧١، والطبراني في الكبير، ١ / ١٩٤، برقم ٥١٦، والضياء المقدسي في المختارة، ٤ / ١٩٦، برقم ١٤١٢، ورقم ١٤١٣، وقال: «إسناده صحيح» وصححه النووي في الأذكار، ص ٣٨٣، والصالحى الشامي في سبيل الهدى والرشاد، ٧ / ٣٨٠، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠ / ١٣٢، وصححه محققو المسند، ٣٤ / ١٩٨، وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ٢٣٣: «وأخرجه أحمد بإسناد جيد». وصاحب عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني، ٢ / ٥٨٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣ / ٩٤١، وفي صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٣١٢٨، و٣١٢٩.

(٢) رجل من أصحاب النبي ﷺ: الجهالة باسم الصحابي لا تضر؛ لأنهم كلهم عدول بتعديل الله، لهم في قوله: «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ» [التوبة: ١٠٠] وقوله: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا» [الفتح: ٢٩] وقوله ﷺ: «خير الناس قرني» [البخاري، برقم ٣٦٥١، وقال الإمام النووي في الأذكار، ص ٣٨٣: «فإن الرجل المجهول في رواية أبي داود صحابي، والصحابة ﷺ كلهم عدول، لا تضر الجهالة بأعيانهم»]، أما من دونهم من التابعين ومن جاء بعدهم فيلزم البحث عن عدالتهم، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة^(٣).

وجاء عند ابن السني [تعيين] اسم هذا الصحابي الذي أبهم عند أبي داود، وأنه هو: أسامة بن عمير الهذلي: بصري، له صحبة ورواية، وهو والد أبي المليح الهذلي، واسم أبي المليح عامر بن أسامة ﷺ، ولم يرو عن أسامة هذا إلا ابنه [أبو] المليح الهذلي. انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر، ٧٨ / ١، والإصابة، لابن حجر، ٥٠ / ١.

ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الثَّيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»^(١).

٧٣٤- ولفظ الإمام أحمد عَمَّنْ كَانَ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَهُ عَلَى حِمَارٍ، فَعَثَرَ الْحِمَارُ، فَقُلْتُ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ: «لَا تَقُلْ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، تَعَاظَمَ الشَّيْطَانُ فِي نَفْسِهِ، وَقَالَ: صَرَعْتُهُ بِقُوَّتِي، فَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ اللَّهِ، تَصَاغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ حَتَّى يَكُونَ أَصْغَرَ مِنْ ذُبَابٍ»^(٢).

٧٣٥- ولفظ الضياء المقدسي عن ردِّف رسول الله ﷺ عَثَرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ الناقة، قَالَ: فَقُلْتُ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ، قَالَ: «لَا تَقُلْ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ فَإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الْجَبَلِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي صَرَعْتُ، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يَتَصَاغَرُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ»^(٣).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «رديف»: أي: راكب خلفه على الدابة، قال ابن منظور رحمه الله: «الرِّدْفُ مَا تَبَعَ الشَّيْءَ وَكُلُّ شَيْءٍ تَبَعَ شَيْئاً فَهُوَ رِدْفُهُ... وَرَدْفٌ كُلُّ شَيْءٍ مُؤَخَّرُهُ، وَالرِّدْفُ الْكَفْلُ وَالْعُجْزُ، ... وَرَدَفَ الرَّجُلَ وَأَزْدَفَهُ رَكِبَ خَلْفَهُ، وَارْتَدَفَهُ خَلْفَهُ عَلَى الدَّابَّةِ»^(٤)، وقال ابن الملقن رحمه الله: «الردف والرديف: هو الراكب خلف

(١) أبو داود، برقم ٤٩٨٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٩٤١/٣، وفي صحيح الترمذي والتهذيب، برقم ٣١٢٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن

(٢) مسند أحمد، برقم ٢٠٥٩١، والحاكم، ٢٩٢/٤، وصححه النووي في الأذكار، ص ٣٨٣، والصالح الشامي في سبل الهدى والرشاد، ٣٨٠/٧، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٣٢/١٠، وصححه محققو المسند، ١٩٨/٣٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) الضياء المقدسي في المختارة، ١٩٦/٤، برقم ١٤١٢، ورقم ١٤١٣، وقال: «إسناده صحيح» وأبو يعلى في المعجم، ٨٣/١، برقم ٧١، وصححه النووي في الأذكار، ص ٣٨٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) لسان العرب، ١١٤/٩، مادة (ردف).

الراكب، وأصله من ركوبه على الردف، وهو العجز»^(١).

٢- قوله: «عثرت»: أي: زلقت، وتعثرت في مشيتها، قال ابن منظور رحمته الله: «عَثَرَ، يَعْثُرُ، وَيَعْثُرُ عَثْرًا وَعِثَارًا، وَتَعَثَّرَ: كَبَا... والعَثْرَةُ: الزَّلَّةُ، ويقال: عَثَرَ بِهِ فَرَسُهُ فَسَقَطَ... والعَثْرَةُ المرة من العِثَارِ فِي الْمَشْيِ»^(٢).

٣- قوله: «تعس»: أي: هلك، قال ابن الأثير رحمته الله: «تعس: أي: خاب وخسر»^(٣)، وقال النووي رحمته الله: «تَعَسَ، فَقِيلَ مَعْنَاهُ: هَلَكَ، وَقِيلَ سَقَطَ، وَقِيلَ عَثَرَ، وَقِيلَ لَزِمَهُ الشَّرُّ، وَهُوَ بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَفَتْحِهَا»^(٤)، وقال ابن الأثير رحمته الله أيضاً: «وَهُوَ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْهَلَاكِ»^(٥)، وقال ابن الملقن رحمته الله: «التَّعَسُ: الْكَبُّ، أَيْ: عَثَرَ فَسَقَطَ لَوَجْهَهُ... التَّعَسَ... وَقِيلَ: هُوَ الْبَعْدُ»^(٦).

٤- قوله: «تعاضم»: أي: ظن في نفسه أنه كبير، قال ابن الأثير رحمته الله: «التَّعَظُمُ فِي النَّفْسِ: هُوَ الْكِبَرُ وَالنَّحْوَةُ أَوْ الزَّهْوُ، وَفِيهِ «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَا يَتَعَظَّمُنِي ذَنْبٌ أَنْ أَغْفِرَهُ»^(٧) أَيْ: لَا يَعْظُمُ عَلَيَّ وَعِنْدِي»^(٨)، وقال العظيم أبادي رحمته الله: «تَعَاضَمَ: أَيْ: صَارَ عَظِيمًا، وَكَبِيرًا»^(٩)، وقال الشنقيطي: «انتفخ الشيطان، وتعاضم»^(١٠).

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ٢٨ / ٢٢٧.

(٢) لسان العرب، ٤ / ٥٣٩، مادة (عثر).

(٣) جامع الأصول، ٦ / ٦٣٥.

(٤) الأذكار النووية للإمام النووي، ٣٨٣.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١ / ١٩٠، مادة (تعس).

(٦) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٧ / ٥٨٢.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في الزهد، ص ٧٢، والحكيم الترمذي في نوارد الأصول في أحاديث الرسول، ٤ / ٥٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ٨ / ١٩٥، واستشهد به الإمام ابن القيم في مدارج السالكين، ٣ / ١٥٢.

(٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٢٦٠، مادة (عظم).

(٩) عون المعبود، ١٣ / ٢٢٣.

(١٠) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ١٤ / ٢٩٩.

٥- قوله: «فَقَالَ: لَا تَقُلْ: تَعَسَ الشَّيْطَانُ»: قال العظيم أبادي رَحِمَهُ اللهُ: «فِي الْقَامُوسِ: التَّعَسَ: الْهَلَاكُ، وَالْعِثَارُ، وَالسُّفُوطُ، وَالشَّرُّ، وَالْبُعْدُ...: أَكَبَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَفِي الدَّعَاءِ تَعَسَا»^(١).

٦- قوله: «بِقُوَّتِي»: أي أنا الذي فعلت ذلك، وقال العظيم أبادي رَحِمَهُ اللهُ: «وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي: أَي: حَدَثَ ذَلِكَ الْأَمْرُ بِقُوَّتِي»^(٢).

٧- قوله: «ولكن قل بسم الله»: قال الدمياطي رَحِمَهُ اللهُ: «من أراد أن يحيا سعيداً، ويموت شهيداً، فليقل عند ابتداء كل شيء بسم الله الرحمن الرحيم، أي: كل شيء ذي بال، بدليل الحديث»^(٣).

٨- قوله: «فإنك إذا قلت ذلك تصاغر»: أي: عاد إلى حجمه، وحقارته، قال ابن الملقن رَحِمَهُ اللهُ: «تصاغر: من الصغار، وهو الذل والهوان، أو هو من الصغر، أي: صار صغيراً بعد عظمه»^(٤)، وقال العظيم أبادي رَحِمَهُ اللهُ: «تَصَاغَرَ: أَي صَارَ صَغِيرًا، وَحَقِيرًا»^(٥).

٩- قوله: «حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ»: قال البكري رَحِمَهُ اللهُ: «يصغر حتى يصير أقل من ذبابة»^(٦)، وقال الشنقيطي: «إذا ذكر الله انخنس الشيطان، فذهب كالخردلة حقيراً مدحوراً بذكر الله جل جلاله»^(٧)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «الْحِكْمَةُ فِي تَشْبِيهِ ذُنُوبِ الْفَاجِرِ بِالذُّبَابِ كَوْنِ الذُّبَابِ أَحْفَ الطَّيْرِ

(١) عون المعبود، ١٣ / ٢٢٣.

(٢) عون المعبود، ١٣ / ٢٢٣.

(٣) حاشية إعانة الطالبين، ١ / ١٠.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٧ / ٥٨٢.

(٥) عون المعبود، ١٣ / ٢٢٣.

(٦) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين، ١ / ١٠.

(٧) شرح زاد المستقنع للشنقيطي، ١٤ / ٢٩٩.

وأحقره ، وهو مما يُعائِن ويُدفع بِأَقْلِ الأشياء»^(١)، وقال: ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «يُعْنِي الشَّيْطَانُ: أَيُّ: ذَلٌّ وَامْحَقٌّ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الصُّغْرِ وَالصَّغَارِ، وَهُوَ الذَّلُّ وَالْهَوَانُ»^(٢)، وقال الدميري رَحِمَهُ اللهُ: في تعليقه على الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً﴾^(٣): «وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى في تجهيل قريش، واستركاك عقولهم، ... وأدل من ذلك على عجزهم، وانتفاء قدرتهم، أن هذا الخلق الأذلّ الأقلّ، لو اختطف منهم شيئاً، فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه، لم يقدرُوا... فجعلت مثلاً وقالوا: «أجراً من ذبابة»، و«أهون من ذبابة»، و«أطيش وأخطأ من الذباب»؛ لأنه يلقي نفسه في الشيء الحار، والشيء الذي يلتصق به، ولا يمكنه التخلص»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع مع أصحابه رَحِمَهُمُ اللهُ فقد أردف خلفه مرة معاذ بن جبل^(٥)، وأخرى أسامة بن زيد^(٦)، وثالثة أردف أغيلمة من بني عبد المطلب واحداً بين يديه والآخر خلفه^(٧).

٢- النهي عن سب الشيطان بقول القائل: يا ابن كذا وكذا؛ لأن ذلك يوهم السامع أن الشيطان له دخلاً فيما يقع، والحق أن الكل بتقدير الله، والجائز هو لعنه كما قال الله: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾^(٨) والاستعاذة بالله منه.

(١) فتح الباري، ١١ / ١٠٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣ / ٣٢، مادة (صغر).

(٣) سورة الحج، الآية ٧٣.

(٤) حياة الحيوان الكبرى، ١ / ٤٩٣، وانظر: إعراب القرآن وبيانه، لمحيي الدين درويش، ٦ / ٤٨٢.

(٥) البخاري، برقم ٥٩٦٧.

(٦) البخاري، برقم ٥٩٦٤.

(٧) البخاري، برقم ٥٩٦٥.

(٨) سورة النساء، الآية: ١١٨.

٣- الشيطان يكلم إخوانه من الشياطين ويفتخر عليهم بأمثال هذه الأمور ولكنه يخسأ ويتضائل ويذهب كيده بذكر اسم الله، قال الله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(١)، وتعاضمه، وكونه مثل البيت وفي رواية مثل: الجبل قد يكون على الحقيقة، أو كناية عن فرحه، وكذلك تصاغره قد يكون على الحقيقة، وقد يكون كناية عن ذله وقهره.

٤- قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ: أَخْزَى اللَّهُ الشَّيْطَانَ، وَقَبَّحَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يُفْرِحُهُ، وَيَقُولُ عَلِيمُ ابْنُ آدَمَ أَنِّي قَدْ نَلْتُهُ بِقُوَّتِي، وَذَلِكَ مِمَّا يُعِينُهُ عَلَى إِغْوَائِهِ، وَلَا يُفِيدُهُ شَيْئًا، فَأَرَشَدَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَسَّهُ شَيْءٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَنْ يَذْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى، وَيَذْكُرَ اسْمَهُ وَيَسْتَعِيدُ بِاللَّهِ مِنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَعُ لَهُ وَأَعْيَظُ لِلشَّيْطَانِ»^(٢).

٥- إنما أمروا بالاستعاذة من الشيطان فيما جعل له سلطان عليهم، وهي الوسوسة؛ لتحبيب الشر، وتكريه الخير، وإنساء ما يذكرون، وتذكير ما ينسون، وأما إثارة دوابهم وإهلاك أموالهم فلا سبب له فيها، فنهوا عن الدعاء عليه، وعند ذلك؛ لأنه يوهم أن الفعل كان منه بغيره حتى سقط، والواقع بخلافه»^(٣).

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢ / ٣٢٤.

(٣) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، لأبي المحاسن يوسف بن موسى بن محمد الملطي الحنفي، ٢ / ١٢٢.

١٠٠- دُعَاءُ الْمُسَافِرِ لِلْمَقِيمِ

٢١١- «أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٣٦- لفظ ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، قَالَ: وَدَّعَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»^(٣).

٧٣٧- ولفظ النسائي في الكبرى: عن موسى بن وردان، قال: أَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَوْدَعُهُ لِسَفَرٍ أَرَدْتُهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَلَا أَعْلَمُكَ يَا ابْنَ أَخِي شَيْئًا عَلَّمَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقُولُهُ عِنْدَ الْوَدَاعِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: قُلْ: «أَسْتَوْدِعُكُمُ اللَّهَ الَّذِي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُهُ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «ودَّعني»: قال الفيروزآبادي رحمته الله: «وَدَّعَهُ كَوَضَعَهُ، وَوَدَّعَهُ: بِمَعْنَى، والاسم: الوداع وهو تخليف المسافر الناس خافضين وهم يودعون، إذا سافر

(١) ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب تشييع الغزاة ووداعهم، برقم ٢٨٢٥، وسنن النسائي الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول عند الوداع، برقم ١٠٣٤٢، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٥٣، وحسن إسناده الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ١٢٧/٥، وحسنه سليم الهلالي في عجلة الراغب المتمني، ٥٧٨/٢، وأحمد، ١٢٦/١٥، برقم ٩٢٣٠، وحسن إسناده الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ١٢٧/٥، ومحققو المسند، ١٢٦/١٥، والألباني في صحيح ابن ماجه، ١٣٣/٢ برقم ٢٥٤٧.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) ابن ماجه، برقم ٢٨٢٥، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٥٤٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) سنن النسائي الكبرى، برقم ١٠٣٤٢، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٥٣، وحسن إسناده الزين العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ١٢٧/٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

تفاؤلاً بالدعة التي يصير إليها إذا قفل، أي: يتركونه وسفره^(١).

٢- قوله: «أستودعكم الله»: أي: أجعلكم في حفظ الله ورعايته، قال ابن الأثير رحمه الله: «يُقَالُ: اسْتَوْدَعْتُهُ وَدِيعَةً، إِذَا اسْتَحْفَظْتَهُ إِيَّاهَا»^(٢).

٣- قوله: «الذي لا تضيع ودائعه»: جمع ودِيعَة، والودِيعَة في الأصل اسم للمال المتروك عند أحد، من الودع وهو الترك^(٣)، قال المناوي رحمه الله: «أي: الذي إذا استحفظ ودِيعَة لا تضيع؛ فإنه تعالى إذا استودع شيئاً حفظه ... أصل الودِيعَة التخلي عن الشيء، وتركه، وإذا تخلى العبد عن الشيء وتركه لله، واستحفظه إياه، فقد تبرأ من الحول والقوة، ورفض الأسباب، فحصل له الحفظ والعصمة، ويندب لكل من المتوادعين أن يقول للآخر ذلك، وأن يزيد المقيم: زودك الله التقوى، وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما كنت»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- استحباب توديع المسافر للمقيمين من أهل وإخوان وجيران بهذا الدعاء.
- ٢- اليقين بأن الله هو الذي يحفظ العبد في سفره، وفي أهله، وماله، ومن يخلفه، وهذا كقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا اسْتَوْدَعَ شَيْئًا حَفِظَهُ»^(٥).
- ٣- يجب على المسافر أن يحسن النية في سفره وأن يستأذن صاحب الدين إن كان مديناً، وأن يكتب وصيته فما يدري أحد متى منيته.
- ٤- يستحب للمسافر أن يكون سفره في يوم الخميس إذا تيسر له ذلك

(١) القاموس المحيط، ص ٩٩٤، مادة (ودع).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ١٦٨، مادة (ودع).

(٣) العلم الهيب، ص ٤٣٠.

(٤) فيض القدير، ١ / ٦٤١.

(٥) مسند أحمد، ٩ / ٤٣٠، برقم ٥٦٠٥، والنسائي في السنن الكبرى، برقم ١٠٥٣١، وصححه محققو

المسند، ٩ / ٤٣٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٠٨).

لقول كعب بن مالك رضي الله عنه: «قلما كان رسول الله يخرج في سفر إلا يوم الخميس»^(١)، قال الحافظ في الفتح: وقد خرج إلى تبوك في يوم الخميس ولكن هذا لا يستلزم المواظبة عليه لقيام مانع منه وقد خرج إلى بعض أسفاره يوم السبت^(٢).

٥- يستحب التبكير في أول النهار إذا تيسر ذلك لعموم قوله ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»^(٣).

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فوزى بغيرها، ومن أحب الخروج إلى السفر يوم الخميس، برقم ٢٩٤٩.

(٢) انظر: فتح الباري، ٦/ ١١٣.

(٣) مسند أحمد، ٢/ ٤٣٩، برقم ١٣٢٠، وأبو داود، برقم ٢٦٠٦، وابن ماجه، برقم ٢٢٣٦، وحسنه لغيره محققو المسند، ٢، ١٣٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٣٤٥.

١٠١- دُعَاءُ الْمُقِيمِ لِلْمُسَافِرِ

٢١٢- (١) أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» (١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٣٨- لفظ الترمذي كَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما (٢) يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا اذْنُ مِنِّي أَوْدِعْكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُودِّعُنَا، فَيَقُولُ: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» (٣).

٧٣٩- وفي لفظ آخر للترمذي عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا وَدَّعَ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ، فَلَا يَدْعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ يَدْعُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولُ: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَآخِرَ عَمَلِكَ» (٤).

٧٤٠- ولفظ أبي داود عَنْ قَزَعَةَ (٥)، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: هَلُمَّ أَوْدِعْكَ

(١) أحمد، ٣١٩/١٤، برقم ٤٥٢٤، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب الدعاء عند الوداع، برقم ٢٦٠٠، ورقم ٢٦٠٣، والترمذي، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا ودع إنساناً، برقم ٣٤٤٢، ورقم ٣٤٤٣، وابن ماجه، كتاب الجهاد، باب تشييع الغزاة ووداعهم، برقم ٢٨٢٦، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب السير، ما يقول إذا ودع، برقم ٨٨٠٦، والحاكم، ١٠٦/٢، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢٧٥، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٢٧٣٨، وصحيح أبي داود، برقم ٢٣٤٠، ورقم ٢٣٤١، وصحيح ابن ماجه، برقم ٢٢٧٩، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٩٥.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) الترمذي، برقم ٣٤٤٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٢٧٣٨، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٩٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الترمذي، ورقم ٣٤٤٣، ٢٨٢٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٢٧٣٨، وصحيح، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٩٥، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) قزعة بن يحيى، ويقال بن الأسود، أبو الغادية البصري، مولى زياد بن أبي سفيان، روى عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وجماعة، وعنه قتادة، ومجاهد، وآخرون، بصري تابعي ثقة، تُوفي في

كَمَا وَدَّعَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»^(١).

٧٤١- ولفظ ابن ماجه عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَشْخَصَ السَّرَايَا يَقُولُ لِلشَّاحِصِ: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»^(٢).

٧٤٢- ورواية أخرى لأبي داود عن عَبْدِ اللَّهِ الْخَطَمِيِّ^(٣) قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَوْدِعَ الْجَيْشَ قَالَ: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

- ١- قوله: «للرجل»: أي: من صحابته رضي الله عنه.
- ٢- قوله: «كان يقول للرجل إذا أراد سفراً»: قال ابن الأثير رحمته الله: «أي: وتلبس به وبمقدماته»^(٥).
- ٣- قوله: «إذا أراد أحدكم سفراً»: قال المناوي رحمته الله: «سفراً: - بالتحريك - سُمِّيَ به؛ لأنه يسفر عن الأخلاق»^(٦).
- ٤- قوله: «ادن»: أي تعال قريباً مني. وقال ابن الأثير رحمته الله: «ادن: أي: اقرب»^(٧).

==

خُدُودُ الْمَاءَةِ، وَرَوَى لَهُ الْجَمَاعَةُ. انظر: الوافي بالوفيات، ١٨٠ / ٢٤، وتهذيب التهذيب، ٣٣٧ / ٨.

(١) أبو داود، برقم ٢٦٠٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٣٤٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) ابن ماجه، برقم ٢٨٢٦، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم ٢٢٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) عبد الله الخطمي بفتح الخاء المعجمة ويكسر، الأوسي الأنصاري، أبو موسى؛ عبد الله بن يزيد بن

حصين، حضر الحديبية وهو ابن سبع عشرة سنة، سكن الكوفة، وابتنى بها داراً، وكان أميراً عليها، وشهد مع علي رضي الله عنه صفين والجمل والنهروان، ومات في زمن بن الزبير. انظر: الاستيعاب،

لابن عبد البر، ١٠٠١ / ٣، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، ٢٦٧ / ٤.

(٤) أبو داود، برقم ٢٦٠٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٢٣٤١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٢٩٢ / ٤.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٣٤٧ / ١.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢٣٠ / ٥.

٥- قوله: «هَلُمَّ»: بمعنى: تعال وأقبل»^(١).. وقال ابن هشام الأنصاري رحمته الله: «هلم: اختلف فيها العرب على لغتين: إحداهما أن تلزم طريقة واحدة، ولا يختلف لفظها بحسب من هي مسندة، إليه فتقول هلم يا زيد، ... وهلم يا هند، وهلم يا هندان، وهلم يا هندات، وهي لغة أهل الحجاز، وبها جاء التنزيل ... قال الله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾^(٢) أي: اتوا إلينا... وهي عندهم اسم فعل، لا فعل أمر؛ لأنها وإن كانت دالة على الطلب، لكنها لا تقبل ياء المخاطبة. والثانية أن تلحقها بالضمائر البارزة بحسب من هي مسندة إليه، فتقول: هلم، وهلم، وهلموا، ... وهي عند هؤلاء فعل أمر؛ لدالتها على الطلب»^(٣).

٦- قوله: «ادن مني أودعك كما كان رسول الله يودعنا»: وفيه فضله، وتوديعه، مع علو مقامه لأصحابه»^(٤).

٧- قوله: «أستودع الله»: هو طلب حفظ الوديعة»^(٥)، قال الطيبي رحمته الله: «أستودع الله: هو طلب حفظ الوديعة، وفيه نوع مشاكلة للتوديع، جعل دينه وأمانته من الودائع؛ لأن السفر يصيب الإنسان فيه المشقة والخوف، فيكون ذلك سبباً لإهمال بعض الدين، فدعا له النبي ﷺ بالمعونة والمعاونة مع الناس، فدعا له بحفظ الأمانة، والاجتناب عن الخيانة، ثم إذا انقلب إلى أهله يكون مأمون العاقبة عما يسوؤه في الدين والدنيا»^(٦)، وقال الصنعاني رحمته الله: «أستودع الله»: مضارع مبني للمتكلم؛ لأنه كان يقوله ﷺ داعياً لمن يودعه، ويخرج إلى

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٤ / ٢٩١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ١٨.

(٣) شرح قطر الندى، لابن هشام، ص ٣١.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥ / ٢٣٠.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠١.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٢.

السفر، والمراد: أسأل الله أن يجعل (دينك وأمانتك وخواتيم عملك) وديعة لديه، سأله أن يحفظها كما يحفظ الوديعة، وهو دعاء له بالكلاءة في سفره، فلا يضيع شيئاً من الثلاثة»^(١)، وقال المباركفوري رحمته الله: «أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ: أَي: أَسْتَحْفِظُ، وَأَطْلُبُ مِنْهُ حِفْظَ دِينِكَ وَأَمَانَتِكَ»^(٢)، وقال ابن علان رحمته الله: «أستودع الله دينك» أي: أودعه إياه، والسين لتأكيد ذلك، وتحقيقه»^(٣).

٨- قوله: «دينك»: «أي: أسأل الله أن يثبتك على دين الإسلام، قال ابن الأثير رحمته الله: «جعل دينه مع الودائع؛ لأن السفر تصيب المسافر فيه المشقة والتعب والخوف، فيكون ذلك سبباً لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين، فدعا له بالمعونة والتوفيق فيها، وأما «الأمانة» هاهنا: فهي أهل الرجل وماله، ومن يخلفه»^(٤)، وقال الطيبي رحمته الله: «جعل دينه وأمانته من الودائع...، ولا يخلو الرجل في سفره ذلك من الاشتغال بما يحتاج فيه إلى الأخذ، والإعطاء، والمعاشرة مع الناس، فدعا له بحفظ الأمانة والاجتناب عن الخيانة، ثم إذا انقلب إلى أهله يكون مأمون العاقبة عما يسوؤه في الدين والدنيا»^(٥)، وقال الصنعاني رحمته الله: «أسأل الله أن يجعل دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك وديعة لديه، سأله أن يحفظها كما يحفظ الوديعة، وهو دعاء له بالكلاءة في سفره، فلا يضيع شيئاً من الثلاثة»^(٦)، وقال ابن علان رحمته الله: «وذكر الدين؛ لأن السفر مظنة التساهل في أمره لمشاقته،

(١) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٣٤٦.

(٢) تحفة الأحوذى، ٩/ ٢٨٤.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣٠.

(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٤/ ٢٩٢.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠١.

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٣٤٦.

ولذا رخص للمسافر في أمور من العبادات»^(١).

٩- قوله: «وأمانتك»: أي: أهله، ومن يخلفه منهم، وماله، وما في معنى ذلك. قال الخطابي رحمته الله: «الأمانة هاهنا أهله، ومن يخلفه منهم، وماله الذي يودعه، ويستحفظه أمينه ووكيله، ومن في معناهما، وجرى ذكر الدين مع الودائع؛ لأن السفر موضع خوف وخطر، وقد تصيبه فيه المشقة والتعب، فيكون سبباً لإهمال بعض الأمور المتعلقة بالدين، فدعا له بالمعونة والتوفيق»^(٢)، وقال ابن علان رحمته الله: «أي: وما ائتمنت عليه من التكاليف الشرعية، أو الحقوق الإنسانية»^(٣)، وقال المباركفوري رحمته الله: «أي: حفظ أمانتك فيما تزاوله من الأخذ والإعطاء ومعاشرة الناس في السفر إذ قد يقع منك هناك خيانة، وقيل أريد بالأمانة الأهل والأولاد الذين خلفهم، وقيل المراد بالأمانة التكاليف كلها»^(٤).

١٠- قوله: «وخواتيم عملك»: أي: ما يختم به عملك، ونرجو من الله أن يكون خيراً، قال ابن الأثير رحمته الله: «خواتيم العمل: أواخره، جمع خاتمة»^(٥). وقال ابن علان رحمته الله: «وخواتيم عملك: ذكره اهتماماً بشأنه؛ لأن المدار عليه، وهذا الحديث شاهد لطلب وداع المسافر»^(٦)، وفي رواية: «وآخر عملك»: قال المباركفوري رحمته الله: «وآخر عملك: أي: في سفرك، أو مطلقاً، كذا قيل، قال القاري: والأظهر أن المراد به حسن الخاتمة؛ لأن المدار عليها في أمر

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥ / ٢٣٠.

(٢) معالم السنن، ٢ / ٢٥٨.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥ / ٢٣٠.

(٤) تحفة الأحوذى، ٩ / ٢٨٤.

(٥) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٤ / ٢٩٢.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥ / ٢٣٠.

الْآخِرَةِ، وَأَنَّ التَّقْصِيرَ فِيمَا قَبْلَهَا مَجْبُورٌ بِحُسْنِهَا، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ: «وَحَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» فِي الرِّوَايَةِ...»^(١)، قَالَ الْقَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَأَخْرَعْتُكَ: أَيُّ فِي سَفَرِكَ، أَوْ مُطْلَقاً، كَذَا قِيلَ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ حَسَنَ الْخَاتِمَةِ؛ لِأَنَّ الْمَدَارَ عَلَيْهَا فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَإِنَّ التَّقْصِيرَ فِيمَا قَبْلَهَا مَجْبُورٌ بِحُسْنِهَا»^(٢).

١١-قوله: «أَخَذَ بِيَدِهِ فَلَا يَدْعُهَا»: قَالَ الْمُبَارَكْفُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ: فَلَا يَتْرُكُ يَدَ ذَلِكَ الرَّجُلِ مِنْ غَايَةِ التَّوَضُّعِ، وَنِهَايَةِ إِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ وَالرَّحْمَةِ»^(٣).

١٢-قوله: «وَيَقُولُ»: قَالَ الْمُبَارَكْفُورِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَيُّ لِلْمُودَعِ»^(٤).

١٣-قوله: «حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ يَدَهُ»: قَالَ الصَّنْعَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَدْباً مِنْهُ ﷺ وَإِنْسَاءً لِلرَّجُلِ»^(٥).

١٤-قوله: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَدَعَ الْجَيْشَ»: قَالَ ابْنُ عَلَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْجَمَاعَةُ الْخَارِجِينَ لِلْقِتَالِ»^(٦).

١٥-قوله: «أَشْخَصَ السَّرَايَا يَقُولُ لِلشَّائِخِ»: قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشُّخُوصُ: السَّيْرُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ. وَقَدْ شَخَصَ يَشْخُصُ شُخُوصاً وَأَشْخَصْتُهُ أَنَا وَشَخَصَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ شُخُوصاً أَيُّ: ذَهَبَ»^(٧)، وَقَالَ الزَّيْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «شَخَصَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، يَشْخُصُ شُخُوصاً: ذَهَبَ، وَقِيلَ: سَارَ

(١) تحفة الأحوذى، ٩ / ٢٨٤.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٣٢٦.

(٣) تحفة الأحوذى، ٩ / ٢٨٤.

(٤) تحفة الأحوذى، ٩ / ٢٨٤.

(٥) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨ / ٤٥٩.

(٦) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥ / ٢٣٠.

(٧) لسان العرب، ٧ / ٤٦، مادة (شخص).

في ازْتِفَاعٍ، فَإِنْ سَارَ فِي هَبُوطٍ فَهُوَ هَابِطٌ، وَأَشْخَصْتُهُ أَنَا»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

- ١- حرص الصحابة رضي الله عنهم على تطبيق السنة وتعليمها للجاهل بها.
- ٢- الحرص على سلامة الدين أهم من الحرص على المال والولد ولذا بدأ به النبي ﷺ، وإنما كان ذلك منه لأن السفر مظنة المشقة فربما كان سبباً لإهمال بعض أمور الدين^(٢).
- ٣- الحرص الشديد على فعل الطاعات في الحل والترحال؛ لأن الإنسان لا يعرف بما يختم له وقد قال النبي ﷺ: «من مات على شيء بعثه الله عليه»^(٣).
- ٤- وهذا الدعاء المبارك كان يودع به النبي ﷺ أيضاً الجيوش التي تخرج في سبيل الله بقوله: «أستودع الله دينكم، وأمانتكم، وخواتيم أعمالكم»^(٤).
- ٥- قال الإمام النووي رحمته الله: «يستحب أن يودع أهله، وجيرانه، وأصدقاءه، وسائر أحبائه، وأن يودعوه، ويقول كل واحد لصاحبه: استودعك الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، وزودك الله التقوى، وغفر لك ذنبك، ويسر الخير لك حيثما كنت»^(٥).
- ٦- قال السيوطي الرحيباني رحمته الله: «يُسَنُّ أَنْ يُقَالَ لِمُسَافِرٍ سَفَرًا مُبَاحًا: أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ، وَزَوَّدَكَ اللَّهَ التَّقْوَى»^(٦).

(١) تاج العروس، ١٧ / ٨، مادة (شخص).

(٢) انظر: معالم السنن للخطابي، ٢ / ٢٢٤.

(٣) أخرجه أحمد، ٢٧١ / ٢٢، برقم ٤٣٧٣، والحاكم، ٣١٣ / ٤، وصححه ووافقه الذهبي، ومسنَد أبي يعلى، ١٨٤ / ٤، برقم ٢٢٦٩، وقال محققه: «رجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٥٤٣.

(٤) أخرجه الترمذي، برقم ٣٤٤٢، وغيره، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٢٦٠١، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) المجموع شرح المذهب، ٤ / ٣٨٨.

(٦) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، ٣ / ٢٢١.

٧- يسن أن يأخذ المقيم بيد المسافر ويقول له: «أستودع الله دينك وأمانتك وآخر عملك» لقول ابن عمر رضي الله عنهما كان النبي ﷺ إذا ودع رجلاً أخذ بيده، فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذي يدع يد النبي ﷺ ويقول... «ثم ذكر الدعاء»^(١).

٨- قال الصنعاني رحمته الله: «والخواتيم جمع خاتم، وهو ما يختم به الشيء، وأريد به هنا ما يختم به العمل، دعا له ﷺ أن يحفظ الله له خاتمة عمله، فيحسنها، واختص هذا الموضع بهذه الدعوة؛ لأن السفر مظنة العطب؛ لأنه يتعرض فيه المسافر للمتالف، والمهالك، فقد يكون في سفره هلاكه، وتأتي أدعية أخرى يقولها من يودعه»^(٢).

٩- قال المناوي رحمته الله: «ويؤخذ من الحديث أنه لو كان أقرابه أو جيرانه كفار لا يذهب إليهم، ولا يودعهم؛ لعدم انتفاعه بدعائهم الذي هو المقصود بالوداع»^(٣).



٢١٣- (٢) «زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَيَسِّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُ مَا كُنْتَ»^(٤).

(١) الترمذي، برقم ٣٤٤٣، ورقم ٢٨٢٦، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، برقم ٢٧٣٨، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٤٧٩٥، وتقديم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ٣٤٦.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١/ ٣٤٧.

(٤) الترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن أبي زياد، برقم ٣٤٤٤، وابن خزيمة، ١٣٨/٤، برقم ٢٥٣٢، والحاكم، ١٠٧/٢، والضيء المقدسي في المختارة، ٤٢١/٤ وقال: «إسناده حسن» وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٥٤، والمعجم الكبير للطبراني، ١٢/ ٢٩٢، برقم ١٣١٥١، وحسنه الشيخ سليم الهلالي صاحب عجالة الراغب المتمني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني، ٥٨١/ ٢، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي، ١٥٥/٣، وفي صحيح الجامع، برقم ٣٥٧٩.

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٤٣- عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه ^(١) قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَرَوْدُنِي، قَالَ: «زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «وَعَفَرَ ذَنْبَكَ»، قَالَ زِدْنِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ: «وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ» ^(٢).

٧٤٤- ورواية ابن السني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ^(٣)، قَالَ: جَاءَ غُلَامٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ هَذَا الْوَجْهَ الْحَجَّ فَمَشَى مَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى، وَوَجَّهَكَ فِي الْخَيْرِ، وَكَفَّاكَ الْمُهَمَّ»، فَلَمَّا رَجَعَ الْغُلَامُ سَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، قَبِلَ اللَّهُ حَجَّكَ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ» ^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «(فَرَوْدُنِي)»: أي: بالدعاء والوصية والنصيحة، قال الطيبي رحمته الله: «(فَرَوْدُنِي)»: الزاد المدّخر الزايد عما يحتاج إليه في الوقت، والتزود أخذ الزاد، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ ^(٥)، أقول [القائل الطيبي]: يحتمل أن الرجل طلب الزاد المتعارف، فأجابه صلوات الله عليه بما أجاب على الأسلوب الحكيم، أي: زادك

(١) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٢٣ من أحاديث الشرح.

(٢) الترمذي، برقم ٣٤٤٤، وابن خزيمة، وحسنه الضياء المقدسي، ٤/ ٤٢١، والألباني في صحيح الترمذي، ١٥٥/٣، وصحيح الجامع، برقم ٣٥٧٩، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٤٥٤، والمعجم الكبير للطبراني، ١٢/ ٢٩٢، برقم ١٣١٥١، وحسنه الشيخ سليم الهلالي صاحب عجلة الراغب الممتني في تخريج كتاب عمل اليوم والليلة لابن السني، ٢/ ٥٨١، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

أَنْ تَتَّقِيَ مُحَارِمَ اللَّهِ، وَتَتَجَنَّبَ مَعَاصِيَهُ»^(١)، قَالَ ابْنُ عَلَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فزودني: يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ عَاطِفَةً عَلَى مَقْدَرٍ: أَيُّ فَائِذْنِ لِي، وَزَوَّدَنِي، كَمَا تَقْدُمُ مِنْ فِعْلِ عَمْرٍ فِي اسْتِئْذَانِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَحْتَمِلُ تَقْدِمَ الْإِذْنِ لَهُ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّمَا جَاءَ لَطْلُبُ الدَّعَاءِ»^(٢).

٢- قوله: «زودك الله التقوى»: هذا دعاء في صورة الإخبار، وكذلك ما بعده، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فِي التَّقْوَى: «التَّقْوَى: إِذَا أُفْرِدَ دَخَلَ فِيهِ فِعْلُ كُلِّ مَأْمُورٍ بِهِ، وَتَرْكُ كُلِّ مَحْظُورٍ، قَالَ طَلْقُ بْنُ حَيْبٍ: التَّقْوَى: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَرْجُو رَحْمَةَ اللَّهِ، وَأَنْ تَتْرَكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَخَافُ عَذَابَ اللَّهِ»^(٣)، وَقَالَ أَيْضًا: «هِيَ الْإِحْتِمَاءُ عَمَّا يَضُرُّهُ، بِفِعْلِ مَا يَنْفَعُهُ؛ فَإِنَّ الْإِحْتِمَاءَ عَنِ الضَّارِّ يَسْتَلْزِمُ اسْتِعْمَالَ النَّافِعِ، وَأَمَّا اسْتِعْمَالُ النَّافِعِ فَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ أَيْضًا اسْتِعْمَالُ لِضَّارٍّ، فَلَا يَكُونُ صَاحِبُهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَأَمَّا تَرْكُ اسْتِعْمَالِ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ، فَهَذَا لَا يَكُونُ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَجَزَ عَنْ تَنَاوُلِ الْغِذَاءِ، كَانَ مُغْتَذِيًا بِمَا مَعَهُ مِنَ الْمَوَادِّ الَّتِي تَضُرُّهُ حَتَّى يَهْلِكَ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى وَلِلْمُتَّقِينَ؛ لِأَنَّهُمْ الْمُحْتَمُونَ عَمَّا يَضُرُّهُمْ، فَعَاقِبَتُهُمُ الْإِسْلَامُ وَالْكَرَامَةُ، وَإِنْ وَجَدُوا أَلَمًا فِي الْإِبْتِدَاءِ لِتَنَاوُلِ الدَّوَاءِ، وَالْإِحْتِمَاءِ كَفَعَلَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمَكْرُوهَةَ»^(٤)، وَقَالَ الْمَنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَا مَنْ جَاءَنَا يَرِيدُ سَفَرًا وَيَلْتَمِسُ أَنْ نَزُودَهُ»^(٥)، وَقَالَ ابْنُ عَلَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَإِنَّمَا كَانَتْ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا الزَادُ الَّذِي يَقْطَعُ بِهِ الْعُقْبَةَ الْكُؤُودَ، وَيُنْجِي بِهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى

(١) شرح المشكاة للطيبى: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٢.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥/ ٢٣١.

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٧/ ١٦٣.

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٠/ ١٤٤.

(٥) فيض القدير، ٨٨/ ٤.

المرء في اليوم المشهود»^(١)، وقال القاري رحمته الله: زدك الله التقوى، أي: الاستغناء عن المخلوق، أو امتثال الأوامر، واجتناب النواهي»^(٢).

٣- قوله: «قال: زدني»: قال ابن علان رحمته الله: «لا يخفى ما بين زودني وزدني من الجنس: أي: من هذا الزاد»^(٣)، وقال القاري رحمته الله: «قال زدني: أي: من الزاد، أو من الدعاء، قال وغفر ذنبك»^(٤).

٤- قوله: «بأبي أنت وأمي»: قال القاري رحمته الله: «أي: أفديك بهما، وأجعلهما فداءك، فضلاً عن غيرهما»^(٥).

٥- قوله: «وغفر ذنبك»: قال الطيبي رحمته الله: «لما طلب الزيادة قيل: «وغفر ذنبك» فإن الزيادة إنما تكون من جنس المزيد عليه، وربما زعم الرجل أنه يتقي الله، وفي الحقيقة لا تكون تقوى يترتب عليها المغفرة، فأشار بقوله: «وغفر ذنبك» أن يكون ذلك الاتقاء بحيث يترتب عليه المغفرة»^(٦)، وقال ابن علان «أي: ما أسلفته من المخالفة»^(٧).

٦- قوله: «ويسر لك الخير»: قال الطيبي رحمته الله: «ثم ترقى منه إلى قوله: «ويسر لك الخير» فإن التعريف في «الخير» للجنس، فيتناول خير الدنيا والآخرة»^(٨)، وقال القاري رحمته الله: «ويسر لك الخير: أي: سهّل لك خير الدارين»^(٩).

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥ / ٢٣١.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٣٢٧.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥ / ٢٣١.

(٤) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٣٢٧.

(٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٣٢٧، وتقدم في المفردة رقم ٣٣ في شرح حديث المتن رقم ١٦٥.

(٦) شرح المشكاة للطبيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٢.

(٧) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٥ / ٢٣١.

(٨) شرح المشكاة للطبيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٩٠٢.

(٩) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٣٢٧.

٧- قوله: «حيثما كنت»: أي: في الحل والترحال، قال القاري رحمته الله: «حيثما كنت: أي: في أي مكان حللت، ومن لازمه: في أي زمان نزلت»^(١).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب إعلام المسافر بسفره كبير القوم، وعالمهم، وكذلك صالحى المؤمنين، وطلب الدعاء، والنصح منهم.

٢- أهم زاد يتزود به المسلم في الدنيا هو زاد التقوى، وهذا كقوله: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٢)؛ ولذلك بدأ بها النبي صلوات الله عليه.

٣- قال ابن مفلح رحمته الله: «وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي كِتَابِ بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ: إِذَا خَرَجَ أَحَدُكُمْ إِلَى سَفَرٍ فَلْيُودِّعْ إِخْوَانَهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ فِي دُعَائِهِمْ بَرَكَةً، قَالَ: وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: السُّنَّةُ إِذَا قَدِمَ رَجُلٌ مِنْ سَفَرٍ أَنْ يَأْتِيَهُ إِخْوَانُهُ فَيَسْلِمُونَ عَلَيْهِ، وَإِذَا خَرَجَ إِلَى سَفَرٍ أَنْ يَأْتِيَهُمْ فَيُودِّعُهُمْ، وَيَعْنَمُ دُعَاءَهُمْ»^(٣).

٤- قال الشوكاني رحمته الله: «في الحديث دليل على مشروعية الدعاء للمسافر بهذه الدعوات جعل الله التقوى زادك وغفر ذنبك ووجه لك الخير حيثما توجهت»^(٤).

٥- قال المناوي رحمته الله: «فيندب لكل من ودَّع مسافراً أن يقول له، ويحصل أصل السنة بقوله: «زودك الله التقوى»، والأكمل الإتيان بما ذكر كله»^(٥).

٦- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «يطلب الدعاء من الرجل الصالح من أجل أن يتنفع الرجل بهذا الدعاء، ولا يهمه هو أن يتنفع، لكن يحب من هذا الرجل الذي طلب

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٨ / ٣٢٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح، ١ / ٤٥٠.

(٤) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٢٩.

(٥) فيض القدير، ٤ / ٨٨.

منه الدعاء، أن يلجأ إلى الله، وأن يسأل الله ﷻ، وأن يعلق قلبه بالله، وأن يعلم أن الله ﷻ سميع الدعاء، المهم أن يكون قصده مصلحة هذا الرجل؛ فهذا لا بأس به أيضاً؛ لأنك لم تسأله لمحض نفعك، ولكن لنفعه هو، فأنت تريد أن يزداد هذا الرجل الصالح خيراً بدعاء الله ﷻ، وأن يتقرب إلى الله بالدعاء، وأن يحصل على الأجر والثواب»^(١).

٧- وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ أيضاً: «يطلب الدعاء من الغير لمصلحة نفسه هو؛ فهذا أجازه بعض العلماء، وقال: لا بأس أن تطلب من الرجل الصالح أن يدعو لك؛ لكن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ قال: لا ينبغي إذا كان قصدك مصلحة نفسك فقط؛ لأن هذا قد يدخل في المسألة المذمومة؛ لأن النبي ﷺ بايع أصحابه ألا يسألوا الناس شيئاً، وكذلك لأنه ربما يعتمد هذا السائل الذي سأل غيره أن يدعو له ربما يعتمد على دعاء هذا الغير، وينسى أن يدعو هو لنفسه، فيقول: أنا قلت لفلان، وهو رجل صالح: ادعُ الله لي، وإذا استجاب الله هذا الدعاء، فهو كاف، فيعتمد على غيره، وكذلك لأنه ربما يلحق المسؤول غرور في نفسه، وأنه رجل صالح يطمع الناس إلى دعائه، فيحصل في هذا شر على المسؤول، وعلى كل حال، فإن هذا القسم الثالث مختلف فيه، فمن العلماء من قال: لا بأس أن تقول للرجل الصالح: يا فلان ادع الله لي، ومنهم من قال: لا ينبغي، والأحسن ألا تقول ذلك؛ لأنه ربما يمتن عليك بهذا، وربما تذلل أمامه بسؤالك، ثم إنه من الذي يحول بينك وبين ربك؟ ادع الله بنفسك، لا أحد يحول بينك وبين الله، لماذا تذهب تفتقر إلى غيرك، وتقول: ادع الله لي، وأنت ليس بينك وبين ربك واسطة؟»^(٢).

(١) شرح رياض الصالحين، ص ٧١٧.

(٢) شرح رياض الصالحين، ص ٧١٧.

١٠٢ - التَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ فِي سَيْرِ السَّفَرِ

٢١٤- قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: «كُنَّا إِذَا صَعَدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٤٥- لفظ البخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه ^(٢) قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَعَدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»^(٣).

٧٤٦- ولفظ آخر للبخاري عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَعَدْنَا كَبَّرْنَا وَإِذَا تَصَوَّبْنَا سَبَّحْنَا»^(٤).

٧٤٧- ولفظ أحمد عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: «كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا صَعَدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا هَبَطْنَا سَبَّحْنَا»^(٥).

٧٤٨- ولفظ النسائي قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: «كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَصَعَدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا انْحَدَرْنَا سَبَّحْنَا»^(٦).

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التسبيح إذا هبط وادياً، برقم ٢٩٩٣، وباب التكبير إذا علا شرفاً، برقم ٢٩٩٤، ومسند أحمد، ٢٢ / ٤٣٠، برقم ١٤٥٦٨، والسنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا انحدر من ثنية، ١٠٣٧٦.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٧٢ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ٢٩٩٣، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) البخاري، برقم ٢٩٩٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسند أحمد، ٢٢ / ٤٣٠، برقم ١٤٥٦٨، وصححه محققو المسند، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا انحدر من ثنية، ١٠٣٧٦. وصححه الحافظ

مع رواية ابن خزيمة في تغليق التعليق على صحيح البخاري، ٥ / ١٤٨.

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «كنا إذا صعدنا»: أي: علونا على مكان مرتفع من الأرض، وقال ابن الأثير رحمته الله: «يُقَالُ صَعِدَ إِلَى فَوْقِ ضُغُودٍ إِذَا طَلَعَ، وَأَصْعَدَ فِي الْأَرْضِ إِذَا مَضَى وَسَارَ... وَالصُّغْدُ - بضمّين -: جَمْعُ ضُغُودٍ، وَهُوَ خِلَافُ الْهَبُوطِ، وَهُوَ بِفَتْحَتَيْنِ خِلَافُ الصَّبَبِ»^(١)، وقال ابن منظور: «صَعِدَ الْمَكَانَ وَفِيهِ ضُغُودٌ وَأَصْعَدَ وَصَعَدَ: ارْتَفَعَ مُشْرِفاً»^(٢)، وقال ابن الجوزي رحمته الله: «إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا؛ لَمَّا كَانَ الصُّعُودُ ارْتِفَاعاً نَاسِبَهُ التَّكْبِيرُ»^(٣).

٢- قوله: «كبرنا»: قلنا: الله أكبر ثلاث مرات^(٤)، قال ابن منظور رحمته الله: «وَكَبَّرَ: قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ. وَالتَّكْبِيرُ: التَّعْظِيمُ»^(٥)، وقال ابن الجوزي رحمته الله: «أي: أن الله سبحانه أكبر من كل كبير، وأعلى من كل رفيع»^(٦).

٣- قوله: «وإذا نزلنا»: أي إلى مكان منخفض كواد أو نحوه، قال ابن الجوزي رحمته الله: «لَمَّا كَانَ النُّزُولُ انْهَاباً نَاسِبَهُ التَّنْزِيهِ لِمَنْ لَا يُوصَفُ بِمَا يَنَافِي الْعُلُوَّ»^(٧)، وقال ابن منظور رحمته الله: نَزَلْنَا: نَزَلْتُ عَنِ الْأَمْرِ إِذَا تَرَكْتَهُ كَأَنَّكَ كُنْتَ مُسْتَعْلِياً عَلَيْهِ مُسْتَوْلياً، وَمَكَانٌ نَزَلَ: يُنْزَلُ فِيهِ كَثِيرًا؛ عَنِ اللَّحْيَانِيِّ. وَنَزَلَ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ: انْحَدَرَ»^(٨).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٣٠، مادة (صعد).

(٢) لسان العرب، ٣/ ٢٥١، مادة (صعد).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٧١٥.

(٤) انظر البخاري، برقم ٢٩٩٥.

(٥) لسان العرب، ٥/ ١٢٧، مادة (كبر).

(٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٧١٥.

(٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٧١٥.

(٨) لسان العرب، ١١/ ٦٥٧، مادة (نزل).

٤- قوله: «سبحنا»: أي: قلنا سبحان الله، قال ابن الملقن رحمته الله: «التسبيح في اللغة: تنزيه الله تعالى من النقائص: كالولد، والشريك، والصاحبة، فسبحان الله: براءته من ذلك»^(١)، قال النووي: «فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَعْنَاهُ بَرَاءَةٌ وَتَنْزِيهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ»^(٢)، وقال الحافظ الزين العراقي رحمته الله: «ويحتمل أن يكون سبب التسبيح في الانهباط أن الانخفاض محل الضيق والتسبيح سبب للفرج»^(٣).

٥- قوله: «تصوبنا»: قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وَإِذَا تَصَوَّبْنَا سَبَّحْنَا أَي: انْحَدَرْنَا وَالتَّصَوُّبُ النَّزُولُ»^(٤)، وقال ابن منظور: «التَّصَوُّبُ: حَدَبٌ فِي حُدُورٍ، وَالتَّصَوُّبُ: الْإِنْحِدَارُ. وَالتَّصَوُّبُ: خِلَافُ التَّضَعِيدِ»^(٥).

٦- قوله: «الهبوط»: قال ابن منظور رحمته الله: «نَقِيضُ الصُّعُودِ، هَبَطَ يَهْبِطُ وَيَهْبُطُ هُبُوطاً إِذَا انْهَبَطَ فِي هَبُوطٍ مِنْ صُعُودٍ، وَهَبَطَ هُبُوطاً: نَزَلَ، وَهَبَطَتْهُ وَأَهْبَطَتْهُ فَانْهَبَطَ؛ ... وَهَبَطَهُ أَي: أَنْزَلَهُ»^(٦).

٧- قوله: «انحدرنا»: قال ابن منظور رحمته الله: «الْحَدَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ تَحْدُرُهُ مِنْ غُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ، ... وَكَذَلِكَ الْحَدُورُ فِي سَفْحِ جَبَلٍ وَكُلِّ مَوْضِعٍ مُنْحَدِرٍ، ... حَدَرَ الشَّيْءُ يَحْدُرُهُ وَيَحْدُرُهُ حَدَرًا وَحُدُورًا فَانْحَدَرَ: حَطَّهُ مِنْ غُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ ... وَكُلُّ شَيْءٍ أُرْسِلَتْهُ إِلَى أَسْفَلٍ، فَقَدْ حَدَرَتْهُ حَدَرًا وَحُدُورًا»^(٧).

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨ / ١٣٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ٢٠١، وتقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١٩٦.

(٣) طرح الثريب في شرح التقريب، ٥ / ١٦٠.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ٦ / ١٣٦.

(٥) لسان العرب، ١ / ٥٣٤، مادة (صوب).

(٦) لسان العرب، ٧ / ٤٢١، مادة (هبط).

(٧) لسان العرب، ٤ / ١٧٢، مادة (حدر).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- دوام ملازمة المسلم لذكر الله ﷻ في جميع الأحوال، فالكون كله دال على توحيد الله، وتمجيده.

٢- السنة في التكبير والتسبيح هي عدم رفع الصوت بذلك، يقول أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ، فكنا إذا أشرفنا على وادٍ هللنا وكبرنا، ارتفعت أصواتنا، فقال ﷺ: «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائباً، إنه معكم إنه سميع قريب مبارك اسمه وتعالى جده»^(١) ومعنى أربعوا: أي أرفقوا.

٣- قال الحافظ في الفتح: ومناسبة التكبير عند الصعود إلى المكان المرتفع أن الاستعلاء والارتفاع محبوب للنفوس لما فيه من استشعار الكبرياء، فشرع لمن تلبس به أن يذكر كبرياء الله تعالى وأنه أكبر من كل شيء، فيكبره ليشكر له ذلك فيزيده من فضله، ومناسبة التسبيح عند الهبوط لكون المكان المنخفض محل ضيق فيشرع فيه التسبيح؛ لأنه من أسباب الفرج كما وقع في قصة يونس عليه السلام حين سبح في الظلمات فنجاه الله من الغم^(٢)، والأهم من ذلك: تنزيه الله عن النقائص، والعيوب، ومنها: السفول، فإنه ﷻ في العلو مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله، فالاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

٤- قال ابن الملقن رحمته الله: «وتكبيره ﷻ عند إشرافه على الجبال استشعارٌ لكبرياء الله، عندما تقع عليه العين من عظيم خلقه، أنه أكبر من كل شيء كما سلف قريباً»^(٣).

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يجزه من رفع الصوت في التكبير، برقم ٢٩٩٢.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١١ / ٢١٤.

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨ / ١٣٤.

٥- وقال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وتسبيحه في بطون الأودية مُستنبط من قصة يونس فَإِنَّ بِتَسْبِيحِهِ فِي بطن الحوت نَجَاهُ الله مِنَ الظُّلُمَاتِ فَسَبَّحَ النَّبِيُّ عليه السلام فِي بَطُونِ الْأُودِيَةِ لِيُنْجِيَهُ اللهُ مِنْهَا»^(١).

٦- وقال ابن الملقن رحمته الله: «وأما تسبيحه في بطون الأودية فهو مستنبط من قصة يونس عليه السلام وتسبيحه في بطن الحوت... فنجاه الله تعالى بذلك من الظلمات، فامتثل الشارع هذا التسبيح في بطون الأودية؛ لينجيه الله منها، ومن أن يدركه عدو، وقيل: إن تسبيح يونس صلاة قبل أن يلتقمه الحوت، فروعى فيه فضلها، والأول أولى بدليل التسبيح من الشارع في بطون الأودية، وكل منخفض، وقيل: معنى تسبيحه هنا في ذلك، أنه لما كان التكبير لله تعالى عند رؤية عظيم مخلوقاته، وجب أن يكون فيما انخفض من الأرض تسبيح لله تعالى؛ لأن التسبيح في اللغة: تنزيه الله تعالى من النقائص: كالولد، والشريك، والصاحبة، فسبحان الله: براءته من ذلك»^(٢).

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٦/ ١٣٦.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ١٨/ ١٣٤.

١٠٣ - دُعَاءُ الْمُسَافِرِ إِذَا أُسْحِرَ

٢١٥- «سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبِنَا، وَأَفْضَلُ عَلَيْنَا، عَائِذَا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٤٩- لفظ البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه^(٢)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأُسْحِرَ يَقُولُ: «سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبِنَا، وَأَفْضَلُ عَلَيْنَا عَائِذَا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ»^(٣).

٧٥٠- ولفظ الحاكم وابن خزيمة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، فَبَدَأَ لَهُ الْفَجْرُ، قَالَ: «سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، وَنِعْمَتِهِ، وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبِنَا، فَأَفْضَلُ عَلَيْنَا، سِتْرًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ» يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَرْفَعُ بِهِ صَوْتَهُ^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «في سفر»: قال ابن الأثير رحمته الله: «السَّفَرُ: جَمْعُ سَافِرٍ، كَصَاحِبٍ وَصَحْبٍ، وَالْمُسَافِرُونَ جَمْعُ مُسَافِرٍ، وَالسَّفَرُ وَالْمُسَافِرُونَ بِمَعْنَى»^(٥).

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم ٢٧١٨، والحاكم، ١/ ٤٤٦، وابن خزيمة في صحيحه، ٢/ ١٢٢٤، برقم ٢٥٧١.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٧١٨، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) الحاكم، ١/ ٤٤٦، وصححه ووافقه الذهبي، وابن خزيمة في صحيحه، ٢/ ١٢٢٤، برقم ٢٥٧١، وصححه الألباني في تعليقه على ابن خزيمة، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٧١، مادة (سفر).

٢- قوله: «إذا أسحر»: السحر هو آخر الليل وهو قبيل الصبح، قال ابن منظور رحمته الله: السَّحَرُ قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَسْحَرَ الْقَوْمَ: صَارُوا فِي السَّحَرِ، كَقَوْلِكَ: أَصْبَحُوا. وَأَسْحَرُوا وَاسْتَحَرُّوا: خَرَجُوا فِي السَّحَرِ. وَاسْتَحَرْنَا أَي: صِرْنَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ»^(١)، وقال النووي رحمته الله: «فَمَعْنَاهُ: قَامَ فِي السَّحَرِ، أَوْ انْتَهَى فِي سَيَرِهِ إِلَى السَّحَرِ، وَهُوَ آخِرُ اللَّيْلِ»^(٢).

٣- قوله: «سمع سامع بحمد الله»: أي شهد شاهد وهو خبر بمعنى الأمر، أي: شهد شاهد على حمدنا لله على نعمه^(٣)، قال ابن الأثير رحمته الله: «قوله: «سمع سامع بحمد الله وحسن بلائه» معناه: شهد شاهد، وحقيقته: لسمع السامع، وليشهد الشاهد على حمد الله تعالى على نعمه، وحسن بلائه، وقيل: معناه: انتشر ذلك وظهر، وسمعه السامعون»^(٤)، وقال الإمام النووي رحمته الله: «سَمِعَ - بفتح الميم المشددة - ومعناه: بلغ سامع قولي هذا لغيره، تنبيهاً على الذكر في السحر والدعاء في ذلك الوقت، وضبطه الخطابي وغيره سَمِعَ بكسر الميم المخففة؛ قال الإمام أبو سليمان الخطابي: سَمِعَ سَامِعٌ معناه: شهد شاهدٌ. وحقيقته: لسمع السامع، وليشهد الشاهدُ حمدنا الله تعالى على نعمته، وحسن بلائه»^(٥)، وقال أيضاً: «سمع سامع»: رُوي بوجهين: أحدهما: فتح الميم من سمع، وتشديدها، والثاني: كسرهما مع تخفيفها، واختار القاضي هنا، وفي المشارق، وصاحب المطالع التشديد،

(١) لسان العرب، ٤/ ٣٥٠، مادة (سحر).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٩.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٤١.

(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٤/ ٢٨٩.

(٥) الأذكار النووية، ١/ ١٠٩.

وأشار إلى أنه رواية أكثر رواة مسلم، قالوا: ومعناه: بلغ سامع قلبي هذا لغيره»^(١)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «... وقال مثله تنبيهاً على الذكر، والدعاء في هذا الوقت، وضبطه الخطابي وآخرون بالكسر والتخفيف، قال الخطابي: ومعناه شهد شاهد، وهو أمر بلفظ الخبر، وحقيقته ليسمع السامع، وليشهد الشاهد على حمدنا لله تعالى على نعمه، وحسن بلائه»^(٢).

٤- قوله: «وحسن بلائه علينا»: أي: حسن إنعامه وعطاياه، قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «وحسن البلاء: النعمة. والبلاء: الاختبار والامتحان، فالاختبار بالخير: ليتبين الشكر، والابتلاء بالشر: ليظهر الصبر»^(٣)، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: وحسن البلاء النعمة والبلاء الاختبار والامتحان فالاختبار بالخير ليعين الشكر والابتلاء بالشر ليظهر الصبر فإذا قيل بلاء حسن وبلاء قبيح كان على ما فسر»^(٤)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «فالواو في «وحسن بلائه»: للعطف، وإذا روي بالتخفيف، يكون بمعنى مع؛ لأن حسن البلاء غير مسمع، بل هو مبلغ، وكلاهما قريب من خطاب العام، كقوله ﷺ: «بشر المشائين»^(٥)، يعني بلغ الأمر من فخامته وعظمته شأنه، بحيث لا يختص سامع دون سامع أن يكون مأموراً بتبليغ هذا البشارة إلى صاحبه، وتبليغ هاتين الخليتين، وهما: حمدنا لله تعالى، وحسن بلائه علينا، وذلك أنه تعالى أنعم

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤١/١٧.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/١٨٩٥.

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٤/٢٨٩.

(٤) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ص ١٦٩.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلم، برقم ٥٦١، وسنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، برقم ٢٢٣، وسنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب المشي إلى الصلاة، برقم ٧٨١، وحسنه لغيره الأرنؤوط في تحقيق سنن أبي داود، ١/٤٢١، وابن ماجه، ١/٥٠٠، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٣/٨٨، برقم ٥٧٠.

علينا فشكرناه، وابتلانا بالمحن فصبرناه؛ لأن كمال الإيمان في الإنسان أن يكون صَبَّاراً شكوراً... فيتوجه الشاء والشكر إلى الله تعالى على حصول كمال الإيمان فيه، فظهر من هذا التقدير أن معنى الأمر أبلغ وأفخم من معنى الخبر؛ لأنه بشارة، والمطلوب بها التبليغ»^(١).

٥- قوله: «ربنا صاحبنا»: أي: كن لنا حافظاً ومعيناً، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «رَبَّنَا صَاحِبِنَا، وَأَفْضَلُ عَلَيْنَا»: أي: احْفَظْنَا، وَحُطَّنَا، وَاکْلَأْنَا، وَأَفْضَلُ عَلَيْنَا بِجَزِيلِ نِعَمِكَ، وَاضْرِفْ عَنَّا كُلَّ مَكْرُوهِ»^(٢)، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «أي: احفظنا، ومن صحبه الله لم يضره شيء»^(٣)، وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «ربنا صاحبنا أي: احفظنا، ومن صحبه الله لم يضره شيء، وبيانه ما روي من الزيادة فيه، وهو: «اللهم أصحبنا منك بصحبة، وأقبلنا بذمة»^(٤) أي: احفظنا في سفرنا بحفظك، وأقبلنا بأمانك وعهدك»^(٥)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «ربنا صاحبنا»: أي: أعنا واحفظنا»^(٦)، والمقصود معية الله الخاصة؛ فإن معية الله معيتان: معية عامة مع جميع المخلوقات، وهي العلم، والإحاطة بكل شيء، لا يخفى عليه خافية، ومعية خاصة لأوليائه: وهي معية: الحفظ، والتوفيق، والتسديد، والإعانة، والنصر، والإلهام، والتثبيت.

(١) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٩٥.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧ / ٤٠.

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٤ / ٢٨٩.

(٤) معجم ابن الأعرابي، ٢ / ٨١٩، برقم ١٦٧٩: ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ إِذَا سَافَرَ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَصْبَحْنَا بِنُصْحٍ، وَأَقْبَلْنَا بِذِمَّةٍ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْأَرْضَ، وَهَوِّنْ عَلَيْنَا السَّفَرَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ» وهو في تهذيب الآثار مسند علي، ٣ / ١٠١.

(٥) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، ص ١٦٩.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٩٥.

٦- قوله: «وأفضل علينا»: أي: من واسع فضلك فإن يمينك ملأى سحاء الليل والنهار، قال الإمام النووي رحمته الله: «وَأَفْضَلُ عَلَيْنَا بِجَزِيلِ نِعْمِكَ، وَاضْرِفْ عَنَّا كُلَّ مَكْرُوهٍ»^(١)، وقال الطيبي رحمته الله: «وأفضل علينا بإدامة تلك النعمة ومزيدها، والتوفيق للقيام بحقوقها»^(٢).

٧- قوله: «عائذاً بالله من النار»: أي: أستجير بك من النار ومن عذابها، ومن الأسباب الموصلة إليها، قال ابن الأثير رحمته الله: «وقوله: «عائذاً بالله» يحتمل وجهين، أحدهما: أن يريد: أنا عائذ بالله من النار، والآخر: أن يريد: متعوذ بالله، كما يقال مستجار بالله، فوضع الفاعل مكان المفعول، كقولهم: ماء دافق، أي: مدفوق»^(٣). وقال الطيبي رحمته الله: «عائذاً: هو نصب على المصدر، أي: أعوذ عياداً، أقيم اسم فاعل مقام المصدر... أو على الحال من الضمير المرفوع في: يقول، أو أسحر، ويكون من كلام الراوي، أقول [القائل هو الطيبي]: يريد أن عائذاً إذا كان مصدراً كان من كلام الرسول ﷺ، وإذا كان حالاً كان من كلام الراوي، وجوز الشيخ محيي الدين أي: النووي أن يكون حالاً، ويكون من كلام الرسول ﷺ، حيث قال: إني أقول هذا في حال استعاذتي، واستجارتني من النار، أقول [القائل الطيبي]: والأرجح هذا؛ لئلا ينخرم النظم، وأنه ﷺ لما حمد الله تعالى على تلك النعمة الخطيرة، وأمر بإسماعها إلى كل من يتأتى منه السماع لفخامته، وطلب الثبات والمزيد عليه، قال هضماً لنفسه، وتواضعاً لله تعالى، وليضم الخوف مع الرجاء تعليماً للأمة»^(٤)، وأما قول النووي رحمته الله فهو: «مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: أَقُولُ هَذَا

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧/ ٣٩.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٥.

(٣) جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، ٤/ ٢٨٩.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٥.

في حال استعاذتي واستجارتني بالله من النار»^(١).

٨- قوله: «سِتْرًا بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ»: قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «سترًا من النار: أي: حائلًا بينه وبينها، مانعًا له من دخوله إياها»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من شدة تعلق قلبه بالله ﷻ، ودعائه في هذه الأوقات التي يتنزل فيها الله نزولاً يليق بجلاله، متفضلاً بالإجابة لمن سألَه.

٢- نعم الله تعالى على عباده لا حصر لها، فإننا نتقلب في نعمه صباحاً ومساءً، وفي كل لحظة، والواجب علينا شكر هذه النعم بالقلب، واللسان، والجوارح.

٣- قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «البلاء منه ﷻ قد يكون بالنعمة، وقد يكون بضدها، والمراد هنا النعمة، قوله: «صاحبنا»: بصيغة الأمر، دعا الله ﷻ أن يصاحبه، ويتفضل عليه قوله عائداً بالله ﷻ أي: حال كونه عائداً بالله ﷻ من جميع الشرور، ومعتصماً به مما أخاف»^(٣).

٤- ومعية الله معيتان: معية عامة لجميع المخلوقات وهي العلم والاطلاع والقدرة والإحاطة، ومعية خاصة بالمؤمنين والمتقين والصابرين وهي الحفظ والتوفيق والتسديد والنصرة والإعانة، والله تعالى في جميع الأحوال على عرشه مستوٍ عليه استواء يليق بجلاله ومع ذلك لا يخفى عليه شيء فطلب المصاحبة في السفر هو طلب للمعية الخاصة.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ١٧ / ٤٠.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦ / ٢٤٨.

(٣) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين للشوكاني، ص ٢٣٦.

١٠٤ - الدَّعَاءُ إِذَا نَزَلَ مَنْزَلاً فِي سَفَرٍ أَوْ غَيْرِهِ

٢١٦- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٥١- لفظ مسلم عن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ السُّلَمِيَّةِ^(٢)، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزَلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَزْتَحِلَّ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»^(٣).

٧٥٢- ولفظ أحمد عن خَوْلَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزَلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَطْعَنَ مِنْهُ»^(٤).

٧٥٣- ولفظ آخر لأحمد عن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْزِلُ مَنْزَلاً فَيَقُولُ حِينَ يَنْزِلُ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ - وَقَالَ يَزِيدُ: ثَلَاثًا - إِلَّا وَفِي شَرِّ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ حَتَّى يَطْعَنَ مِنْهُ»^(٥).

ثانياً: شرح مفردات الحديث^(٦):

١- قوله: «من نزل منزلاً»: قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «في سفره، لنحو: استراحة، أو

(١) مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من سوء القضاء، برقم ٢٧٠٦، ومسند أحمد، ٤٥/ ٨٧، برقم ٢٧١٢٠، و٤٥/ ٢٩١، وبرقم ٢٧٣١٠.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٣٤٦ من أحاديث الشرح.

(٣) مسلم، برقم ٢٧٠٦، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) مسند أحمد، برقم ٢٧١٢٠، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٢٤٢، و٦٥٦٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٥) مسند أحمد ط الرسالة، ٤٥/ ٢٩١، برقم ٢٧٣١٠، وصححه محققو المسند، والألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٢٤٢، و٦٥٦٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٦) وانظر: شرح مفردات الحديث رقم ٩٧ من أحاديث المتن.

قيلولة، أو تعريس»^(١)، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «أي: في مكان من الأمكنة: حضراً، أو سفراً؛ وذكره لأن السفر مظنه التحول إلى المنازل»^(٢).

٢- قوله: «أعوذ»: العوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. يقال: عاذ فلان بفلان، ... وأعدته بالله أعيده، أي: ألتجئ إليه، وأستنصر به أن أفعل ذلك»^(٣).

٣- قوله: «بكلمات الله»: قال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «الكاملة الشاملة الفاضلة، وهي أسماء وصفاته، وآيات كتبه ... والكلمات ههنا محمولة على أسماء الله الحسنى، وكتبه المنزلة؛ لأن الاستعاذة إنما تكون بها»^(٤).

٤- قوله: «الثامات»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «وصف كلماته بالتمام، إذ لا يجوز أن يكون شيء من كلامه ناقصاً، ولا فيه عيب، كما يكون في كلام آدميين، وقيل: معنى التمام هاهنا: أن يتفع بها المتعوذ، وتحفظه من الآفات»^(٥)، وقال القاري رَحِمَهُ اللهُ: «ووصفها بالتامة لخلوها عن النواقص، والعوارض، بخلاف كلمات الناس؛ فإنهم متفاوتون في كلامهم على حسب تفاوتهم في العلم، واللهجة، وأساليب القول ...، وكلمات الله تعالى متعالية عن هذه القوادح، فهي لا يسعها نقص، ولا يعترىها اختلال»^(٦).

٥- قوله: «من شر ما خلق» أي: من مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ، قال الشيخ البعلبي رَحِمَهُ اللهُ: «فَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِذَّ بِهِ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي فِي الْمَخْلُوقِ، فَهُوَ الَّذِي يُعِيدُ مِنْهُ، وَيُنْجِي مِنْهُ»^(٧).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥ / ٢٠٦.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٣٠٢.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٢ / ١٣٦، وقد تقدم مستوفى في شرح المفردة الأولى من الحديث رقم ٩٧ من أحاديث المتن.

(٤) مرقة المفاتيح، ٢ / ٢٦٦، وقد تقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٢ من الحديث رقم ٩٧.

(٥) جامع الأصول، ٤ / ٢٩٣.

(٦) مرقة المفاتيح، ٢ / ٢٦٦، وقد تقدم مستوفى في شرح المفردة رقم ٣ من الحديث رقم ٩٧.

(٧) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، ص ٢٥٩، وقد تقدم مستوفى في شرح

٦- قوله: «لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَزْتَحِلَّ»: قال الباجي رَحِمَهُ اللهُ: «يُرِيدُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ تَعُوذَهُ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ مُدَّةَ مُقَامِهِ فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ»^(١).

٧- قوله: «وَقِي شَرَّ مَنْزِلِهِ»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: وَقِيْتُ الشَّيْءَ أَقِيهِ، إِذَا ضُمَّتْهُ، وَسَتَرْتَهُ عَنِ الْأَذَى، فَلْيَقِ أَحَدَكُمْ وَجْهَهُ النَّارَ، بِالطَّاعَةِ، وَتَوَقَّى، وَاتَّقَى بِمَعْنَى، وَأَصْلُ اتَّقَى: أَوْتَقَى، فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِلْكَسْرِ قَبْلَهَا، ثُمَّ أَبْدَلْتُ تَاءً وَأُدْغِمْتُ»^(٢).

٨- قوله: «حَتَّى يَظْعَنَ مِنْهُ»، قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ: «ظَعَنَ يَظْعَنُ ظَعْنًا وَظَعَنًا بِالْتَحْرِيكِ، وَظُعُونًا: ذَهَبَ، وَسَارَ... وَأَظْعَنَهُ هُوَ سَيَّرَهُ... وَالظُّعْنُ سَيْرُ الْبَادِيَةِ لِنُجْعَةٍ، أَوْ حُضُورِهِ مَاءً، أَوْ طَلَبِ مَرْبَعٍ، أَوْ تَحَوُّلٍ مِنْ مَاءٍ إِلَى مَاءٍ، أَوْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- مشروعية قول هذا الذكر إذا نزل الإنسان منزلاً في سفر أو حضر حتى يرتحل منه ليكون في حفاظة رب العالمين ويشترط لهذا صدق قائله وحسن الثقة بالله تعالى، ويدخل في المنازل: السيارات، والطائرات، والقطارات؛ لأنها منازل متحركة، يأكل الإنسان فيها، ويشرب، وينام، ويقضي في بعضها حاجته.

٢- إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية إذا نزلوا بمنزل حيث كانوا يتعوذون بالجن والأحجار والأصنام، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٤).

٣- قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «وفي الاستعاذة بكلمات الله أبين دليل على أن

المفردة رقم ٤ من الحديث رقم ٩٧.

(١) المتقى شرح الموطأ، ٤ / ٤٣١.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٥ / ٢١٧، مادة (وقي).

(٣) لسان العرب، ١٣ / ٢٧٠، مادة (ظعن).

(٤) سورة الجن، الآية: ٦.

كلام الله منه، تبارك اسمه، وصفة من صفاته، ليس بمخلوق؛ لأنه محال أن يستعاذ بمخلوق، وعلى هذا جماعة أهل السنة والحمد لله^(١).

٤- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «وَقَدْ اسْتَدَلَّ أَيْمَةُ السَّنَةِ: كَأَحْمَدَ وَغَيْرَهُ عَلَى أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ غَيْرَ مَخْلُوقٍ [لِأَنَّهُ] اسْتَعَاذَ بِهِ فَقَالَ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزَلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ»، فَكَذَلِكَ مَعَاذُهُ، وَرِضَاؤُهُ، غَيْرَ مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّهُ اسْتَعَاذَ بِهِ، وَالْعَافِيَةُ الْقَائِمَةُ بِيَدِنِ الْعَبْدِ مَخْلُوقَةٌ؛ فَإِنَّهَا نَتِيجَةُ مَعَاذَتِهِ»^(٢).

٥- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «يشمل من نزل منزلاً في السفر، إذا كان مسافراً ثم نزل ليستريح لغداء، أو عشاء، أو نوم، أو غير ذلك؛ فإنه إذا نزل يقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، وأعوذ أي: أعتصم بكلمات الله التامات، وكلمات الله التامات تشمل كلماته الكونية والشرعية، فأما الكونية فهي التي ذكرها الله... فيحميك الله تعالى بكلماته الكونية، ويدفع عنك ما يضرّك إذا قلت هذا الكلام، كذلك الكلمات الشرعية، وهي الوحي، فيها وقاية من كل سوء وشر، وقاية من الشر قبل نزوله وبعده... فاحرص يا أخي المسلم إذا نزلت منزلاً في بر، أو بحر، أو منزلاً اشتهيته للنوم، وما أشبه ذلك، فقل: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» فإنه لا يضرّك شيء حتى ترتحل من منزلك ذلك، والله الموفق»^(٣).

(١) التمهيد، ٢٤ / ١٨٦.

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية، ٢ / ١٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ٩٨٣.

١٠٥- ذِكْرُ الرَّجُوعِ مِنَ السَّفَرِ

٢١٧- «يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيُّونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٥٤- لفظ البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه ^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيُّونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»^(٣).

٧٥٥- ولفظ مسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَفَلَ مِنَ الْجُيُوشِ، أَوِ السَّرَايَا، أَوِ الْحَجِّ، أَوِ الْعُمْرَةِ، إِذَا أَوْفَى عَلَى ثِيَّيَةٍ أَوْ فَذْفَدٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيُّونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا

(١) البخاري، كتاب العمرة، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو، برقم ١٧٩٧،

ومسلم، كتاب الحج، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره، برقم ١٣٤٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٤٣ من أحاديث الشرح.

(٣) البخاري، برقم ١٧٩٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَخَذَهُ»^(١).

ثانياً: شرح مفردات الحديث^(٢):

١- قوله: «إِذَا قَفَلَ» قال ابن الأثير رحمه الله: «قَفَلَ يَقْفِلُ: إِذَا عَادَ مِنْ سَفَرِهِ، وَقَدْ يُقَالُ لِلسَّافِرِ: قُفُولٌ، فِي الذَّهَابِ وَالْمَجِيءِ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الرُّجُوعِ»^(٣)، وقال الباجي رحمه الله: «إِذَا قَفَلَ مِنْ حَجٍّ أَوْ غَزْوٍ أَوْ عُمْرَةٍ يُرِيدُ يَرْجِعُ إِلَى الْمَدِينَةِ مَوْضِعَ اسْتِيطَانِهِ، وَمَقَامِهِ، وَالْقُفُولُ هُوَ الْإِيَابُ وَلَا يُسَمَّى الْمُتَوَجِّهُ مِنْ بَلَدِهِ قَافِلاً، وَإِنَّمَا يُسَمَّى بِذَلِكَ الرَّاجِعُ إِلَيْهِ»^(٤).

٢- قوله: «يَكْبُرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ»: قال الطيبي رحمه الله: «أي: على المكان العالي، ووجه التكبيرات على الأماكن العالية، وهو استحباب الذكر عند تجديد الأحوال، والتقلب في التارات، وكان ﷺ يراعي ذلك في الزمان والمكان؛ لأن ذكر الله تعالى ينبغي أن لا ينسى في كل الأحوال»^(٥)، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ثُمَّ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْخ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي بِهَذَا الذِّكْرِ عَقِبَ التَّكْبِيرِ، وَهُوَ عَلَى الْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ التَّكْبِيرَ يَخْتَصُّ بِالْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ وَمَا بَعْدَهُ إِنْ كَانَ مُتَّسِعًا أَكْمَلَ الذِّكْرَ الْمَذْكُورَ فِيهِ، وَإِلَّا فَإِذَا هَبَطَ سَبَّحَ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ جَابِرٍ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُكْمَلَ الذِّكْرَ مُطْلَقًا عَقِبَ التَّكْبِيرِ»^(٦).

٣- قوله: «ثَنِيَّةٌ»: قال ابن الأثير رحمه الله: «الثَّنِيَّةُ فِي الْجَبَلِ كَالْعَقَبَةِ فِيهِ، وَقِيلَ

(١) مسلم، برقم ١٣٤٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٢) وانظر ما مضى [الحديثين من متن الكتاب] برقم ٢٠٧، ٢٠٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤ / ٩٢، مادة (قفل).

(٤) المتقى شرح الموطأ، ٣ / ٧٧.

(٥) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦ / ١٨٩٦.

(٦) فتح الباري، لابن حجر، ١١ / ١٨٩.

هُوَ الطَّرِيقُ الْعَالِي فِيهِ، وَقِيلَ أَعْلَى الْمَسِيلِ فِي رَأْسِهِ»^(١)، وقال الزرقاني رَحِمَهُ اللهُ: «أي: ارتفع على ثنية بمثلثة فنون فتحتية هي العقبة»^(٢).

٤- قوله: «أو فدفد»: قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ: «الفَدَفْدُ: الموضع الَّذِي فِيهِ غِلْظٌ وَازْتِفَاعٌ»^(٣)، قال الزرقاني رَحِمَهُ اللهُ: «وفدفد - بفتح الفاءين، بعد كل دال مهملة - الأشهر أنه المكان المرتفع، وقيل الأرض المستوية، وقيل الفلاة الخالية من شجر وغيره، وقيل غليظ الأودية ذات الحصى»^(٤).

٥- قوله: «ثم يقول: لا إله إلا الله»: قال الباجي رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَوْلُهُ ﷻ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» إظهارٌ لِلتَّوْحِيدِ، وَإِعْلَامٌ بِهِ، وَاسْتِدَامَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ»^(٥)، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُكْمَلَ الذِّكْرُ مُطْلَقًا عَقِبَ التَّكْبِيرِ ثُمَّ يَأْتِي بِالتَّسْبِيحِ إِذَا هَبَطَ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَفِي تَعْقِيبِ التَّكْبِيرِ بِالتَّهْلِيلِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ الْمُتَفَرِّدُ بِإِيجَادِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَأَنَّهُ الْمَعْبُودُ فِي جَمِيعِ الْأَمَاكِنِ»^(٦)، والمعنى: أن الله ﷻ هو المعبود بحق، يعبدُه العابد في أي مكان، وفي أي زمان، وهو ﷻ مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٧).

٦- قوله: «وحده لا شريك له»، قال المناوي: «لا إله منفرد إلا هو وحده، لا شريك له عقلاً ونقلاً، ... وهو تأكيد لقوله: «وحده»؛ لأن المتصف بالوحدانية لا شريك له»^(٨).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٢٢٦، مادة (ثني).

(٢) شرح الزرقاني على موطأ مالك، ٢/ ٥٢١.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٤٢٠، مادة (فدفد).

(٤) شرح الزرقاني، ٢/ ٥٢١.

(٥) المتتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.

(٦) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٨٩.

(٧) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٨) فيض القدير، ٥/ ٢٠٠، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن ٦٧.

٧-قوله: «لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ»: قال الباجي رَحِمَهُ اللهُ: «لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ: تَخْصِيصٌ لَهُ بِالْمُلْكِ، وَالْحَمْدِ... فَجُعِلَ جِنْسُ الْمُلْكِ وَهُوَ جَمِيعُهُ لِلَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ لِأَحَدٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا لَهُ، وَجُعِلَ جَمِيعُ الْحَمْدِ لِلَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ سِوَاهُ»^(١).

٨-قوله: «وهو على كل شيء ذو قدرة، لا يتعذر عليه شيء أَرَادَهُ، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من الأمور»^(٢)، وقال الباجي: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» إِعْلَامٌ أَنَّهُ هُوَ الْقَدِيرُ عَلَى مَا كَانَ يَعِدُّهُمْ بِهِ مِنْ نَصْرِ عَبْدِهِ، وَإِظْهَارِهِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَإِذْكَارٍ لَهُمْ بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَإِنَّهُ لَا يُغْلَبُ مَنْ نَصَرَهُ، وَلَا يُنْصَرُ مَنْ حَارَبَهُ»^(٣).

٩-قوله: «آيُونَ»: قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «آيُونَ: جَمْعُ آيِبٍ أَي: رَاجِعٍ وَزَنَهُ وَمَعْنَاهُ، وَهُوَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ نَحْنُ آيُونَ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْإِخْبَارُ بِمَحْضِ الرُّجُوعِ؛ فَإِنَّهُ تَحْصِيلُ الْحَاصِلِ، بَلِ الرُّجُوعُ فِي حَالَةِ مَخْضُوصَةٍ، وَهِيَ تَلَبُّسُهُمْ بِالْعِبَادَةِ الْمَخْضُوصَةِ وَالِاتِّصَافِ بِالْأَوْصَافِ الْمَذْكُورَةِ»^(٤)، وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «وَمَعْنَى آيُونَ: رَاجِعُونَ، وَمَعْنَى تَائِبُونَ: أَي: مِنَ الشِّرْكِ وَالْكَفْرِ عَائِدُونَ، بِمَا افْتَرَضَهُ عَلَيْهِمْ، وَرَضِيَهُ مِنْهُمْ، سَاجِدُونَ لَوُجْهِهِ، لَا لِغَيْرِهِ، حَامِدُونَ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ»^(٥).

(١) المتفق، شرح الموطأ للباجي، ٣/ ٧٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من حديث المتن رقم ١٥٢.

(٢) تفسير الطبري، ٢٣/ ١٦٥، وتقدم في شرح المفردة رقم ٥ من مفردات حديث المتن رقم ٦٧.

(٣) المتفق، شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ١١/ ١٨٩.

(٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٦ من

١٠- قوله: «تائبون»: قال الحافظ ابن حجر رحمته الله: «وقوله: تَائِبُونَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى التَّقْصِيرِ فِي الْعِبَادَةِ، وَقَالَ عليه السلام عَلَى سَبِيلِ التَّوَضُّعِ، أَوْ تَعْلِيمًا لِأَمْتِهِ، أَوْ الْمُرَادُ أَمْتُهُ كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ، وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ التَّوْبَةُ لِإِرَادَةِ الْاسْتِمْرَارِ عَلَى الطَّاعَةِ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ أَنْ لَا يَقَعَ مِنْهُمْ ذَنْبٌ»^(١)، وقال الباجي رحمته الله: «وَقَوْلُهُ عليه السلام: «آيُونَ تَائِبُونَ» يُرِيدُ عليه السلام أَنَّهُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ الْكَرَامِ آيُونَ مِنْ سَفَرِهِمْ، تَائِبُونَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَا نَهَى عَنْهُ، عَابِدُونَ لَهُ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، سَاجِدُونَ لَهُ، حَامِدُونَ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّصْرِ، وَالتَّأْيِيدِ، وَالْحِفْظِ فِي السَّفَرِ، وَالْعَوْنِ عَلَيْهِ، وَالتَّوْفِيقِ لِلصَّوَابِ فِي جَمِيعِهِ»^(٢).

١١- قوله: «ساجدون»: قال الحافظ العراقي رحمته الله: «وقوله: ساجدون بعد قوله: عابدون، من ذكر الخاص بعد العام، وقوله: لربنا يحتمل تعلقه بقوله ساجدون، أي: نسجد له، لا لغيره من الأصنام»^(٣).

١٢- قوله: «عابدون»: قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى»^(٤).

١٣- قوله: «لربنا حامدون»: حامدون أي: نحمده دون غيره لرؤيتنا النعمة منه إذ هو المنعم بها لا رب سواه»^(٥)، وقال ابن عبد البر رحمته الله: «حَامِدُونَ عَلَى ذَلِكَ

مفردات حديث المتن رقم ٢٠٧.

(١) فتح الباري، ١١ / ١٨٩.

(٢) المتقى شرح الموطأ، ٣ / ٧٧.

(٣) طرح الشريب في شرح التقریب، ٥ / ١٦٠.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، ٢ / ٥٧، مادة (عبد)، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٨ من مفردات حديث المتن ٢٠٧.

(٥) طرح الشريب في شرح التقریب، ٥ / ١٦١.

كُلِّهِ»^(١)، وقال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ: «ففيه مقابلة النعم الإلهية بالخدم على قدر الطاقة، والبداءة بالإياب إلى الله تعالى من المخالفة لأنها كالتخلية بالمعجزة، ثم التوجه إلى صالح العمل، ثم حمد الله على التوفيق له وتيسيره»^(٢).

١٤- قوله: «صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ»: أي: أن هذا ليس فيما وعد به ﷺ من إظهار دينه، قال الباجي رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَوْلُهُ ﷺ: «صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ» يُرِيدُ [و] اللهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ الصَّادِقُ فِي وَعْدِهِ لِرُسُولِهِ ﷺ بِنَصْرِهِ، وَتَأْيِيدِهِ، وَعِصْمَتِهِ مِنَ النَّاسِ، وَنَصْرَ عَبْدِهِ، وَرُسُولَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ يُرِيدُ ﷺ أَنَّهُ تَعَالَى الْمُتَنَفِّرُ بِإِعْزَازِ دِينِهِ، وَإِهْلَاكِ عَدُوِّهِ، وَغَلَبَةِ الْأَحْزَابِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ وَالْمَوَاطِنِ، وَاللهُ أَعْلَمُ»^(٣)، وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ: «وَقَوْلُهُ: صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ فِيمَا كَانَ وَعْدُهُ مِنْ ظُهُورِ دِينِهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ اعْتِرَافٌ بِالنِّعْمَةِ، وَشُكْرٌ لَهَا»^(٤).

١٥- قوله: «ونصر عبده»: يريد نفسه ﷺ^(٥).

١٦- قوله: «وهزم الأحزاب وحده»: أي: من فعل أحد من الأدميين، والمراد بالأحزاب هم: كفار قريش، ومن وافقهم، واليهود يوم الخندق، وقيل المراد أعم من ذلك، وبه قال الحافظ ابن حجر^(٦)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «الأحزاب»: وهي الطوائف من الناس، جمع حزب بالكسر، ومنه الحديث ذكر يوم الأحزاب، وهو غزوة الخندق، وحديث الأحزاب مشهور في التفاسير

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٧.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣٠٧، وتقدم في شرح المفردة رقم ١٩ من مفردات حديث المتن رقم ٢٠٧.

(٣) المنتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.

(٤) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٨.

(٥) فتح الباري، ١١/ ١٩٠.

(٦) انظر: فتح الباري، ١١/ ١٩٠.

والمغازي...، قوله: «وحده»: أي: كفى الله تعالى المؤمنين يوم الخندق قتال تلك الأحزاب المجتمعة من قبائل شتى، بأن أرسل عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها، فهزمهم^(١)، وقال ابن عبد البر رحمته الله: «وَفِيهِ مِنَ الْخَبَرِ أَنَّ غَزْوَةَ الْخَنْدَقِ وَهِيَ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ، نَصَرَ اللَّهُ فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ بِرِيحٍ، وَجُنُودٍ لَمْ يَرَوْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا لِأَدَمِيِّ صُنْعٌ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ: وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- قال الباجي رحمته الله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ سَفَرٍ، وَإِنَّمَا كَانَتْ السَّفَارَةُ فِي أَحَدِ هَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ: غَزْوٍ، أَوْ حَجٍّ، أَوْ عُمْرَةٍ، فَكَانَ يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرْفٍ مِنَ الْأَرْضِ تَعْظِيماً لِلَّهِ، وَمُواظَبَةً عَلَى ذِكْرِهِ، وَإِظْهَارًا لِكَلِمَتِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَخْصُ بِذَلِكَ الشَّرْفَ لِأَنَّهُ مِنْهُ يَرَى مِنَ الْأَرْضِ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ بَصَرُهُ، فَكَانَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا يَرَى مِنَ الْأَرْضِ، مِمَّا فَتَحَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَسْتَقْبِلُهُ بِالتَّكْبِيرِ وَالتَّعْظِيمِ؛ وَلِأَنَّ مَا شُرِعَ فِيهِ الْإِعْلَانُ مِنَ الذِّكْرِ، فَلِأَحَقِّ بِهِ مَا عَلَا مِنَ الْأَرْضِ، كَالْأَذَانِ، وَالتَّلْبِيَةِ؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ إِظْهَارًا لِلذِّكْرِ، وَفِي تَخْصِيصِ الْمُطْمَئِنَّ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ ضَرْبٌ مِنَ التَّسْتُرِ»^(٣).

٢- استحباب قول هذا الذكر عند العودة من كل سفر إذا كان هذا السفر سفر طاعة، أو سفرًا مباحًا، أما قول الراوي: كان رسول الله ﷺ إذا قفل من غزو، أو حج، أو عمرة، يكبر على كل شرف من الأرض - والشرف هو المكان العالي - ثلاث تكبيرات ثم يقول هذا الدعاء، فقد قال ذلك لانهصار سفر النبي ﷺ في هذه الثلاث.

(١) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٨٩٦.

(٢) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ١٣/ ٣٢٨.

(٣) المتقى شرح الموطأ، ٣/ ٧٧.

٣- تذكير النفس بكبرياء الله وعظمته، وهذا يدفع المسلم إلى الإقرار بتوحيد الله، والثناء عليه، وتمام قدرته ﷻ.

٤- استغفار النبي ﷺ دليل على تمام الخشية منه لربه وحتى تتأسى به أمته.

٥- استشعار فضل الله على هذه الأمة لما أنعم عليها من نعمة الأمن والإيمان، بعد أن تحقق موعود الله لها بالنصر والتمكين، وأنه متى صدق العبد مع ربه نصره، وأيده ولو كره الكافرون.

٦- قال ابن عبد البر رحمه الله: «وفي هذا الحديث الحضُّ على ذكر الله، وشكره للمسافر على أوبته، ورجعته، وشكر الله تبارك وتعالى، والثناء عليه بما هو أهله واجب، وذكر الله حسن على كل حال، والحمد لله الكبير المتعال»^(١).

٧- قال الحافظ بن حجر رحمه الله: «واختُلِفَ في المُراد بالأحزابِ هُنا فُقِيلَ هُم كُفار قُرَيْشٍ، وَمَن وافَقَهُم مِّنَ العَرَبِ، واليَهُود الَّذِينَ تَحَزَّبُوا، أَي: تَجَمَّعُوا في غَزْوَةِ الحَنْدَقِ، وَنَزَلَتْ في شَأْنِهِمْ سُورَةُ الأَحْزَابِ... وقِيلَ المُراد أَعَمَّ مِّنَ ذَلِكَ، وَقَالَ النُّوويُّ: المَشْهُورُ الأوَّلُ، وقِيلَ فِيهِ نَظَرٌ؛ لَأَنَّهُ يَتَوَقَّفُ عَلَى أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ إِنَّمَا شُرِعَ مِّن بَعْدِ الحَنْدَقِ، والجَوَابُ أَنَّ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي خَرَجَ فِيهَا بِنَفْسِهِ مَحْضُورَةٌ، والمُطَابِقُ مِنْهَا لِذَلِكَ غَزْوَةُ الحَنْدَقِ... والأَصْلُ في الأَحْزَابِ أَنَّهُ جَمَعَ حِزْبٍ، وَهُوَ القِطْعَةُ المُجْتَمِعَةُ مِنَ النَّاسِ...، قَالَ القُرْطُبِيُّ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الخَبَرُ بِمَعْنَى الدُّعَاءِ، أَي: اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابِ، والأوَّلُ أَظْهَرُ»^(٢).

٨- قال الحافظ العراقي رحمه الله: «فيه استحباب الإتيان بهذا الذكر في القفول من سفر الغزو والحج والعمرة، وهل يختص ذلك بهذه الأسفار، أو يتعدى إلى

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٥ / ٢٤٢.

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ١١ / ١٩٠.

كل سفر طاعة، كالرباط، وطلب العلم، وصلة الرحم، أو يتعدى إلى السفر المباح أيضاً، كالزهوة، أو يستمر في كل سفر، ولو كان محرماً؟ يحتمل أوجهاً: أحدها: الاختصاص، وذلك لأن هذا ذكر مخصوص، شرع بأثر هذه العبادات المخصوصة، فلا يتعدى إلى غيرها، كالذكر عقب الصلاة من التسبيح، والتحميد، والتكبير على الهيئة المخصوصة؛ فإنه لا يتعدى إلى غيرها من العبادات، كالصيام ونحوه، والأذكار المخصوصة متعبد بها في لفظها، ومحلها، ومكانها، وزمانها.

الثاني: أنه يتعدى إلى سائر أسفار الطاعة لكونها في معناها في التقرب بها. الثالث: أنه يتعدى إلى الأسفار المباحة أيضاً، وعلى هذين الاحتمالين، فالتقييد في الحديث إنما هو لكونه عليه الصلاة والسلام لم يكن يسافر بغير المقاصد الثلاثة، فقيده بحسب الواقع، لا باختصاص الحكم به.

الرابع: تعديه إلى الأسفار المحرمة؛ لأن مرتكب الحرام أحوج إلى الذكر من غيره؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات، وكلام النووي محتمل؛ فإنه قال في تبويبه في شرح مسلم ما يقول إذا رجع من سفر الحج وغيره، مما هو مذكور في الحديث، وهو العمرة، والغزو، وقد يريد غيره مطلقاً... فمثل بطلب العلم، وهو من الطاعات، وبالتجارة وهي من المباحات، ولم يمثل المحرم، لكنه مندرج في إطلاقه»^(١).

(١) طرح الشريب في شرح التقريب، ١٥٩ / ٥.

١٠٦ - مَا يَقُولُ مَنْ أَتَاهُ أَمْرٌ يَسْرُهُ أَوْ يَكْرَهُهُ

٢١٨- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسْرُهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ» وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرَهُهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٥٦- لفظ ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها ^(٢) قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ» وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٣).

٧٥٧- ولفظ الحاكم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسْرُهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرَهُهُ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم ٣٨٣٠، وابن السني في عمل اليوم والليلة، ص ٣٣٤، برقم ٣٧٨، والحاكم وصححه، ٤٩٩/١، وجود إسناده الإمام النووي في الأذكار، ص ٣٩٦، وصحح إسناده الكتاني في مصباح الزجاجة، ١٣١/٤، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب، طبعة المعارف، برقم ١٤٠، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥، وفي صحيح الجامع، ٢٠١/٤.

(٢) تقدمت ترجمتها في الحديث رقم ٥٤ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه ابن ماجه، برقم ٣٨٠٣، وجود إسناده الإمام النووي في الأذكار، ص ٣٩٦، وصحح إسناده الكتاني في مصباح الزجاجة، ١٣١/٤، وصححه الألباني في، وفي صحيح الجامع، ٢٠١/٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أخرجه الحاكم وصححه، ٤٩٩/١، وجود إسناده الإمام النووي في الأذكار، ص ٣٩٦، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب، طبعة المعارف، برقم ١٤٠، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥، وفي صحيح الجامع، ٢٠١/٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

٧٥٨- ولفظ ابن السني عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(١).

٧٥٩- عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(٢).

٧٦٠- وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٣)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْحَمَّادُونَ، ثُمَّ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ مَنْ نَاوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ حَتَّى يُقَاتِلُونَ الدَّجَالَ»^(٤).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «أتاه الأمر»: قال ابن منظور رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «(الْإِتْيَانُ: الْمَجِيءُ، أَتَيْتَهُ أَتِيًّا وَأَتِيًّا وَإِتِيًّا وَإِتْيَانًا وَإِتْيَانَةً وَمَأْتَاةً: جِئْتُهُ»^(٥)، وقال الزبيدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا أَتَاكَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَتَيْتَهُ أَنْتَ... وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَيُّمَّا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾»^(٦). قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: مَعْنَاهُ يُرْجِعُكُمْ إِلَى نَفْسِهِ، وَقَوْلُهُ ﷺ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾»^(٧)؛ أَي قُرْبَ وَدَنَا إِتْيَانُهُ»^(٨).

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، برقم ٣٧٨، وجود إسناده الإمام النووي في الأذكار، ص ٣٩٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٦٥، وفي صحيح الجامع، ٢٠١/٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.
(٢) أخرجه الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في أن دعوة المسلم مستجابة، برقم ٣٣٨٣، والنسائي في الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، أفضل الذكر وأفضل الدعاء، برقم ١٠٦٦٧، وابن ماجه، كتاب الأدب، باب فضل حامدين، برقم ٣٨٠٠، والحاكم، وصححه، ٦٧٦/١، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٤٩٧.

(٣) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٦٨١ من أحاديث الشرح.

(٤) أخرجه الطبراني، ١٢٤/١٨، برقم ٢٥٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم ١٥٧١.

(٥) لسان العرب، ١٤/١٣، مادة (أتى).

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٧) سورة النحل، الآية: ١.

(٨) تاج العروس، ٣٧/٣٨، مادة (أتى).

٢- قوله: «يسره»: من السرور والفرحة أي: يسعده، قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «والسرور: ما ينكتم من الفرح»^(١).

٣- قوله: «قال: الحمد لله»: قال الطيبي رحمته الله: «الحمد: الشاء على قدرته؛ ... فيشكر على ما أولى العباد بسبب الانتقال من النعم الدينية، والدينية ما لا يحصى»^(٢).

٤- قوله: «الذي بنعمته»: أي: بفضلته وإنعامه وإحسانه، قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «النعمة: الحالة الحسنة، وبناء النعمة بناء الحالة التي يكون عليها الإنسان كالجلسة والركبة، والنعمة: التنعم، وبناءها بناء المرة من الفعل كالضربة والشتمة، والنعمة للجنس يقال للقليل والكثير...، والإنعام: إيصال الإحسان إلى الغير... والنعماء بإزاء الضراء... وتنعم: تناول ما فيه النعمة وطيب العيش، يقال: نعمه تنعيما فتنعم. أي: جعله في نعمة»^(٣)، وقال الزبيدي رحمته الله: «النِّعْمَةُ الْمَنْفَعَةُ الْمَفْعُولَةُ عَلَى جِهَةِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْغَيْرِ، قَالَ: فَخَرَجَ بِالْمَنْفَعَةِ الْمَضْرُوءَةِ الْمَخْفِيَّةِ، وَالْمَنْفَعَةُ الْمَفْعُولَةُ إِلَّا عَلَى جِهَةِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْغَيْرِ... النَّعْمَةُ: مَا قُصِدَ بِهِ الْإِحْسَانُ وَالنَّفْعُ»^(٤).

٥- قوله: «تتم الصالحات»: أي: من الأمور المرضية في الدنيا والآخرة، قال المناوي رحمته الله: «تتم: تكمل، الصالحات: أي: النعم الحسان التي من جملتها حصول المسؤول أو قربه»^(٥)، وقال الصنعاني رحمته الله: «الأمور التي تصلح بها الدنيا والآخرة، تتم بسبب إنعامه على عباده»^(٦).

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ١/ ٤٦٩، مادة (سر).

(٢) شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٦/ ١٩٠٩، وتقدم مستوفى في شرح المفردة الأولى من حديث المتن رقم ١٠٨.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ٤٤٢، مادة (نعم).

(٤) تاج العروس، ٣٣/ ٤٩٨، مادة (نعم).

(٥) فيض القدير، ١/ ٤٧٢.

(٦) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٠٢.

٦- قوله: «وإذا أتاه الأمر يكرهه»: قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: «الكره والكُره واحد، نحو: الضَّعْف والضُّعْف، وقيل: الكره: المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، والكره: ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين:

أحدهما: ما يعاف من حيث الطبع.

والثاني: ما يعاف من حيث العقل أو الشرع، ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد: إني أريده وأكرهه، بمعنى أنني أريده من حيث الطبع، وأكرهه من حيث العقل أو الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع، وأكرهه من حيث الطبع»^(١).

٧- قوله: «الحمد لله على كل حال» أي: سواء كان الذي أتى محبباً إلى النفس أو غير محبب، قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «هذا الحمد أنه محمود على هذا الأمر المكروه لأنه حسن منه وحكمة وصواب فيستحق أن يحمد عليه»^(٢)، وقال الصنعاني رحمته الله: فإن المكروه في ضمنه محبوب يحمد الله عليه فإن كل ما يأتي من تلقائه فهو إنعام»^(٣)، وقال المناوي رحمته الله: «الحمد لله على كل حال»: أي كل كيف من الكيفيات التي قدرها الله؛ فإن أحوال المؤمن كلها خير، وقضاء الله بالسراء والضراء رحمة ونعمة»^(٤).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- الدنيا لا تصفو لأحد، فهي بين فرح وسرور، وعطية وبلية، والسعيد

(١) مفردات ألفاظ القرآن، ٢/ ٢٩٣، مادة (كره).

(٢) الصواعق المرسلّة، ٤/ ١٤٩٦.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٨/ ٤٠٢.

(٤) فيض القدير، ١/ ٤٧٢.

من رضي بقضاء الله وقدره، فكله خير محض.

٢- شكر النعمة يكون باللسان قولاً، وبالجوارح عملاً، حتى يتحقق موعود الله ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١)، فمن تمام الشكر ألا يتقوى العبد بنعم الله على معاصيه.

٣- الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء: من دلائل الإيمان، ومن أعظم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة؟

٤- بيان فضل الحمد، وأنه عبادة عظيمة لله تعالى.

٥- قال المناوي رحمته الله: «قال الحليمي: هذا على حسن الظن بالله تعالى، وأنه لم يأت بالمكروه إلا لخير علمه لعبده فيه، وأراد به، فكأنه قال: اللهم لك الخلق والأمر، تفعل ما تريد، وأنت على كل شيء قدير»^(٢).

٦- قال العلامة ابن عثيمين رحمته الله: «وله الحمد: يعني الكمال المطلق على كل حال، فهو جل وعلا محمود على كل حال في السراء وفي الضراء، أما في السراء، فيحمد الإنسان ربه حمد شكر، وأما في الضراء، فيحمد الإنسان ربه حمد تفويض؛ لأن الشيء الذي يضر الإنسان قد لا يتبين له وجه مصلحته فيه، ولكن الله تعالى أعلم، فيحمد الله تعالى على كل حال، وكان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسره قال: الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإذا أتاه ما لا يسره قال: الحمد لله على كل حال، وأما ما يقوله بعض الناس: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، فهذه كلمة خاطئة لم ترد، ومعناها غير صحيح، وإنما يُقال: الحمد لله على كل حال»^(٣).

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/ ١١٢.

(٣) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٤١٧.

١٠٧ - فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

٢١٩- (١) قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٧٦١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه^(٢)، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْرَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٣).

٧٦٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٤).

٧٦٣- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً، كَتَبَ اللَّهُ ﷻ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ»^(٥).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل ما يقول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم ٣٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن رقم ٢٤.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٨٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أخرجه مسلم، برقم ٣٨٤، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٨.

(٥) مسند أحمد، ١٢/ ٥٢٠، برقم ٧٥٦١، ٧٥٦٢، وصححه معققو المسند، ١٢/ ٥٢٠، وابن حبان في صحيحه، ٣/ ١٨٧، برقم ٩٠٥، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان، وقال الألباني مشيراً إلى بعض ألفاظ الترمذي بعد رقم ٥٨٤ في سنن الترمذي، في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٨٨، برقم ١٦٥٦: «حسن صحيح» ولفظ الترمذي موافق للفظ أحمد، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٨، ٩، ١١، وقال الألباني في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي، ص ٢٧: «إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح».

٧٦٤- وَعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رضي الله عنه ^(١)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيَّ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيَقُلْ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيَكُنْزٌ» ^(٢)، وهذا لفظ أحمد.

٧٦٥- ولفظ ابن ماجه عن عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيَقُلْ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيَكُنْزٌ» ^(٣).

٧٦٦- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ» ^(٤).

٧٦٧- ولفظ سنن النسائي عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ» ^(٥).

٧٦٨- وفي النسائي في السنن، عن أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ

(١) عامر بن ربيعة: أبو عبد الله العنزي، من السابقين الأولين، أسلم قبل عمر، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، له أحاديث عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومات بالمدينة حين نشب الناس في أمر عثمان رضي الله عنه سنة ٣٥ هـ انظر: طبقات خليفة بن خياط، ص ٢٣، وسير أعلام النبلاء، ٢/ ٣٣٣، ترجمة رقم (٦٧).

(٢) مسند أحمد، ٢٤ / ٤٥١، برقم ١٥٦٨٠، وحسنه محققو المسند، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢ / ٢٩٤، برقم ١٦٦٩.

(٣) ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٩٠٧، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢ / ٢٩٤، برقم ١٦٦٩.

(٤) مسند أحمد، ١٩ / ٥٧، برقم ١١٩٩٨، والنسائي، كتاب صفة الصلاة، باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٢٩٧، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة، ٤ / ٣٩٤، وقال: «إسناده صحيح» وصححه محققو المسند، ١٩ / ٥٧، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢ / ٢٨٨، برقم ١٦٥٧، وفي مشكاة المصابيح، ١ / ٢٠١، برقم ٩٠٢.

(٥) سنن النسائي، كتاب السهو، باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٢٩٧، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٤٣، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١ / ٤١٥، وفي صحيح الأدب المفرد، ص ٢٣٩، برقم ٤٤٩، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٢ / ٢٨٨، برقم ١٦٥٧، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لجلاء الأفهام ص ٩٤، حاشية رقم ١: «إسناده صحيح، وصححه الحاكم».

ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبَشَرُ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ ﷺ، فَقَالَ: أَمَّا يُرْضِيكَ يَا مُحَمَّدٌ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(١).

٧٦٩- ولفظ أحمد عن أبي طلحة ؓ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبَشَرُ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى الْبَشَرَ فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَّا يُرْضِيكَ أَنْ لَا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ، إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمَ عَلَيْكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٢).

٧٧٠- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ؓ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى دَخَلَ نَحْلًا فَسَجَدَ، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى خِفْتُ - أَوْ خَشِيتُ - أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ تَوَفَّاهُ - أَوْ قَبَضَهُ - قَالَ: فَجِئْتُ أَنْظُرُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: فَقَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ ﷺ قَالَ لِي: أَلَا أُبَشِّرُكَ إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ»^(٣).

٧٧١- وفي لفظ لأحمد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ؓ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَتَوَجَّهَ نَحْوَ صَدَقَتِهِ فَدَخَلَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَخَرَّ سَاجِدًا، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَبَضَ نَفْسَهُ فِيهَا، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟» قُلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ سَجَدْتُ سَجْدَةً خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ ﷻ قَدْ قَبَضَ نَفْسَكَ فِيهَا، فَقَالَ: «إِنَّ

(١) سنن النسائي، كتاب السهو، باب الفضل في الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٢٩٥، ورقم ١٢٨٢، وحسنه الألباني في صحيح النسائي، ١/ ٤١٠، و١/ ٤١٥، وحسنه لغيره أيضاً في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩١، برقم ١٦٦١.

(٢) مسند أحمد، ٢٦/ ٢٨٠، برقم ١٦٣٦١، وحسنه لغيره محققو المسند، ٢٦/ ٢٨١، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩١، برقم ١٦٦١: «حسن صحيح» وفي رواية لأحمد في آخر الحديث: «قَالَ: بَلَى». مسند أحمد، ٢٦/ ٢٨٣، برقم ١٦٣٦٣، وحسنه محققو المسند لغيره.

(٣) مسند أحمد، ٣/ ٢٠٠، برقم ١٦٦٢، وحسنه لغيره محققو المسند، ٣/ ٢٠٠، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٨٩، برقم ١٦٥٨.

جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتَانِي فَبَشَّرَنِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ ﷻ شُكْرًا^(١).

٧٧٢- ولفظ لأحمد، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ، قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبَشَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبَشَرُ، قَالَ: «أَجَلُ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي ﷻ فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا»^(٢).

٧٧٣- وفي النسائي في السنن الكبرى عَنْ أَبِي بَرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ»^(٣).

٧٧٤- ولفظ الطبراني عن أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا صَلَّى عَلَيَّ عَبْدٌ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً صَادِقًا بِهَا فِي قَلْبٍ نَفْسِهِ إِلَّا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا عَشْرَ

(١) مسند أحمد، ٣/ ٢٠١، برقم ١٦٦٤، والمستدرک علی الصحیحین للحاکم (١/ ٢٢٢-٢٢٣) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولا أعلم في سجدة الشكر أصح من هذا الحديث» ووافقه الذهبي، وحسنه لغيره محققو المسند، ٣/ ٢٠١، وأيضاً حسنه لغيره العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٨٩، برقم ١٦٥٨، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٧، ورقم ١٠، وقال الألباني في تحقيقه لهذا الكتاب، ص ٢٥: «حديث صحيح لطرقه وشواهده».

(٢) مسند أحمد، ٢٦/ ٢٧٢، برقم ١٦٣٥٢، وضعفه محققو المسند، ٢٦/ ٢٧٣، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩١، برقم ١٦٦١، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١، ٢، و٣، وصححه الألباني بمجموع طرقه في تحقيقه لهذا الكتاب، ص ٢٢.

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٩٨٩٢، ٩٨٨٣، وقال الحافظ في فتح الباري، ١١/ ١٦٧: «وعن أبي بردة بن نيار وأبي طلحة كلاهما عند النسائي وزواتهما ثقات» وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٠، برقم ١٦٥٩: «حسن صحيح» وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام لابن القيم، ص ١٠٥: «رجاله ثقات».

دَرَجَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سِنَاتٍ»^(١).

٧٧٥- وعن أنس، ومالك بن أوس بن الحَدَثَانِ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَبْرُزُ فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا يَتَّبِعُهُ، فَخَرَجَ عُمَرُ فَاتَّبَعَهُ بِفَخَّارَةٍ، أَوْ مِطْهَرَةٍ، فَوَجَدَهُ سَاجِدًا فِي مِسْرَبٍ، فَتَنَحَّى فَجَلَسَ وَرَاءَهُ، حَتَّى رَفَعَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْسَهُ فَقَالَ: «أَحْسَنْتَ يَا عُمَرُ حِينَ وَجَدْتَنِي سَاجِدًا فَتَنَحَّيْتَ عَنِّي، إِنْ جَبْرِيلُ جَاءَنِي فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ»^(٢).

٧٧٦- وعن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ذَكَرْتُ عَنْدهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(٣).

٧٧٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا يُبُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنْ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغْنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»^(٤).

٧٧٨- وعن علي بن حسين بن علي رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي كُلَّ غَدَاةٍ، فَيُزُورُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ، وَيُصْنَعُ ذَلِكَ مَا اشْتَهَرَهُ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: أَحِبُّ التَّسْلِيمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: هَلْ لَكَ أَنْ أَحْدِثَكَ حَدِيثًا عَنْ أَبِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ

(١) الطبراني في المعجم الكبير، ١٩٥/٢٢، برقم ٥١٣، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٩٠/٢، برقم ١٦٥٩: «حسن صحيح».

(٢) الأدب المفرد، ص ٢٣٩، برقم ٦٤٢، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، ص ٢٣٩، برقم ٤٩٨، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٨٢٩، وفي فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٠، ٥، ٤.

(٣) السنن الكبرى للنسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٩٨٨٩، وعمل اليوم والليلة لابن السني، ص ٣٣٥، برقم ٣٨٠، والمعجم الأوسط للطبراني، ١٥٣/٣، برقم ٢٧٦٧، ومسنند أبي يعلى، ٧٥/٧، برقم ٤٠٠٢، وقال النووي في الأذكار، ص ١٥٨: «ابن السني بإسناد جيد» وقال محقق أبي يعلى: «رجاله رجال الصحيح» وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٨٨/٢.

(٤) أبو داود، برقم ٢٠٤٤، وأحمد، برقم ٨٨٠٤، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢١٩، وحسنه محققو المسند، ٤٠٣/١٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٧٨٠، وتقديم تخريجه.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَجْعَلُوا يُثُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، وَسَلِّمُوا حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَسَيُلْغَنِي سَلَامُكُمْ وَصَلَاتُكُمْ»^(١).

٧٧٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»^(٢).

٧٨٠- ١٩- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»^(٣).

٧٨١- وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا بِهَا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهَا حَتَّى يُبَلِّغَنِيهَا»^(٤).

٧٨٢- وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَوَّلَى النَّاسِ»^(٥)

(١) فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٣٣، برقم ٢٠، وينحوه برقم ٣٠، قال الألباني في تحقيقه: «حديث صحيح بطرقه، وشواهده، وقد خرجتها في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص ٩٨-٩٩».

(٢) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم ٢٠٤١، ومسند أحمد، ١٦/٤٧٧، برقم ١٠٨١٥، وحسنه محققو المسند، والألباني في صحيح أبي داود، ١/٣٨٣، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٢٩٣، برقم ١٦٦٦.

(٣) النسائي، كتاب السهو، باب السلام على النبي ﷺ، برقم ١٢٨٢، ومسند أحمد، ٧/٢٦٠، برقم ٤٢٠٩، والحاكم، ٢/٤٢١، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم ٢١، وصححه محققو المسند، ٢/٤٢١، وصححه الألباني في صحيح النسائي، ١/٢٧٤، وصحيح الجامع الصغير، برقم ٢١٧٣، وقال في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي، ص ٣٣: «إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح».

(٤) المعجم الكبير للطبراني، ٨/١٣٤، برقم ٧٦١١، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٢٩٢، برقم ١٦٦٣، وقال الألباني تعليقاً عليه في حاشية صحيح الترغيب والترهيب، رقم ٣: «يشهد لشطره الأول ما تقدم من الأحاديث، ولشطره الآخر ما بعده، وآخر عن أيوب بلاغاً، رواه إسماعيل القاضي، رقم ٢٤».

(٥) يعني: أن أحص أمتي بي، وأقربهم مني، وأحقهم بشفاعتي - أكثرهم عليّ صلاة. شرح المشكاة للطبي: الكاشف عن حقائق السنن ٣/١٠٤٢، وقال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢/٥٦٠: «أقربهم مني يوم القيامة، وأولاهم بشفاعتي، وأحقهم بالإفاضة من أنواع الخيرات، ودفع المكروهات: أكثرهم عليّ صلاة في الدنيا؛ لأن كثرة الصلاة تدل على نصوص العقيدة، وخلوص النية، وصدق المحبة، والمداومة على الطاعة، والوفاء بحق الواسطة الكريمة، ومن كان حظه من هذه الخصال أوفر، كان بالقرب والولاية أحق وأجلر، قالوا: وهذه منقبة شريفة، وفضيلة منيفة، لأتباع الأثر، وحملة السنة، فيا لها من منة».

بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»^(١).

٧٨٣- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»^(٢).

٧٨٤- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ خَطِئَ^(٣) بِهِ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»^(٤).

(١) الترمذي، كتاب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٤٨٤، وقال: «هذا حديث حسن غريب» وابن حبان في صحيحه، ١٩٢/٣، برقم ٩١١، ومصنف ابن أبي شيبة، ٣٢٥/٦، برقم ٣١٧٨٧، والمعجم الكبير للطبراني، ١٧/١٠، برقم ٩٨٠٠، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/١٦٧: «وَحَسَنَةُ التِّرْمِذِيِّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَلَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ التَّيْهَقِيِّ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ بَلَفَظَ: «صَلَاةٌ أُمْتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنَزَلَةً» وَلَا بَأْسَ بِسَنَدِهِ» وقال الحافظ ابن حجر أيضاً في نتائج الأفكار، ٣/٢٩٥: «هذا حديث حسن، أخرجه البخاري في تاريخه عن محمد بن المثنى على الموافقة، وأخرجه الترمذي عن محمد بن بشار، عن محمد بن خالد بن عثمة، وقال: حسن غريب» وقال الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٣/٨٤٧: «حسن لغيره» وحسنه أيضاً لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٢٩٤، برقم ١٦٦٨.

(٢) سنن ابن ماجه، برقم ٩٠٨، والسنن الكبرى للبيهقي، ٩/٢٨٦، والمعجم الكبير للطبراني، ١٢/١٨٠، برقم ١٢٨١٩، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ١١/١٦٨: «أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالتَّيْهَقِيِّ فِي الشَّعْبِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، وَطَبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَهَذِهِ الطَّرِيقُ يُشَدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا» وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٣٠١، برقم ١٦٨٢، وحسنه في صحيح ابن ماجه، برقم ٧٤٠، وفي السلسلة الصحيحة، برقم ٢٣٣٧.

(٣) قال الفيومي رحمته الله في المصباح المنير، ١/١٧٤: «الْخَطَأُ - مَهْمُوزٌ بِفَتْحَتَيْنِ -: ضِدُّ الصَّوَابِ، وَيَقْصُرُ وَيُمَدُّ، وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَخْطَأَ، فَهُوَ مُخْطِئٌ، ... خَطِئَ خَطْئًا... وَأَخْطَأَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ لِمَنْ يُذْنِبُ عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ، ... وَخَطِئَ فِي الدِّينِ، وَأَخْطَأَ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَامِدًا كَانَ أَوْ غَيْرَ عَامِدٍ، وَقِيلَ: خَطِئَ: إِذَا تَعَمَّدَ مَا نَهَى عَنْهُ، فَهُوَ خَاطِئٌ، وَأَخْطَأَ: إِذَا أَرَادَ الصَّوَابَ، فَضَارَ إِلَى غَيْرِهِ... وَالْخَطْءُ الذَّنْبُ تَسْمِيَةً بِالْمُضْدَرِّ، وَخَطْأُهُ بِالتَّثْقِيلِ، قُلْتُ لَهُ: أَخْطَأْتُ، أَوْ جَعَلْتُهُ مُخْطِئًا، وَأَخْطَأَهُ الْحَقُّ إِذَا بَعُدَ عَنْهُ وَأَخْطَأَهُ... تَجَاوَزَهُ» وقال المناوي رحمته الله في فيض القدير، ٦/١٦٧: «خطئ طريق الجنة، فلم ينجح قصده ليلخه بما يرغب فيه عن مستحقه، وفي رواية لابن عاصم (من ذكرت عنده فنسي الصلاة علي خطئ طريق الجنة)... ومعنى النسيان فيه الترك، كما قال تعالى: ﴿أَتَاكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ [طه: ١٢٦]، وليس المراد به الذهول؛ لأن الناسي غير مكلف».

(٤) السنن الكبرى للبيهقي، ٩/٢٨٦، وشعب الإيمان له، ٢/٢١٥، والدعوات الكبير له أيضاً، ١/١١٦، ومعجم ابن الأعرابي، ١/٣٤٨، وحسنه بطرقه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لجلاء الألفهام، ص ١١٩.

٧٨٥- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ أو سأل لي الوسيلة حقت عليه شفاعتي يوم القيامة»^(١).

٧٨٦- وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «...ورأيت رجلاً من أمّتي يزحف على الصراط مرّةً، ويخبو مرّةً، فجاءته صلاته عليّ فأخذت بيده، فأقامته على الصراط حتّى جاز...»^(٢).

ثانياً: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «ثم صلوا عليّ» أي: بقولكم: «اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد»... إلى قوله: «إنك حميد مجيد»^(٣)، قال ابن علان رحمته الله: «وجوب الإجابة، قال ابن قدامة في المغني: لا أعلم أحداً قال به، قلت [القائل ابن علان]: حكى الطحاوي والخطابي والقاضي عياض الوجوب عن بعض السلف، إذا سمعتم البداء - بكسر النون والمد -: أي: الأذان، فقولوا مثل ما يقول: تعليق الإجابة

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٤٩، برقم ٥٠، وصححه الألباني، في تحقيقه لهذا الكتاب.

(٢) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال، ص ٨٤، برقم ٣٩، وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، ٣/ ١٥١، وابن عساكر في تاريخ دمشق، ٣٤/ ٤٠٥، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد، ٧/ ١٨٠، والألباني في ضعيف الجامع الصغير، برقم ٢٠٨٤. واستشهد به الإمام ابن القيم في عدة مواضع من كتبه، فقال في الوابل الصيب، طبعة المؤيد، تحقيق بشير عيون، ص ١٦٩: «رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب الترغيب في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية، وبنى كتابه عليه، وجعله شرحاً له، وقال: هذا حديث حسن جداً، رواه عن سعيد بن المسيب عمرو بن آزر، وعلي بن زيد بن جدعان، وهلال أبو جبلة، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأن هذا الحديث، وبلغني عنه أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه» وقال ابن القيم في كتابه الروح، ص ٨٣: «وسمعت شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث وقال: أصول السنة تشهد له، وهو من أحسن الأحاديث» وأيد ذلك العلامة العيني في عمدة القاري، ١١/ ١٨٠، وقال الإمام الصنعاني رحمته الله في التنوير شرح الجامع الصغير، ٤/ ٢٣١: «قال ابن القيم: كان شيخنا - يعني ابن تيمية - يعظم أمر هذا الحديث، ويفخم شأنه، ويعجب به، ويقول: أصول السنة تشهد له، ورونت كلام النبوة يلوح عليه، وهو من أحسن الأحاديث، وقال القرطبي: هو حديث عظيم ذكر فيه أعمال خاصة».

(٣) البخاري، برقم ٤٧٩٧، وتقدم الكلام فيه مستوفى في شرح المفردة الأولى من مفردات حديث المتن رقم ٢٤.

بسماع الأذان يقتضي ظاهره اختصاص الإجابة بالسامع دون غيره، ولو لبعد أو صمم»^(١)، وقال الصنعاني رحمه الله: «ثم صلوا علي: أتى ب(ثم) لإفادة أنها تراخي عن إجابتها، فتكون بعد فراغه، ويأتي في هذا الحرف كيفية الصلاة عليه»^(٢).

٢- قوله: «من صلى عليّ صلاة»: أي: قال: اللهم صل على محمد، قال ابن عبد البر رحمه الله: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ... وَقَالَ آخَرُونَ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُصَلَّى عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَحَدَهُ دُونَ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ خُصَّ بِذَلِكَ، ... قَالُوا: وَإِذَا ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِهِ، انْبَغَى لَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ لِمَا جَاءَ فِي ذَلِكَ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٣).

٣- قوله: «صلى الله عليه بها»: قال المناوي رحمه الله: «أي: رحمه، وضاعف أجره بشهادة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾»^(٤)، وقال الطيبي رحمه الله: الصلاة من العبد طلب التعظيم، والتبجيل لجناب المصطفى ﷺ، ومن الله على العبد إن كان بمعنى الغفران، فيكون من باب المشاكلة من حيث اللفظ لا المعنى، وإن كان بمعنى التعظيم، فيكون من الموافقة لفظاً ومعنى، وهذا هو الوجه لئلا يتكرر معنى الغفران»^(٥)، والصواب في معنى صلاة الله على عبده محمد ﷺ، وصلاة ملائكته: ما رواه البخاري في صحيحه بقوله: قال أبو العالية: «صَلَاةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ، وَصَلَاةُ الْمَلَائِكَةِ الدُّعَاءُ»^(٦).

٤- قوله: «عشرًا»: أي: عشر مرات، قال الإمام النووي رحمه الله: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦/ ٣٦٩.

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١١٠.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١٧/ ٣٠٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٠.

(٥) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٦/ ٢٢٥.

(٦) صحيح البخاري، ٦/ ١٢٠، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧.

وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا: قَالَ الْقَاضِي: مَعْنَاهُ رَحْمَتُهُ، وَتَضْعِيفُ أَجْرِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرَةٌ أَمْثَالِهَا قَالَ وَقَدْ يَكُونُ الصَّلَاةُ عَلَى وَجْهِهَا وَظَاهِرُهَا تَشْرِيفًا لَهُ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَإِنْ ذَكَرْنِي فِي مَلَأَ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأَ خَيْرٍ مِنْهُمْ»^(١)، وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليه عَشْرًا: هو - والله أعلم - لمن صلى عليه مُحْتَسِبًا، مُخْلِصًا، قَاضِيًا حَقَّهُ بِذَلِكَ، إِجْلَالًا لِمَكَانِهِ، وَحُبًّا فِيهِ، لَا لِمَنْ قَصَدَ بِقَوْلِهِ، وَدَعَائِهِ ذَلِكَ مَجْرَدَ الثَّوَابِ، أَوْ رَجَاءِ الْإِجَابَةِ لَدَعَائِهِ بِصَلَاتِهِ عَلَيْهِ وَالْحِظْ لِنَفْسِهِ، وَهَذَا فِيهِ عِنْدِي نَظَرٌ»^(٢)، وقال العلامة السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثَوَابُ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَنْ صَلَّى عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةِ اللَّهِ ﷻ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَرَسُولِهِ، وَتَكْفِيرِ الْخَطَايَا، وَتَرْكِ قِيَرَاثٍ مِثْلَ أَحَدٍ مِنَ الْأَجْرِ، وَالْكَيْلِ بِالْمِكْيَالِ الْأَوْفَى، وَكَفَايَةِ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِمَنْ جَعَلَ صَلَاتِهِ كُلَّهَا صَلَاةً عَلَيْهِ، وَمَحَوِ الْخَطَايَا، وَفَضَّلَهَا عَلَى عَتَقِ الرِّقَابِ، وَالنَّجَاةِ بِهَا مِنَ الْأَهْوَالِ وَشَهَادَةِ الرُّسُولِ بِهَا»^(٣)، وقال ابنُ عِلَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا: أَي: شَرَّفَ عَبْدُهُ بِذِكْرِهِ لَهُ بِالرَّحْمَةِ اللَّائِقَةِ بِهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، وَهَذَا فِيهِ تَعْظِيمُ شَرَفِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ إِذْ جَعَلَ جَزَاءَهَا كَجَزَاءِ ذِكْرِهِ تَعَالَى»^(٤).

٥- قوله: «الوسيلة»: قال القاضي عياض: رَحِمَهُ اللَّهُ: «فَسَّرَهَا فِي الْحَدِيثِ أَنَّهَا مَنَزَلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْوَسِيلَةُ: الْمَنَزَلَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ، وَهِيَ مُشْتَقَّةٌ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنَ الْقَرَبِ، تَوَسَّلَ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ بِكَذَا، إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ، وَتَوَسَّلَ إِلَى رَبِّهِ بِطَاعَتِهِ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِهَا»^(٥)، وقال

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ٤ / ١٢٨.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢ / ٢٥٣.

(٣) القول البدیع فی الصلاة علی الحبيب الشفیع، للإمام السخاوي، ص ١٠٩، وتقدم فی شرح

المفردة رقم ٦ من مفردات حديث المتن رقم ٢٤.

(٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٦ / ٣٧٠.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢ / ٢٥٢.

الحافظ ابن حجر رحمته الله: «هي ما يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى الْكَبِيرِ ، يُقَالُ تَوَسَّلْتُ أَي: تَقَرَّبْتُ، وَتَطَلَّقُوا عَلَى الْمَنْزِلَةِ الْعَلِيَّةِ»^(١)، وقال الطيبي رحمته الله: «وهي في الأصل ما يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ، وَيُقَرَّبُ بِهِ، وَجَمْعُهَا وَسَائِلٌ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ تِلْكَ الْمَنْزِلَةُ مِنَ الْجَنَّةِ بِهَا؛ لِأَنَّ الْوَاصِلَ إِلَيْهَا يَكُونُ قَرِيباً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، فَائِثراً بِلِقَائِهِ، مَخْصُوصاً مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الدَّرَجَاتِ بِأَنْوَاعِ الْمَكْرَمَاتِ، وَأَمَّا الْوَسِيلَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الدُّعَاءِ الْمَرْوِيِّ عَنْهُ بَعْدَ فَقِيلَ: هِيَ شَفَاعَةٌ، يَشْهَدُ لَهَا قَوْلُهُ فِي آخِرِ الدُّعَاءِ: «حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي»^(٢).

٦- قوله: «فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله»: قال الصنعاني رحمته الله: «تنكير عبد للتعظيم»^(٣).

٧- قوله: «أن أكون أنا هو»: قال الطيبي رحمته الله: «قيل: إن (هو) خبر كان، وضع بدل إياه، وقد سبق بحثه، ويحتمل أن يكون أنا للتأكيد، بل يكون مبتدأ، و(هو) خبره، والجملة خبر (أكون)، ويمكن أن يقال: إن هذا الضمير وضع موضع اسم الإشارة، أي: أكون أنا ذلك العبد»^(٤).

٨- قوله: «حلت» قال القاضي عياض رحمته الله: «حلت: غشيته، وحلت عليه، قال المهلب: والصواب أن يكون (حلت) بمعنى: وجبت، كما قال أهل اللغة: حَلَّ يَحِلُّ وَجِبَ، وَحَلَّ يَحُلُّ نَزَلَ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ هَذَا مَخْصُوصٌ لِمَنْ فَعَلَ مَا حَضَّهُ ﷺ عَلَيْهِ، وَأَتَى بِذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ، وَفِي وَقْتِهِ، وَبِإِخْلَاصٍ، وَصَدَقَ نِيَّةً، وَكَانَ بَعْضُ مَنْ رَأَيْنَا مِنَ الْمُحَقِّقِينَ يَقُولُ هَذَا»^(٥).

٩- قوله: «شفاعتي»: قال ابن الأثير رحمته الله: «كَرَّرَ ذِكْرَ الشَّفَاعَةِ فِي الْحَدِيثِ

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٢/ ٩٥.

(٢) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩١١.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير، ٢/ ١١٠.

(٤) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ٣/ ٩١٢.

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٢/ ٢٥٣.

فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهِيَ السُّؤَالُ فِي التَّجَاوُزِ عَنِ الذُّنُوبِ، وَالْجَرَائِمِ بَيْنَهُمْ، يُقَالُ شَفَعَ يَشْفَعُ شَفَاعَةً، فَهُوَ شَافِعٌ وَشَفِيعٌ، وَالْمُشَفِّعُ: الَّذِي يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ، وَالْمُشَفِّعُ الَّذِي تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ»^(١)، وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «قال القاضي عياض: الشَّفَاعَةُ فِي الْآخِرَةِ لِمُذْنِبِي الْمُؤْمِنِينَ، وَأَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشُّنَّةِ عَلَيْهَا، وَمَنَعَتِ الْخَوَارِجُ وَبَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ مِنْهَا، وَتَعَلَّقُوا بِمَذَاهِبِهِمْ فِي تَخْلِيدِ الْمُذْنِبِينَ فِي النَّارِ»^(٢).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- بركة الصلاة على النبي ﷺ، ومضاعفة الله الأجر على ذلك، كقوله: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا»^(٣) وفي لفظ: «وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سِئَاتٍ وَرَفَعَ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ»^(٤).

٢- امتثال أمر الله تعالى بقوله: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»^(٥).

٣- قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء^(٦). قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «يُصَلُّونَ» يبركون. أما صلاة أمته عليه فهي دعاء له وتعظيم لقدره ﷺ.

٤- الإكثار من الصلاة عليه ﷺ مستحبة في جميع الأوقات ويتأكد ذلك

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٤٨٥، مادة (شفع).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ٣٥.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٦٠.

(٤) أخرجه أحمد، ٣٨/ ٥٤٤، برقم ٢٣٨٦٥، والبخاري في الأدب المفرد، برقم ٦٤٣، وصححه

الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ٢٥٦٣.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٦) صحيح البخاري، قبل الحديث رقم ٤٧٩٧، وتقدم تخريجه.

ليلة الجمعة ويوم الجمعة؛ لقوله ﷺ: «إِنْ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَاکْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنْ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»^(١)، وإنما كان ذلك لأن العمل الصالح يشرف بشرف الزمان والمكان. وفي رواية: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ؛ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٢).

٥- قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ مُتَابَعَةِ الْمُؤَدِّنِ، وَاسْتِحْبَابُ سُؤَالِ الْوَسِيلَةِ لَهُ، وَفِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ السَّامِعُ كُلَّ كَلِمَةٍ بَعْدَ فَرَاغِ الْمُؤَدِّنِ مِنْهَا، وَلَا يَنْتَظِرُ فَرَاغَهُ مِنْ كُلِّ الْأَذَانِ، وَفِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ بَعْدَ قَوْلِهِ: وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ رَّبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَفِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ رَغِبَ غَيْرَهُ فِي خَيْرٍ أَنْ يَذْكُرَ لَهُ شَيْئًا مِنْ دَلَالَتِهِ لِيَنْشِطُهُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، وَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»، وَفِيهِ أَنَّ الْأَعْمَالَ يُشْتَرَطُ لَهَا الْقُضْدُ وَالْإِخْلَاصُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «(مِنْ قَلْبِهِ)»^(٣).

٦- وقال النووي أيضاً: «قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَنِ جَوَازُ الشَّفَاعَةِ عَقْلًا، وَوُجُوبُهَا سَمْعًا، بِصَرِيحِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾»^(٤)، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾»^(٥)، وَأَمَّا هَاهُنَا، وَبِخَبَرِ الصَّادِقِ ﷺ، وَقَدْ جَاءَتْ الْأَثَارُ الَّتِي بَلَّغَتْ

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، وليلة الجمعة، برقم ١٠٤٧، ورقم ١٥٣١، والنسائي، كتاب الجمعة، إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، برقم ١٣٧٤، ومسند أحمد، برقم ١٦١٦٢، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ٩٦٢.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، ٣/ ٣٥٣، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٤٠٧.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٧/ ٤.

(٤) سورة طه، الآية: ١٠٩.

(٥) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

بِمَجْمُوعِهَا التَّوَاتُرُ بِصَحَّةِ الشَّفَاعَةِ فِي الْآخِرَةِ لِمُذْنَبِي الْمُؤْمِنِينَ، وَأَجْمَعَ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَيْهَا، وَمَنَعَتِ الْخَوَارِجُ، وَبَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ مِنْهَا، وَتَعَلَّقُوا بِمَذَاهِبِهِمْ فِي تَخْلِيدِ الْمُذْنَبِينَ فِي النَّارِ، وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(١)، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٢)، وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْكُفَّارِ، وَأَمَّا تَأْوِيلُهُمْ أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ بِكُونِهَا فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ فَبَاطِلٌ، وَأَلْفَاظُ الْأَحَادِيثِ فِي الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ صَرِيحَةٌ فِي بُطْلَانِ مَذْهَبِهِمْ، وَإِخْرَاجِ مَنْ اسْتَوْجَبَ النَّارَ لَكِنَّ الشَّفَاعَةَ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ: أُولَاهَا: مُخْتَصَةٌ بِنَبِيِّنَا ﷺ، وَهِيَ الْإِرَاحَةُ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ، وَتَعْجِيلُ الْحِسَابِ...، الثَّانِيَةُ: فِي إِدْخَالِ قَوْمِ الْجَنَّةِ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَهَذِهِ وَرَدَتْ أَيْضًا لِنَبِيِّنَا ﷺ، وَقَدْ ذَكَرَهَا مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، الثَّالِثَةُ: الشَّفَاعَةُ لِقَوْمِ اسْتَوْجَبُوا النَّارَ، فَيَسْفَعُ فِيهِمْ نَبِيُّنَا ﷺ، وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى... الرَّابِعَةُ: فِيمَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنَ الْمُذْنَبِينَ، فَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يُخْرِجُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ، لَا يَبْقَى فِيهَا إِلَّا الْكَافِرُونَ، الْخَامِسَةُ: فِي زِيَادَةِ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِهَا، وَهَذِهِ لَا يُنْكِرُهَا الْمُعْتَزِلَةُ، وَلَا يُنْكِرُونَ أَيْضًا شَفَاعَةَ الْحَشْرِ الْأَوَّلِ^(٣).

٧- مواضع ومواطن وأحوال وأوقات الصلاة على النبي ﷺ:

الصلاة والسلام على النبي ﷺ دلت النصوص على أنها تقال في أوقات، ومواضع، ومواطن، وأحوال معينة، كما دلت النصوص على أنه يُصَلَّى وَيُسَلَّمُ

(١) سورة المدثر، الآية: ٤٨.

(٢) سورة غافر، الآية: ١٨.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، ٣/ ٣٥.

على النبي ﷺ مطلقاً في أي وقت، بدون تحديد، ومن هذه الأمور ما يأتي:

الأول: الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير:

٧٨٧- ولفظ آخر للبخاري: عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَا، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(١).

٧٨٨- ولفظ آخر للبخاري أيضاً: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيتَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢).

٧٨٩- ولفظ مسلم: عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: لَقِيتَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ: أَلَا أَهْدِي لَكَ هَدِيَّةً خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: قَدْ عَرَفْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٣).

٧٩٠- وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [الأحزاب: ٥٦]، برقم ٤٧٩٧.

(٢) البخاري، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦٣٥٧.

(٣) مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٦.

رَسُولَ اللَّهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى تَمْتَنِينَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ»^(١).

٧٩١- ولفظ البخاري: عن أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢).

٧٩٢- وعند الدارقطني عن أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو ﷺ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا؟ قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٣).

٧٩٣- ولفظ أحمد عن أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو ﷺ، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ

(١) مسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٥.

(٢) البخاري، برقم ٦٣٦٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٣) سنن الدارقطني، ١٦٨ / ٢، وقال: «هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ مُتَّصِلٌ» وقال شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام للإمام ابن القيم، ص ٢٩٥: «وهو حديث حسن كما قال الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ» وأقره الألباني في صفة الصلاة، ص ١٨٠، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٥٥، برقم ٥٩، وحسن إسناده الألباني في تحقيقه.

عَلَيْكَ، فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنْ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ، فَقَالَ: «إِذَا أَنْتُمْ صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(١).

٧٩٤- عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ؓ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ [ابن أبي لیلی]: وَنَحْنُ نَقُولُ وَعَلَيْنَا مَعَهُمْ»^(٢).

٧٩٥- وعند البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا التَّسْلِيمُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ»، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنِ اللَّيْثِ: «عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ»، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ وَالدَّرَاوَزْدِيُّ عَنْ يَزِيدَ، وَقَالَ: «كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارَكْتَ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ»^(٣).

٧٩٦- وعند البخاري أيضاً عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ

(١) مسند أحمد، ٢٨ / ٣٠٤، برقم ١٧٠٧٢، وصححه محققو المسند.

(٢) سنن النسائي، كتاب السهو، نوع آخر، برقم ١٢٨٨، وأحمد، ٣٠ / ٣٣، برقم ١٨١٠٥، و٣٠ / ٥٢، برقم ١٨١٢٣، و٣٠ / ٥٧، برقم ١٨١٣٣، وصححها كلها محققو المسند، وصححه الألباني في صحيح

النسائي، برقم ١٢٨٨، وقال في صفة صلاة النبي ﷺ ص ١٨٠: «سند جيد».

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿نَّ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] برقم ٤٧٩٨.

اللَّهُ، هَذَا السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ»^(١).

٧٩٧- وعند الطحاوي عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ»^(٢).

٧٩٨- وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهْرَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ ﷻ لِمَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَسْتَاكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ، لَا يَجْلِسُ فِيهِنَّ إِلَّا عِنْدَ الثَّامِنَةِ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، وَيَدْعُو بَيْنَهُنَّ، وَلَا يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا، ثُمَّ يُصَلِّي التَّاسِعَةَ، وَيَقْعُدُ، وَذَكَرَ كَلِمَةً نَحْوَهَا، وَيَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُصَلِّي عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، وَيَدْعُو، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَهُوَ قَاعِدٌ»^(٣).

الثاني: الصلاة عليه ﷺ في آخر التشهد الأول على الصحيح.

٧٩٩- عن أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ غُفْبَةَ بْنِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا؟ قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنْ الرَّجُلُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ،

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦٣٥٨.

(٢) شرح مشكل الآثار للطحاوي، ١٤/٦، و معجم ابن الأعرابي، ٤٢١/٢، برقم ٨٢٣، قال الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ، ص ١٨١: «(بسنن صحيح، وعزاه ابن القيم في الجلاء لمحمد بن إسحاق السراج، ثم صححه».

(٣) سنن النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، كيف الوتر بتسع، برقم ١٧٢٠، وبنحوه ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الوتر بثلاث وخمس وسبع وتسع، برقم ١١٩١، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم ١٧٢٠، وصححه ابن ماجه، برقم ٩٧٩.

وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(١).

٨٠٠- ولفظ أحمد عن أَبِي مَسْعُودٍ غُفْبَةَ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا السَّلَامُ عَلَيْكَ، فَقَدْ عَرَفْنَاكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صَلَاتِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَخْبَيْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ، فَقَالَ: «إِذَا أَنْتُمْ صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢)،^(٣).

(١) سنن الدارقطني، ٢/ ١٦٨، وقال: «هَذَا إِسْنَادٌ حَسَنٌ مُتَّصِلٌ» وقال شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام للإمام ابن القيم، ص ٢٩٥: «وهو حديث حسن كما قال الدارقطني رحمته الله» وأقره الألباني في صفة الصلاة، ص ١٨٠، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٥٥، برقم ٥٩، وحسن إسناده الألباني في تحقيقه.

(٢) مسند أحمد، ٢٨/ ٣٠٤، برقم ١٧٠٧٢، وصححه محققو المسند.

(٣) قال الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ: «وكان ﷺ يصلي على نفسه في التشهد الأول وغيره [أبو عوانة في صحيحه ٢/ ٣٢٤، والنسائي]، وشرع ذلك لأُمَّته حيث أمرهم بالصلاة عليه بعد السلام عليه، فقد قالوا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك [أي في التشهد] فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد...» الحديث، فلم يخص تشهداً دون تشهد، ففيه دليل على مشروعية الصلاة عليه في التشهد الأول أيضاً، وهو مذهب الإمام الشافعي، كما نص عليه في كتابه الأم، وهو الصحيح عند أصحابه، كما صرح به النووي في المجموع، ٣/ ٤٦٠، واستظهره في الروضة، ١/ ٢٦٣، طبع المكتب الإسلامي، وهو اختيار الوزير ابن هبيرة الحنبلي في الإفصاح، كما نقله ابن رجب في ذيل الطبقات، ١/ ٢٨٠، وأقره، وقد جاءت أحاديث كثيرة في الصلاة عليه ﷺ في التشهد، وليس فيها أيضاً التخصيص المشار إليه، بل هي عامة تشمل كل تشهد، وقد أوردتها في الأصل تعليقاً، ولم أورد شيئاً منها في المتن؛ لأنها ليست على شرطنا، وإن كانت من حيث المعنى يقوي بعضها بعضاً، وليس للمانعين المخالفين أي دليل يصح أن يحتج به، كما فصلته في الأصل، كما أن القول بركاهية الزيادة في الصلاة عليه في التشهد الأول على: «اللهم صل على محمد» مما لا أصل له في السنة، ولا برهان عليه، بل نرى أن من فعل ذلك لم ينفذ أمر النبي ﷺ المتقدم: «قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد... إلخ» صفة الصلاة ص ١٧٧.

الثالث: الصلاة عليه ﷺ في آخر دعاء القنوت:

٨٠١- عن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه أَنَّ أَبَا حَلِيمَةَ مُعَاذًا الْقَارِيَّ رضي الله عنه «كَانَ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْقُنُوتِ»^(١).

الرابع: الصلاة عليه ﷺ في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية،

٨٠٢- عن الزهري رضي الله عنه، قال: سمعت أبا أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه، يحدث سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: إن السنة في صلاة الجنازة، أن يقرأ بفاتحة الكتاب، ويصلي على النبي ﷺ، ثم عن الشعبي، قال: «أول تكبيرة من الصلاة على الجنازة ثناء على الله تعالى، والثانية صلاة على النبي ﷺ، والثالثة دعاء للميت، والرابعة السلام»^(٢).

٨٠٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه يكبر على الجنازة ويصلي على النبي ﷺ ثم يقول: «اللهم بارك فيه وصل عليه واغفر له وأورده حوض نبيك ﷺ»^(٣).

٨٠٤- عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ رضي الله عنه، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ

قلت: اختار شيخنا العلامة الإمام ابن باز رضي الله عنه في كتابه صفة صلاة النبي ﷺ، وفي غيره، أن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأول مستحبة، وهو الأفضل.

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٨٧، برقم ١٠٧، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، ٢ / ١٥٧: «هذا موقوف صحيح، أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، وهو آخر حديث فيه» وقال الألباني: في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٨٧: «إسناده موقوف» وقال الألباني في إرواء الغليل، ٢ / ١٧٧: «اطلعت على بعض الآثار الثابتة عن بعض الصحابة، وفيها صلاتهم على النبي ﷺ في آخر قنوت الوتر، فقلت بمشروعية ذلك، وسجلته في تلخيص صفة الصلاة ﷺ فتنبه».

انتهى كلام الألباني رضي الله عنه، وانظر: تلخيص صفة صلاة النبي ﷺ، ص ٣٣.

(٢) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٧، برقم ٩١، وقال الألباني في تحقيق كتاب فضل الصلاة: «إسناده موقوف صحيح».

(٣) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٧، برقم ٩٢، قال الأرناؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام، ص ٩٠: «رجاله ثقات» وقال الشيخ الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

ﷺ كَيْفَ تُصَلِّي عَلَى الْجَنَازَةِ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: «أَنَا، لَعَمْرُ اللَّهِ أُخْبِرُكَ. أَتَبْعُهَا مِنْ أَهْلِهَا. فَإِذَا وُضِعَتْ كَبْرُثٌ، وَحَمِدْتُ اللَّهَ، وَصَلَّيْتُ عَلَى نَبِيِّهِ». ثُمَّ أَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّهُ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ، اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا، فَزِدْ فِي إِحْسَانِهِ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا، فَتَجَاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَقْتُلْنَا بَعْدَهُ»^(١).

الخامس: الصلاة على النبي ﷺ في الخطب:

٨٠٥- لحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء»^(٢).

٨٠٦- عن عَوْنُ بْنُ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَبِي مِنْ شُرَطِ عَلِيٍّ ﷺ، وَكَانَ تَحْتَ الْمُبَرِّ، فَحَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّهُ صَعِدَ الْمُبَرِّ - يَعْنِي عَلِيًّا - فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عُمَرُ، وَقَالَ: يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ»^(٣).

٨٠٧- قال الإمام ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فمن أوجب الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة دون التشهد، فقله في غاية الضعف»^(٤)، وذكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ آثاراً عن بعض

(١) أخرجه مالك في الموطأ، ١/ ٢٢٨، برقم ١٧، واللفظ له، والأوسط لابن المنذر، ٥/ ٤٨٣، برقم ٣١٤١، وإسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٧، برقم ٩٣، قال الأرناؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام، ص ٩٠: «رجاله ثقات» وقال الشيخ الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الخطبة، برقم ٤٨٤١، والترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، برقم ١١٠٦، وأحمد، ١٣/ ٣٩١، برقم ٨٠١٦، ولفظه: «الْخُطْبَةُ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَهَادَةٌ، كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ» وقوى إسناده محققو المسند، والبيهقي ٣/ ٢٠٩، وابن حبان، ٧/ ٣٦، برقم ٢٧٩٦، وقال محققه الأرناؤوط: «إسناده صحيح» وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٧/ ١٣٦٠، برقم ٢٧٨٥، قال ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: في جلاء الأفهام، ص ٣٦٩: «اليد الجذماء: المقطوعة».

(٣) أخرجه أحمد، ٢/ ٢٠٢، برقم ٧٣٧، وقال محققو المسند: «إسناده قوي»، وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام، ص ٣٧٠: «إسناده حسن».

(٤) جلاء الأفهام، ص ٣٦٩.

الصحابة والتابعين تدل على الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة، ثم قال: «فهذا دليل على أن الصلاة على النبي ﷺ في الخطب كان أمراً مشهوراً، معروفاً عند الصحابة ﷺ أجمعين، وأما وجوبها فيعتمد دليلاً يجب المصير إليه، وإلى مثله»^(١).

السادس: الصلاة على النبي ﷺ بعد إجابة المؤذن

٨٠٨- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»^(٢).

السابع: الصلاة على النبي ﷺ بعد إجابة المؤذن في الإقامة:

٨٠٩- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغْفَلٍ الْمُزَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، ثَلَاثًا، لِمَنْ شَاءَ»^(٣)؛ لَأَنَّ الْإِقَامَةَ أَذَانٌ، فَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي نَهَايَتِهَا، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي مُتَابَعَةِ الْأَذَانِ.

الثامن: الصلاة على النبي ﷺ عند الدعاء: في أوله وفي آخره:

٨١٠- عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَضَعُهُ مِنْهُ شَيْءٌ، حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ»^(٤).

(١) جلاء الأفهام، ص ٣٧١.

(٢) مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يسأل الله له الوسيلة، برقم ٣٨٤.

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب كم بين الأذان والإقامة، ومن ينتظر الإقامة، برقم ٦٢٤، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بين كل أذانين صلاة، برقم ٨٣٨.

(٤) الترمذي، كتاب الوتر، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٤٨٦، وقال ابن كثير في مسند الفاروق، ١/ ١٧٦: «وهذا إسناد جيد» وصححه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٨، برقم ١٦٩٦، وقال الشوكاني في تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، ص ٤٧: «وللوقف في مثل هذا حكم الرفع؛ لأن ذلك مما لا مجال للاجتهاد فيه».

- ٨١١- عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «كُلُّ دُعَاءٍ مَخْجُوبٍ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ، وَآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ»^(١).
- ٨١٢- عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الْجَنْبِيِّ، حَدَّثَنَا أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالَهَ بْنَ عُيَيْدٍ ﷺ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ، وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ ﷻ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَلْ هَذَا» ثُمَّ دَعَا، فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّيْ أَحَدَكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدَ بَمَا شَاءَ»^(٢).
- وله ثلاث مراتب^(٣):

المرتبة الأولى: يصلى عليه بعد حمد الله تعالى قبل الدعاء.

المرتبة الثانية: يصلى عليه في أول الدعاء، وأوسطه، وآخره.

المرتبة الثالثة: يصلى عليه في أول الدعاء، وآخره ويجعل حاجته بينهما.

٨- التاسع: الصلاة والسلام على النبي ﷺ عند دخول المسجد؛

- ٨١٣- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ»، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(٤).

(١) الطبراني في المعجم الأوسط، ١/ ٢٢٠، برقم ٧٢١، وفي المعجم الكبير، ١/ ١٦٨، برقم ٧٢١، والبيهقي في شعب الإيمان، ٣/ ١٥٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٦٠: «رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات» وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ٢/ ٣٣٠: «رواه الطبراني في الأوسط موقوفاً، ورواته ثقات، ورفع بعضهم، والموقوف أصح» وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢٩٧، برقم ١٦٧٥، وقال العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٥٤، برقم ٢٠٣٥: «وهو في حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي، كما قال السخاوي، ص ٢٢٣».

(٢) مسند أحمد، ٣٩/ ٣٦٣، برقم ٢٧٩٣٧، واللفظ له، وأبو داود، كتاب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٤٨١، والترمذي، كتاب الدعوات، باب حدثنا عبد الله بن معاوية، برقم ٣٤٧٧، والنسائي في السنن، كتاب السهو، باب التمجيد والصلاة على النبي ﷺ في الصلاة، برقم ١٢٨٤، وأخرجه إسماعيل القاضي، ص ٨٦، برقم ١٠٦، وقال محققو المسند، ٣٩/ ٣٦٣: «إسناده صحيح، رجاله ثقات» وصححه الألباني في صحيح أبي داود، ٥٢٢١، برقم ١٣٣١، وصحيح الترمذي، برقم ٢٧٦٧.

(٣) انظر: جلاء الأفهام للإمام ابن القيم، ص ٣٧٥.

(٤) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ١٦٧، برقم ٨٨، وصححه الألباني في الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، ص ٦٠٧.

٨١٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد - أو أتى إلى المسجد - فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم أعطني من الشيطان الرجيم». وقال ابن مكرم في حديثه: «واعصمني»^(١).

٨١٥- ولفظ أبي داود، في الرواية الثانية له: عن أبي حميد، أو أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»^(٢).

٨١٦- وعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، وَإِذَا خَرَجَ، قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»^(٣).

العاشر: الصلاة على النبي والسلام عليه ﷺ عند الخروج من المسجد

٨١٧- لفظ ابن ماجه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْصِنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٤).

(١) عمل اليوم والليلة لابن السني، ص ١٦٣، برقم ٨٦، وهو في الحاكم، ١/ ٣٢٥، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، ص ٦٠٨.

(٢) أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما يقول الرجل عند دخوله المسجد، برقم ٤٦٥، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ٤٤٠.

(٣) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٢٨-١٢٩.

(٤) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، برقم ٧٧٤، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/ ١٢٩.

٨١٨- وَعَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، وَإِذَا خَرَجَ، قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»^(١).

الحادي عشر: الصلاة على النبي ﷺ على الصفا:

٨١٩- قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «روى إسماعيل بن إسحاق في كتابه: ثنا هذبة، ثنا همام، بن يحيى، ثنا نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يكبر على الصفا ثلاثاً يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو، ويطلب القيام والدعاء، ثم يفعل على المروة نحو ذلك»^(٢).

الثاني عشر: الصلاة على النبي ﷺ على المروة:

٨٢٠- قال الإمام ابن القيم رحمته الله: «روى إسماعيل بن إسحاق في كتابه: ثنا هذبة، ثنا همام، بن يحيى، ثنا نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يكبر على الصفا ثلاثاً يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو، ويطلب

(١) ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، برقم ٧٧١، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ١/١٢٨-١٢٩.

(٢) جلاء الأفهام ، ص ٣٧٩، وقد أخرجه كما قال الإمام ابن القيم رحمته الله إسماعيل القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٤، برقم ٨٧، قال الألباني في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٥: «إسناده موقوف، منقطع؛ فإن نافعاً لم يدرك عمر، لكن في الجلاء [لابن القيم] ص ٣٧٩ نقلاً عن المصنف: «أن ابن عمر» فإن صح هذا فيكون قد سقط من نسختنا لفظة (ابن)، ويكون السند حيثئذ متصلاً صحيحاً، وهذا مما أستبعده، والله أعلم» وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط بعد سياق الحديث عند ابن القيم في جلاء الأفهام ، ص ٣٧٩: «عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان يكبر على الصفا ثلاثاً... الحديث، قال: وإسناده صحيح، وقد سقطت لفظة (ابن) منه [أي: من كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي]، فتستدرك فيه».

القيام والدعاء، ثم يفعل على المروة نحو ذلك»^(١).

الثالث عشر: الصلاة على النبي ﷺ عند اجتماع القوم قبل تفرقهم

٨٢١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تَرَةٌ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ»، وهذا لفظ الترمذي^(٢).

٨٢٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ فِيهِ اللَّهَ ﷻ، وَيَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ»^(٣).

٨٢٣- عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَصَلَاةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا قَامُوا عَنْ أَتْنِ جِيفَةٍ»^(٤).

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٤، برقم ٨٧، وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام، ص ٣٧٩: «وإسناده صحيح» وتقدم تخريجه والكلام على إسناده في الذي قبله.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، برقم ٣٣٨٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/ ١٤٠، وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٥٤، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٥٠: «حديث صحيح» وله شاهد من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، والدعاء، قال السخاوي في القول البديع، ص ١٥٠: «بإسناد رجاله ثقات» وقال عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام، ص ١٠٢: «إسناده قوي».

(٣) مسند أحمد، ١٦/ ٤٣، برقم ٩٩٦٥، وابن حبان، ٢/ ٣٥٢، برقم ٥٩١، وصحح إسناده محققو المسند، ومحقق ابن حبان، والحاكم، ١/ ٤٩٢، وصححه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ٧٩: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح» وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢/ ٦٣، برقم ٥٩٠، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، ١/ ١٥٨، برقم ٧٦، وفي صحيح الترغيب والترهيب، ٢/ ٢١٤، برقم ١٥١٣، وله شاهد عن أبي سعيد رضي الله عنه، أخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٥٥، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٥٢: «إسناده صحيح موقوفاً، ولكنه في حكم المرفوع».

(٤) مسند الطيالسي، ٣/ ٣١٤، برقم ١٨٦٣، والدعاء للطبراني، ص ٥٣٩، والبيهقي في شعب الإيمان، ٢/ ٢١٤، قال

٨٢٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ، فَتَفَرَّقُوا مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

٨٢٥- وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يُصَلِّ فِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ»^(٢).

الرابع عشر: الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره

٨٢٦- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَقَى الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ»، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كُنْتَ تَضَعُ هَذَا؟ فَقَالَ: «قَالَ لِي جَبْرِيلُ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ، أَوْ أَحَدَهُمَا لَمْ يَدْخُلْهُ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»^(٣).

البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة، ٦/ ٣٨٣: «هَذَا إِسْنَادٌ رَوَاهُ ثِقَاتٌ» وقال ابن القيم في جلاء الأفهام، ص ٩٥: «قال أبو عبد الله المقدسي: هذا عندي على شرط مسلم» وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ٤/ ٣٠: «ورجاله رجال الصحيح» وقال السخاوي في القول البدیع في الصلاة على الحبيب الشفیع، ص ١٥٦: «ورجاله رجال الصحيح على شرط مسلم» وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٥٥٠٦.

(١) صحيح ابن حبان، ٢/ ٣٥١، برقم ٥٩٠، وصححه شعيب الأرناؤوط، في صحيح ابن حبان، ٢/ ٣٥١، وصححه الألباني في التعليقات الحسان، ٣/ ٢١١، برقم ٥٨٩.

(٢) النسائي في السنن الكبرى، كتاب عمل اليوم والليلة، من جلس مجلساً لم يذكر الله تعالى فيه وذكر الاختلاف على سعيد بن أبي سعيد في خبر أبي هريرة، وشعب الإيمان للبيهقي، ٣/ ١٣٤، والمجالسة وجواهر العلم، ١/ ٤٢٩، وقال الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار، ٤/ ٢٩: «هذا حديث صحيح» وقال السخاوي في القول البدیع في الصلاة على الحبيب الشفیع، ص ١٥٥: «رواه الطبراني في الدعاء، والمعجم الكبير بسند رجاله ثقات» وقال محقق كتاب المجالسة وجواهر العلم، ١/ ٤٢٩، مشهور سلمان: «إسناده ضعيف، وهو صحيح بطرقه وشواهده» وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم ٧٦٢٤.

(٣) الأدب المفرد، ص ٢٢٥، برقم ٦٤٦، وابن حبان، ٣/ ١٨٨، برقم ٩٠٧، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٠٢: «حسن صحيح» ومثله في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢/

٨٢٧- عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «آمِينَ، آمِينَ، آمِينَ، قَالَ: أَنَا نِي جَبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَمَاتَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَادْخُلِ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»^(١).

٨٢٨- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَفَى الْمِنْبَرَ، فَلَمَّا رَفَى الدَّرَجَةَ الْأُولَى قَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَفَى الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَفَى الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «آمِينَ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْنَاكَ تَقُولُ: آمِينَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؟ قَالَ: «لَمَّا رَقِيتُ الدَّرَجَةَ الْأُولَى جَاءَنِي جَبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: شَقِي عَبْدُكَ رَمَضَانَ، فَأَنْسَلَخَ مِنْهُ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: شَقِي عَبْدُكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، ثُمَّ قَالَ: شَقِي عَبْدُكَ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»^(٢).

٨٢٩- عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «احْضَرُوا الْمِنْبَرَ»، فَحَضَرْنَا، فَلَمَّا ارْتَقَى دَرَجَةً، قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ، قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ، قَالَ: «آمِينَ»، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ الْيَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ، قَالَ: «إِنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَرَضَ لِي فَقَالَ: بُعْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّانِيَةَ قَالَ: بُعْدًا لِمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، قُلْتُ:

٢٥٧، وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط في صحيح ابن حبان، ٣/ ١٨٨، وأخرجه إسماعيل القاضي

في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٨، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٣٢: «إسناده حسن».

(١) المعجم الكبير للطبراني، ٢/ ٢٤٤، برقم ٢٠٢٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٨/ ١٣٩: «رواه

الطبراني بإسناد، وأحدها حسن؛ ولهذا الحديث طرق في الأدعية في الصلاة على النبي ﷺ».

(٢) الأدب المفرد، ص ٢٢٤، برقم ٦٤٤، وصححه لغيره الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم ٥٠٠.

آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ قَالَ: بُغْدًا لِمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَاهُ الْكَبِيرَ عِنْدَهُ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَدْخُلَاهُ الْجَنَّةَ، قُلْتُ: آمِينَ^(١).

٨٣٠- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عَنْدهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكَبِيرِ، فَلَمْ يَدْخُلَاهُ الْجَنَّةَ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانَ، ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ»^(٢).

٨٣١- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٣).

٨٣٢- عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ؓ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ذُكِرْتُ عَنْدهُ فَخَطِئَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»^(٤).

(١) المستدرک، للحاکم، ١٥٣/٤، وصحیح إسناده، ووافقه الذہبی، وصححه لغيره الألبانی فی صحیح الترغیب والترہیب، ٢/٢٩٨، برقم ١٦٧٧، وأخرجه إسماعیل القاضي فی فضل الصلاة علی النبی ﷺ، برقم ١٩، وقال الألبانی فی تحقیقه، ص ٣٣: «حدیث صحیح بشواہده» وله عند إسماعیل القاضي شواہد كثيرة، منها ما تقدم عن أبي هريرة ؓ، برقم ١٨، وعن أنس ؓ برقم ١٥، وقال الألبانی فی تحقیقه عن حدیث أنس ص ٣٢: «حدیث صحیح بشواہده».

(٢) صحیح ابن حبان، ٣/١٨٩، برقم ٩٠٨، وقال شعيب الأرناؤوط فی تحقیقه لصحیح ابن حبان، ٣/١: «إسناده صحیح علی شرط مسلم» وقال الألبانی فی التعليقات الحسان، ٢/٢٥٧، برقم ٩٠٥: «حسن صحیح» وأخرجه إسماعیل القاضي فی فضل الصلاة علی النبی ﷺ، برقم ١٦، وقال الألبانی فی تحقیقه، ص ٣١: «إسناده صحیح، رجاله رجال الصحیح».

(٣) أخرجه الترمذی، کتاب الدعوات، باب قول رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل، برقم ٣٥٤٦، وأحمد، ٣/٢٥٧، برقم ١٧٣٦، والنسائي فی الكبرى، برقم ٨١٠٠، وقال الحافظ ابن حجر ؓ فی فتح الباری، ١١/١٦٨: «أخرجه الترمذی، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، وإسماعیل القاضي، وأطبَّب فی تخريج طُرُقهِ، وبيان الاختلاف فيه من حدیث عليٍّ، ومن حدیث ابنه الحسين، ولا يقصر عن درجة الحسن» وهذا الحديث من الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر ؓ فی فضل الصلاة علی النبی ﷺ، ولم يذكرها البخاري ومسلم، وقال عنها فی فتح الباری، ١١/١٦٨: «فهذا الجَدُّ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ» وقوى إسناده محققو المسند، ٣/٢٥٨، وصححه الألبانی فی صحیح الترغیب والترہیب، برقم ١٦٨٣، وصحیح الجامع، برقم ٢٨٧٨.

(٤) الطبرانی فی المعجم الكبير، ٣/١٢٨، برقم ٢٨٨٧، وقال شعيب الأرناؤوط فی تحقیقه جلاء الأفهام، ص ٨٨: «حدیث حسن» وصححه لغيره الألبانی فی صحیح الترغیب والترہیب،

٨٣٣- عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»^(١).

٨٣٤- عَنْ أَبِي دَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ لَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»^(٢).

الخامس عشر: الصلاة على النبي ﷺ عند زيارة قبره

٨٣٥- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ «يَقِفُ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»^(٣).

٨٣٦- عَنْ نَافِعٍ رضي الله عنه: «أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ثُمَّ أَتَى الْقَبْرَ

٢/ ٣٠٠، برقم ١٦٨١، وفي صحيح الجامع الصغير، برقم ٦٢٤٥.

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٩٠٨، وقال الحافظ ابن حجر رضي الله عنه في فتح الباري، ١١/ ١٦٨: «أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ يَهُيَّ فِي الشَّعْبِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه، وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَهَذِهِ الطَّرِيقُ يُشَدُّ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ» وهذا الحديث من الأحاديث التي ذكرها الحافظ ابن حجر رضي الله عنه في فضل الصلاة على النبي ﷺ، ولم يذكرها البخاري ومسلم، وقال عنها في فتح الباري، ١١/ ١٦٨: «فَهَذَا الْجَيْدُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ» وحسنه العلامة الألباني رضي الله عنه في صحيح سنن ابن ماجه، برقم ٧٤٠، وفي تخریج فضل الصلاة على النبي، ص ٤٢، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ٢٣٣٧.

(٢) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، ١/ ١٩٥، برقم ٥٣، وإسماعيل القاضي في تحقيق فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٤٣، برقم ٣٧، وقال السخاوي في القول البدیع في الصلاة على الحبيب الشفیع، ص ١٥٤: «وَالْحَدِيثُ غَرِيبٌ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، لَكِنْ فِيهِمْ رَجُلٌ مَبْهُمٌ لَا أَعْرِفُهُ» وقال عبد القادر الأرناؤوط وشعيب الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام، ص ١٢٠: «وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ، فَهُوَ بِهِ صَحِيحٌ» وصححه الألباني لشواهد في تحقيق فضل الصلاة على النبي ﷺ، لإسماعيل القاضي، برقم ٣٧.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ، ١/ ١٦٦، برقم ٦٨، واللفظ له، وإسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٨١، برقم ٩٨، والسنن الكبرى للبيهقي، ٥/ ٤٠٣، والطبقات الكبرى، لابن سعد، ٣/ ٢١٠، قال عبد القادر وشعيب الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام، ص ٣٢٨: «إِسْنَادُهُ مُوقُوفٌ صَحِيحٌ» وحسنه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في جامع الأصول، ٤/ ٤٠٧، وقال الشيخ الألباني في تحقيقه لكتاب فضل الصلاة: «إِسْنَادُهُ مُوقُوفٌ صَحِيحٌ».

فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَا^(١).

٨٣٧- عن عبد الله بن دينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «رَأَيْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، السَّلَامُ عَلَى أَبِي، وَيَصْلِي رَكَعَتَيْنِ»^(٢).

السادس عشر: الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة

٨٣٨- عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْبَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تُغَرِّضُ صَلَاتَنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ - يَعْني: بليت - فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٣).

٨٣٩- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تَبَّ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ ذَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُسِيخَةٌ»^(٤) يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُضْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا

(١) أخرجه البيهقي، ٢٤٥/٥، وإسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٨٢، برقم ١٠٠، وقال الشيخ الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

(٢) فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٨١، برقم ٩٩، قال الألباني في تحقيقه: «إسناده موقوف صحيح».

(٣) أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، برقم ١٠٤٧، وابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته، ودفنه ﷺ، برقم ١٦٣٦، واللفظ له، وابن ماجه أيضاً، كتاب الصلاة، باب في فضل الجمعة، برقم ١٠٨٥، والنسائي، كتاب الجمعة، إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، برقم ١٣٧٤، وأحمد، ٨٤/٢٦، برقم ١٦١٦٢، وصحيح ابن حبان، ١٩١/٣، برقم ٩١٠، وصحيح إسناده محققو المسند، وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط مسلم، ١٩١/٣، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ٢٥٨/٢، برقم ١٠٤٧، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٩٧/٢، برقم ١٦٧٤، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٢٢، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٣٥: «إسناده صحيح».

(٤) في الموطأ للإمام مالك: «مصيخة».

يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَةً إِلَّا أَعْطَاهُ إِثَّامًا»، قَالَ كَعْبٌ ذَلِكَ فِي كُلِّ سَنَةٍ يَوْمٌ، فَقُلْتُ: بَلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، قَالَ: فَقَرَأَ كَعْبُ التَّوْرَةَ، فَقَالَ: صَدَقَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: ثُمَّ لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، فَحَدَّثَنِي بِمَجْلِسِي مَعَ كَعْبٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ قَدْ عَلِمْتُ آيَةَ سَاعَةٍ هِيَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَأَخْبِرْنِي بِهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ يُصَلِّي»، وَتِلْكَ السَّاعَةُ لَا يُصَلِّي فِيهَا؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ حَتَّى يُصَلِّي»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ هُوَ ذَاكَ»^(١).

٨٤٠- وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ؛ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(٢).

٨٤١- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُغَرِّضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً»^(٣).

(١) أبو داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة، برقم ١٠٤٨، ومالك في الموطأ، ١٠٨ / ١، والترمذي، كتاب الجمعة، باب ما جاء في الساعة التي ترجى في يوم الجمعة، برقم ٤٩١، وصححه إسناده شعيب الأرناؤوط في سنن أبي داود، ٢ / ٢٧٨، وصححه إسناده عبد القادر الأرناؤوط، وشعيب الأرناؤوط في جلاء الأفهام، ص ٨٥، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٤ / ٢١٢: «إسناده صحيح على شرط الشيخين» وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه جلاء الأفهام، ص ٨٥: «فهذا الحديث الصحيح مؤيد لحديث أوس بن أوس، دال على مثل معناه».

(٢) السنن الكبرى للبيهقي، ٣ / ٣٥٣، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٤٠٧.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي، ٣ / ٢٤٩، وفي شعب الإيمان، ٣ / ١١٠، قال المنذري في الترغيب والترهيب، ٢ / ٣٢٨: «رواه البيهقي بإسناد حسن، إلا أن مكحولاً قيل لم يسمع من أبي أمامة، وقال العجلوني في كشف الخفاء، ١ / ١٦٧: «رواه البيهقي بإسناد جيد عن أبي أمامة» وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب، ٢ / ٢٩٧، برقم ١٦٧٣.

السابع عشر: الصلاة على النبي ﷺ عند الهم إذا أراد أن يكفيه الله ما أهمه:
 ٨٤٢- عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أَبِي: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟^(١) فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»، قَالَ: قُلْتُ: الرَّبُوعُ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: الْبَيْتُ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فَالْثُلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: «إِذَا تُكْفِيَ هَمَّكَ، وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ»^(٢).

الثامن عشر: الصلاة على النبي ﷺ يكفيه الله بها ما أهمه في الدنيا والآخرة:
 ٨٤٣- عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَعَلْتُ صَلَاتِي كُلَّهَا عَلَيْكَ؟ قَالَ: «إِذَا يَكْفِيكَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا هَمَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ»^(٣).
 التاسع عشر: الصلاة على النبي ﷺ عند طلب المغفرة:

(١) قال المنذري رحمته الله في الترغيب والترهيب، حديث رقم ٢٥٧٧: «معناه: أكثر الدعاء، فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك» وقال الإمام ابن القيم رحمته الله في كتابه جلاء الأفهام ، ص ٧٩: «وسئل شيخنا أبو العباس عن تفسير هذا الحديث، فقال: كان لأبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ هل يجعل له منه ربه صلاة عليه، فقال: إن زدت فهو خير لك، فقال له النصف، فقال: إن زدت فهو خير لك، إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلها، أي: أجعل دعائي كله صلاة عليك، قال: «إِذَا تُكْفِيَ هَمَّكَ، وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ» لأن من صلى على النبي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ومن صلى الله عليه كفاه همه، وغفر له ذنبه، هذا معنى كلامه ﷺ».

(٢) الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب حدثنا هناد، برقم ٢٤٥٧، والحاكم، ٤٢١/٢، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٢٩٤، برقم ١٦٧٠: «حسن صحيح» وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٤، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٣٠: «حديث جيد».

(٣) الأحاديث المختارة للضياء المقدسي، ٣/٣٩٠، وقال: «سنده حسن» وقال المنذري في الترغيب والترهيب، برقم ٢٥٧٧: «وإسناده جيد» وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢/٢٩٦، في حاشية رقم ١.

٨٤٤- عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ، اذْكُرُوا اللَّهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أَبِي: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟^(١) فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»، قَالَ: قُلْتُ: الرَّبُوعُ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفُ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا، قَالَ: «إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»^(٢).

العشرون: الصلاة على النبي ﷺ عند تبليغ العلم إلى الناس

٨٤٥- الصلاة على النبي ﷺ: عند التذكير، وإلقاء الدروس، وتعليم العلم في أول ذلك وآخره، ويؤيده ما كتبه عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه: من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى أمراء الأجناد: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ أَنَا مِنَ النَّاسِ الَّتَمَسُوا الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَإِنْ أَنَا مِنَ الْقَصَاصِ قَدْ أَحَدْتُهَا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى خُلَفَائِهِمْ وَأَمْرَائِهِمْ عَدَلْ صَلَاتِهِمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا، فَمُرْهُمْ أَنْ تَكُونَ صَلَاتُهُمْ عَلَى

(١) قال المنذري رحمته الله في الترغيب والترهيب، حديث رقم ٢٥٧٧: «معناه: أكثر الدعاء، فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك» وقال الإمام ابن القيم رحمته الله في كتابه جلاء الأفهام ، ص ٧٩: «وسئل شيخنا أبو العباس عن تفسير هذا الحديث، فقال: كان لأبي بن كعب دعاء يدعو به لنفسه، فسأل النبي ﷺ هل يجعل له منه ربه صلاة عليه، فقال: إن زدت فهو خير لك، فقال له النصف، فقال: إن زدت فهو خير لك، إلى أن قال: أجعل لك صلاتي كلها، أي: أجعل دعائي كله صلاة عليك، قال: «إِذَا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ» لأن من صلى على النبي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ومن صلى الله عليه كفاه همه، وغفر له ذنبه، هذا معنى كلامه ﷺ».

(٢) الترمذي، برقم ٢٤٥٧، والحاكم، ٤٢١ / ٢، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢ / ٢٩٤، برقم ١٦٧٠: «حسن صحيح» وأخرجه إسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ، برقم ١٤، وقال الألباني في تحقيقه، ص ٣٠: «حديث جيد» وتقدم تخريجه في الصلاة على النبي ﷺ عند الهم.

النبي ﷺ، وعلى النَّبِيِّينَ، وَدَعَاؤُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ عَامَّةً، وَيَدْعُوا مَا سِوَى ذَلِكَ»^(١).

الحادي والعشرون: الصلاة على النبي ﷺ أول النهار وآخره

٨٤٦- عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا، وَحِينَ يُمَسِّي عَشْرًا، أَذْرَكَتُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

(١) مصنف ابن أبي شيبة، ١٧٩/٧، برقم ٣٥٠٩٣، بلفظه، وفضل فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٦٧، برقم ٧٦، قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لجلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام رضي الله عنه، ص ٤١٤: «ورجاله ثقات، لكنه منقطع» وقال الألباني في تحقيقه، ص ٦٨: «إسناده مقطوع صحيح» ثم قال الألباني رحمته الله: «وقد جاءت هذه الرسالة في كتاب عمر بن عبد العزيز للإمام ابن الجوزي، واليك نصها بتمامها: وكتب عمر بن عبد العزيز: من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى أمراء الأجناد: أما بعد؛ فإن الناس ما اتبعوا كتاب الله نفعهم في دينهم، ومعاشهم في الدنيا، ومرجعهم إلى الله فيما بعد الموت، وإن الله أمر في كتابه بالصلاة على النبي ﷺ، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: من الآية ٥٦]، صلوات الله على محمد رسول الله، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته، ثم قال لنبيه محمد رضي الله عنه: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: من الآية ١٩]، فقد جمع الله تبارك وتعالى في كتابه أن أمر بالصلاة على النبي ﷺ، وعلى المؤمنين والمؤمنات، وإن رجلاً من القضاة قد أحدثوا صلاة على خلفائهم، وأمرائهم، عدل ما يصلون على النبي، وعلى المؤمنين، فإذا أتاك كتابي هذا، فمر قضاصكم، فليصلوا على النبي ﷺ، وليكن فيه إطناب دعائهم وصلاتهم، ثم ليصلوا على المؤمنين والمؤمنات، وليستصروا الله، ولتكن مسألتهن عامة للمسلمين، وليدعوا ما سوى ذلك، فنسأل الله التوفيق في الأمور كلها، والرشاد والصواب والهدى فيما يحب ويرضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والسلام عليكم».

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦١، وذكره عدد من المحدثين، وأشاروا إلى مخرجه الطبراني، ولم أجده في معاجم الطبراني الثلاثة ولا في غيرها، وقد ذكر محقق المعجم الكبير أن فيه جزأين مفقودان، وقد ذكره الإمام ابن القيم في جلاء الأفهام، ص: ٤١٨ بإسناده كاملاً، فقال: «قال الطبراني: حدثنا حفص بن عمر الصباح، حدثنا يزيد بن عبد ربه الجرجسي، حدثنا بقية بن الوليد، حدثني إبراهيم بن محمد بن زياد الألهاني، قال: سمعت خالد بن معدان يحدث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى علي حين يصبح عَشْرًا وحين يمسي عَشْرًا أذركته شفاعتي يوم القيامة». قال أبو موسى المدني: «رواه عن بقية غير واحد، ويزيد بن عبد ربه كان يسكن بحمص قرب كنيسة جرجس، فنسب إليها» وقال شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط محققاً جلاء الأفهام، ص ٤١٨ عن الإسناد الذي ساقه الإمام ابن القيم معزواً إلى الطبراني: «رواته ثقات» وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ١/ ٢٦١: «رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد» وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٠/ ١٢٠: «أخرجه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد» وقال محقق جلاء الأفهام، طبعة مكتبة الباز، ص ٢٠٩: =

الثاني والعشرون: الصلاة على النبي ﷺ عقب الذنب إذا أراد أن يكفر عنه:

٨٤٧- قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «قال ابن أبي عاصم في كتاب «الصلاة على النبي ﷺ»: حدثنا الحسن بن البزار، حدثنا شعبة، حدثنا مغيرة بن مسلم، عن أبي إسحاق، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيَّ كَفَّارَةٌ لَكُمْ، فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(١).

الثالث والعشرون: الصلاة على النبي ﷺ في أثناء صلاة العيد:

٨٤٨- عن علقمة رحمه الله: «أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَأَبَا مُوسَى، وَخُذَيْفَةَ خَرَجَ عَلَيْهِمُ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ قَبْلَ الْعِيدِ يَوْمًا، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الْعِيدَ قَدْ دَنَا، فَكَيْفَ التَّكْبِيرُ فِيهِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «تَبْدَأُ فَتُكَبِّرُ تَكْبِيرَةً تَفْتَحُ بِالصَّلَاةِ، وَتَحْمَدُ رَبَّكَ، وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ تَدْعُو، وَتُكَبِّرُ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَقْرَأُ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَرْكَعُ، ثُمَّ تَقُومُ فَتَقْرَأُ وَتَحْمَدُ رَبَّكَ، وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ تَدْعُو، وَتُكَبِّرُ اللَّهُ، وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَرْكَعُ» فقال خذيفة، وأبو موسى: صدق أبو عبد الرحمن»^(٢).

«إسناده صحيح، رواه الطبراني في الكبير، ١/ ١٥٨» وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم ٦٣٥٧، كما حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ٢٧٣ الطبعة القديمة، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ برقم ٦٥٩، ثم ضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة، برقم ٥٧٨٨.

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام للعلامة ابن القيم ص ٤١٩، وقال شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام، ص ٤١٩: «إسناده حسن»، وذكره السخاوي في القول البدیع في الصلاة على الحبيب الشفیع ص ١٥٤، وعزاه إلى ابن أبي عاصم، في الصلاة النبوية، وأبي القاسم التيمي في ترغيبه، وذكر روايات أخرى.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، ٣/ ٢٩١، وأخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٥، برقم ٨٨، ولفظ البيهقي: «عَنْ عَلْقَمَةَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ وَأَبَا مُوسَى وَخُذَيْفَةَ خَرَجَ إِلَيْهِمُ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ قَبْلَ الْعِيدِ فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الْعِيدَ قَدْ دَنَا فَكَيْفَ التَّكْبِيرُ فِيهِ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: تَبْدَأُ فَتُكَبِّرُ تَكْبِيرَةً تَفْتَحُ بِهَا الصَّلَاةَ وَتَحْمَدُ رَبَّكَ وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ تَدْعُو وَتُكَبِّرُ وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَقْرَأُ، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَرْكَعُ، ثُمَّ تَقُومُ فَتَقْرَأُ وَتَحْمَدُ رَبَّكَ وَتُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ تَدْعُو، ثُمَّ تُكَبِّرُ وَتَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَرْكَعُ»

٨٤٩- وعن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه، قال: كنا بالخيف، ومعا عبد الله بن أبي عتبة رضي الله عنه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ، ودعا بدعوات، ثم قام فصلى بنا^(١).

الرابع والعشرون: الصلاة على النبي ﷺ أثناء صلاة الاستسقاء:

٨٥٠- لحديث ابن عباس رضي الله عنه قال: «... خرج رسول الله ﷺ متبذلاً، متواضعاً، متضرعاً، متخشعاً، مترسلاً، حتى أتى المصلى ولم يخطب كخطبتكم هذه^(٢)، ولكن لم يزل في الدعاء، والتضرع، والتكبير، ثم صلى ركعتين كما كان يصلي في العيد»^(٣).

٨٥١- وهذا يؤكد قول الجمهور أن صلاة الاستسقاء تُصلى كما تُصلى صلاة العيد: في العدد، والجهر بالقراءة، والتكبيرات، والصلاة على النبي ﷺ بين التكبيرات، وجواز الخطبة في الاستسقاء بعد الصلاة؛ لأنها في معناها إلا

ذلك ، ثم تكبّر وتُفعل مثل ذلك ، ثم تكبّر وتُفعل مثل ذلك ، ثم تكبّر وتُفعل مثل ذلك هذا من قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوف عليه، فتابعه في الوقوف بين كل تكبيرتين للذكر، إذ لم يزوَ خلافه عن غيره، ونُحالفه في عدد التكبيرات، وتقديمهن على القراءة في الركعتين جميعاً، بحديث رسول الله ﷺ، ثم فعل أهل الحرمين، وعمل المسلمين إلى يومنا هذا، وبالله التوفيق» وحسن إسناده شعيب وعبد القادر الأرناؤوط في تحقيقهما لجلاء الأفهام ، ص ٤٤٢، وقال الألباني في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي: «إسناده موقوف حسن، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، غير حماد بن أبي سليمان فمن رجال مسلم وحده، وقال الحافظ في (التقريب): (صدوق له أوهام)، وصحح إسناده السخاوي في (القول البدیع، ص ٢٩٢).

(١) أخرجه إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ، ص ٧٦، برقم ٩٠، قال الأرناؤوط في تحقيقه على جلاء الأفهام ، ص ٩٠: «رجالهم ثقات» وقال الشيخ الألباني في تحقيقه لفضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي: «إسناده موقوف صحيح».

(٢) قوله: «(ولم يخطب كخطبتكم هذه)» المعنى نفى للصفة لا لأصل الخطبة: أي لم يخطب كخطبتكم هذه إنما كان جل خطبته الدعاء والتضرع...» المغني لابن قدامة، ٣/٣٣٩.

(٣) أبو داود، برقم ١١٦٥، والترمذي، برقم ٥٥٨، والنسائي برقم ١٥٠٥، وابن ماجه، برقم ١٢٨١، وغيرهم، وتقديم تخريجه في آداب الاستسقاء.

أنه لا وقت لصلاة الاستسقاء، ولكنها لا تفعل في وقت النهي بلا خلاف^(١)، والأفضل أن تُصلّى في وقت صلاة العيد؛ لحديث عائشة رضي الله عنها^(٢) وغيره.

٨٥٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «التكبير في الفطر: سبع في الأولى، وخمس في الآخرة، والقراءة بعدهما كلتيهما»^(٣)؛

٨٥٣- ولحديث عائشة رضي الله عنها «أن رسول الله ﷺ كان يكبر في الفطر والأضحى في الأولى سبع تكبيرات، وفي الثانية خمساً سوى تكبيري الركوع»^(٤). وسمعت شيخنا الإمام عبد العزيز بن عبد الله ابن باز رحمته الله يقول: «هذه السبع التكبيرات مع تكبيرة الإحرام، وفي الركعة الثانية يأتي بخمس غير تكبيرة النقل»^(٥).

٨٥٤- ويقول بين التكبيرات في صلاة الاستسقاء، كما يقول في صلاة العيد: ما ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه بحضرة حذيفة وأبي موسى رضي الله عنهما، أن الوليد بن عقبة قال: إن العيد قد حضر فكيف أصنع؟ فقال ابن مسعود: تقول: «الله أكبر، وتحمد الله، وتشني عليه، وتصلّي على النبي ﷺ، وتدعو الله، ثم تكبر، وتحمد الله وتشني عليه، وتصلّي على النبي ﷺ، ثم تكبر، وتحمد الله، وتشني عليه وتصلّي

(١) انظر: الإنصاف للمرداوي مع المقنع والشرح الكبير، ٤١١/٥، والمغني، لابن قدامة، ٣/٣٣٥، والكافي له، ٥٣٣/١، والروض المربع مع حاشية ابن قاسم، ٥٤١/٢.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء، برقم ١١٧٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم ١١٧٣.

(٣) أبو داود، كتاب الصلاة، باب التكبير في العيدين، برقم ١١٥١، والترمذي، كتاب الجمعة، باب ما جاء في التكبير في العيدين، برقم ٥٣٦، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في تكبير الإمام في صلاة العيدين، برقم ١٢٧٩، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، ٣١٥/١، وغيره، وقال الترمذي في العلل: سألت البخاري عنه فقال: «(هو صحيح)».

(٤) أبو داود، كتاب الصلاة، باب التكبير في العيدين، برقم ١١٤٩، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في كم يكبر الإمام في صلاة العيدين؟ برقم ١٢٨٠، وأحمد، ٧٠/٦، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، ٣١٥/١، وغيره.

(٥) سمعته أثناء تقريره على بلوغ المرام، الحديث رقم ٥١٩.

على النبي ﷺ، وتدعو الله، ثم تكبر، وتحمد الله، وتثني عليه، وتصلّي على النبي ﷺ وتدعو الله ثم تكبر، فقال حذيفة وأبو موسى: أصاب^(١).

الخامس والعشرون: الصلاة على النبي ﷺ مطلقاً:

٨٥٥- عن أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا صَلَّيَ عَلَيَّ عَبْدٌ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً صَادِقًا بِهَا فِي قَلْبِ نَفْسِهِ إِلَّا صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ»^(٢).

٨- الفوائد والثمرات التي تحصل بالصلاة والسلام على النبي ﷺ:

يحصل المصلي والمسلم على النبي ﷺ على فوائد عظيمة، وثمرات جليلة كثيرة، منها الثمرات الآتية:

- ١- امتثال أمر الله تعالى.
- ٢- امتثال أمر النبي ﷺ في الأمر بالصلاة عليه.
- ٣- موافقة الله تعالى في الصلاة على النبي ﷺ.
- ٤- موافقة الملائكة في الصلاة على النبي ﷺ.
- ٥- حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.
- ٦- يرفع للمصلي على النبي ﷺ عشر درجات.
- ٧- يكتب له عشر حسنات.

(١) الطبراني في الكبير، ٣٠٣/٩، برقم ٩٥١٥، ورقم ٩٥٢٣، وصححه الألباني في إرواء الغليل، ١١٥/٣.

(٢) الطبراني في المعجم الكبير، ١٩٥/٢٢، برقم ٥١٣، قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في فتح الباري، ١٦٧/١١: «وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ، وَأَبِي طَلْحَةَ، كِلَاهُمَا عِنْدَ النَّسَائِيِّ، وَزَوَاتُهُمَا ثِقَاتٌ، وَلَفْظُ أَبِي بُرْدَةَ: «مَنْ صَلَّيَ عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، صَلَّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ» وَلَفْظُ أَبِي طَلْحَةَ عِنْدَهُ نَحْوُهُ، وَضَحَّحَهُ ابْنُ جَبَانَ» وَقَالَ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، ٢/٢٩٠، برقم ١٦٥٩: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

- ٨- يُمحى عنه عشر سيئات.
- ٩- يُرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه وختم بها، فهي تصعد إلى رب العالمين.
- ١٠- سبب لشفاعة النبي ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له.
- ١١- من صلى على النبي ﷺ حَقَّتْ له الشفاعة.
- ١٢- سبب لغفران الذنوب.
- ١٣- سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.
- ١٤- سبب لقرب العبد من النبي ﷺ يوم القيامة.
- ١٥- سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه.
- ١٦- المصلي على النبي ﷺ ينجو من دعاء النبي ﷺ عليه بالصاق أنفه بالتراب.
- ١٧- أولى الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة أكثرهم عليه صلاة.
- ١٨- تصلي الملائكة على المصلي على النبي ﷺ.
- ١٩- استمرار الملائكة في الصلاة على المصلي ما دام يصلي على النبي ﷺ.
- ٢٠- صلاة الله وسلامه على من صلى على النبي ﷺ.
- ٢١- إبلاغ النبي ﷺ من الملائكة بصلاة وسلام من صلى عليه وسلم.
- ٢٢- سبب لرد النبي ﷺ الصلاة والسلام على المصلي والمسلم عليه.
- ٢٣- سبب لطيب المجلس وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.
- ٢٤- تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره.
- ٢٥- ترمي بصاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتركها عن طريقها.
- ٢٦- تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر الله ولا يصلي على رسوله ﷺ فيه.
- ٢٧- سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ.
- ٢٨- يخرج العبد بالصلاة والسلام على النبي ﷺ عن الجفاء.
- ٢٩- سبب لإبقاء الله الشاء الحسن للمصلي على النبي ﷺ بين السماء والأرض؛ لأن

المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه والجزاء من جنس العمل، فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.

٣٠- سبب للبركة في ذات المصلي، وعمله، وعمره، وأسباب مصالحه، لأن المصلي داع ربّه يُبارك عليه وعلى آله وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنس العمل.

٣١- سبب لنيل رحمة الله له، فلا بد للمصلي من رحمة تناله.

٣٢- سبب لدوام محبة العبد للرسول ﷺ، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه استولى على جميع قلبه والمثل المشهور من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

٣٣- الصلاة على النبي ﷺ سبب لمحبه للعبد، فإنها إذا كانت سبباً لزيادة محبة المصلي عليه له، فكذلك هي سبب لمحبه هو للمصلي عليه.

٣٤- سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه ﷺ وذكره استولت محبه على قلبه.

٣٥- سبب لعرض اسم المصلي على النبي ﷺ.

٣٦- سبب لتشيت القدم على الصراط والجواز عليه.

٣٧- الصلاة على النبي ﷺ أداء لأقل القليل من حقه على العبد.

٣٨- الصلاة على النبي ﷺ متضمنة لذكر الله وشكره.

٣٩- الصلاة على النبي ﷺ من الدعاء، ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان:

أحدهما: سؤاله حوائجه ومهماته وما ينوبه وهذا دعاء.

والثاني: سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه^(١).

٩- صفات الصلاة على النبي ﷺ:

أفضل كيفيات الصلاة على النبي ﷺ أربع صفات هي على النحو الآتي:

(١) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ص ٤٤٥-٤٥٤.

الصفة الأولى: إحدى الصفات التي علمها النبي ﷺ لأصحابه عندما سألوه عن كيفية الصلاة عليه:

٨٥٦- عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لَقِينِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، فَقَالَ: أَلَا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، فَأَهْدِهَا لِي، فَقَالَ: سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(١).

٨٥٧- عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو حَمِيدٍ السَّاعِدِيُّ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٢).

٨٥٨- وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»، قَالَ ابْنُ

(١) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا موسى بن إسماعيل، برقم ٣٣٧٠، وكتاب التفسير، باب قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٥٦، برقم ٤٧٩٧، وكتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي ﷺ، برقم ٦٣٥٧، ومسلم، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، برقم ٤٠٦.

(٢) مسلم، برقم ٤٠٧، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

طَاوُسٍ: وَكَانَ أَبِي يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ^(١).

الصفة الثانية: صلى الله عليه وسلم تسليماً:

قال الإمام ابن كثير رحمته الله: «قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، فَأَلَوَّلَى أَنْ يُقَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا»^(٢).

الصفة الثالثة: صلى الله عليه وسلم.

الصفة الرابعة: عليه الصلاة والسلام.

قال العلامة المحدث عبد المحسن العباد عن هاتين الصفتين الأخيرتين: «وقد درج السلف الصالح، ومنهم المحدثون بذكر الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام عند ذكره بصيغتين مختصرتين إحداهما: صلى الله عليه وسلم، والثانية: عليه الصلاة والسلام، وهاتان الصيغتان قد امتلأت بهما والله الحمد كتب الحديث، بل إنهم يدونون في مؤلفاتهم الوصايا بالمحافظة على ذلك على الوجه الأكمل من الجمع بين الصلاة والتسليم عليه»^(٣).

قال الإمام ابن الصلاح رحمته الله: «يَتَّبِعِي لَهُ [يعني كاتب حديث رسول الله ﷺ] أَنْ يُحَافِظَ عَلَى كِتَابَةِ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَلَا يَسْأَمُ مِنْ تَكَرُّرِ ذَلِكَ عِنْدَ تَكَرُّرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ الْفَوَائِدِ الَّتِي يَتَعَجَّلُهَا طَلَبَةُ الْحَدِيثِ، وَكَتَبْتُهُ، وَمَنْ أَغْفَلَ ذَلِكَ حُرْمَ حَظًّا عَظِيمًا... وَمَا يَكْتَبُهُ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ دُعَاءٌ يُثْبِتُهُ، لَا كَلَامٌ يَزْوِيهِ، فَلِذَلِكَ لَا يَتَّقِيْدُ فِيهِ بِالرِّوَايَةِ، وَلَا يَفْتَصِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي الْأَصْلِ، وَهَكَذَا الْأَمْرُ فِي الشَّأْنِ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ، نَحْوُ (ﷺ)، وَ(تَبَارَكَ وَتَعَالَى) وَمَا ضَاهَى ذَلِكَ،

(١) مسند أحمد، ٢٣٧/٣٨، برقم ٢٣١٧٤، وصححه الألباني في صفة الصلاة، ص ١٧٩، وصححه محققو المسند، ٢٣٨/٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤٧٩/٦، وانظر: الأذكار للنووي، ص ١٥٩.

(٣) فضل الصلاة على النبي ﷺ للعلامة عبد المحسن العباد، ص ١٩.

وَإِذَا وَجِدَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الرَّوَايَةُ كَانَتْ الْعِنَايَةُ بِإِثْبَاتِهِ، وَضَبَطَهُ أَكْثَرَ، وَمَا وَجَدَ فِي خَطِّ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رحمته الله مِنْ إِعْقَالِ ذَلِكَ عِنْدَ ذِكْرِ اسْمِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَعَلَّ سَبَبَهُ أَنَّهُ كَانَ يَرَى التَّقْيِيدَ فِي ذَلِكَ بِالرَّوَايَةِ، وَعَزَّ عَلَيْهِ اتِّصَالُهَا فِي ذَلِكَ فِي جَمِيعِ مَنْ فَوْقَهُ مِنَ الرُّوَاةِ.

قَالَ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ: «وَبَلَّغْنِي أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ نَظْقًا لَا خَطَأَ»، قَالَ: «وَقَدْ خَالَفَهُ غَيْرُهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي ذَلِكَ».

وَرَوَى عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، وَعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْعُتْبَرِيِّ، قَالَا: «مَا تَرَكْنَا الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ حَدِيثٍ سَمِعْنَاهُ، وَرُبَّمَا عَجَلْنَا فَنَبِيْضُ الْكِتَابِ فِي كُلِّ حَدِيثٍ حَتَّى نَرْجِعَ إِلَيْهِ»، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ثُمَّ لِيَتَجَنَّبَ فِي إِثْبَاتِهَا نَقْصِينَ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكْتُبَهَا مَنْقُوصَةً صُورَةً، رَامِزًا إِلَيْهَا بِحَرْفَيْنِ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَالثَّانِي: أَنْ يَكْتُبَهَا مَنْقُوصَةً مَعْنَى، بِأَنْ لَا يَكْتُبَ (وَسَلَّمَ)، وَإِنْ وَجَدَ ذَلِكَ فِي خَطِّ بَعْضِ الْمُتَقَدِّمِينَ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ النُّووي رحمته الله فِي كِتَابِهِ الْأَذْكَارُ: «إِذَا صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلِيَجْمَعْ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ، وَلَا يَقْتَصِرْ عَلَى أَحَدِهِمَا، فَلَا يَقِلُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ) فَقَطْ، وَلَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَقَطْ»^(٢).

وَقَالَ الْفَيْرُوزَابَادِي فِي كِتَابِهِ الصَّلَاتُ وَالْبَشَرُ: «وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَرْمِزَ لِلصَّلَاةِ [عَلَى النَّبِيِّ ﷺ] كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الْكُسَالَى، وَالْجَهْلَةِ، وَعَوَامِ الطَّلَبَةِ، فَيَكْتُبُونَ صُورَةَ (صَلِّعُمْ) بَدَلًا مِنْ ﷺ»^(٣).

(١) مقدمة ابن الصلاح: معرفة أنواع علوم الحديث، ص ١٨٨.

(٢) الأذكار للنووي، ص ٢٠٨.

(٣) الصَّلَاتُ وَالْبَشَرُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى خَيْرِ الْبَشَرِ ﷺ، ص ١١٤، وانظر: فضل الصلاة على النبي ﷺ للعباد، ص ٢٠.

٢٢٠- (٢) وَقَالَ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»^(١).

الشرح:

أولاً: لفظ الحديث:

٨٥٩- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ^(٢)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا يُتُوتُكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»^(٣).

٨٦٠- وَعَنْ عَلِيٍّ^(٤) بْنِ حُسَيْنٍ بْنِ عَلِيٍّ^(٥)، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي كُلَّ غَدَاةٍ، فَيَزُورُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ، وَيَضْنَعُ ذَلِكَ مَا اشْتَهَرَهُ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: أَحَبُّ التَّسْلِيمِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: هَلْ لَكَ أَنْ أُحَدِّثَكَ حَدِيثًا عَنْ أَبِي؟

(١) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، برقم ٢٠٤٤، وأحمد، ١٤: ٤٠٣، برقم ٨٨٠٤، وصححه النووي في الأذكار، ص ٢١٩، وحسنه محققو المسند، ١٤/ ٤٠٣، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٧٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج الحديث رقم ٢٠٧ من أحاديث المتن.

(٢) تقدمت ترجمته في الحديث رقم ٣ من أحاديث الشرح.

(٣) أبو داود، برقم ٢٠٤٤، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم ١٧٨٠، وتقدم تخريجه في تخريج حديث المتن.

(٤) علي بن الحسين: هو الإمام زين العابدين، وُلِدَ فِي: سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ ظَنًّا، وَكَانَ عِنْدَ مَشْهَدِ أَبِيهِ غَلَامًا لَمْ يَحْتَلَمْ، فَأَشْخَصُوا بِهِ إِلَى يَزِيدَ فِي الشَّامِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَيُقَالُ لَهُ عَلِيُّ الْأَصْغَرُ، وَلَيْسَ لِلْحُسَيْنِ ﷺ عَقِبٌ إِلَّا مَنْ وَلَدَ زَيْنَ الْعَابِدِينَ هَذَا؛ وَهُوَ أَحَدُ الْأُتَمَةِ الْإِثْنِي عَشَرَ، وَمِنْ سَادَاتِ التَّابِعِينَ، رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَعَمِّهِ الْحَسَنِ وَطَائِفَةٍ، وَرَوَى عَنْهُ بَنُوهُ مُحَمَّدٌ وَزَيْدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ، وَآخَرُونَ كَثُرَ، كَانَ ثِقَةً، مَأْمُونًا، كَثِيرَ الْحَدِيثِ، عَالِيًا، رَفِيعًا، وَرِعًا، مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَتَسْعِينَ. انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، ٣/ ٢٦٧، وسير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ٤/ ٣٨٦، وإسعاف المبطل للسيوطي، ص ٢١.

(٥) تقدمت ترجمة الحسين بن علي ﷺ في الحديث رقم ٤٩٥ من أحاديث الشرح.

قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي^(١)، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، وَسَلِّمُوا حَيْثُمَا كُنْتُمْ، فَسَيُلْغِي سَلَامُكُمْ وَصَلَاتُكُمْ»^(٢).

ثانيًا: شرح مفردات الحديث:

١- قوله: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَعْنِي: أَنَّ الْقُبُورَ مَوْضِعَ الْمَوْتِ، فَإِذَا لَمْ تُصَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ وَلَمْ تَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهَا كُنْتُمْ كَالْمَيِّتِ، وَكَانَتْ كَالْقُبُورِ»^(٣)، وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، أَي: لَا تَتْرَكُوا الصَّلَاةَ فِي بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوهَا كَالْقُبُورِ الَّتِي لَا يُصَلَّى فِيهَا»^(٤)، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، مَعْنَاهُ: لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ كَالْقُبُورِ الْخَالِيَةِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِبَادَتِهِ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ صَالِحَةٍ لَهَا، وَكَذَلِكَ لَا تَجْعَلُوا الْقُبُورَ كَالْبُيُوتِ مُحَلًّا لِلْإِعْتِيَادِ لِحَوَائِجِكُمْ، وَمَكَانًا لِلْعِبَادَةِ وَالصَّلَاةِ، أَوْ مَرْجَعًا لِلسُّرُورِ وَالزَّيْنَةِ كَالْعِيدِ»^(٥).

٢- قوله: «وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»: قال ابن القيم: العيد ما يعتاد مجيؤه، وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتیاد، وقال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَي: لَا تَتَكَلَّفُوا الْمَعَاوِدَةَ إِلَى قَبْرِي، فَإِنْ صَلَاتُكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ. قُلْتُ: لَا ارْتِيَابَ أَنَّ الصَّلَاةَ فِي الْحَضُورِ مَشَافَهَةٌ أَفْضَلُ مِنَ الْغَيْبَةِ، لَكِنْ الْمَنْهِي عَنْهُ هُوَ الْإِعْتِيَادُ الَّذِي يَرْفَعُ الْحَشْمَةَ، وَيَخَالِفُ التَّعْظِيمَ»^(٦)، وقال الإمام ابن القيم

(١) تقدمت ترجمة علي بن أبي طالب في الحديث رقم ٤٥ من أحاديث الشرح.

(٢) فضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي، ص ٣٣، برقم ٢٠، وينحوه برقم ٣٠، قال الألباني في تحقيقه لهذا الكتاب: «حديث صحيح بطرقة، وشواهده، وقد خرجتها في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص ٩٨-٩٩».

(٣) الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٧٣/٣.

(٤) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ٢٢/٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٢ من مفردات حديث المتن رقم ١٤٣.

(٥) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠٤٣/٣.

(٦) شرح المشكاة للطيبي: الكاشف عن حقائق السنن، ١٠٤٨/٣.

ﷺ: «وكذلك نهيه لهم أن يتخذوا قبره عيداً، نهى لهم أن يجعلوه مجمعاً كالأعياد التي يقصد الناس الاجتماع إليها للصلاة؛ بل يُزار قبره صلوات الله وسلامه عليه، كما كان يزوره الصحابة رضوان الله عليهم على الوجه الذي يرضيه، ويحبه صلوات الله وسلامه عليه»^(١).

٣- قوله: «وَصَلُّوا عَلَيَّ»: قال العلامة ابن عثيمين ﷺ: «فقولك: اللهم صل على محمد، يعني: اللهم اثنِ عليه في الملاء الأعلى، ومعنى اثنِ عليه، يعني: اذكره بالصفات الحميدة، والملاء الأعلى هم الملائكة، فكأنك إذا قلت: اللهم صل على محمد، كأنك تقول: يا ربِّ صِفْهُ بالصفات الحميدة، واذكره عند الملائكة حتى تزداد محبتهم له، ويزداد ثوابهم بذلك، هذا معنى اللهم صلى على محمد»^(٢).

٤- قوله: «فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»: أي: تصل إليّ، قال الإمام ابن قيم الجوزية ﷺ: «عَقَّبَ النهي عن اتخاذه عيداً بقوله: «وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنْ صلاتكم تبلغني حيث كنتم» يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعديكم، فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيداً»^(٣).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم شد الرحال إلى قبره ﷺ، واجتماع الناس عنده اجتماعهم للعيد، والالتصاق بقبره ﷺ؛ لأن هذا يفضي إلى دعائه ﷺ من دون الله، ومن يفعل ذلك يزعم أن هذا من باب الحب له ﷺ، فقد أخطأ، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٤)، ولم يفعل ذلك أصدق الناس في

(١) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ٢٣/٦، وتقدم في شرح المفردة رقم ٣ من مفردات حديث المتن رقم ١٤٣.

(٢) شرح رياض الصالحين، شرح الحديث رقم ١٣٩٧.٢، وتقدم في شرح المفردة رقم ٤ من مفردات حديث المتن رقم ١٤٣.

(٣) إغاثة اللهفان، ١/ ١٩٢.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

محبتة، وهم أصحابه رضوان الله عليهم.

٢- إبطال حجج من يزعم أن الصلاة عليه عند قبره أفضل من الصلاة عليه بعيداً عنه، والحديث ظاهر الدلالة في تكذيب ذلك القول الباطل، وهم يعتمدون في ذلك على جملة من الأحاديث الضعيفة والمكذوبة عليه ﷺ منها^(١):

أ - «من صلى عليّ عند قبري وكل الله به ملكاً يبلغني وكفي أمر دنياه وآخرته وكنت له يوم القيامة شهيداً أو شفيعاً»^(٢)، وهو حديث مكذوب على النبي ﷺ.

ب - «من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ من بعيد أعلمته»^(٣).

٣- المشروع هو شد الرحال إلى مسجده، وليس إلى قبره؛ لقول النبي ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٤)، أما من كان في مسجده ﷺ، فتستحب له الزيارة الشرعية وإنما تشد الرحال إلى المساجد الثلاثة للثواب العظيم لمن صلى فيها.

٤- قال العظيم آبادي رحمه الله: «ويؤخذ من الحديث أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة ويقولون هذا يوم مولد «الشيخ فلان» ويأكلون ويشربون وربما يرقصون فيه منهى عنه شرعاً، وعلى ولي الأمر ردعهم على ذلك، وإنكاره عليهم وإبطاله»^(٥)، وتأديبهم إن امتنعوا.

(١) انظر: شرح حصن المسلم لأسامة بن عبد الفتاح، ص ٦١٧.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي، ٣/ ١٤١، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ١/ ٣٠٣، وحكم عليه الألباني بالوضع في السلسلة الضعيفة، برقم ٢٠٣.

(٣) انظر: الضعيفة، برقم ٢٠٥. ذكره السيوطي في جمع الجوامع، برقم ٥٥٠٣، وعزاه إلى أبي الشيخ، وقال السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، ص ١٦٠: «أخرجه أبو الشيخ في الثواب له من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عنه ومن طريقه الديلمي وقال ابن القيم: إنه غريب، قلت: وسنده جيد كما أفاده شيخنا» [وشيوخ السخاوي هو الحافظ ابن حجر رحمه الله].

(٤) البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، برقم ١١٨٩.

(٥) عون المعبود، ٣/ ٣١١.